

سلسلة المشاريع الوطنية للبحث



إدارة خزانة
وزارة المصالحات

المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954



سلسلة المشاريع الوطنية للبحث



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

المقاومة

والتاريخ العسكري المغربي القديم

رئيس المشروع

د. محمد الصغير غانم

الأعضاء:

أ. محمد العربي عقون.

أ. محمد الصالح بوعناقة.

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين

بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الاستقلال والشباب

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954



تصدير بقلم معالي وزير المجاهدين

السيد : محمد الشريف عباس

كثيرا ما عادت إلى ذهني عبارة قالها المؤرخ الشاعر الموسوعي الدكتور أبو القاسم سعد الله حفظه الله، مفادها أننا شعب يحسن صناعة التاريخ ولكنه لا يجيد روايته والتاريخ لما يصنعه.

وإذا كان هذا الإستنتاج المشحون بخصّة أكيدة هو وليد معاناة البحث والإستقصاء التي تحملها هذا العالم الفاضل، وهو يقلب دفاتر الماضي ويدقق ويغوص بخبرته وعلميته وسعة اطلاعه في ثنايا تاريخنا الوطني ويرى بأم عينيه كم هو قليل عدد الذين يخوضون معه غمار هذا اليم الواسع المليء بالأسرار والمكنونات، والمليء أيضا بالبحارة المزيّفين أو المناوئين الذين لم ولن يدخروا ما في وسعهم للمضي في تزوير الحقيقة التاريخية أو تزييفها أو تغليفها بما يخدم الأهداف المعلنة وغير المعلنة للعدو، والتي ما اتسع حقلها و علا صوتها إلا بسبب ما بدر من المؤرخ الوطني من انسحاب وغياب وما ظهر فينا من سلوك غالب لا يعير التاريخ الأهمية التي تستحق والأولوية التي يجب أن يتبوأها .

ولله الحمد إذ وقعت همسة الدكتور أبو القاسم سعد الله الهادفة ومعها كثير من الدعوات الواعية في سمع راعية أمينة حملت همسة الاستغاثة هذه على محمل الجد وقالت معه ومع غيره من الغيورين على التاريخ الوطني، أنه حان الوقت لعمل جاد لاستغلال هذا الفضاء الحيوي وإعادة ترتيبه ليكون من بين أهم الاهتمامات الأولوية

والفضل في هذا المنحى يعود بالدرجة الأولى إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي ما كان ليفوت مناسبة وطنية أو محلية إلا وقد حث الهمم ونبه إلى الآثار السيئة والثقوب الخطيرة التي بدأت تبدو على هذا المستوى أو ذاك من الأعطاب التي تصيب الذاكرة الوطنية، والتي بدأت نتائجها السلبية واضحة في وعي الأجيال الجديدة وتصرفاتها.

قالها فخامته بلغة واضحة أننا وإن كنا مجبرين على التكيف مع المستجدات الحاصلة من حولنا والمشاركة كطرف فاعل في الفضاء الإنساني

الجديد، إلا أن نوعية مشاركتنا وحماية مصالحنا مرهونتان بنجاحنا في تغذية الأجيال الجديدة بالمرجعيات الذاتية ومرتكزات القوة التي تجعلهم يشاركون ولا يذويون يتصدرون ولا يكونون تبعاً لغيرهم، وليس لبلوغ هذه الغاية من خيار غير العناية بالتاريخ وتطعيم هذه الأجيال بخلاصاته. وقد تمّ الحرص في كل هذا الجهد المتكامل على وضع الأسس لدراسة تاريخية وطنية لا تستغني عن المناهج العلمية الموضوعية والالتزام على الحقيقة، ولا تسعى في محصلتها إلى زرع الأحقاد كما تفعل المدرسة التاريخية الكولونيالية، ولكنها مع ذلك لا تنسى أنها إزاء بحث علمي إنساني اجتماعي في المقام الأول، وأنها تخوض غمار العمل في حقل ظل مسكوناً بالغالطات والتعصب في الكثير من المؤلفات التي صدرت عن المؤرخين الإستعماريين، وإنه من حقها أن تعيد ترتيب الحقائق كما وقعت بالفعل وبالصورة التي تبين للأجيال كفاح آبائهم، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله (من حفظ التاريخ زاد عقله).

في سياق هذا الجهد الذي ابتدأ منذ بضع سنوات و احتفاء بالذكري الخامسة والأربعين لاستعادة السيادة الوطنية يقدم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 مجموعة جديدة من البحوث العلمية التاريخية قامت بإعدادها بالتعاون مع المركز، كوكبة من الباحثين والمؤرخين والأساتذة، المعروفين بقدراتهم العلمية، وبمساهماتهم المتخصصة في هذا المجال .

وإني لأغتتم هذه الفرصة لأوجه إلى هؤلاء الأساتذة جليل التقدير على ما تحملوه من عناء البحث والتنقيب والتدقيق ليقدّموا هذا الإنتاج الذي سيكون خير عون للمطلبة والباحثين والراغبين في التعرف على التاريخ الوطني من منابه الصافية.

كما أعبر عن بالغ التقدير والشكر لجميع القطاعات التي ساهمت إلى جانب وزارة المجاهدين، في إنجاز هذا المشروع وأخص بالذكر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والوزارة المنتدبة للبحث العلمي اللذين وجدنا فيهما خير مساندة في هذا المسعى الوطني الرفيع.

وفق الله الجميع في خدمة التاريخ الوطني، وتخليد مآثر الأمة الأزلية، ومن سار على درب وصل.

محمد الشريف عباس

تقديم بقلم مدير المركز

يتشرف المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بإصدار ثلاثين دراسة علمية، هي ثمرة عمل مشاريع البحث المنجزة في إطار البرنامج الوطني للبحث العلمي، والتي نال المركز شرف تأطيرها منذ انطلاقتها إلى اليوم.

وإذا تناول هذه الدراسات تاريخ الجزائر بكل مراحلها، فإن ذلك يعتبر تأكيدا لفكرة: أن التاريخ الوطني كل لا يتجزأ على اختلاف العصور والأحداث والأزمات التي عرفت بها بلادنا، وأن هذا المكنون التاريخي، مترابطة مراحلها ومتواصلة من القديم إلى الوسيط إلى الحديث والمعاصر، بما في ذلك فترتي المقاومة والثورة التحريرية.

وإذا كان الهدف البعيد في طبع ونشر هذه الأعمال هو إبراز دور المركز ومساهمته الفعالة في كتابة تاريخ الجزائر، في إطار الدور المنوط به منذ نشأته سنة 1995، فإن الهدف القريب والمباشر يتمثل في تدعيم المكتبة الوطنية بعصارة جهد ثلة من خيرة الأساتذة الجامعيين والباحثين الجزائريين المشهود لهم بالخبرة والكفاءة والاختصاص، وإثراء الرصيد العلمي والمعرفي للطلبة والمهتمين والباحثين.

ولا يفوتنا بمناسبة نشر هذه الأعمال أن نهني أنفسنا وشعبنا وأن نشكر وزارة المجاهدين وعلى رأسها معالي الوزير السيد محمد الشريف عباس، على رعايته واهتمامه البالغ بهذا المشروع، كما نثني على الدور الكبير الذي لعبته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الوزارة المنتدبة للبحث العلمي، الأساتذة والباحثون، وكل الذين حرصوا وساهموا في إخراج هذا المشروع إلى النور.

د: جمال يحيياوي

- المقدمة:

إن البحث في التاريخ العسكري والمقاومة في الجزائر القديمة جدير بالدراسة غير أنه لا ينفصل على الكل الذي هو شمال إفريقيا.

وهكذا نرى أنه منذ أن وجد الإنسان على سطح هذا الكون بدأ يتحرك ثم احتك ببني جنسه سلبا أو إيجابا، لاسيما بعد أن تكونت لديه فكرة التملك التي جعلته يستقر في مكان ما ويدافع عن حياضه، وحتى يلبي غريزة الأكل والشرب مارس اقتصاد الصيد ثم الجمع والالتقاط والرعي والزراعة، بغية حفظ البقاء في بداية الأمر، ثم التطلع إلى الرفاهية تدريجيا فيما بعد مع بداية التطور الفكري النسبي.

وشينا فشيننا بدأت تتضارب مصالح الأفراد والجماعات البشرية تجاه بعضها البعض، مما ترتب عنه الدفاع عن المصالح واثبات الذات والتفوق العضلي. ولعل تلك كانت هي اللبنة الأولى لما عرف بالمشاجرات المادية والنزاعات البدائية في تاريخ الإنسانية. وبتقدم الزمن وتكاثر الجماعات البشرية وظهر ما يعرف اجتماعيا بالانتماءات الأسرية أو القبلية والعشائرية، تشابكت المصالح وتضاربت أكثر وبذلك ظهرت فكرة القائد (Le chef) الذي يفوض له الأفراد والجماعات قيادة مجموعة بشرية ضد أخرى، وذلك ما تمثل في رؤساء القبائل الأوائل ثم العشائر والملوك والأباطرة والقادة العظام والديكتاتوريين، ثم السوفيت (Suffètes) (القضاة الحكام عند الفينيقيين) والأغاليد

(الحكام العسكريون)، والملوك ورؤساء الجمهوريات التي بقيت الإشارة إليها في تاريخ شمال إفريقيا منذ القديم وحتى يومنا هذا.

إن كل هذه التسميات المشار إليها أنفا كانت تسند إلى قيادات الجماعات البشرية سواء أكان ذلك في وقت السلم أو الحروب البدائية منها والكلاسيكية. تلك الحروب التي كانت في بدايتها عبارة عن مواجهات فوضوية تلتقي فيها مجموعتان بشريتان تتصارعان مستعملة كامل أدوات القتال البدائية المختلفة مثل الحجارة والعصي والهروات والأعضاء البشرية بمختلف أنواعها، وكذا الحيوانات المدجنة التي تدرب لغرض الحرب مثل الثيران والحصان عند الليبيين القدماء والفيلة عند الهنود وسكان آسيا الغربية، ثم القرطاجيين في شمال إفريقيا.

وعندما أدركت المجموعات البشرية أن اختلال التوازن في الحروب البدائية سببه كثرة العدد. التجأت المجموعات الأقل عددا في محاربتها لمن يفوقها عددا وعدة إلى ما يعرف بحرب العصابات التي يستخدمها الطرف الأضعف ماديا للتغلب على الخصم القوي، ذلك لأن هذه الحرب (حرب العصابات) تتطلب الاعتماد على الحيل واستعمال الذكاء في شل حركة العدو، والمباغطة في كثير من الأحيان، ثم الكر والفر.

إن كل ما أشرنا إليه يعتبر خطوة من خطوات الحرب والمقاومة استعملها الإنسان منذ الأزمنة القديمة في تحقيق أغراضه والدفاع عن

كيانه للوقوف في وجه الجبابة وكل من تخول لهم أنفسهم اغتصاب
حقوق الضعفاء الآخرين، سواء اكانوا أفرادا أو جماعات .
وفقا للمنظور السابق فإنه لا يمكننا التحدث عن تاريخ عسكري
بالمعنى والمفهوم السائدين في وقتنا الحالي بالنسبة لبلاد المغرب
القديم عامة والجزائر بصفة خاصة، غاية ما هنالك يمكن أن نقول أنه
كانت هناك إرهاصات لتاريخ عسكري مقاوم يمتد في أعماق الزمن
وصلتنا أخباره عن طريق المؤرخين القدماء الإغريق والرومان، الذين
احتكت شعوبهم بشمال إفريقيا سلميا بالنسبة لإغريق قرينة ليبيا،
وحربا واغتصابا بالنسبة للرومان الذين هيمنوا على المنطقة فيما بعد .
ولعله من نافذة القول أن نشير إلى المصادر التي تناولت بشيء
من التفصيل العادات والتقاليد وبعض الجوانب من المقاومة والتاريخ
العسكري في بلاد المغرب القديم، لاسيما في فترة المملكة النوميديّة وما
يليهها ويأتي على رأس هؤلاء الكتاب والمؤرخين الإغريق والرومان،
المؤرخ الإغريقي هيرودوت في كتابه الرابع (Hérodote IV) الذي
تناول عادات وتقاليد الليبيين وحروبهم فيما بينهم وضد الإثيوبيين . يليه
المؤرخ بوليب في كتابه الثالث (Polybe III) الذي خصصه للحروب
البونية التي نشبت ما بين قرطاجة والرومان وكان شاهد عيان على
تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م. من قبل الرومان .

المؤرخون في العصور الوسطى والقرن السادس عشر لم يهتموا بتدوين التاريخ العسكري في بلاد المغرب القديم .

يضاف إلى ذلك كتابات المؤرخ سترابون (Strabon) التي كانت
في أغلبيتها وصفية جغرافية ولا يستفاد منها فيما يخص المقاومة
والحروب العسكرية، وكذا كتابات المؤرخ ابيان (Appian) الذي ركز
هو الآخر على اجتياح القائد الإغريقي أجاثوكليس (Agathocles)
لمنطقة شمال تونس خلال نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وقد توغل
قائده اوماخوس (Eumachos) حتى وصل مدينة هيبون عنابة الحالية.

كذلك تعرض المؤرخ بلين الكبير (Plin l'ancien) إلى القبائل
الماسيلية والمازيسيلية خلال القرن الأول ميلادي وعلاقتهم بالرومان .
وبدوره تعرض تيت- ليف (Tite-Live) الذي كتب التاريخ الروماني
فقد تطرق في بعض أجزائه إلى علاقات المغاربة بالرومان في شمال
إفريقيا .

أما المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) الذي تناول في كتاباته
حروب يوغرطة (La guerre de Jugurtha) معتبرا أن هذا الأخير
كان قد تنكر لأفضال الرومان على المملكة النوميديّة وبذلك نال جزاءه .
وفي كتابات متحاملة يشير إلى الجيش اليوغرطي واصفا إياه بأنه كان
يعتمد على حرب العصابات والسلب والنهب ولا يحسن إلا الكر والفر .
وفي كثير من الأحيان يغتر بالانتصارات الطفيفة التي يسجلها .

وهناك كتاب حرب إفريقيا Bellum Africum المنسوب لقيصر
والذي سجل لنا تعداد جيش الملك يوبا الأول وفرقه العسكرية وضباطه

ويستخلص منه أيضا الإشارة إلى الخطط الحربية النوميديّة. إضافة إلى ذلك نشير إلى كتابات ديون كاسيوس , (Dion Cassius XLVIII) (21) التي تعتبر المصدر الوحيد لكفاح أرابيون الذي حاول استرجاع السيادة النوميديّة خلال القرن الأول قبل الميلاد، وقد تناول المؤرخ وقائع ذلك الصراع بين أرابيون والأباطرة والقادة الرومان مبرزاً شجاعة أرابيون.

ومن جهة أخرى يعتبر سقوط المملكة النوميديّة نهاية للتاريخ العسكري الرسمي واستمراراً لتسجيل وقائع المقاومة التي اعتمدت أكثر على التعبئة الشعبيّة وعلى المجندين والمتطوعين وهذا ما نلمسه في المقاومة التي قادها تاكفاريناس خلال بداية القرن الأول ميلادي واستمرت بعد ذلك المقاومة حتى نهاية الاحتلال الروماني في إفريقيا . وعليه فإنه ما إن ظهر الوندال في المنطقة حتى تهاوى الاستعمار الروماني الذي كان يظن أنه دائم وأبدي.

وقبل ذلك وردت الإشارة أيضا إلى هذا التاريخ العسكري المقاوم المشار إليه فيما جسده الوثائق المصرية التي تطرقت إلى غزو القبائل الليبية لحدودها الغربيّة، حيث بقيت الإشارة إلى تلك الأحداث مجسدة في كل من صلايات الفراعنة الذين ردوا تلك الغزوات، وكذا في واجهات مقابر بني حسن ومدينة هابو ومعبد الكرنك بالأقصر... الخ.

أما المصدر الثالث والذي هو أكثر أهمية فيتمثل في رأينا فيما يستخلص من الرسوم الصخرية الممتدة في شمال إفريقيا من الأطلس الكبير للمغرب الأقصى وحتى جبال العوينات بمصر مرورا بالجنوب الوهراني وجبال أولاد نايل، ثم هضاب كل من الطاسيلي والهقار والشمال القسنطيني بالجزائر ثم منطقة فزان بليبيا والواحات الغربية بمصر.

ورغم أن اكتشاف الرسوم الصخرية يعد حديثا في تاريخنا المغربي، إلا أن أهميتها في تجسيد حركية المجتمعات القديمة من حيث السلم والحرب تعد أكثر من ضرورية في دراسة موضوع التاريخ العسكري المقاوم، لاسيما في استعمال العربات المقاتلة التي تجرها الخيول.

وهكذا نرى أنه على امتداد المراحل الزمنية التي عاشتها الإنسانية، اتصف التاريخ المغربي العسكري القديم بطابع المقاومة وشن الحروب ويمتد ذلك ليشمل كامل فتراته بداية من استعمال الإنسان للهراوت والعصي، ثم القوس والخناجر البسيطة والعربات التي تجرها الخيول، وكذا استعمال الجمال التي أبرزتها لنا الرسوم الصخرية في المناطق الصحراوية، وحتى استعمال الرماح والسيوف القصيرة والخناجر الحادة، مرورا باستعمال المقلاع القاذف للحجارة وكويرات الطين المشوي (الفخار) والمنجانيق والمبارزة الشخصية.

والاستعانة بالحصان ثم الفيلة وكلاب الصيد (السلوقي) كأداة من أدوات الحروب.

ولقد مر التاريخ العسكري المغاربي القديم بعدة مراحل يمكن أن نلخصها في المقاومة والغزو، وذلك ما قامت به القبائل الليبية على الحدود المصرية الغربية. وقد تواصلت تلك الغزوات حتى تمكن أصحابها من تأسيس الدولة الثانية والعشرين في مصر والتي قادها ملوك ليبيا كان على رأسهم الملك شيشنق الأول الذي غزا القدس في القرن العاشر قبل الميلاد 927 ق. م. ، وقد حاول شيشنق أن يوسع دولته تلك حتى تشمل الساحل الكنعاني وبذلك يضمن للدولة المصرية الفرعونية التوسع والاستقرار، وقد واصل أسلافه من بعده تلك الخطة مما جعل الدولة المصرية تزداد قوة وصلابة في وجه كامل الغزاة.

أما إذا انتقلنا إلى الفترة الفينيقية البونية- المغاربية التي تدخل في صلب بداية التاريخ، المغاربي فإننا نلاحظ أن اللقاءات الأولى بين الفينيقيين والمغاربة الأوائل كانت سلمية ولم تأخذ طابع العنف والمقاومة إلا بعد أن آلت قرطاجة إلى إمبراطورية خلال منتصف القرن السادس قبل الميلاد، حيث تضاربت مصالحها في الحوض الغربي للبحر المتوسط مع كل من الإغريق والرومان، لاسيما منذ القرن السادس قبل الميلاد (معركة أليا 535 ق. م.) بكورسيكا التي خاضها التحالف

الأيثروسكي القرطاجي ضد تجمع المدن الإغريقية تحت قيادة
سيراكوزة بصقلية.

عند ذلك أصبحت قرطاجة تعتمد في حروبها على الجيش المرتزق
الذي كان من بين أفرادهِ وكتائبهِ أبناء المغاربة القدماء، الذين أصبحوا
يقادون إلى حروب لا تعود فوائدها عليهم، بل على الأرستقراطية
القرطاجية. هذا إلى جانب فرض القرطاجيين لضرائب مجحفة على
المغاربة بغرض تغطية الحروب التي كانت تشن من حين لآخر. كذلك
عملت قرطاجة إلى جانب ما أشرنا إليه أنفاً على إفتكاك الأراضي من
أصحابها المغاربة القدماء ومنحها للأرستقراطيين القرطاجيين
كتعويض لهم على ما خسروه في كل من صقلية وسردينيا ثم جزر
البحر المتوسط، لاسيما بعد نهاية الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى
241 ق. م.

كل تلك الإجراءات التعسفية التي اتخذتها قرطاجة تجاه حلفائها
المغاربة جعلتهم يقلبون لها ظهر المجن بحيث أصبحوا يتحينون الفرص
للوقوف في وجهها وقد بدا ذلك في شكل مقاومة لاحت بواورها الأولى
أثناء ثورة الجيش المرتزق التي تلت نهاية الحرب الرومانية -
القرطاجية الأولى (241 - 237 ق. م)، ثم تواصلت بعد ذلك في المقاومة
التي لقيها مملكار برقة من السكان الليبيين النوميديين عند اجتياحه
للشرق الجزائري بغية جمع المال والرجال استعداداً لاجتياز أعمدة

هرقل (مضيق جبل طارق الحالي) إلى شبه جزيرة ايبيريا كمرحلة أولى ثم اتخذ هذه الأخيرة فيما بعد كنقطة انطلاق استعدادا للحرب الرومانية - القرطاجية الثانية الانتقامية التي باغتت فيها الجيوش القرطاجية بقيادة حنبعل الروماني في شمال شبه جزيرة ايطاليا، حيث كانوا ينتظرونها من الجنوب عبر البحر، ولا غروة في ذلك أن يكون الفرسان النوميديون هم الذين يشكلون زهرة جيش حنبعل، سواء أكانوا يحاربون داخل جيشه عن طواعية مثل الأمير ماسينيسا وأبناء الأسر المتبونة أو مرغمين على ذلك مثل بقية المرتزقة.

وهنا يظهر الدور الذي لعبه الملك سيفاقس ملك نوميديا الغربية في علاقته في بداية الأمر مع الرومان وكذا الأمير ماسينيسا الذي أرسله والده غايا على رأس كوكبة من الفرسان النوميديين المحاربين لمساعدة القرطاجيين في حروبهم تلك ضد الايبيريين والرومان. وكان ذلك بمثابة عربون صداقة وتحالف من النوميديين تجاه القرطاجيين، حيث لم ينفرط عقده إلا بعد مؤتمر سيقا (Siga) سنة 206 ق.م.

غير أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن كما يقول المثل، فيتوفى غايا والد ماسينيسا سنة 206 ق.م. وتتدخل قرطاجة لحرمان ماسينيسا من وراثة العرش النوميدي الشرقي يساعدها في ذلك الملك سيفاقس عاهل نوميديا الغربية، وتتوسع مملكة هذا الأخير على حساب نوميديا الشرقية، وهنا تبدأ المقاومة من قبل ماسينيسا للدفاع عن حقه

في وراثة العرش النوميدي وستؤول هذه المقاومة فيما بعد إلى حرب منظمة وذلك بعد إلقاء القبض على سيفاقس وهزيمة قرطاجة في معركة زاما سنة 202 ق. م. وينصب ماسينيسا ملكا على نوميديا الشرقية سنة 203 ق. م. في معسكر القائد الروماني سيبيون الإفريقي الذي نقل الحرب إلى شمال إفريقيا سنة 204 ق. م. وبذلك يبدأ الجانب الثاني في التاريخ العسكري النوميدي (الجزائري) الذي سيجمع بين المقاومة والحروب النظامية، لاسيما في الفترة الرومانية.

وقد أخذنا أمثلة لكل من المقاومة والحروب المنظمة في فترات متوالية من الزمن بدانها بأسباب ودوافع المقاومة والحرب لكل من سيفاقس وماسينيسا ضد قرطاجة والرومان، ثم يوغرطة وبوبا الأول ضد الرومان، هؤلاء الذين نعتقد أن حروبهم بدأت بالمقاومة ثم الت فيما بعد إلى حروب من أجل وحدة نوميديا، يلي ذلك المقاومة وثورات التحرير والحروب ضد الرومان والوندال ثم البيزنطيين.

ونلاحظ أن كل فترة من حلقات المقاومة والحروب التي أشرنا إليها كان لها سلاحها وعتادها الخاص الذي يتطابق والفترة الزمنية التي نشبت فيها تلك المقاومة وردود الفعل المتقطعة والحروب. فالسلاح البدائي والعتاد الذي استعمل في فترة نهاية ما قبل التاريخ والذي شخصته الرسوم الصخرية، غير ذلك الذي استعمله كل من سيفاقس

فقرانه ولفينا استعملناه في فترة ما قبل التاريخ، الفترة، سيدهم

وماسينييسا ثم يوغرطة وأرابيون وتاكفاريناس وايبنداس
فيما بعد... الخ.

وفقا للمنظور السابق فإننا سنركز في موضوعنا على المقاومة
والحروب مراعين في ذلك التطور الكرونولوجي مبتدئين بمرحلة
العربات والأسلحة التي جسدتها الرسوم الصخرية وذلك وفقا
للمصادر والمراجع التي توفرت لدينا والخاصة بهذه الفترة.

تم نتبع ذلك بتكوين الجيش القرطاجي والنوميدي على اعتبار أن
قرطاجة في بداية أمرها كانت دولة مغربية أكثر منها مشرقية، ذلك لأن
الشريحة التي كان يتكون منها سكانها كانوا يعرفون بالليبيين -
الفينيقيين، وبالتالي فالعنصر المغاربي متوفر في المنطقة منذ استقبال
الملك إيريئاس الليبي وقومه للأميرة عليسة والمهاجرين الذين
اصطحبتهم معها بغية تأسيس مدينة ستعرف فيما بعد بقرطاجة في
خليج شمال تونس .

ومع أن عليسة الفينيقية قبلت بدفع ضريبة سنوية لإيريئاس
وجماعته بغية إعطائها وقومها الأمان واعتبار ذلك أيضا كريع مقابل
مكان المدينة التي ستشيدها فيما بعد، إلا أن الليبيين القدماء الذين
كانوا متوضعين في المنطقة وهم أصحاب البلد الأصليين كانوا قد
اندمجوا مع القادمين الجدد مكونين معهم ما يعرف في تاريخ المنطقة
بما عرف بالمجتمع الليبي- الفينيقي الذي سيأخذ فيما بعد تسمية

المجتمع القرطاجي نسبة للمدينة (قرطاجنة) وبذلك تكون التسمية البونية هي نتيجة الامتزاج التاريخي الذي تم سلميا بين المجموعتين المهاجرة والمحلية وعليه فالتسمية الأخيرة تحمل في مضمونها الهوية المشتركة الحضارية وتبتعد عن التسمية العرقية الفينيقية أو الليبية.

وعلى هذا الأساس فقد عرفت الجزائر على غرار شمال إفريقيا في نهاية فترة التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط توالي حقبتين الاستعماريين الوندالي والبيزنطي، ورغم تباينهما من حيث التركيبة الاجتماعية والسمة الحضارية المتسمة بروح عصرهما، فإن هدفهما كان واحدا هو استنزاف خيرات المنطقة المغاربية واستعباد سكانها، ثم إحياء مجد الإمبراطورية الرومانية التي أفل نجمها وذلك مهما كانت الشعارات التي يحملها كل من الوندال والبيزنطيين والأهداف التي كانوا يسعون لتحقيقها.

الباب الأول

- فترة ما قبل التاريخ

الفصل الأول

- العلاقات الليبية المصرية

1. التسمية والإطار المكاني

2. السلالة البشرية

3. الحروب والمقاومة

أ- التسلل الليبي إلى مصر

ب- رد الفعل المصري

الفصل الثاني

- الأسلحة والعتاد الحربي في فترة ما قبل التاريخ

1. الأسلحة البسيطة

2. الأسلحة ذات الاستعمال الجماعي

- 1- العربات القتالية والحصان في فترة ما قبل التاريخ
- ب- طبيعة العربات التي تجرها خيول صورها مستخلصة من الرسوم الصخرية
- ج - الخيول الراكضة وسرعة العربات
- د- التدرج الكرونولوجي لظهور العربة والحصان

3- احتمال وصول غزاة أجانب لمنطقة الصحراء

- أ- الاعتماد على الفرضيات النظرية المبنية على التخمين
- ب- الاعتماد على الاكتشافات المادية المتمثلة في أعمال الباحثين الأثريين.
- ج - قراءة في الجانب الديمغرافي اعتمادا على الدراسات السابقة للمنطقة.

العلاقات الليبية المصرية:

التسمية والإطار المكاني

الفصل الأول

- العلاقات الليبية المصرية

1. التسمية والإطار المكاني

2. السلالة البشرية

3. الحروب والمقاومة

أ- التسلسل الليبي إلى مصر

ب- رد الفعل المصري

- العلاقات الليبية المصرية:

1- التسمية والإطار المكاني :

بناء على الوثائق المتوفرة لدى الباحثين نشير إلى أن أول إشارة إلى اسم ليبيا واللوبيين أو الروبيين كانت قد أطلقت من قبل المصريين وذلك فيما عرف بصلاية الملك العقرب أو ملك الوجه القبلي، حيث ظهر في الصف الرابع من الصلاية المشار إليها رسم لشجرة زيتون وأمامها علامة تصويرية اعتبرت من أقدم علامات الكتابة المصرية، ولا يستبعد أن تكون الحيوانات التي رسمت على الصلاية هي عبارة عن غنائم كان قد حصل عليها الفرعون من بلاد لوبة. حيث يدل معناها على كلمة تحنو أي لوبي، وبذلك اعتبر هذا الاسم أقدم إشارة إلى الليبيين في الكتابات المصرية القديمة وهو عائد إلى الفترة السابقة لعصر الأسرات، وقد تكررت بعد ذلك الإشارة إلى الليبيين في كل من صلاية نعرمر^(*) التي تصور أعداء مكبلين رسمت فوقهم كلمة تحنو بالكتابة الهيروغليفية، ونصوص الأسرتين الثانية والثالثة اللتين حكمتا مصر خلال بداية الألف الثالث ق.م⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 1 ص. 24).

(*) صلاية نعرمر : نسبة إلى الملك المصري نعرمر، ويسمى أيضا مينوس، وقد عثر على هذه الصلاية من طرف كيوفيل Quivoelle عام 1894 وهي الآن محفوظة في متحف القاهرة.
(1) آلان جاردنر : مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987، ص. 427.



صلاية الحصون والغنائم

الشكل رقم 1

وفي كتابات المؤرخ الإغريقي هيرودوت (Hérodote) الذي زار مصر خلال القرن الخامس ق.م. ولاشك أنه كان قد اطلع على حدودها التقريبية حينذاك والمناطق التي تجاورها، لاسيما إلى الغرب منها، فهو يذكر فيما يخص ليبيا أنها تلك القارة الثالثة من قارات العالم المأهول حينذاك بناء على ما فهمه سابقوه ومعاصروه. وهي (أي ليبيا) تمتد من حيث تنتهي حدود مصر الغربية إلى رأس سولونيس (Soloéis) وهو رأس سبارتل جنوب غرب طنجة على المحيط الأطلسي، ويشير بعد ذلك بأن ليبيا قد سكنت بأناس من اصل ليبي يتجمعون في شكل قبائل

متعددة ومتفرقة، فيما عدا الأجزاء الساحلية منهما التي كان يحتلها إغريق "قرينة" (Cyrénaïque) والفينيقيين إلى الغرب من ذلك. وواضح هنا من كلام هيرودوت أن تسمية ليبيا كانت تشمل شمال القارة الإفريقية الحالية وتمتد حتى المحيط الأطلسي مضافا إليها منطقة الصحراء التي ستعرف فيما بعد ببلاد الجيتوليين والإثيوبيين الذين تلفح وجوههم الشمس. وقد كانت ممتلأة بالحيوانات المتوحشة⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 2 ص. 26).

2- السلالة البشرية

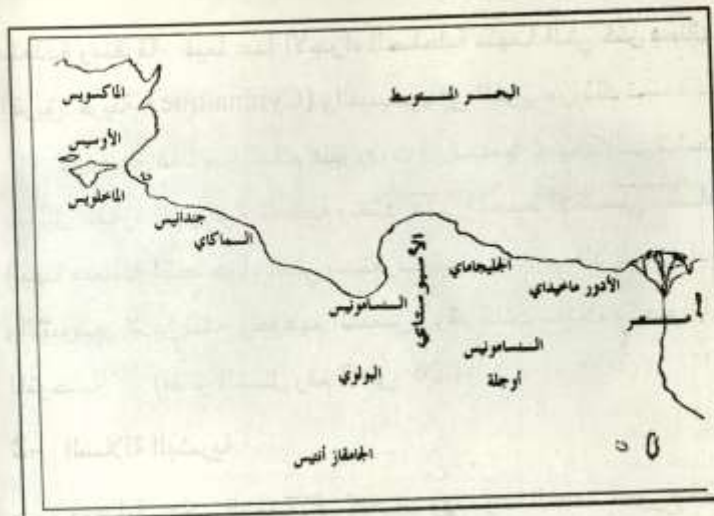
ورد أول ذكر للتحنو في كتابات ورسوم الملك ساحورع احد ملوك الأسرة الخامسة العبارة التالية "أضرب تحنو"⁽²⁾. وفي فترة الدولة الوسطى استخدمت كلمة تحنو ويقول في شأنها المؤرخ أحمد فخري أنه يقصد بها سكان منطقة لوبة⁽³⁾. وفي عهد الدولة الفرعونية الحديثة، لاسيما فترة غزوات مرنبتاح ورمسيس الثالث أصبح مصطلح التحنو يقصد به كامل السكان الذين يقطنون مناطق غرب مصر⁽⁴⁾.

(1) - Hérodote, Histoire , trad. par Pierre Henri Larchar, éd. François Maspéro , Paris 1980 II, 32.

(2) - Gardiner A. H. , Ancient Egyptian anamastica V, I , Oxford, University , Press 1945, PP. 116-117.

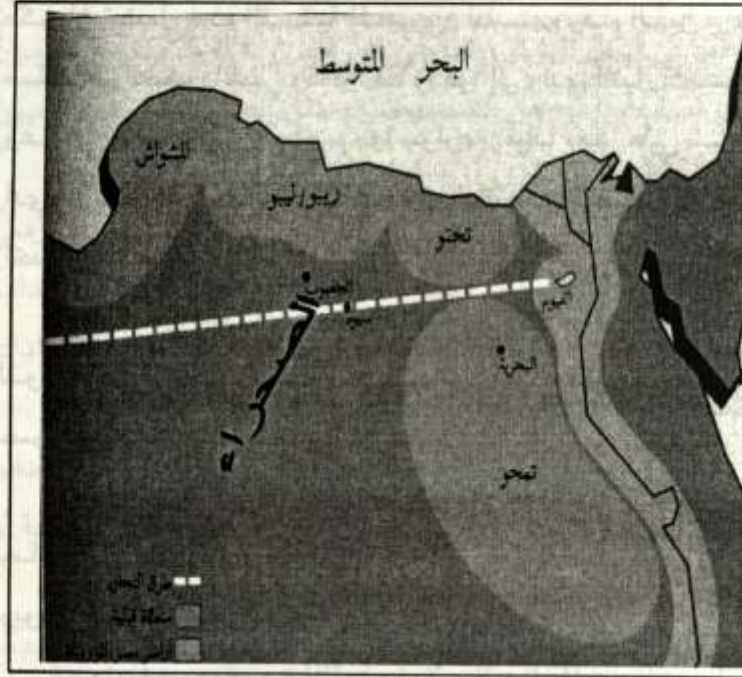
(3) - Fakhry A. H., Bahria Oasis , Cairo 1942, P.6.

(4) محمد بيومي مهران، مصر والعالم الخارجي في عهد رمسيس الثالث، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الإسكندرية، سنة 1969، ص.ص. 144-145.



خريطة القبائل حسب معلومات هيرودوت
الشكل رقم 2

ومن جهته يشير المؤرخ سليم حسن أن مصطلح تحنو هو في الأصل اسم لمنطقة جغرافية تسكنها مجموعات بشرية أخذت تسميتها منها⁽¹⁾. (انظر الشكل رقم 3 ص. 27)



خريطة توضح مضارب القبائل الليبية المتوضعة غرب مصر

الشكل رقم 3

(1) سليم حسن، مصر القديمة، الجزء السابع ولمحة عن تاريخ لوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1969، ص. 22.

وتعني تسمية تحنو ذات الأصل المصري (الشيء البراق) ويمكن أن تطلق على الملابس البراقة التي كان يرتديها أقوام التحنو⁽¹⁾. وحول موضوع الليبو يشير المؤرخ هولشير (Holscher) إلى أنه يمكن أن تشمل هذه التسمية المصريين أنفسهم وهم الذين يرجع أصلهم إلى الجنس الليبي وكانوا قد وفدوا إلى وادي النيل كصيادين ورعاة في بداية الأمر، ثم أصبحوا مزارعين فيما بعد على شاطئ وادي النيل، مما يوحي بأن المصريين والتحنو ينتمون إلى أرومة واحدة⁽²⁾.

يضيف هولشير فيما يخص استقرار التحنو أن منطقة هؤلاء القوم كانت تمتد في المنطقة التي تشمل وادي النطرون والفيوم في مصر.

غير أن المؤرخ أحمد فخري يعارض رأي هولشير السابق الذكر محاولاً تثبيت استقرار سكان التحنو في المنطقة الممتدة من بحيرة مريوط ثم سيوة والبحرية وبرقة.

وحول نفس موضوع (التحنو) يلاحظ عالم المصريات جاردنر (Gardiner) أن إقليم هؤلاء القوم في عهد الدولة الحديثة، لاسيما

(1) سليم حسن المرجع السابق، ص. 28.

(2) Holscher W., Libyer und Egypter, Hamburg, New-York, 1937, P.18.

أثناء حملات رمسيس الثالث 1182 - 1151 ق.م. وابنه مرنبتاح كان ملاصقا للدلتا من جهة الغرب⁽¹⁾.

وتأتي تسمية التملحو بعد التملحو التي هي ليست بعيدة في دلالتها العرقية عن قبائل التملحو وإنما هي عبارة عن سلالة جديدة من الليبيين امتاز أصحابها ببعض الخصوصيات مثل البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والشعر الأشقر.

كما أن الاختلاف الثاني يمكن أن يتمثل في الفارق الزمني والمكاني بين التسميتين، لاسيما من حيث تحديد الثقافة في بداية الأمر وتجديد الموروث الحضاري الليبي المتمثل في العادات والتقاليد⁽²⁾.

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا، هل عرف المصريون التملحو قبل تكوينهم لكيانهم السياسي المحاذي لهم ولو كان في شكل قبيلة أو قبائل؟

لعل الإجابة عن ذلك تكمن فيما عثر عليه في مقبرة (مرسي عنخ الثالثة) بالجيزة والتي كانت والدتها (حتب حرس الثانية) هي ابنة الفرعون "خوفو" مشيد الهرم الكبير وقد ظهرت "حتب حرس الثانية" في رسومها مرتدية ثوبا ليبيا عقد على أحد كتفيها وترك الكتف الثاني عاريا، وقد دل مظهر بشرتها البيضاء وشعرها الأشقر البراق على

(1) - Gardiner, op.cit., PP. 118 - 119.

(2) - Holscher W., op. cit., P. 25.

أنها تنتمي إلى الموجة الجديدة من الليبيين التي عرف أصحابها بالتمحو رغم أنها تنتمي إلى الأسرة الفرعونية الرابعة.

ولعل أول ذكر للتمحو في الآثار المصرية يمكن أن يعود إلى فترة الملك بيبي الأول، الأسرة المصرية السادسة وقد أشير في لوحته إلى بلاد التمحو.

ومن جهته يشير المؤرخ سليم حسن على أن التمحو كانوا ضمن الجيش المصري⁽¹⁾. وكثيرا ما كانوا ينفذون إلى مصر بأسرهم وحيواناتهم قصد الإقامة فيها، يستشف ذلك من رسوم مقبرة بني حسن وقصة سنوحي⁽²⁾. ومن أهم خصوصيات التمحو ما أبرزته مقبرة "ختوم حتب" ببني حسن مثل البشرة البيضاء والشعر الأشقر والعيون الزرقاء وقد تمثل لباس الرجال في جلابيب طويلة تعلو رؤوسهم أربع ريشات كما تزين الرقبة بتمايم بغية طرد الأرواح الشريرة.

أما النساء فيرتدين عادة أثوابا مزركشة ومعقودة في وسط البطن يظهرن وهن يحملن أطفالهن فوق ظهورهن في سلال. (أنظر الشكل رقم 4 "1" ص. 33).

(1) سليم حسن، المرجع السابق، ص. 197.

(2) Percy E., New berry, Beni Hassan, Part I, London 1893, Pl. 45;

- العقون أم الخير، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا، منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب، قسم التاريخ جامعة الإسكندرية 1988، ص.ص. 211-216.

ويلاحظ العالم جاردنر إلى أن موقع استقرار التملحو كان يمتد على حدود مصر الغربية ويمكن أن تتسع رقعته حتى طرابلس غربا وصحراء النوبة جنوبا (1).

أما الأستاذ فخري فيرى أن التملحو كانوا يعيشون ضمن منطقة التملحو الذين سبقوهم في الاستقرار غرب مصر، وبذلك ينفي الرأي القائل أن التملحو كانوا قد عاشوا جنوب غربى مصر، غير أن هذا لا يجعلنا نعتقد بأنهم لم يتواجدوا في الواحات الخصبة مثل دارفور بالسودان حاليا (2).

وتأتى ثالث تسمية بعد التملحو والتملحو تسمية الليبو أو الريبو حيث ورد ذكر الليبو أو الريبو في الكتابات التي تعود إلى فترة الفرعون رمسيس الثانى، وقد أشير إليهم قبل ذلك في نقش وجد على مقبرة الملك سبتي الأول. (أنظر الشكل رقم 3 ص. 27).

وقد تموقع الليبو أو الريبو غرب مصر وامتدت مضاربهم حتى برقة ومنطقة الجبل الأخضر بليبيا حاليا. ووردت الإشارة إلى الليبو في كتاب التوراة تحت اسم "لهابيم".

وتلتقى أوصاف الليبو أو الريبو الفيزيولوجية مع التملحو والمشوش من حيث بياض البشرة وزرقة العيون والشعر الأشقر الذي تعلوه ريشتان.

(1) - Gardiner A., op. cit., PP. 115-116.

(2) - Fakhry A., op.cit., PP.7-8.

أما من حيث اللباس فقد كان يتمثل في ثوب فضفاض يغطي الكتف اليمنى وتترك الكتف اليسرى عارية. وغالبا ما تحمل أذرع رجال الليبو أوشمة دالة، وكان للريشة أو الريشتين مدلولاتهما الخاصة من حيث الوظيفة الاجتماعية والعسكرية (انظر الشكل رقم 4 ب" ص. 33). ويبدو من كل ما سبق أن ذلك كل ما عاناه الأمير مري بن دد الذي فقد الريشة في ساحة المعركة، ثم تسلل ليلتحق بأهله وعندما وصل إلى وطنه شكا أمره، ومن شدة الفضيحة كره قومه مقابلته، ذلك لأن الحظ اختطف منه الريشة⁽¹⁾.

(1) سليم حسن، المرجع السابق، ص. 428.



أ- رجل وامرأة ليبيان يهاجران إلى مصر (رسوم مقبرة بني حسن)



ب- صورة توضيحية لرؤساء القبائل اللوبية عثر عليها في مقبرة الفرعون سيتي الأول بمصر

الشكل رقم 4

تأتي مجموعة قبائل المشوش البشرية المستقرة في أقصى الغرب من لوبا بالنسبة للقبائل المتوضعة في المنطقة وأول ذكر لهم كان في عهد رمسيس الثاني الذي اعتمد عليهم كمرتزقة في جيشه مع قبائل الشردن والقهق والنوبيين⁽¹⁾. (انظر الشكل 5 "أ"، ب ص. 35).

ويبدو مظهر المشوش من خلال الرسوم المنقوشة في معبد مدينة "هابو" أنهم كانوا من ذوي البشرة البيضاء واللحية المدببة ويرتدون قراب العورة ويتزينون بالذيل المعلق في مؤخرة معاطفهم الطويلة، وتعلو رؤوسهم الريشة مثلهم في ذلك مثل الريبو والتمحو، وهنا نتساءل ما إذا كانت هناك علاقة بين المشوش والماكسيثان الذين أشار إليهم المؤرخ الإغريقي هيرودوت في كتاباته⁽²⁾.

وقد عمل المشوش في بداية اتصالهم بمصر كمرتزقة في الجيش، لاسيما في فترة رمسيس الثالث ونظرا لضعف مصر وعدم قدرتها على دفع أجورهم اقتطعت لهم مع بقية الأجانب قطعاً أرضية يستغلونها مما جعل الأجانب يصبحون مصدر قلق واضطراب وذلك ما وردت الإشارة إليه في بعض الكتابات المصرية التي تناولت موضوع المرتزقة في مصر⁽³⁾.

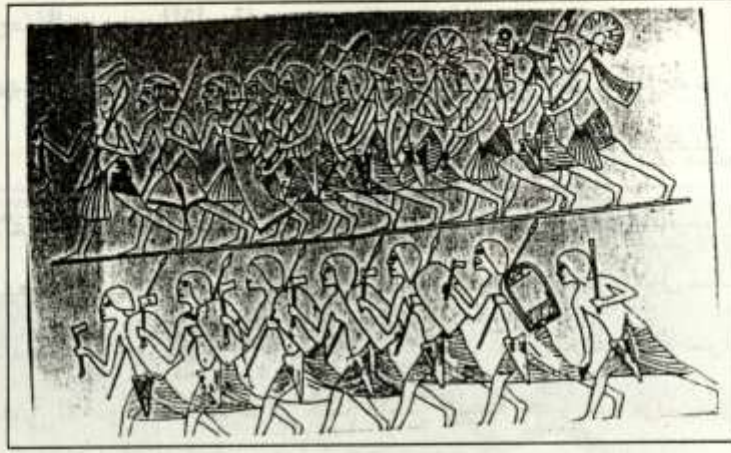
(1) آلان جاردنر، المرجع السابق، ص. 117.

(2)

- Hérodote, Livre 5, parag. 194;

- هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987، ص. ص. 88 - 107.

(3) رانيمية سوزان، حتشيموت الملكة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص. ص. 118 - 127.



أ- صورة لجندي ليبي تعلق رأسه الريشة، وهو ضمن جيش "الملك
أخناتون" (مقبرة تل العمارنة - مصر)



ب- ممثلوا القبائل اللوبية ضمن الوفود التي تقف أمام فرعون مصر
(مقبرة مري رع الأول- تل العمارنة)

الشكل رقم 5

3- الحروب والمقاومة:

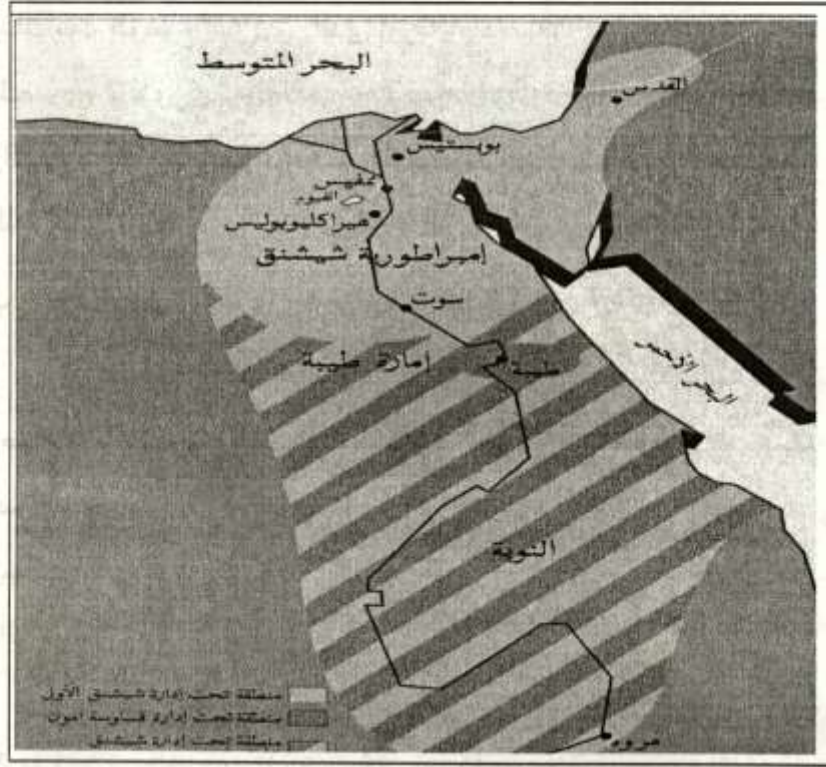
1- التسلل اللوبي إلى مصر:

لقد ترتب على الضعف الذي انتاب الحكم في مصر منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد زوال هيبة الدولة وانقسامها إلى أقاليم، حكم البعض منها المرتزقة الذين كان من بينهم شيشنق الأول مؤسس الأسرة 22 الفرعونية - الليبية التي حكمت مصر ثم تلتها الأسرة 23 وحتى الأسرة 24 وقد توالى حكم الأسر الليبية لمصر لمدة تزيد على مئة سنة⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 6 ص. 37).

ولا يستبعد في ظروف الضعف تلك التي انتابت الحكم في مصر أن يكون الليبيون قد اغتتموا الفرصة ودخلوا المنطقة للاستقرار فرادى وجماعات. حول هذا الموضوع يشير "دريوتون" (E. Drioton) أن الأجانب قد دخلوا مصر في تلك الفترة الحرجة من تاريخها حيث تسلل البدو من الشرق ونقصد بذلك الكنعانيين والفينيقيين القاريين من هجومات شعوب البحر التي اجتاحت المنطقة. ومن الغرب كان الليبيون هم الآخرون يهددون حدود مصر ويتطلعون إلى الإقامة فيها.

(1) جيمس هنري بريسنت، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ترجمة حسن كمال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص. 381.

لقد امتنع هؤلاء الأجانب الذين هددوا حدود مصر من الشرق والغرب عن دفع الضرائب واحترام المواثيق التي قطعوها على أنفسهم أثناء الدخول وحتى العمل في الجيش...⁽¹⁾.



خريطة توضح مناطق امتداد امبراطورية شيشنق الأول
الشكل رقم 6

- Drioton E., et Vandier J., les peuples de l'orient méditerranéen, T.II, ⁽¹⁾ L'Egypte, 4^{ème} édition augmentée, Paris, presse universitaire de France, 1962, P.433.

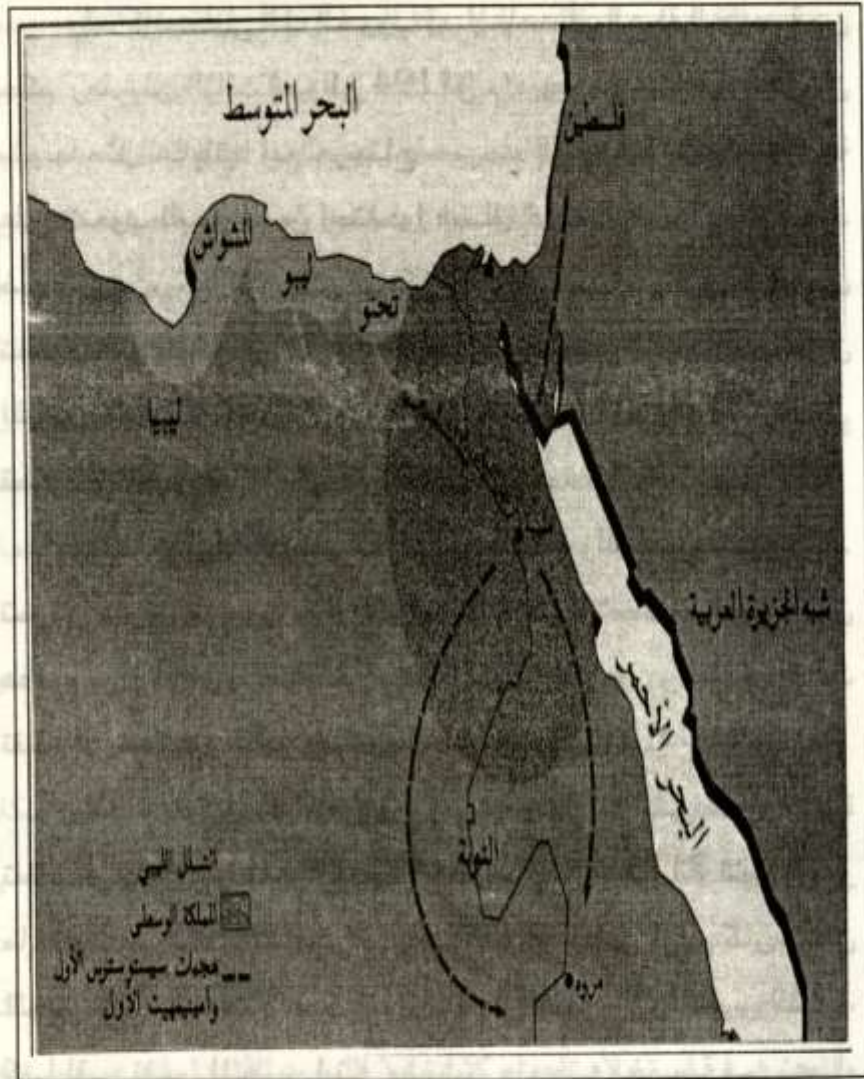
ومن جهة أخرى استمرت التهديدات على النحو الذي أشرنا إليه وذلك حتى وصول الفرعون "ست نخت" والد "رمسيس الثالث"، إلى العرش والذي قضى سنين في إصلاح الإدارة وإعادة تنظيم الجيش، وذلك بعد الوضع المتردي الذي أورثه إياه سلفه، حيث أصبح الجيش المصري يتكون من الفلاحين المصريين والمرتزقة الليبيين والشردن والقهق⁽¹⁾، مما يبدو أن مصر كانت بين فكي خطرين يهددانها من الشرق والغرب. (انظر الشكل رقم 7 ص. 39).

ب- رد الفعل المصري :

في تلك الظروف الحاسمة المشوبة بالاضطرابات التي أشرنا إليها وصل "رمسيس الثالث" إلى سدة الحكم، إلا أن معلومات الدارسين حول حروبه تكاد تكون مأخوذة في عمومها من تلك النقوش التي وجدت على جدران معبده الكبير الموجود في مدينة "هابو" في طيبة بالقرب من مدينة الأقصر الحالية.

وتجدر الإشارة إلى أنه يبدو من تلك الكتابات والنقوش المشار إليها أن الفرعون المصري كان قد خاض ثلاثة حروب اثنان منها ضد الليبيين تتوسطهما حرب خاضها ضد التهديد الآتي من الشرق (شعوب البحر).

(1) - Maspero G., Revue critique d'histoire et de littérature N° 6, eug. Muntz, Février 1880, P.457.



خريطة التسلل اللوبي إلى مصر

الشكل رقم 7

وقد كانت أولى تلك الحروب قد اندلعت في السنة الخامسة من حكم "رمسيس الثالث" (حوالي 1194 ق.م). ويجمع المؤرخون على أن سببها مثل سابقتها مع "مرنبتاح"، يرجع إلى ضغط الأقوام الأوربية على شعوب البحر الذين اجتاحتهم شمال إفريقيا وقاموا بعملية طرد ضد الليبيين، كما أنه يمكن أن يكون هناك سبب آخر لهجرة الليبيين نحو مصر يتمثل في تدخل "الفرعون" رمسيس الثالث في شؤون الليبيين حيث أنه حاول أن يفرض عليهم ملكا منهم كان قد تربى في قصره في مصر مما زاد في ثورتهم ضده⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن الليبيين المكونين من التحنو والتمحو والمشوش قد تحركوا شرقا فأجبروا بقية الأقوام الليبية على الانضمام إليهم، وكان هدفهم من ذلك هو الهجوم على منف، غير أن الفرعون رمسيس الثالث تفتن إلى خطتهم، فبادر بالهجوم عليهم وهزمهم.

ولقد استولى جيش الفرعون "رمسيس الثالث" على غنائم كبيرة تمثلت في سيوف وخنجر إضافة إلى قتل ما يقارب 2175 قتيل وأسر ما يقارب من 2025 أسير، أما زعيم الليبيين "كابر" الذي كان ضمن الجيش فقد سقط قتيلا تحت أقدام حصان الفرعون "رمسيس الثالث"، كما لقي نفس المصير ابنه "مششر" وزوجته وخمسة من زعماء القبائل⁽²⁾.

(1) - Edgerton W. F. et Wilson J. A., Historical Ramasses III, Chicago, 1936, P.25.

(2) - Edgerton et Wilson, op. cit., P.88.

ولقد ورد ما يؤكد ما اشرنا إليها أنفا في النقوش التي وجدت على جدران معبد رمسيس الثالث ممثلة في النص التالي : "...صمم هؤلاء الأقوام أن يعيشوا في مصر، ويستولوا على تلالها وسهولها، فصاحوا بصوت واحد "لنستوطن مصر" ثم عبروا الحدود المصرية باستمرار.."

ولقد أورد الباحث بريستد (Breasted) قائمة الغنائم التي حصل عليها الفرعون، فكانت كالتالي، 119 رأسا من الماشية والثيران، 115 سيفاً بطول خمسة سواعد و 124 سيفاً بطول ثلاثة سواعد، 603 أقواس، و 93 عربة، حربية، و 2310 جعبة سهام، و 92 رمحا، و 183 بين خيل وحمير.⁽¹⁾

نستخلص من كل ما سبق معرفة الأسلحة والعتاد الحربي الذي كان يستعمله الليبيون في حروبهم ضد المصريين⁽²⁾.

وبعد فشل الليبيين في دخول مصر عنوة، غيروا أسلوبهم شكلا ومضمونا وقد تمثل ذلك في التغلغل البطيء، السلمي الذي اعتمد على تجنيد المصريين للمرتزقة في جيشهم، وكان ذلك قد تبع انتصارات رمسيس الثالث، واستقرار الأمور في مصر، حيث بدأ الحاكم المصري في استجلاب أعداد كثيرة من الليبيين الأشداء لتدعيم جيشه، وأكثر من ذلك أدخلهم في صفوف حرسه الخاص. وبالنسبة أصبح

(1) - Ibid. PP. 64-65.

(2) - Breasted J. H., ancient records of Egypt historical documents, Part I,III, Chicago ,1936, P66.

الجيش المصري مع نهاية الأسرة العشرين في أغلبه يتكون من المرتزقة الليبيين. يأتي على رأسهم عناصر المشوش المتميزين وذلك نظرا لما لمسه الملوك الفراعنة المصريين من قوة وشجاعة هؤلاء القوم الذين حاربوا مع "مرنبتاح" و"رمسيس الثالث". (أنظر الشكل رقم 8 ص. 42).



صورة توضح عملية تدريب الليبيين الذين كانوا ضمن الجيش المصري
الشكل رقم 8

ومما شجع المرتزقة على الخدمة في الجيش المصري هو نصيبهم من الغنائم التي كانت تعطى لهم أثناء الحرب، ومع ذلك فإن الرعامسة المتأخرين كانوا قد التجأوا إلى منح قطع أرضية لهؤلاء المرتزقة الأجانب مقابل التزامهم بالخدمة العسكرية، اعتقاداً منهم أنهم

سيشجعونهم على الموالاة، وهو ما كان من بين الأسباب التي جعلت هؤلاء المرتزقة يمثلون طبقة إقطاعية خلال تلك المرحلة. وهكذا نرى أن المشوش كانوا قد اندمجوا مع المصريين وتمصروا طواعية أو مجبرين، وهو ما يؤكد وجودهم في الدلتا، ومعظم شمال مصر وأنهم كانوا يتعاملون مع المصريين بصورة طبيعية ولم يتمرّد هؤلاء القوم إلا في عهد الفرعون رمسيس التاسع الذي حكم لمدة تزيد على عشر سنوات.

ومن جهته يعتقد عالم المصريات كتشن (Kitchen) خلافاً لبقية الباحثين في تقدير وقت تمرد الليبيين، ذلك أن النص الذي أشار إلى ذلك التمرد وردت فيه كلمة "رمت" (RMT) وهي في رأيه إشارة للمصريين، غير أنه يرجع الباحث المشار إليه إلى النصوص القديمة تبين له أن مرتباج، قد وضع هذه الكلمة لتطلق على الليبيين، وكان رمسيس الثاني قبله قد أطلقها إشارة للحيثيين، ولا يستبعد أن يكون المقصود بالمصطلح المشار إليه هم الليبيون الذين وجدوا في مصر حينذاك ⁽¹⁾.

والحقيقة نقول أنه إذا كان رمسيس الثالث قد عمل على حل مشكلة الحكم في مصر واستقرار الدولة، فإنه لم يعمل على حل مشكلة الليبيين الذين توافدت شعوب البحر على سواحل بلادهم انطلاقاً من

(1) - Kitchen K. A., Les guerres Libyennes de Ramses III, revue Epyptologie, S. F. E., T. 36, Louvain, Belgique, éd. péeters, 1985, P.117.

صقلية، فاضطرتهم إلى الهجرة شرقا بحثا عن منطقة أخرى يجدون فيها
رزقهم، وهكذا نراهم يتوغلون داخل الأراضي المصرية، وقد جاء توغلهم
ذاك هذه المرة سلميا في شكل جماعات وأفراد حيث استقروا كمرحلة أولى
في الواحات ومنها عبروا إلى وادي النيل، لاسيما منطقة طيبة التي كانت
منطقة جذب بالنسبة لهم⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 9، ص. 45).

(2) - Faulkner R. O., Egyptian military organisation in J. E. A. N° 39,
London 1953., P.43.



خريطة توضح توافد الشعوب الأجنبية إلى مصر

الشكل رقم 9

الفصل الثاني

- الأسلحة والعتاد الحربي في فترة ما قبل التاريخ

1. الأسلحة البسيطة

2. الأسلحة ذات الاستعمال الجماعي :

أ. العربات القتالية والحصان في فترة ما قبل التاريخ

ب. طبيعة العربات التي تجرها خيول صورها مستخلصة من الرسوم الصخرية

ج- الخيول الراكضة وسرعة العربات

د- التدرج الكرونولوجي لظهور العربة والحصان

3- احتمال وصول غزاة أجانب لمنطقة الصحراء

أ- الاعتماد على الفرضيات النظرية المبنية على التخمين

ب- الاعتماد على الاكتشافات المادية المتمثلة في أعمال الباحثين الأثريين.

ج- قراءة في الجانب الديمغرافي اعتمادا على الدراسات السابقة للمنطقة

- الأسلحة والعتاد الحربي في فترة ما قبل التاريخ :

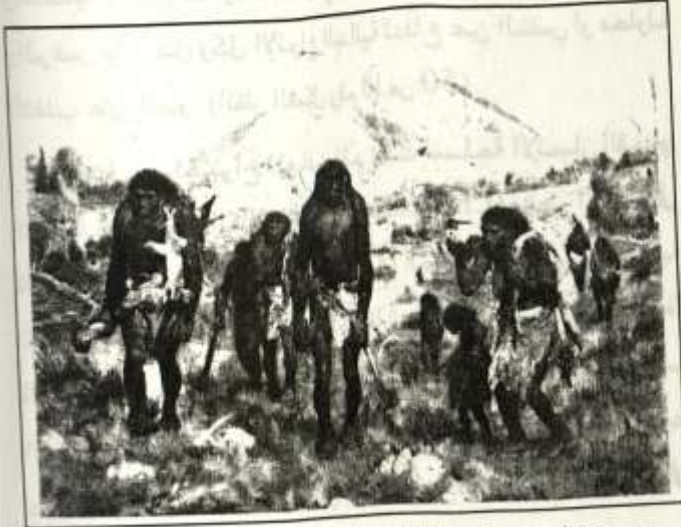
1- الأسلحة البسيطة :

تمثلت الأسلحة البسيطة في الفؤوس الحجرية ورؤوس السهام المتخذة من حجارة الصيوان أو السيلاكس والعصي المستقيمة والمنحنية والهراوات وعصا الرمي (البوميرانغ) وكذا التشابك بالأيدي والرفس بالأرجل وكل الأنواع البدائية للدفاع عن النفس أو محاولة التغلب على العدو. (انظر الشكل رقم 10 ص.50).

أما بعد اختراع المعادن فقد تمثلت أسلحة الإنسان القديم، لاسيما في العصر الكالكوليتيكي (Chalcolithique) وفجر التاريخ في السهام التي تقذف بواسطة الأقواس وكذا الحجارة والكويرات المعدنية التي ترسل بواسطة المقاليع، إضافة إلى الرماح والخناجر البسيطة القصر والأعمدة النحاسية والبرونزية والحراب وكذا السيوف ثم الفؤوس النحاسية الشبيهة بالحجرية في بداية الأمر، ثم تطورت صناعتها بعد انتقال الإنسان إلى الصناعة البرونزية والحديدية في نهاية الألف الثانية ق.م.

وقد اتضحت معالم تلك الأسلحة البسيطة في نصوص الحروب التي خاضها الفرعون المصري مرنبتاح وابنه رمسيس الثالث بعد ردهم لهجوم القبائل الليبية على حدود مصر الغربية.

هذا ويلاحظ أن الإشارة إلى أسلحة القبائل اللوية بقيت منقوشة على جدران معابد بني حسن في مصر والتي تجسد في تصدي الفرعون مرنبتاح وابنه رمسيس الثالث للهجمات اللوية المتكررة التي كانت تخوضها تلك القبائل محاولة الدخول إلى مصر والاقتراب من مياه وادي النيل الذي كان يمثل شريان الحياة⁽¹⁾.



رسم تخيلي يصف بداية استعمال الهروات لدى الإنسان القديم في الصيد والدفاع عن النفس أو الهجوم

الشكل رقم 10

(1) محمد الطاهر عذواني : الحروب والألحاح في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1985، ص. 53 - 56.

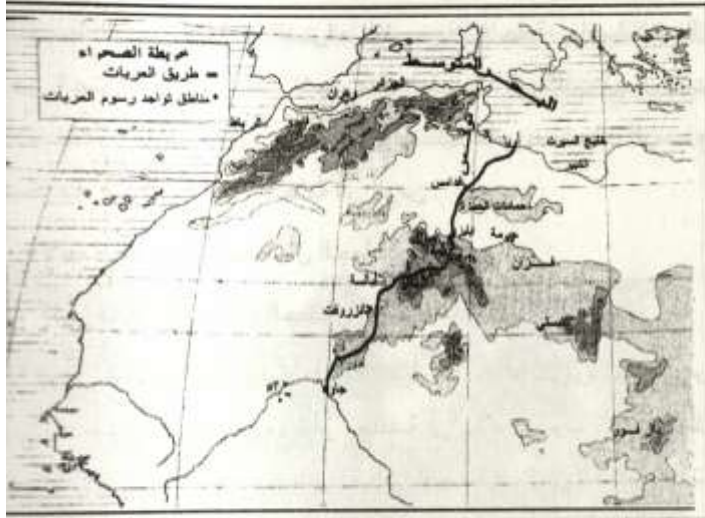
ولعل العتاد الحربي البسيط المتمثل في الأسلحة شبه البدائية المشار إليها أنفاً، فإنها لا تزال تشكل جزءاً هاماً من الموروث الحضاري العسكري لقبائل الصحراء. وهي وإن فقدت قيمتها الفعالة في أبسط الحروب أثناء الفترات التاريخية اللاحقة، فإنها لا تزال مصدر اعتزاز وأبهة لأحفاد المجموعات البشرية التي كانت قد صنعت بها أمجاد المنطقة اللوية سابقاً وجسدتها على صفحات الرسوم الصخرية في تلك الفترة المتقدمة من الزمن.

2- الأسلحة ذات الاستعمال الجماعي :

1 - العربات القتالية والحصان في فترة ما قبل التاريخ :

يرى الباحث ر. فوفري (R.Vaufery) أنه لم تكن رسوم بعض العربات قد عرفت في مناطق مختلفة في بلاد المغرب القديم قبل منتصف القرن التاسع عشر، فالفن الصخري كان قد عرف وتم إحصاؤه ثم تراكمت المعارف حوله فيما بعد، وقد تغيرت المعطيات حول هذا الموضوع وجعلت من منطقة الصحراء منطلقاً لما اقترحه الباحث المشار إليه أنفاً⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 11 ص. 52).

(1) - Vaufrey R., L'art rupestre nord africaine mém. de L. I. P. H., T. XX, Paris Masson 1939, PP. 69 - 71.

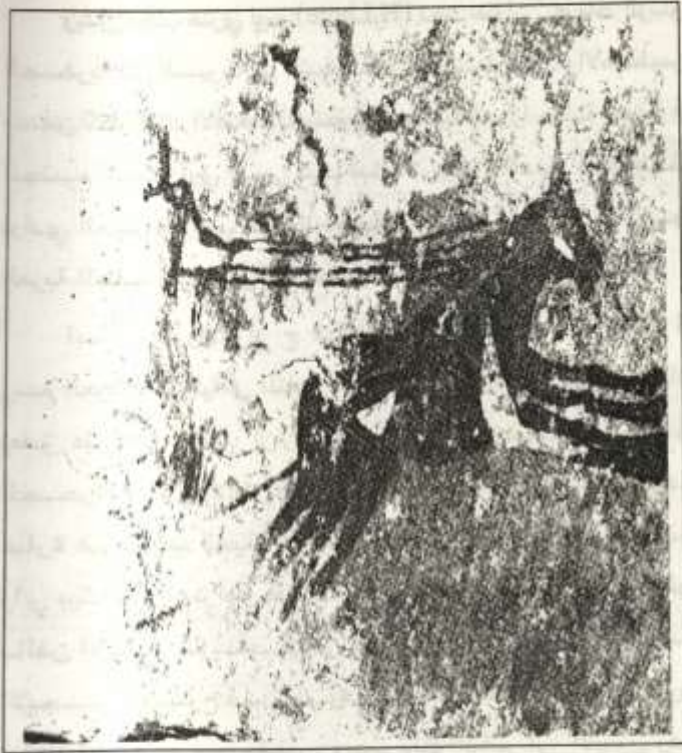


خريطة انتشار العربيات
الشكل رقم 11

وبدوره كتب هنري لوت (H.Lhote) تحت عنوان "عربات الرسوم الصخرية من السيرت إلى النيجر عبر بلاد الجرامنت والأطلنطيس" وضمن كتابته تلك الاهتمام بالرسوم الصخرية مبرزاً مكانة العربية في المجتمع الصحراوي الليبي فيما قبل التاريخ، لاسيما تلك المتعلقة بوادي العرعر بالجنوب الوهراني محاولاً التطرق في عمله ذلك إلى دور العربية القتالية والحصان ثم الجمل. (أنظر الشكل رقم 12 ص. 54).

أما المؤرخ والأثري ج. شارل بيكار (G. Picard) فيذكر أن رسم العربات القتالية في المناطق الصحراوية كان أكثر أهمية، غير أنه يعلق على ذلك قائلاً "إن رسوم العربات التي وجدت على صخور الصحراء لم تكن إلا من فعل بعض السكان المحليين القدماء وهي عبارة عن تجسيد للحياة اليومية التي كانوا يتابعونها، وبالطبع فإن رأي بيكار هو اعتراض على ما ذهب إليه (ر. فوفري) الذي يربطها بالفن الإيجي، ثم يذهب بيكار بعيداً حيث أنه يفترض أن المصدر الإيجي المقترح من طرف "دوسو" (Dussou) و "موري" (Morry) يعتبر غير حقيقي، ويعيد ذلك التأثير إلى الليبيين وهي الفرضية التي أكدها "إيفانس" (Ivance) و "برتلون" (Bertilon) منذ 1895.⁽¹⁾

(1) - Picard G., images des chars romains sur les roches du Sahara,
C. R. Acad. Imser et Belles lettres, séance du 21 Février 1958, PP. 44- 49,



رسم صخري يظهر صورة لعربة يجرها حصانان. منطقة

الصحراء الوسطى الجزائرية

الشكل رقم 12

ب- طبيعة العربات التي تجرها خيول صورها مستخلصة من
الرسوم الصخرية:

إذا كان من الضروري إيضاح أن الميزة الحربية لمختلف العربات
المرسومة بأسلوب الركض السريع كانت هي السائدة في الرسوم
الصخرية فإن التغيرات التي قد فهمها بعض الباحثين وذلك لعدة
أسباب ينقصها التوثيق المتعلق بالرسوم الصخرية في فترة
الحصان⁽¹⁾، وبأسلوب غير مؤكد يستنتج ج. كامبس أن العربات
الصحراوية كانت قد استعملت للنزهة والتباهي، دون أن يشير إلى أنه
يمكن أن يستنتج من رسوم تلك العربات أن سائقها كانوا يمثلون
طبقة عسكرية استطاعت أن تسود في منطقة الطاسيلي ناجر والبقار
وأدرار وإهران⁽²⁾.

إن وصول مجموعات من شعوب البحر إلى شمال إفريقيا عن
طريق ممر صقلية "قرطاجة" أو مضيق جبل طارق جعل ج. كامبس
يستنتج بأن رعاة البقر قد تم غزوهم أو ألحقوا بالقادمين الجدد الذين
تركوا بصماتهم في العربات القتالية الصحراوية، غير أن ذلك الرأي
أخذ بناء على المؤشرات الوحيدة التي هي بحوزة الباحثين حول

⁽¹⁾ - L'Hote H., Le cheval et le chameau dans les peintures et les gravures
rupestres du Sahara, bull. Ifan, XV, N° 3 Juillet 1953, PP. 1138 - 1228,
fig. 8 et 13.

⁽²⁾ - Camps G., les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du
Sahara, Paris, Dion 1974, PP. 361 - 364.

الأقوام التي عاشت في المناطق الصحراوية جنوب بلاد الجرامنت وهي روايات أتى بها مؤرخون ينتمون إلى البعثات العسكرية، وقد تمثل ذلك في الجماعات السمراء أو السوداء البشرية التي يسود طابعها معظم الرسوم الصخرية في الصحراء وهو شيء طبيعي، ذلك لأن الطابع العام الذي يسود الرسوم الصخرية يبرز انتماءها الإفريقي.

ومن جهته يشير هـ. لوت إلى وجود الحصان في مصر وذلك منذ الألف الثانية قبل الميلاد وقد وصل إليها عن طريق غزو الهكسوس لها⁽¹⁾، بينما يوضح عالم المصريات "ج. يويوت (Yoyotte J.) أن هؤلاء الغزاة كانوا مشاة وأن الحصان والعربة انتشرت من خلال الآريين في كامل الشرق الأدنى منذ الأسرة السابعة عشرة المصرية ولم يصل إلى سكان ضفاف النيل إلا حوالي سنة 1600 ق.م. وذلك عند نهاية غزو الهكسوس لمصر. وإذا كان الهكسوس مشاة، فإنه من غير الممكن أن يكونوا قد استعملوا العربات⁽²⁾.

إن الاختلاف حول استعمال العربات الصحراوية التي وجدت رسوماتها متناثرة على الصخور وواجهات المرتفعات لا يزال غامضاً، غير أن استعمالها الحربي وأصولها الصحراوية لا يشك فيهما أحد.

(1) - L'Hôte H., op. cit., PP. 112 - 113.

(2) - Yoyotte J., Le talisman de la victoire d'Osarkour, price de sais et d'autres lieux, bulletin trimestrielle d'Egyptologie, N°31, Dordogne, France 1960, PP. 241- 291.

بناءً على ما سبق يمكن أن نلاحظ أن الأدلة التي استخلصها الباحثون تكمن فيما يخص الرسوم الصخرية في الآتي :

1. أن العربات الصحراوية ليست عربات حرب في بداياتها ولكنها أدوات سباق، ذلك لأنه ليس هناك منها ما هو مرسوم في معركة أو ميدان صيد، فالسائق فيها يكون دوما لوحده تقريبا، بينما تقتضي الضرورة الحربية تواجد رجلين أحدهما سائق والثاني لاستعمال السلاح (أنظر الشكل رقم 13 ص. 58).

2. أن تلك العربات لا تمت بصلة لعربات الفن الإيجي وذلك مطابق لما أشار إليه (م. لفوردي دي يلوز) (M. Lifordy des Ylouses) في كتاباته⁽¹⁾.

3. يلاحظ أن تواجد رسوم العربات متسلسلة على طول الطريق الصحراوي الذي يربط بين المتوسط والنيجر وهي تعكس بقايا آثار طرق القوافل التي تتحرك بين أسواق السيرت بليبيا والسودان. (أنظر الشكل رقم 11 ص. 52).

(1) - Camps G., Le cheval et le char en Libyenne, dans les techniques d'attelage, d'entraînement et de conduite des véhicules de guerre, 1950, Paris, De Gaulle.

(1) - Le fort des Ylouses, le galop volant, Rev. Archéol. XXIX, 1945, PP. 18- 36.



عربة يجرها حصانان ويركبهما رجلان

الشكل رقم 13

من جهته يتطرق ج. كامبس "G.Camps" إلى استعمال الليبيين للعربات القتالية والخيول في فترة ما قبل التاريخ ثم يتساءل بعد ذلك قائلا: "هل كانت تلك العربات آلات حرب أم اتخذت للمباهات والفروسية فقط؟"⁽¹⁾. ثم يحاول بعد ذلك الرد على الفرضية التي جاء بها فوفري والتي تأخذ بعين الاعتبار العدد المعتبر من العربات المعروضة في الرسوم الصخرية ويشير إلى أنها ليست فقط ذات تأثير روماني، بل هي محاولة لبصمات السكان المحليين وقد بقي ما يشابهها في كل من مناطق الأطلس الأعلى بالمغرب الأقصى وهضاب الهقار والطاسيلي ثم موريطانيا، وفي هذا الصدد يضيف أن نصوص هيرودوت كانت قد عرفتنا عن بعض العربات التي كان يستعملها الليبيون وأنه منذ القرن الثاني عشر ق.م. كانت العربات قد استعملت من قبل الفرعون رمسيس الثالث. (أنظر الشكل رقم 14 ص. 60)⁽²⁾.

⁽¹⁾ - Camps G., Le cheval et le char dans la préhistoire Nord-Afrique et Saharienne, dans les chars préhistoriques du Sahara Archéologie et techniques d'attelages, Aix-En Provence", 1982, PP.9-22; chars protohistoriques de l'Afrique du nord et du sahara. Engins de guerre ou véhicules de prestige, 113^e Congrès nationaux des sociétés savantes, Strasbourg, 1988, dans IV Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord, T.II, PP.267-288.

⁽²⁾ - Vaufrey R. , op. cit., PP. 213 - 224.



رسم يوضح رمسيس الثاني يطارد أعداءه وهو يمتطي عربة

الشكل رقم 14

إن الأدبيات المصرية تشير إلى أنه وجدت هناك رسوم عربات تشير إلى استعمالها في الحرب وذلك في مواجهات عديدة نتج عنها الحسم في تواجد الدول وعدمه.

ويلاحظ أنه منذ تاريخ الأسرة الثامنة عشر وما تلاها من الأسر المصرية ذكرت عدة هجومات أجنبية واجهها الفراغة في مصر استعملت فيها العربات، وكانت تلك الهجومات قد نسبت إلى القبائل الليبية وحلفائهم القادمين من ما وراء البحار منذ نزولهم في برقة كغزاة مع نسانهم وأطفالهم وسلاحهم ومتاعهم بما في ذلك العربات التي تجرها الثيران. وفي روايات هيروdot تحتل العربة مكانة هامة عند الليبيين، وقد استعملت عندهم بكفاءة، وكان للقرطاجيين عرباتهم ولكنها لم تشتهر إلا في الحروب البونية الرومانية⁽¹⁾. (انظر الشكل رقم 15 ص. 62).

(1) عبد العليم مصطفى، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، مط. الأهلية، بنغازي، ليبيا 1966، ص. 99-118.



عربة تعود إلى العهد الفينيقي

الشكل رقم 15

ج- الخيول الراكضة وسرعة العربات :

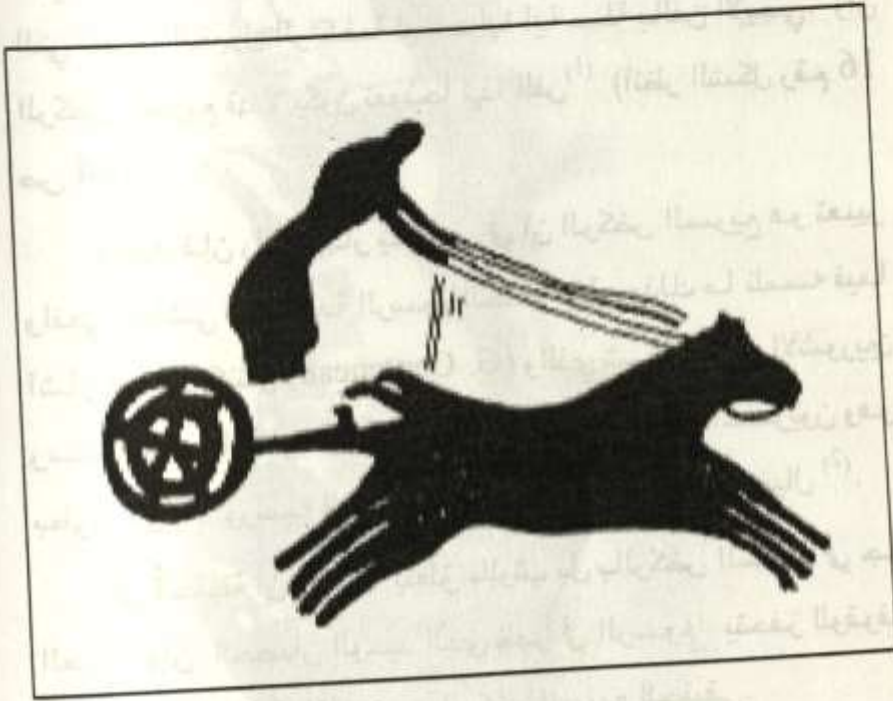
ينفي المؤرخ ج. ش. بيكار الذي لم يأخذ ما ورد في نصوص هيروdot بعين الاعتبار التقارب بين العربات الجرامنتية الصحراوية التي عثر عليها في أنحاء متفرقة من لوبة، وبالنسبة إليه فإن العربات التي تجرها الخيول الراكضة ليست لها أية صلة بالفن الإيجي، وأن الركض السريع قد لا يكون نموذجا لهذا الفن⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 16 ص. 64).

وعليه فإن رأي بيكار يتلخص في أن الركض السريع هو تعبير واقعي يتمشى مع طبيعة الرسوم الصحراوية، وذلك ما نلمسه فيما أشار إليه ج. كنتنو (G. Conteneau) والذي شرح فيه أن الأشوريين رسموا الحصان الراكض وهو يتأهب للوثب. كما نقله المصريون وهو بطيء الوثبة، ورسمه الإغريق في وضعية يسيطر عليها الخيال⁽²⁾. في الحقيقة أن الأمر لا يتعلق بالوثب بل بالركض السريع في جر العربة، وأن الحصان الوحيد الذي ظهر في الرسوم يتحفز للوقوف على قوائمه الأمامية لا يتفق مع الركض السريع الحقيقي.

(1) - Picard G.Ch. , Castellum Dimidi, Alger , Carbonnel, 1947, 228, PP. 16- 101.

(2) - Conteneau G. la civilisation d'assur et de Babylone in 8 Paris , Payot, 1937, PP. 26- 78.

وفيما يخص الرسومات الأكثر بدائية من حيث النمط الشكلي، فإنها قد تعود حسب تقييم الكريون رقم 14 (C. 14) بموريطانيا إلى فترة متقدمة في تاريخ المنطقة الصحراوية⁽¹⁾.



عربة يجرها حصانان في حالة ركض سريع
الشكل رقم 16

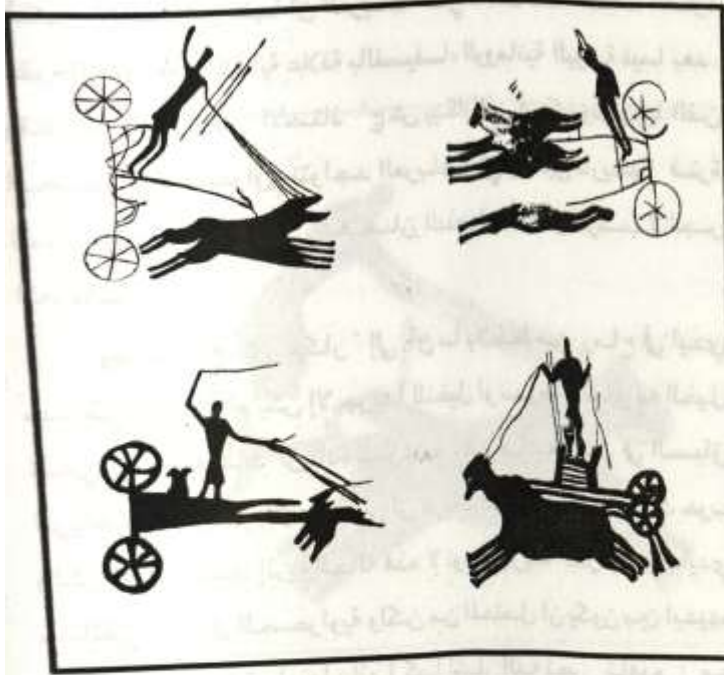
(1) - Picard G. Ch., op. cit., PP. 44- 49.

إن أقدم النقوش الليبية التي تعود للفترة السابقة للميلاد والتي كان البعض منها قد تضمن كتابة مزدوجة عائدة إلى الفترة البونية، يمكن أن نستنتج منها أن العربات التي كانت قد سبقت الفترة القرطاجية ليست لها أية علاقة بالفسيفساء الرومانية البونية فيما بعد. وقد غاب عن ذهن الأستاذ "ج. ش. بيكار" أن في كرونولوجيا الفن الصخري الصحراوي تتواجد العربات التي يسبق تاريخها فترة البقارة وفترة سائقي الحصان الذي استعمل للركب لا لجر العربات⁽¹⁾.

ويضيف ج. ش. بيكار " إلى أن ما يلاحظ من رماح في أيدي سائقي العربات لم يكن إلا جريدا للنخيل أو سوطا تساق به الخيل التي تجر العربات لزيادة سرعتها وهو ما يستعمل في السباق الرياضي للعربات. بالإضافة إلى أن عربات الصحراء لم تكن آلات حرب ولكن آلات رياضة. إذن والحالة هذه لا توجد جريدة نخل واحدة بأيدي سائقي الخيول الصحراوية ولكن من المحتمل أن يكون بين أيديهم أسواط وهم يستعملونها دائما كما أشار إليه نص "ناهوم" : "مع العجلات التي يمكننا فيها سماع فحيح السوط وضجيج العجلات وركض الخيل وزمجرة العربات، والصياح الذي ينطلق من أفواه

(1) - Berthier A. et L'Abbé Charlier, Le sanctuaire punique d'el-hofra à Constantine, éd. Arts et Métiers Graphiques., Paris 1955, PP. 1-2.

الفرسان مع وميض السيف ويريق الرماح⁽¹⁾ (انظر الشكل رقم 17 ص. 66).



شكل يمثل أحصنة تجر عربات في حالة ركض سريع

الشكل رقم 17

(1) - Novak H., Telsbilder stationem in der spanichen Sahara Almogaren V-VI, 1974- 75, PP. 143 - 163.

ويستطرد ج. ش. بيكار؛ أنه يعترف بوجود العربات عند ليبيي الصحراء محددًا الدور الذي كان من الممكن أن تلعبه في التجارة بين القرطاجيين والسودان أين كانوا يجلبون من هناك تبر الذهب والعاج وريش النعام. ولم يكتف بيكار بالأخذ بنص هيرودوت ولكنه أخذ أيضًا بفرضية تأثير شعوب البحر على المنطقة، لاسيما بعد القرن 12 ق.م.⁽¹⁾

أما المؤرخ ستيفان جزيل (St.Gsell) في كتابه "التاريخ القديم لشمال إفريقيا"، فيرى أن استعمال الليبيين القدماء والقرطاجيين للعربات القتالية كان يتمثل في دورين أولهما حربي والآخر يتمثل في نقل البضائع.

د- التدرج الكرونولوجي لظهور العربة والحصان :

يمكن لدارس مواضيع الرسوم الصخرية في شمال إفريقيا بناءً على المناخ من حيث الرطوبة والجفاف أن يضع كرونولوجية خاصة لتدرج مواضيع تلك الرسوم⁽²⁾، لعل آخر مرحلة منها هي مرحلة العربات التي تجرها الخيول التي يقدر تاريخها ببداية الألف

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ ليبيا الطبعة الأولى، دار المسيرات للطباعة والنشر، ليبيا 1969، ص.ص. 66 - 69.

(2) العدواني محمد الطاهر: الجزائر في التاريخ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، الجزء الأول، ص.ص. 247-249.

الثانية قبل الميلاد وبذلك فهي من حيث الزمن تعود إلى ما قبل بداية الفترة التاريخية في بلاد المغرب القديم⁽¹⁾.

وعليه يمكن أن نشير إلى أن ظهور الحصان كان قد تزامن مع استعمال الليبيين للعربة، لاسيما عندما يتعلق الأمر بتلك المواضيع العائدة إلى النصف الثاني من الألف الثانية ق.م. وفي هذا الصدد تشير الكتابات المصرية بدورها إلى أن جيش الفرعون المصري رمسيس الثالث كان قد استولى على عدد كبير من الخيول والحمير وحوالي 100 عربة وذلك أثناء تصديه لحملة القبائل الليبية التي غزت دلتا النيل من الغرب وذلك سنة 1187 ق.م. تقريبا⁽²⁾.

إن تحالف تلك القبائل الليبية المشار إليها أنفا والمكونة من : التحنو والتمحو والمشوش ذوي الشعر الأشقر والعيون الزرقاء الذين كانوا يضعون على رؤوسهم قبعات أو خوذات (ج. خوذة) ويحملون أسلحة برونزية تمثلت في الخناجر والسيوف مع شعوب البحر التي كانت مجموعة منها قد غزت ليبيا قبل ذلك، وقد اتحد الجميع لغزو

(1) - Muzzolini A., "La période des chars au Sahara, l'hypothèse de l'origine Egyptienne cheval et du char", dans les chars préhistoriques du Sahara archéologie et techniques d'attelages, Aix-en-Provence, 1982, P48

(2) العنواني محمد الطاهر، الجزائر في التاريخ، الجزء الأول ص.ص. 247-249، أنظر أيضا ص 1887

- Camps G., Chars protohistoriques...

مصر، غير أنهم هزموا⁽¹⁾، وقد أظهرت رسوم المقابر المصرية المتعلقة برد ذلك الهجوم مجموعة من رسوم لأولئك الأقوام الذين تبدو عيونهم زرقاء وشعرهم أشقر ويضعون الريشة على رؤوسهم كعادة الليبيين المحاربين⁽²⁾.

ومن جهة أخرى يلاحظ أن استعمال العربات ذات العجلات في ليبيا لا يتجاوز تاريخها منتصف أو نهاية الألف الثانية قبل الميلاد على أكثر تقدير.

وقد كان الاعتقاد السائد أن استعمال الحصان والعربة القتالية الخفيفة التي يجرها الحصان لا يتجاوز تاريخهما في مصر غزو الهكسوس في بداية الألف الثانية قبل الميلاد⁽³⁾.

ومن جهته يرجع المؤرخ ج. كامبس بدوره ظهور الحصان والعربة في ليبيا إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد على أساس أن الليبيين قد أخذوهما عن بقايا الهكسوس بعد أن طردهم من مصر الفرعون أحمس (Ahmos) مؤسس الأسرة 18⁽⁴⁾.

(1) - Camps G., Chars protohistoriques de l'Afrique du nord du Sahara engins de guerre ou véhicules de prestige, PP.282-283.

(2) - L'Hôte H., Loc. Cit., PP. 112-113.

(3) - L'Hôte H., Les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des coup d'œil sur le Gramantes et athantes, P.112. ; Braustein-Sylvestre(F.), Cheval et le char dans l'Egypte du nouvel empire dans les chars préhistoriques du Sahara archéologie et techniques d'attelages, Aix-En Provence, 1982, PP.35-44.

(4) - L'Hôte H., Le Hoggar espace et temps., PP.131-132.

هذا ويلاحظ أن الإشارة إلى رسوم العربات وفقا لما أورده الباحثون في كتاباتهم كانت قد وجدت موزعة في كامل ما كتب عن المنطقة الممتدة من الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى وذلك حتى منطقة فزان بليبيا مرورا بالجنوب الوهراني ومنطقة الطاسيلي بالجنوب الجزائري⁽¹⁾.

بناء على الدراسات التي أشرنا إليها يستخلص أن الحصان كان موجودا في ليبيا وذلك منذ الألف الخامسة قبل الميلاد ثم اختفى ليعاد إدخاله إلى المنطقة في الألف الثاني قبل الميلاد بعد ذلك. وكان قد استعمل في بداية الأمر كحيوان جر للعربة في حالة الصيد أو الحروب، وقد انتشر استعماله في الشرق الأدنى القديم في حوالي الألف الثانية قبل الميلاد، وتأخر استعماله عن ذلك التاريخ في بلاد المغرب القديم⁽²⁾. هل لنا حينئذ أن نذهب مع الرأي القائل بأن استعمال الحصان والعربة كانا قد بدأا في مصر مع غزو الهكسوس، ثم دخلا إلى ليبيا فيما بعد؟ أم أن وجود العربة والحصان حلا بالمنطقة المغاربية مع التجار الفينيقيين وهم الذين عموما استعمالهما في بلاد المغرب القديم

(1) - L'Hote H., "Chars de guerre et routes antiques du Sahara", PP53-58.; Les peintures rupestres de Tim-missaou, Bulletin de liaison saharienne, 44, Décembre 1961, PP.365-370

(2) - Camps G., "Chars protohistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara engins de guerre ou véhicules de prestige", P282, Id., "Chars (Art rupestre)" Encyclopédie Berbère, XII, 1993, P. 1887

كأداة للاستعمال في السلم والحرب⁽¹⁾، وهذا الرأي يمكن أن يبنى على ما أشار إليه المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي يذكر أن الإغريق كانوا قد أخذوا عن الليبيين ربط أربعة خيول قصد جر عربة واحدة⁽²⁾، وعن طريق العربات التي تجرها الخيول وصل القرطاجيون في رحلة ماغون التي انطلقت من خليج السيرت إلى العمق الصحراوي⁽³⁾. (أنظر الشكل رقم 11 ص.52).

ووفقا لذلك يصف أيضا المؤرخ هيرودوت في فقرات أخرى من كتابه الرابع قبائل الجرامنت وهم يلاحقون الإثيوبيين ممتطين عربات تجرها أربعة خيول⁽³⁾، ولم تكن قيادة عربات الجر مقتصرة في الاستعمال على الرجال فحسب بل كان النساء هن الأخريات يمتطين العربات ويحاربن، يستفاد ذلك من نصوص المؤرخ المشار إليه أنفا وذلك عند تطرقه إلى نساء قبائل الزواكيس اللاتي كن يقدن عربات حربية. يضاف إلى ذلك ما أشار إليه المؤرخ سيليوس أيطاليكوس (Silius Italicus) عند ذكره لنساء قبيلة الاسبت أثناء الحرب الرومانية- القرطاجية الثانية⁽⁵⁾.

(1) - Spruytte J., Attelages antiques Libyens, Paris, Maison des sciences de l'homme 1996, PP.111-119.

(2) - Hérodote, Histoires, IV, 189.

(3) - Spruytte J., Attelages antiques Libyens, PP.111-119.

(4) - Hérodote, Histoire, IV, 183.

(5) - Camps G., Chars protohistoriques de L'Afrique du Nord et du Sahara..., P.282. ; Silius Italicus, les guerres puniques, dans collectios

وقد كانت العربات كثيرا ما تستعمل في مطاردة الأعداء وذلك للسرعة التي تتمتع بها الخيول التي تجرها وفي بعض الأحيان يضطر المقاتل للنزول من العربة ثم تتم المبارزة على الأرض، يستخلص ذلك من بعض رسوم الطاسيلي ناجر التي تقدم لنا منظرا يصور مواجهة بالقرب من عربة بين مقاتلين⁽¹⁾. (انظر الشكل رقم 18 ص. 73).

وحسب المؤرخ سيليوس ايطاليكوس فقد مارس الليبيون الفروسية وركوب العربة القتالية وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد⁽²⁾. وغالبا ما كانوا قد استعملوا المعادن في صناعة عجلات العربة القتالية أيضا وأسلوب القتال عندهم غالبا ما كان يتمثل في المبارزة⁽³⁾.

وقد كانت قبائل الجيتول ضمن القبائل الصحراوية في تلك الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد الخاضعة لسلطة الإسبث⁽⁵⁾.

des auteurs latins avec traduction en français, Publié sous la direction de M. Nisard, Paris, 1837, PP.180

(2) - Lhote H., op.cit, P.34.

(3) - Liv. IV, vers 64-83.

(4) - Ibid, 167-177.

(1) - Liv. IV, vers 64



منظر يصور مواجهة بين عدة أشخاص وعربات تجرها خيول

في حالة ركض سريع

الشكل رقم 18

كما تضمنت كتابات سيليوس ايطاليكوس التي خصصها للحروب البونية الإشارة إلى استخدام الليبيين للعربات القتالية الخفيفة، لاسيما ما كان يمتطيها نساء الاسبت اللاني كن يركبن العربات صحبة ملكتهن وذلك اثناء حصار القائد القرطاجي حنبعل لمدينة "ساغنتوم" بشبه جزيرة ايبيريا في بداية الحرب الرومانية - القرطاجية الثانية 218 ق.م.⁽¹⁾

ويلاحظ أيضا أن القرطاجيين كانوا قد استعملوا العربات قبل ذلك في حروبهم في شبه جزيرة ايبيريا وايطاليا.

ومن جهته يذكر المؤرخ ديودور الصقلي عند إشارته إلى غزو القائد الإغريقي أجاثوكليس⁽²⁾ لبلاد المغرب القديم استعانة القائد الإغريقي بالعربات الليبية عند اجتياحه لمنطقة غرب قرطاجة⁽³⁾. وبلاستناد أيضا إلى ما كتبه س. جزيل فإن المؤرخ ديودور الصقلي يذكر أن القرطاجيين قد استعملوا في إحدى حروبهم بصقلية حوالي 400 عربة قتالية وذلك سنة 397 ق.م. وما يفوق ذلك في المواجهة

(1) - Liv II, vers 83.

(2) أجاثوكليس Agathoclés هو قائد إغريقي مغامر نقل الحرب من صقلية بعد أن كان مهزوما أمام الحصار القرطاجي لمدينة سيراكوزة - إلى شمال إفريقيا، ثم حاصر لأول مرة في التاريخ مدينة قرطاجة وأرغمها على التفاوض معه، وقد استمر بقاءه في شمال إفريقيا حوالي 3 سنوات 310 - 307 ق.م.؛

- Polybe, I, 25- 31 ;

- Tlatli S. E., La Cartage punique , lib. D'Amérique et d'orient , Paris 1978, P. 265.

(3) - Diodore, XV, 5.

الدفاعية التي خاضوها ضد القائد الإغريقي اجاثوكليس في بلاد المغرب القديم دفاعا عن مدينتهم سنة 310 ق.م.

وقد كان الأسلوب الذي اتبعه القرطاجيون في استعمال العربات التي تجرها الخيول في الحروب هو : إما محاصرة العدو وشل حركته، ثم تصدى المقاتلين المرتزقة بعد ذلك للمواجهة المعتمدة على المخادعة والمبارزة والقتل الجماعي أو يطبقون طريقة ثانية كانت غالبا ما تعتمد على إثارة الارتباك في صفوف العدو وذلك باللف والدوران حوله وشل حركته سالكين في ذلك هجومات خاطفة بواسطة العربات الخفيفة السريعة. وكان القصد من وراء ذلك هو تسهيل مهمة المهاجمين المشاة في استغلال الفوضى التي يصاب بها العدو ليسددوا له الضربة القاضية⁽¹⁾.

وبهذا الأسلوب الأخير في قيادة عربات الحرب التي كان يستعملها القرطاجيون نلمس أسلوب الكر والفر والاعتماد على ضرب الجانب النفسي وتكسير وشل معنويات العدو، وهو لا غرو أسلوب كان قد استعمله الليبيون الأوائل أثناء غزوهم لمصر وطبقه فيما بعد القرطاجيون الليبيون في الوقوف ضد توسعات إغريق قرينة بلبيبا نحو الغرب، ثم مارسه القرطاجيون على نطاق أوسع ضد غزو اجاثوكليس⁽¹⁾ لبلادهم سنة 310 - 307 ق.م.، ونفس الشيء قام به

(1) - Dion Cassius fragment ,PP.43-24.

(2) - Tlatli S.E., op. cit., PP. 263 - 268.

القرطاجيون ضد القائد الروماني ريغولوس (Régulus) الذي نقل هو الآخر الحرب إلى شمال إفريقيا في مغامرته الجريئة سنة 256 ق.م. وكان مثاله هو الآخر الفشل⁽¹⁾.

من كل ما سبق يستخلص المؤرخ الفرنسي ج. كامبس أن نهاية استعمال العرب القتالية في شمال إفريقيا من قبل الليبيين والقرطاجيين يعود حسب التقريب إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وذلك أثناء انضمام إيلماس إلى القائد الإغريقي اجاثوكليس ثم عدوله عن ذلك فيما بعد لأسباب بقيت مجهولة، غير أن ما أورده المؤرخون حول تلك الحادثة هو تزويد إيلماس للقائد الإغريقي اجاثوكليس بعدة عربات حربية⁽²⁾.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد لم يعد هناك اعتماد على العربات في الحروب فقد عوضت بالخيالة أي بالحصان، يكفي فقط التذكير بنص "استرابون" القرن الأول ميلادي والذي يذكر فيه: "كان الليبيون فرسانا يركبون الحصان بلا سرج ويمسكونه برصن طويل موصول بقمه".

وفي فقرة أخرى يشيد نفس المؤرخ السابق الذكر ببراعة قبائل المور في ركوب العربات المجهزة بالمنجل الحادة وهي سلاح كان شائع

(1) - Dion Cassius, 43 - 24; Diodore, XXIII

(2) - Camps G., Les chars sahariens. Images d'une Société Aristocratique, P34.

الاستعمال حين ذاك⁽¹⁾ وفيما يخص حمولة العربية الحربية التي وردت الإشارة إليها في الرسوم الصخرية بليبيا أنها غالبا ما كانت تحمل شخصا أو شخصين ويمكن أن يزيد العدد إلى ثلاثة وهو نادر في غالب الأحيان⁽²⁾.

ويلاحظ أن الرسوم الصخرية كانت تظهر بما فيه الكفاية دور الفرسان الليبيين الصحراويين في التحكم في استعمال العربية والحصان المتميز بالعدو السريع، وقد عبر عن ذلك بعض الباحثين بطريقة (الركض الطائر)⁽³⁾.

ولشهرة الفرسان النوميديين في ركوب الخيل واعتمادهم أسلوب الكر والفر وأرباك جيوش العدو اعتمد عليهم الرومان في حروبهم التوسعية في بلاد الإغريق والشرق القديم، وفي هذا الصدد نشير إلى مساعدة الملك ماسينيسا وابنه مسيبسا للرومان وذلك منذ انحياز العاهل النوميدي ماسينيسا إلى الرومان في الحرب الرومانية - القرطاجية الثانية وترجيحه لكفة الانتصار في معركة زاما سنة

(1) - Strabon , Géographie, XVII,3,7.

(2) تقع أراضي قبيلتي الفاروزيين والنقرت جنوب المغرب الأقصى، لمزيد من المعلومات أنظر

- L'Hote H., Les chars rupestres Sahariens des Syrtes..., P117.

(3) - L'Hote H., Les peintures de Tim-Missaou, Bulletin de liaison saharienne, 44, Décembre ,1961, PP. 365-370.

202 ق م. بقيادة سيبيون الإفريقي (Scipion) ضد الجيش القرطاجي
تحت قيادة حنبعل⁽¹⁾.

وحسب الدراسات التي عالجت موضوع الفرسان النوميديين
وطريقة تحكمهم في الحصان وقيادته أنهم في كثير من الأحيان لم
يتأثروا بالطريقة التي استعملها القرطاجيون والرومان وتكييفه
بالشكيمة واللجام فهم كثيرا ما يتبعون طريقة تتمثل في وضع أحزمة
جلدية على عنق الحصان تمتد إلى الأنف بحيث عند جذبها تضغط
على تنفس الحصان وتجبره على التوقف⁽²⁾.

وقد اعتمد الرومان فيما بعد في حروبهم على الخيالة النوميديين
بعد دمجهم في الكتائب المساعدة للجيش الروماني.
وحتى تظهر مكانة استعمال الرومان للعربة القتالية المجهزة
بالمناجل يمكن أن نورد حربهم للقائد الإغريقي بيرهوس (Pyrrhus) في
معركة "اسكولوم" (Asculum) بجنوب شرق إيطاليا وذلك سنة
279 ق م. حيث كان هدفهم من وراء استخدام سلاح المناجل هو وخز

(1) - Farnons B.C., Les guerres puniques "que sais-je?", Paris 1973, pp. 46-62.

(2) - ابن علال رضا، العربات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة،
رسالة ماجستير في التاريخ القديم، نوقشت بقسم التاريخ جامعة الجزائر المركزية، السنة
الجامعية 2000-2001، ص. 80؛

- St. Gsell, H. A. A.N., T. V, P. 183

وجرح فيلة القائد الإغريقي وجعلها تنقلب ضد جيشه بغية ربح المعركة⁽¹⁾.

وقد لاح في الفسيفساء الرومانية النموذجية: التي تعود زخرفتها إلى النصف الثاني من القرن الثاني والثالث الأول من القرن الثالث الميلادي، الرأي الذي أشرنا إليه سابقا، إن تلك الفسيفساء الصخرية تعود إلى ذلك العهد المشار إليه أنفا، وهي تشهد بدورها على أهمية التجارة التي كوّن أصحابها ثروة طائلة في منطقة لبدة الكبرى (لبدة حاليا) وكذلك على عمق التأثير الروماني في الصحراء وذلك حينما أمر الامبراطور سبتيم سيفيروس باحتلال منطقة الواحات الصحراوية⁽²⁾.

وهناك من تكفلوا بالإجابة عن بعض الافتراضات الغريبة والتي تقف أمام التمحيص حسب الأستاذ ث. مونود (Th.Monad)⁽³⁾.

3- احتمال وصول غزاة أجانب للمنطقة الصحراوية :

⁽¹⁾ - Mommsen th., Histoire romaine, traduit par C.A. Alexandre, Paris Librairie A. Franck 1864, Vol 2, P.215.

⁽²⁾ - Picard Ch., op. cit., PP. 33-69.

⁽³⁾ - Monad Th. et Manny R., Nouveaux chars rupestres sahariens , Not. Africaines , 44, Moct. 1949, PP. 112- 114.

١- الاعتماد على الفرضيات النظرية المبنية على التخمين :

هل يمكن أن نعتقد أن ظهور عربات الركض السريع المرسومة على صخور الطاسيلي تعكس وصول غزاة إلى الصحراء الوسطى الجزائرية ليس لهم أي صلة بالسكان الذين عمروها قبل ذلك على الأقل بالنظر إلى أرشيف الفن الصخري. إذا استطعنا حسب الخطوط الكبرى لهذا الفن أن نميز بما لا يدع مجالا للشك أن رعاية البقر كانوا قد سبقوا الشعوب التي استعملت الخيل فليس هناك أي مؤشر عن استبدال نموذج بشري بآخر^(١).

إن آثار الثيران كانت قد اختفت كما اختفت آثار الرجال المسلحين بالاقواس ومع ذلك فإن بعض المؤلفين يسندون وجودها إلى وافدين جدد إلى المنطقة الصحراوية .

هل يمكن أن تكون هناك أقوام من أصول ليبية قد سكنت المنطقة قبل مجيء أقوام العربات ؟.

للإجابة عن ذلك يبدو أن الأمر محتملا، ذلك أنه عثر في السنوات الأخيرة بالطاسيلي وخاصة في " أوان دربوان " و " إن إتنان " و " إهران " على مجموعات رائعة من الرسوم وبتخطيط أخاذ تظهر قطعانا رائعة

(١) - L'Hote H., Les chars rupestres sahariennes, éd. des Hespérides, paris 1982, PP. 95 - 113.

من الثيران والغنم والماعز مرفوقة بنساء يركبن الثيران المسروجة
ويقدنها بأرصنة تتصل بأنوفها⁽¹⁾. (انظر الشكل رقم 19 ص. 81).



عربات تجرها ثيران مسروجة يمتطيها أشخاص

الشكل رقم 19

⁽¹⁾ - Ibid, PP. 108 - 121.

هل نحن وفقا لهذا المنظور الذي جسدها سابقا أمام التواجد الليبي الذي أشير إليه في الصلايات المصرية للأسرة الخامسة. في الوقت الحالي ليس لدينا ما يؤكد بقاء مثل تلك الرسوم التي تعود إلى حوالي 2900 ق.م.⁽¹⁾

ولذلك فإن احتمال الوصول وعدمه تبقى الإجابة عليه متوقفة على ما ستسفر عليه الاكتشافات والقراءات الجديدة للرسوم الصخرية التي لا تزال الآراء حولها غير مستقرة.

ومن جهة أخرى يبدو أن ما أشرنا إليه والخاص بتقديم وجهات النظر التي قدمناها يقترب مع ما وجد في موقع "إهران" غير أن الباحثين غير متحققين من وجود تطابق مطلق بين لقي الموقع الأخير والموضوعات المصرية المرسومة، مما يضطرنا إلى اعتماد التاريخ السابق وذلك حتى يثبت العكس⁽²⁾.

ب- الاعتماد على الاكتشافات المادية المتمثلة في أعمال الباحثين الأثريين :

إن معركة وادي "جارات" الشهيرة بالصحراء الجزائرية والتي تمثل عددا قليلا من الرجال تعكس بدون شك ما قد جرى فعلا، متمثلا في مناوشات بسيطة وليست معارك واسعة النطاق.

(1) عبد العليم مصطفى، المرجع السابق، ص. 118 - 124.

(2) L'Hote H., op. cit., P. 123.

كانت سنة 1934 بداية متفردة وذلك عندما اكتشف هنري لوث أثناء زيارته "لوادي جارات" لأول مرة مرفوقا بأحد الجغرافيين مكتبة قائمة بذاتها مرسومة مادتها على الرسوم الصخرية، حيث تبين لديه أن العربات التي يجرها حصانان يركبها ثلاثة رجال أحدهم يمسك عنق الفرسين بمقبض الدفة، حاملا درعا مستديرا وهو يهجم على مجموعة من الرجال الراجلين. هذا المشهد كان من أقوى المشاهد إحياء لرجال جرحوا كانوا قد سقطوا أرضا وآخرون يتبارزون بالرمح، وفي أعلى المشهد على اليمين نشاهد ثلاث كلاب من نوع السلوقي في حالة جري، وهذا ليس غريبا، ذلك لأن المؤرخ بلين (Pline) كان قد روى أن الليبيين كانوا قد دربوا كلاب السلوقي على الحرب وبذلك فالصورة أكثر واقعية لما نعرفه في الرسوم الصخرية الصحراوية بمنطقة الطاسيلي⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 20 ص. 84).

ومما يدل على امتطاء العرب من قبل شخصين هو وجود تلك الرسوم التي عثر عليها هنري لوث في موقع تاما جرت⁽²⁾.

وهناك مشهد آخر ذو طابع حربي بوادي "جارات" لمجموعة عربات منقوشة على أرضية "محطة تين قمار"، كانت قد نسخت من

(1) - L'Hote H., op. cit., PP. 16- 43.

(2) - L'Hote H., Une mission au Tassili, Mai - Juin 1969, objets et Mondes, rev. du musée, de l'homme, X, 1 PP. 47 - 50.



رسم صخري يوضح استعمال كلب السلوقي، إما في الصيد
أو الحرب

الشكل رقم 20

طرف الأثري "م. ريقاس" Reygasse وهي عبارة عن عربة يركبها رجل واحد محاطا برمحين، وهي تلاحق رجلا مسلحا برمح يفر راكضا ويضع قرنين تذكرنا بخوذة المحاربين ويوجد نفس المشهد بنفس المعنى في "موقع امسرجين" والذي عرفتنا عليه ج. أوماسيب" J. Aumassip في كتاباتها حول الرسوم الصخرية حيث أن ذلك المشهد يتمثل في عربة رسمت بأسلوب "الركض السريع" يركبها رجل واحد يحمل رمحين يبد وسط بالأخرى وهو في سباق يلاحق رجلا مسلحا برمح⁽¹⁾.

وهناك الكثيرون ممن تناولوا موضوع عربات الصحراء ذكروا أن المطاردة هي الدور الأساسي للعربات، وهي طريقة ناجعة لملاحقة الأعداء الراجلين. فإذا كان هم السائق قبل كل شيء هو الوصول إلى خصمه الهارب، فإن أول دوافعه هي الإسراع بمركبته، وحين يقترب من الهارب، يشد الرصن إليه يبد واحدة ويتناول الرمح باليد الأخرى ثم يوجه ضربته بكل دقة إلى عدوه، هذا ما يفعله المحاربون. وفي كل الحالات فإن العربات الصحراوية كانت في كثير من الأحيان تركب من قبل رجلين ويمكن أن يمتطيها رجل واحد.

ففي "إن توامي" بالصحراء الجزائرية مثلا يصور مشهد محاربين مسلحين برماح ودروع مستديرة يتحاربوا أمام عربة واقفة يركبها

(1) - Reygasse M., La préhistoire au Sahara Central Hoggar et Tassili des Ajjers, cong. Préhist. de France ,XI session 1934, P.605.

شخص ثالث، وإذا تتبعنا رواية سليوس إيطاليكوس عن رحلة حنبعل القرطاجي من إفريقيا إلى أسبانيا ومن هناك إلى إيطاليا، فقد سجلت عدة أمثلة عن رجال يركبون لوحدهم عرباتهم ويحاربون خصومهم في نفس الوضعية.

إن كثيرا من عربات الطاسيلي نشاهد فيها إلى جانب السائق أو خلفه رماح منتصبه عموديا بالنسبة لمقبض الدفة (أو مجرى العجلة) وأغلبها ذات هيكل مدعم بالمعدن ويظهر ذلك جليا. ولم يكن هناك داع لوجود الرماح لو لم تكن تستعمل للقتال أو الصيد وتلك هي حالة عربة "وادي جارات" ذات الثلاث رماح.

وعلى العكس من ذلك فإن سائق عربة "تماجارت" والمنشورة من قبل "ه. ج. هوقو" H. Hugot كان المحارب فيها يحمل رمحين⁽¹⁾.

ومما يعجز عن الفهم أن الخاصية الحربية للعربات الصحراوية كانت قد ذكرت منذ أزمنة قديمة، مع أن هيرودوت، وسترابون، وديودور، وسليوس إيطاليكوس يشهدون بالإجماع على أن عربات الجرامنت كانت تستعمل في مطاردة لجيرانهم الذين كانوا يجوبون منطقة الصحراء دون الإشارة إلى الطابع الحربي⁽¹⁾.

(1) - Hugot H. J., Le Sahara avant le désert, insc. 80, Les Hespérides, Toulouse 1974, PP. 261 - 286.

(1) - Strabon, géographie, XX, 16-8, Trad. d'Amedée Taradien, Paris, Hachettes 1886, PP. 123 - 128;

وبطريقة فيها نوع من الدس التاريخي يذكر المؤرخ ج. ش. بيكار وغيره من الباحثين الغربيين أن العربات ذات الطبيعة العسكرية كانت تحمل بالضرورة إلى جانب السائق رامي النبال، وبالنتيجة فإن غياب هذا الأخير يضيف على عربات الصحراء الطبيعة السلمية وهو ما يبرهن على جهل الذين درسوا منطقة الصحراء وحاولوا أن يسندوا العربات الحربية إلى شعوب قادمة إلى المنطقة بدلا من السكان الأصليين، ولا يختلف الأمر بالنسبة لمن جاء بعدهم من الطوارق الذين استعملوا تلك العربات، ولكي نتأكد علينا مراجعة الوثائق التي تتعلق بالرسوم الصخرية في الصحراء الوسطى.

ج - قراءة في الجانب الديمغرافي اعتمادا على الدراسات السابقة للمنطقة:

ومهما يكن فإن النموذج البشري ذو البدلة الضيقة عند الخصر والمسلح بالرماح والدروع المستديرة يكون نطاق توزيعه محدد بدقة بناء على الصور المتوفرة في الصحراء الوسطى الجزائرية، حينئذ يجب علينا إغفال الوقائع الأثرية التي تبين أن استعمال المكان والاستقرار فيه لم يتم دفعة واحدة وإنما تم شيئا فشيئا. وإذا صدقنا ما ظهر في لوحات الغنائم المصرية، فإن الليبيين وحلفائهم من شعوب البحر لا

- محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج. 3، حركات التحرير في مصر القديمة القاهرة، دار المعارف 1976، ص. 83-65.

يبدو وأنهم جمعوا أكثر من 20 ألف رجل وهذا الرقم المعتبر في ذلك الوقت لا يتطابق مع السكان الذين لا يتجاوز عددهم 100 ألف نسمة بما في ذلك النساء والشيوخ والأطفال ولا نعلم كيف أنهم بعد هزيمتهم في مواجهة ضد المصريين تفرقوا في منطقة برقة وبأي نسب توزعوا على القبائل المذكورة التي كانت تتوضع في المنطقة بداية مما ورد في ألواح الغنائم المصرية وانتهاء بما أشير إليه في نصوص هيرودوت⁽¹⁾.

وقد دعم اكتشاف العربات في فزان من جديد نص المؤرخ الإغريقي هيرودوت والذي لم يؤخذ بالجد قبل ذلك من قبل الباحثين.

أما المؤرخ "إ. ف. قوتيي" F. Gautier فلم يتردد في تخيل مملكة ممتدة في المنطقة قد تكون بالمقابل متطابقة مع واقع مؤكد، ذلك لأن الرومان وبعد أن أخضعوا القبائل الليبية وبدون صعوبة على ما يبدو جعلوا من سكان المنطقة حلفاء لهم وذلك ما سمح لهم بإرسال بعثات رومانية إلى الجنوب ضد الإثيوبيين والجرامنت، ومهما يكن فإن ما أشار إليه قوتيي له طابع حربي توسعي⁽²⁾.

إذا كانت مصر قد تركت معالم رائعة تروي تاريخها وبفضلها عرفنا قيمة ما أحرزته معركة قادش في شمال سوريا من نجاحات وهزائم للطرفين المصري والحثي، فإن ذلك يعني أن بين المصريين

(1) - Gsell St., Hérodote textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Paris, Hachette 1913, IV, PP. 103-118.

(2) - Gauthier E. F., Le Sahara, In 80, Paris, Payot, 1928, PP. 223 - 261, PL. 24.

فنانين ألفوا الرسم على الصخر وأن أهم اهتمامات ملوكهم كانت هي تسجيل استثماراتهم على المعالم ولم يكن لدى الليبيين شيء مماثل، ذلك أنه لم تكن لديهم كتابة مثل تلك التي وجدت في الشرق القديم، لهذا فإن مصادرنا حول الليبيين تتلخص فيما سُجل على المعالم المصرية الجنائزية مثل الأهرامات ومقابر الملوك والملكات. وفي بعض الرسوم والنقوش الليبية التي لا يزال فك رموزها يتعثّر إلى جانب ما وجد على جدران المآوي والكهوف في ليبيا وهو ما يجعلنا نتلمس تموقع الليبيين الصحراويين في منطقة الطاسيلي والبقار، ذلك أن الخمسين عربة التي عثر عليها مرسومة في الطاسيلي تبين أن كل هذه الجهة كانت مختلفة وأن هناك حياة انتظمت في الواحات الموجودة وفي أودية هذه الكتلة الجبلية التي تتصل ببعضها عبر الدروب.

وفي حديثه عن الجرامنت يذكر هيرودوت أنهم تابعوا ملاحظات الإثيوبيين بالعربات ولكنه لم يذكر معارك دارت بينهم بالعربات لسبب بسيط أن خصومهم سكان الصحراء لا يملكونها⁽¹⁾. ومن جهة أخرى فإنه لا يوجد مشهد عربة ضد عربة في مجموعة الرسوم الصخرية الصحراوية.

⁽¹⁾ - Hérodote , op. cit, P. 126

الباب الثاني

المقاومة والحرب في الفترة التاريخية

الفصل الأول

- العلاقات الليبية الفينيقية في بلاد المغرب القديم

أولا : العلاقات التي تمتد منذ البدء وحتى القرن الخامس قبل الميلاد

1- علاقة المصالح المتبادلة

2- الديانة المشتركة

3- التبادل الاقتصادي

4- الشعور بالمصير المشترك

5- التصدي لإغريق قرينة بليبيا

ثانيا : العلاقات اللاحقة لما بعد القرن الخامس ق.م.

1- أصول بداية تكوين الجيش القرطاجي

2- جيش محترف من الليبيين - الفينيقيين

3- دواعي تجنيد الفرق المرتزقة

4- العلاقات بين القادة القرطاجيين والجيش المرتزق

5- المرتزقة يمثلون عبء على خزانة الدولة القرطاجية

الفصل الثاني

- النزاع على السلطة بين الأرستقراطية القرطاجية وضباط الجيش

1. دور القادة الماغونيين في حماية الإرث الليبي - القرطاجي

2. انعكاسات توسعات الأسرة البرقية على الواقع الحربي في بلاد المغرب القديم

أ- انعكاسات حرب هاملكار برقة على بلاد المغرب القديم

ب- انعكاسات حرب حنبعل على المنطقة المغاربية

ج- سر انتصارات حنبعل وأسلافه

الفصل الثالث

- المعدات الحربية القرطاجية أثناء الفترة التاريخية

1. المعدات الفردية البسيطة

2. البحرية القرطاجية

3. سلاح الرماح والخوذة

4. سلاح المقذوفات

5. الفيلة واستعمالاتها الحربية

6. الحصان واستعمالاته الحربية

الفصل الأول

- العلاقات الليبية الفينيقية في بلاد المغرب القديم . المستقل . وذلك

أولا : العلاقات التي تمتد منذ البدء وحتى القرن الخامس قبل الميلاد

1. علاقة المصالح المتبادلة على مستوى بلاد المغرب القديم بين
2. الديانة المشتركة
3. التبادل الاقتصادي
4. الشعور بالمصير المشترك
5. التصدي لإغريق قرينة بلبيبا

ثانيا : العلاقات اللاحقة لما بعد القرن الخامس ق.م.

1. أصول بداية تكوين الجيش القرطاجي
2. جيش محترف من الليبيين - الفينيقيين
1. دواعي تجنيد الفرق المرتزقة
4. العلاقات بين القادة القرطاجيين والجيش المرتزق
5. المرتزقة يمثلون عبئا على خزانة الدولة القرطاجية

- العلاقات الليبية الفينيقية في بلاد المغرب القديم

إذا كان الهدف من تناول أية دراسة ليس هو إحياء الماضي، والتغني بمفاخر الآباء والأجداد فقط وذكر سلبياتهم، فالقصد الأكثر إيجابية هو تسخير الماضي لفهم الحاضر وسبك بناء المستقبل، وذلك ما نهدف إليه من وراء تقديم هذه الدراسة.

بناءً عليه فإننا نلاحظ بأنه على مستوى بلاد المغرب القديم يجب أن نكون حذرين من فرضية السكوت والفراغ اللذين يسيطران على تاريخ المنطقة خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وما يليه حتى القرن الثامن قبل الميلاد، ذلك لأن فرضية وجود تنظيم اجتماعي وسياسي وعسكري في المنطقة قبل وصول الفينيقيين إليها أمر غير مستبعد. هل كان ذلك في شكل تنظيم قبلي أو إقليمي أو أي شيء آخر يدل على أن هناك تجمع بشري يحكمه شخص تتوفر فيه صفات القيادة؟.

إن ما يمكن أن يقال في هذا الصدد، هو عدم استبعاد وجود قيادة عليا تمثلت في شخصية ايرباس (Hirbas) الذي كان يفوض له القيام بالحرب وعقد السلم وتسيير شؤون القبيلة أو الإقليم، مما جعلنا نذهب إلى أنه كان يمثل الشخصية النواة التي التف حولها الكيان السياسي المغاربي حتى ولو كان في صورته البدائية القبلية، وذلك ما جعل عليسه الفينيقية وقومها يضبطون معه قضية الربيع الذي بقي يدفع للوبيين سنويا مقابل إعطائهم الأمان في مدينتهم الجديدة

(قرطاجة) ^(٥٠). (أنظر الشكل رقم 21 ص 97). وقد استمرت العلاقات على ما هي عليه حتى القرن الخامس ق م حينما غيرت قرطاجة سياستها الإفريقية وقطعت الضريبة التي كانت تدفعها سنويا للوبيين،

(*) قرطاجة أو "كرط حدثت" أي (المدينة الحديثة): يظهر من التسمية أن المدينة كنعانية الأصل وأن الذين أسسوها (الفينيقيين) كانوا قد قدموا من شرقي المتوسط وبذلك من الساحل اللبناني السوري الحالي، وقد عرفوا من قبل الإغريق بالفينيقيين وهي تسمية مهينة أكثر منها عرفية. ولم يكن اختيار تأسيس مدينة قرطاجة بخليج شمال تونس صدفة وإنما لا يستبعد أن يكون عن دراية ومعرفة سابقة للموقع وذلك أثناء اللقاءات المبكرة التي قام بها مؤسسو المستوطنات السابفة عنها مثل أوتيكا وليكسوس في شمال بلاد المغرب القديم وذلك في نهاية الألف الثانية ق م. تلك اللقاءات المبكرة بين التجار الفينيقيين والمغاربة التي شجعتهم على تجارة المقايضة على كامل سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط، لاسيما مع سكانه اللبيين الذين كانوا يتوضعون في المنطقة ويعرفون بالسكان الأصليين وذلك منذ فترة ما قبل التاريخ. وقد أشار إلى أولئك السكان المؤرخ الإغريقي هيرودوت تحت اسم الماكسيتان (Les Maxitains) الذين كان يقودهم القائد إيرباس (Hirbas) أو ابوباس (Iopas). بناء على ما سبق فإنه مهما كانت تسمية قرطاجة كنعانية أو فينيقية فإن مجتمعها كان مزيجا ما بين المهاجرين (الفينيقيين) الوافدين إلى المنطقة سلميا والسكان المحليين الذين كانوا يستقرون في المنطقة منذ أزمنة بعيدة والذين كان يقودهم عند وصول عطيسة "إيرباس" للوبي.

وعليه فإن تسمية القرطاجيين هو نسبة إلى المدينة (قرطاجة) وهو لا يعني بأية حال من الأحوال المهاجرين الفينيقيين فقط، بل يعني بكل تأكيد امتزاج الفينيقيين والليبيين الذين تكون منهم المجتمع القرطاجي الذي سيعرف فيما بعد بالنبوني. وتنسب إليه تصفائات تاريخيا للحروب البونية التي كان من المفروض أن تحمل تسمية الذين شنوها وهم الرومان وذلك بكل تسميتها للحروب الرومانية القرطاجية على أساس أن المجتمع القرطاجي كان في حالة الدفاع عن كيانه في جنوب الحوض الغربي للبحر المتوسط.

من هنا فإننا عندما نشير إلى الجيش القرطاجي في استعمالاتنا لا نقصد بهذا المصطلح المهاجرين الفينيقيين وأحفادهم فقط وإنما نقصد به جيش مدينة قرطاجة الذي يشمل كامل سكانها بما فيهم المغاربة القدماء اللوبيون الذين كانوا يدورون في تلك قرطاجة. وقد استمر ذلك حتى ظهور التسمية النوميديّة وبداية الإزهاصات التي ظهر على إثرها الكيان النوميدي وهو ما يقدر له بنهاية القرن الرابع ق م. وما يليه، ذلك لأن قرطاجة منذ نهاية القرن السادس ق م. قد بدأت تؤول إلى دولة لها كيانها السياسي والاقتصادي والعسكري في الحوض الغربي للبحر المتوسط وذلك ما أدى بها إلى الدخول في صراع مع الإغريق في بداية الأمر ثم مع الرومان فيما بعد، الأمر الذي ترتب عنه الدخول في صراع مع حلفائها الطبيعيين المغاربة القدماء الذين امتزجوا مع قديمتها منذ نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأولى ق م. اقتصاديا وثقافيا وهو ما جعلنا نركز على العلاقات الليبية الفينيقية في بلاد المغرب القديم سواء أكان ذلك منذ البدء وحتى القرن الخامس ق م. أو الفترة اللاحقة لها حتى ظهور الكيان النوميدي الناتج عن الغزو الروماني لبلاد المغرب بغية الهيمنة على الحوض الغربي للبحر المتوسط. لمزيد من المعلومات أنظر محمد الصغير غاتم، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، مط. دار الهدى ...، ص 102.

107.

- Decret F. et Fantar M. H., L'Afrique du nord dans l'antiquité, Payot, Paris 1981, P. 68.

إضافة إلى بعض المعاملات الأخرى التي يشتمل منها فرض سياسة السيد على المسود.



خريطة طبوغرافية لمدينة قرطاجة

الشكل رقم 21

هل كان ايرباس الذي أشار إليه جوستان (Justin) نقلا عن تيمايوس (Timaus) في كتابه تروج بومبي (Troque Pompée) رئيس قبيلة؟ أو رئيس إقليم؟ أو إغليد عسكري؟ أم أنه كان ملكا؟ ولن كانت قرطاجة تدفع ضريبتها السنوية إذا لم يكن هناك نوع من التنظيم السياسي متوافرا في المنطقة المغاربية حينذاك⁽¹⁾.

الموضوع لا يزال يحتاج إلى مزيد من التروي وتعميق الدراسة ذلك أن ما درجت عليه المدرسة التقليدية التي سبقتنا في ربط بداية الفترة التاريخية ببلاد المغرب القديم بوصول التجار الفينيقيين إلى المنطقة خلال نهاية الألف الثاني قبل الميلاد لا يزال يحتاج هو الآخر إلى طرح أسئلة كثيرة حول الفراغ السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يلمسه الباحث. بالنسبة لما سمي بفجر التاريخ المغاربي، وعليه لابد في نظرنا أن نعود إلى استنطاق الرسوم الصخرية المنتشرة في المناطق الداخلية من مغربنا⁽²⁾. وكذا مخلفات المقابر الجلمودية بأنواعها⁽¹⁾، علنا نجد بغيتها فيها، ذلك لأن الإنسان الذي رسم في تلك الفترة المتوغلة في أعماق التاريخ لا تصعب عليه

(1) - Justin , Histoire universelle, éd. Trad. Par E. Boifard, Paris, 1833, P. 133.

(2) - Breuil H., et H. L'Hote, l'âge de la pierre, l'art rupestre de l'Afrique mineur et du Sahara, éd. Albin Michel Paris, 1960, P. 34.

(1) محمد الصغير غانم "المقبرة البيجلية ببونوارة (الشرق الجزائري)"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، ع. 15، جوان 2001، ص ص. 159 - 169 .

في رأينا الكتابة، علما وأن بدايات الكتابة في الشرق القديم ومصر الفرعونية كانت هي الكتابة التصويرية (l'écriture pictographique) ⁽²⁾.

حينئذ هل يعزى سبب عدم انتقال الإنسان المغاربي القديم من الرسم إلى الكتابة ثم الاستقرار والتنظيمات السياسية والعسكرية التي تظهر كيانه مثل غيره من بقية معاصريه إلى التغيرات المناخية التي انتابت المنطقة منذ العصور الحجرية ؟ أم أن هناك عوامل أخرى تتعلق بحركة الإنسان في المنطقة التي يغلب عليها الطابع الرعوي، الذي يتماشى والجفاف الذي كان يسود المنطقة منذ العصر الحجري الحديث؟ هل أن تلك العوامل هي التي جعلته يتوقع على نفسه ويدور في محيطه القبلي، ثم ينتظر حتى تأتية هزة الانتقال إلى الكتابة وإلى التجمعات البشرية والاستقرار مع التجار الفينيقيين؟ وفي رأينا فإن ذلك يعد إجحافا في حق المجتمع المغاربي القديم الذي لا يمكن أن ننفي عليه التطور الذاتي المحلي ⁽¹⁾.

(2) - Février J. G., Histoire de l'écriture , éd. Payot, Paris 1948, PP. 137-138.

(1) يحاول بعض الباحثين الأجانب أن ينفوا على المجتمع المغاربي القديم التطور المحلي ويعزونه تطوره عبر مراحل التاريخية إلى الهزات التي كانت تأتية من الخارج، فالانتقال إلى الفترة التاريخية مثلا كانت بفضل مجيء الفينيقيين بالكتابة إلى شمال إفريقيا، وكذا تأسيس القرى والمدن المبنية على أسس والمربعة الشكل أو المستطيلة كانت هي الأخرى قد وردت إلى المنطقة مع التجار الفينيقيين الذين حلوا بكل من ليكسوس وأونيكس وقادس. ويعزى كذلك تحسين

ومن جهة أخرى تعد دراسة الآثار والنقوش وكامل المخطافات الأثرية التي وجدت في المنطقة والسابقة للفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم من بين الوسائل التي قد تعطينا أضواء جديدة على دراسة تاريخنا القديم، ذلك لأنها تحتوي على أسماء أعلام وأسماء أماكن وأهله وأشخاص⁽²⁾.

وتعتبر الرسوم الصخرية والنقوش اللوبية والبونية من بين البصمات الأولى التي أنتجها لنا فكر الإنسان المغربي القديم. كما يجب في نظرنا التخلّص من توجيه الدراسات المغاربية نحو الفترة الرومانية، لأن ذلك يجعل تاريخنا مبتورا فاقد الحلقات، فلا بد إذا من ربط مائتي الفترة الرومانية بما سبقها واعتبار مخطافات هذه الفترة (لرومانية) جزءا مكملًا لكل الذي هو التاريخ المغاربي، وبذلك نضمن الانسجام الحضاري في منظومتنا التاريخية⁽¹⁾.

الزراعة وتقسيم الأرض إلى مستطيلات ومربعات ثم استثمارها وانتظامها في المنطقة إلى الرومان.

(2) Berthier A., Découvertes a Constantine de deux sépultures contenant des amphores grecques, dans R. Af., T. 91, 1943, PP. 23-32.

(1) كانت الحفائر الأثرية التي أجريت أثناء الفترة الفرنسية تهدف إلى إثبات سبق وحق الرومان في تحضير سكان بلاد المغرب، ولذلك كان كل من يشرف على تلك الحفائر يلغي كل القوي الأثرية العائدة إلى الفترة العربية الإسلامية، بحيث لا تبدأ الحفريات عنده إلا عندما يصل إلى السويات الأثرية التي تبرز فيها المخطافات الأثرية الرومانية، وهكذا تنتهي بالنسبة إليه الحفريات عندما ينتهي من بقايا الفترة الرومانية ويصل إلى الطبقة التي سبقتها ولا يعير أي اهتمام للبقايا الأثرية النوميديّة التي تلي الأرض العذرى عمقا في توالي السويات الأرضية.

إن كل ما سبق لا يجعلنا وفقا للكتابات التقليدية التي
سبقتنا ننكر فضل الفينيقيين في شمال إفريقيا وذلك بتزويدهم
 للمنطقة بثلاث أسس هامة تمثلت في الكتابة وتأسيس المدن ثم بلورة
النظام السياسي، وقد نجد ذلك في تأسيسهم لمدينة قرطاجة
في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد ثم تفاعلهم مع اللوبيين
أصحاب الأرض الأصليين مما جعل بلاد المغرب القديم تخرج من
التفوق والعزلة اللتين كانتا تعانيها أثناء فترة ما قبل التاريخ، الأمر
الذي أتاح لها الفرصة لأن تصبح مسرحا لنشاط اقتصادي
وسياسي، ثم ثقافي هام.

ولعل الفضل في ذلك يعود إلى التقارب السلمي ذي
الطابع الاقتصادي الذي جاء به الفينيقيون إلى المنطقة اللوبية
واستمر العمل به بين المجتمعين القرطاجي واللوبي منذ اللقاءات
الباكرة وحتى فترة متأخرة من القرن الخامس قبل الميلاد. ويمكن أن
يكون قد استمر ذلك التعامل حتى فترة الحروب البونية⁽¹⁾ التي
تضاربت فيها المصالح بين القرطاجيين واللوبيين، ذلك لأن قرطاجة
تحولت خلال هذه الفترة الأخيرة من حياتها إلى دولة أو ليجارشية
(Oligarchique) يهيمها بالدرجة الأولى المحافظة على مصالح
أرستقراطيتها الحاكمة.

(1) - Diodore de Sicile XX, 14.

إن فقدان مكتبة قرطاجة أثناء حرق المدينة سنة 146 ق.م من قبل العسكرية الرومانية . والذي أشار إليه كل من سالوست (Salluste) وبلين القديم (Plin L'ancien) ، ثم القديس أغسطين (Saint Augustin) كان قد أعاق معارفنا في الإطلاع عن طبيعة العلاقات الفينيقية النوميدية، لاسيما في الميدان الفكري الذي عبر عنه القديس أغسطين بقوله: "هناك أشياء هامة ومفيدة جدا في الكتب البونية..."⁽¹⁾.

ويبدو أن اللوبيين كانوا قد استفادوا من تلك الحركة الفكرية التي لحقت تأسيس مدينة قرطاجة ومستوطناتها والمدن الداخلية المتأثرة بها، حيث أصبحت بلاد المغرب القديم معبر حضارات تتأثر وتؤثر في الحوض الغربي للبحر المتوسط وإفريقيا جنوب الصحراء فيما بعد، بحيث أصبحت بها مراكز استقطاب حضاري تمثلت في كل من ليكوس ووليلي بالمغرب الأقصى وسيجا وايكوسيم (ايكوزيوم في الفترة الرومانية) وسيرتا (قسنطينة حاليا) بالجزائر وقرطاجة وحرمرات (سوسة) ودوجة بتونس⁽²⁾.

(1) - Salluste, la guerre de Jugurtha, trad. Par Richard F, éd. Garnier, Flammarion, Paris, 1968, XIX.

(2) - Berthier A. Et Charlier L., le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine, Paris 1955, P P. 193- 185 ;
- لقد وجدت المخلفات الفينيقية اللوبية بكثرة في كل من مدينة قرطاجة (المدينة الأم) بالنسبة للمستوطنات البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، تليها في ذلك من حيث الزخم الأثري لاسيما فيما يتعلق بالنقوش مدينة سيرتا (قسنطينة الحالية) بالجزائر ثم تأتي بعد ذلك مدينة حرمرات (سوسة) بتونس في المرتبة الثالثة.

نلاحظ أيضا أنه نتج عن احتكاك اللوبيين بالفينيقيين اختراع كتابة تناسب أصواتهم، عرفت بالكتابة اللوبية إلا أنها غالبا ما كانت تأتي في الدرجة الثانية بعد البونية الرسمية وفي كثير من الأحيان كانت اللوبية كتابة جنازية⁽²⁾. (انظر الشكل 22 ص. 104).

وقد استطاع اللوبيون بفضل احتكاكهم بالمراكز التجارية الفينيقية والمدن القرطاجية على سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط، أن يندمجوا في حياة الاستقرار والتمدن وبالتالي عملوا شيئا فشيئا على نقل تلك اللمسات الحضارية إلى داخل بلادهم مما ترتب عنه تسارع عمليات الاستقرار والتحصن في مراكز وقرى داخلية تنامت هي الأخرى حتى أصبحت حواضر كبرى للملوك النوميديين والموريطنيين عندما توفرت لها الظروف الملائمة⁽¹⁾.

(2) كانت اللغة اللوبية شفاهية قبل مجيء الفينيقيين إلى المنطقة، غير أنه باحتكاك السكان الأصليين باليونانيين واستعمالهم لكتابتهم التي كانت تختلف مع أصواتهم في مخارج بعض الحروف، ولذلك نراهم يقلدون الكتابة الفينيقية البونية حيث استخرجوا منها بعض الحروف وأضافوا إليها رموزا أخرى أصبحت تمثل الرموز اللوبية التي غالبا ما كانت كتابة جنازية في بدايتها. أما الكتابة الرسمية في فترة الملوك النوميديين فكانت هي الكتابة البونية واليونانية الحديثة، وفي هذا الصدد تظهر رسالة مها عيساوي، النقوش الليبية في شمال إفريقيا رسالة منكرة ماجستير نوقشت بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية جامعة قسنطينة سنة 2002 ص ص. 13 - 27.

(1) - Marcy G., l'épigraphie berbère numidique et saharien, Annales de l'institut d'études orientales, T.2, 1936 PP.101 - 113.



نصب يوضح كتابة لوبية

الشكل رقم 22

أما عن جانب المساهمة الثقافية البونية التي كانت منذ البداية تتصف بالامتزاج الثقافي فقد برزت ملامحها بشكل واضح أثناء حكم الملوك النوميديين الأوائل . من ذلك أن اللغات التي كانت متداولة في المدن الكبرى النوميديّة لم تخرج عن نطاق البونية واللوية ثم الإغريقية وبالطبع اللاتينية التي عمت المنطقة فيما بعد مصاحبة لاديولوجية الرومنة⁽²⁾.

ومن جهته كان الإغليد ماسنيسا وابنه مكوسن (مسيبسا) يدركان جيدا أهمية الانفتاح الثقافي ومد الجسور مع اللغات العالمية المتوفرة حينذاك دون أن يغفلا دور اللغة اللوية المحلية التي كانت تكتب برموزها الخاصة في فترتها، وفي هذا الصدد واعتمادا على المخلفات النقوشية، فإن اللغة الرسمية في المملكة النوميديّة والموريطانية حتى ما بعد تهديم قرطاجة ظلت هي البونية والبونوية الجديدة، مما جعلنا نستنتج بأن اللغة والكتابة البونية قد عمرتا طويلا سواء أكان ذلك في قرطاجة أو في الممالك النوميديّة إلى درجة أن القديس أوغسطين الذي عاش بعد خمس مئة سنة من تهديم قرطاجة كان يردد في فترته بأن سكان البادية المحاذية لمدينة عنابة ومدوروش وسوق أهراس كانوا لا يزالون حتى وقته يتكلمون البونية⁽¹⁾. وبعد قرن من وفاة القديس

(1) - Berthier A., Charlier L. R, le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine..., PP.18 - 26.

(2) - Saint Augustin de civitate, die éd. bardy combe 1959, P. 69.

أوغسطين كان مؤرخ الفترة البيزنطية بروكوبيوس (Procopius) بدوره قد أشار إلى أحفاد الكنعانيين الذين لا تزال بقاياهم الأثرية في المنطقة النوميديّة⁽²⁾.

وهكذا ندرك أن للامتزاج الثقافي الحضاري مكانته في التأثير على الوضع السياسي والعسكري (المقاومة) في الخلفية الليبية - النوميديّة التي وجدت في بلاد المغرب القديم سواء شمل ذلك الفترة السابقة لتأسيس مدينة قرطاج أو الفترة اللاحقة لها.

ولكي يتغلب الباحث على الصعوبات التي تعترض سبيله في لم أشتات موضوع التاريخ العسكري والمقاومة في الجزائر القديمة، خصوصا وبلاد المغرب القديم بصفة عامة، لابد من ربط المنطقة بجيرانها في كل من وادي النيل وجزر البحر المتوسط والصفة الشمالية للبحر المتوسط، وكل ذلك من خلال ما ورد في صلايات الفراعنة (ألواح الغنائم) التي كانت شخص ما يحصلون عليه من بلاد لوبة أثناء ردهم لغزوات شعوبها، ولعل أول من أشار إلى اسم ليبيا واللوبيين أو الروبيين هم جيرانهم المصريون، ورد ذلك فيما عرف بصلاية أو لوحة الملك العقرب ملك الوجه القبلي، الذي أشار إلى اسم الليبيين بعد ذلك في صلايته فصور هزيمتهم وسلب أموالهم واستعباد نساكنهم وأطفالهم، ثم وردت الإشارة بعد ذلك إلى الليبيين في كل من صلاية

(2) - Procope, Guerre des Vandales, trad. Dureau de la Malle dans l'Algérie ou manuel Algérien , éd. Firmin Didot, Paris 1852, pp. 242- 247.

الملك الفرعوني نعرمر، وكذا نصوص الأسرتين الثالثة والثانية اللتين حكمتا مصر خلال بداية الألف الثالث قبل الميلاد⁽¹⁾.

أما الكتاب والمؤرخون الإغريق الذين تناولوا المنطقة في كتاباتهم ويأتي على رأسهم شيخ المؤرخين هيرودوت الذي تحدث عن ليبيا بوصفها القارة الثالثة من قارات العالم المأهولة حينذاك على نحو ما فهم سابقوه ومعاصروه⁽²⁾.

ويشير نفس المؤرخ بعد ذلك في مكان آخر من كتاباته بأن ليبيا كانت قد سكنت بأناس من أصل ليبي يتجمعون في شكل قبائل متعددة ومتفرقة فيما عدا الأجزاء الساحلية منها التي كان يحتلها الإغريق (قرينة) (Cyrinaïque) ^(*) بليبيا الحالية، والفينيقيين إلى الغرب من ذلك⁽³⁾.

ووردت الإشارة أيضا إلى اسم الليبيين في كتاب التوراة (سفر التكوين) (13, X) وذلك تحت اسم "ليباهيم"، كما احتوى (سفر الوقائع) (3, VI) بدوره على تسمية الليبيين ووصفهم

(1) مصطفى عبد العليم دراسات في تاريخ ليبيا القديم الطبعة الأهلية بلغازي 1966 ص. 12.

(2) - Hérodote , Histoire , trad. par Pierre Henri Larchi , éd. François Maspéro, Paris ,1980, II, 32.

(*) قرينة (Cyrénaïca) هي مستعمرة إغريقية تعرف حاليا بالمرج، أسست سنة 560 ق.م. من قبل الإغريق بليبيا. وقد كان الهدف من تأسيسها هو مد خط وهمي بينها وبين صقلية بإيطاليا للحيلولة دون وصول القرطاجيين إلى سواحل الحوض الشرقي للبحر المتوسط، لمزيد من المعلومات أنظر :

- محمد الصغير غاتم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، مط. دار الهدى، الجزائر 2003، ص. 95.

(3) - Hérodote, II, 32.

بالجنود المحاربين ضمن جيش القائد الليبي فرعون مصر "شيشنق" (شيشنق) في معاركه ضد الملك العبراني "رحبعام بن سليمان الحكيم" (1).

ومن جهته يصف المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) الليبيين الأوائل على الشكل الآتي : " كان سكان إفريقيا الأوائل من الليبيين والجيتوليين وهم أقوام خشنون وبرابرة يتغذون بلحوم الحيوانات المتوحشة، أو بأعشاب المروج على شكل قطعان الماشية لا يحكمهم أمير ولا العادات أو القانون، بل كانوا يعيشون المغامرة ومتفرقين بحيث لا يتوقفون إلا إذا داهمهم ظلام الليل (2) .

من جهة أخرى أشير إلى الليبيين في الآداب اللاتينية من ذلك ما ورد في الأونيدة لفرجيل (Verjil) من إشارة إلى بعض المدن الليبية وأوصاف بعض الحيوانات مثل الدب الليبي (الأونيدة 1 - 2) (3) . ووصف الشاعر الإغريقي هوميروس بدوره ليبيا في ملحمة الأوديسة (85IV - 90) بقوله : " ليبيا تلك حيث توجد للخراف أقران (ج. قرن)

(1) سليم حسن، مصر القديمة، ج. 7، مط. دار الكتاب، القاهرة 1950، ص. 199 - 218.
(2) - Salluste, la guerre de Jugurtha, VII - II - I;
- يعرف عن سالوست بأنه كان متحيزا لبني جلدته الرومان ضد النوميديين ولذلك نراه يصف الملك يوغرطة بأنه كان بسلك في سياسته تعاطي الرشوة مع القناصل الرومان الذين كانوا يبعثون لشمال إفريقيا قصد محاربته، كما يوصف هذا المؤرخ بضعفه في الجغرافية وتحديد المواقع.
(3) فرجيليوس، الأونيدة، ترجمة كمال ممدوح وحمدى وجماعة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، 1971، ج. 1، ص. 82.

منذ ولادتها يملكها أمراء رعاة يعيشون على ألبان ولحوم الماشية التي تحلب كل يوم، ذلك لأنها تلد ثلاث مرات في السنة⁽¹⁾.
وفقا لما أشرنا إليه سابقا، وحتى يتسنى لنا تقييم العلاقات الفينيقية المغاربية من خلال ما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون الإغريق والرومان، وما اصفرت عليه نتائج التنقيبات الأثرية وكذا نصوص النقوش الكتابية، لابد أن نركز على علاقة قرطاجة وهي المدينة الهامة التي آلت إليها السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد تأسيسها وتطورها، ذلك لأن المستوطنات التي سبقتها كانت قد أسست من قبل تجار من بسطاء عامة الشعب كانوا لا يفكرون في الاستقرار في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد انتهاء مهمتهم التجارية المتمثلة في جلب المواد المصنعة ومبادلتها عن طريق المقايضة⁽²⁾. ومقابل ذلك الحصول على المواد الخام، لاسيما معادن الحديد والرصاص والقصدير من شبه جزيرة إيبيريا وكذا المواد الأولية الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من المغرب القديم مثل الملح وريش النعام وجلود الحيوانات والعاج. وكانت الوساطة التجارية بين حوضي البحر المتوسط هي مهمتهم الوحيدة⁽³⁾.

(1) - Decret F. et Fantar M., l'Afrique du nord dans l'antiquité, Payot, Paris, 1981, P. 15.

(2) - Hérodote Histoire, C X C VI, éd. François Maspéro, Paris, 1980, p. 261.

(3) - Harden D., the phonicians, éd. Thames and Hudson, London, 1963, p. 63.

أما مدينة قرطاجة فقد أسستها أميرة - تدعى عليسة - تنتمي إلى أسرة ملكية بمدينة صور، وقد جاءت بحاشيتها منذ الوهلة الأولى بهدف الاستقرار بعد النزاع الذي ساد بينها وبين أخيها بغماليون في مدينة صور بعد وفاة والدهما، ولا يستبعد أن يكون المكان الذي أسست فيه مدينة قرطاجة والمتمثل في خليج شمال تونس قد تعرف عليه الفينيقيون الأوائل وتبينوا مكانته الاستراتيجية في المنطقة، ولم يكن تأسيسها هناك اعتباطيا كما يعتقد البعض⁽¹⁾. ومع ذلك، فإن الباحث يقف عاجزا أمام بداية ونوعية العلاقات الفينيقية المغاربية المبكرة في غربي البحر المتوسط، فيما عدا بعض الإشارات التاريخية البسيطة التي يغلب عليها الأسلوب الأسطوري في كثير من الأحيان⁽²⁾.

وهكذا يمكن أن نقسم العلاقات القرطاجية - الليبية إلى مرحلتين أساسيتين، أولهما تبدأ منذ نشأة قرطاجة وتستمر حتى القرن الخامس ق.م، وثانيهما تمتد من هذا الأخير وحتى تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م.

(1) - La peyre G.G. et Pellegrin A., Carthage punique , éd. Payot , Paris, 1942 , p.9 et suiv.

(2) - Justin Histoire , T.2 , Livre 19 , trad. Jules Pierrot , aris, 1833,p. 35.؛
- كان جوسطن وهو الذي نقل لنا أسطورة عليسة وتفاقيّة شروط بناء مدينة قرطاجة بينها وبين
إيرباس Hyrbas ملك الليبيين إلخ.

أولاً- العلاقات التي تمتد منذ البدء وحتى القرن الخامس قبل الميلاد.

1. علاقة المصالح المتبادلة :

لعل أول إشارة إلى تلك العلاقات تكمن فيما ذكره المؤرخ الإغريقي تيمي (Timée) والتي نقلها عنه فيما بعد جوستان في مختصر ترواق بومبي ويستفاد من تلك الكتابات أو ما عرفت بأسطورة عليسة (Elissa) أن المغاربة القدماء كانوا في بداية الأمر قد رحبوا بالتجار الفينيقيين الذين وفدوا إلى بلادهم وذلك نظرا لأهدافهم السلمية التي كانت لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات⁽¹⁾.

ونظرا لهوية الفينيقيين السلمية، فقد قبلوا دفع ضريبة مالية سنوية للمغاربة القدماء عربونا للصدقة وإعطائهم الأمان وريعا للمكان الذي أسست فيه المدينة⁽²⁾. وقد دام ذلك الوفاق أو الاتفاق إن صح هذا التعبير بداية من تأسيس قرطاجة وحتى القرن الخامس ق.م تقريبا وهي الفترة التي تنقلب فيها قرطاجة إلى دولة مهيمنة على الحوض الغربي للبحر المتوسط⁽³⁾.

وبتقادم الزمن آلت بعض المراكز الفينيقية إلى مستوطنات ومدن قارة لها حرية السيادة في نطاق المنظومة العامة القرطاجية. وقد تجمع

⁽¹⁾ - Gsell St., Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord , T.I, éd. Hachette, Paris, 1913- 1928, pp. 468- 509.

⁽²⁾ - Cintas P., Manuel d'Archéologie punique , T.I , éd. A et J. Picard , 1970 , p. 11 et suiv.

⁽³⁾ - Gsell St., H. A. A. N. T. I , p. 460; GHAKI M., Recherches sur les rapports entre les phénico-numides (thèse de III cycle , Paris, 1979) p. 118

حولها المغاربة لتسويق بضائعهم المحلية المتمثلة في جلود الحيوانات وريش النعام والذهب وبعض المعادن الأخرى غير المصنعة. وبالمقابل كانوا يبتاعون من التجار الفينيقيين كل أنواع الزينة والعطور والأواني المصنعة الزجاجية والمعدنية وكذا الخزفية وكل ذلك كان يتم عن طريق المقايضة⁽¹⁾. وباستقرار الفينيقيين والمغاربة في أماكن قارة بدأ التفكير في استغلال المناطق الصالحة للزراعة والقريبة من أماكن الاستقرار. وهكذا استغلت كامل السهول الموجودة في رأس بونة شمال تونس وسهول شمال غرب تونس والشرق الجزائري، ثم سهول المغرب الأقصى الواقعة حول مستوطنة ليكسوس (Lixus) على المحيط الأطلسي⁽²⁾.

2. الديانة المشتركة :

أما الجانب الثاني الذي يبرز لنا ذلك الامتزاج فيتمثل في الجانب الديني، لاسيما في عبادة كل من المغاربة والقرطاجيين للإلهين بعل حامون وتانيت بني بعل⁽³⁾ وتعتبر هذه الأخيرة عند بعض المؤرخين إلهة مغربية تقابل الإلهة عشتار السامية في شرق المتوسط⁽⁴⁾. وقد أشير في نصوص النقوش البونية التي وجدت على النصب النذرية المقدمة في غالب الأحيان إلى الإلهين المشار إليهما مؤشرات تبرز مدى امتزاج

(1) - Hérodote , op. cit. , p. 261.

(2) - Cintas P., op.cit., pp. 12 - 19 .; Tarradell M., Lixus Institut , Muley El-Hasan tetuan 1959 , p. 41; Plin l'Ancien XIX , 63

(3) - Hvidberg Hansen F. O., La déesse T N T , une étude sur la religion canaanéo-punique 1979, T.2, I, Texte, PP. 14 - 19.

(4) - Cintas P., le Signe de Tanit dans archéologie vivante , vol-1 N°2 , Décembre 1968 , et Février 1969 , pp. 4 - 10.

المجتمعين النوميدي والبوني ثقافيا وروحيا، كذلك يستدل من وجود رسوم الكباش الذي يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس والتي وجدت في الرسوم الصخرية وكذا رسوم الخراف والثيران التي وجدت في بعض أنصاب قرطاجة وسيرتا وحدرومات (سوسة) على مدى استمرار العبادة المغربية القديمة العائدة إلى فترة ما قبل التاريخ وتعايشها مع العبادة السامية وهي ظاهرة تدل على الامتزاج الديني بين القرطاجيين والمغاربة القدماء⁽¹⁾. ولعل من بين مظاهر الامتزاج الأخرى الفينيقية المغربية نشير إلى مظاهر الدفن ونوعية المقابر والهياكل الجنائزية التي وجدت بالقبور الحجرية كالحوانيت والدولن التي وجدت معظمها في مجال التأثير القرطاجي البوني، وقد تمثل ذلك الإمتزاج في اللمسات المعمارية الشرقية التي وشيت بها خارجيا أبنية الأضرحة المغربية مثل ضريح المدراسن العائد إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ومثله ضريح دوجة ذلك الامتزاج وهو وجود الكسر والأواني الفخارية المغربية -البونية منتشرة في تلك المواقع الأثرية، لاسيما في كل من قبور جيجل ايجيلجلي (Ijiljili) وتيبازة بالجزائر وليكسوس بالمغرب الأقصى⁽²⁾. وهو إن دل على شيء فإنما يدل على تنمية ثقافة الخلود لدى المجتمع المغربي التي قد تكون منطلقاتها صرية⁽³⁾. (أنظر الشكل 23 ص.115).

(1) - Fantar M. H., les phéniciens en Algérie , en Tunisie et en Libye , Dossiers Histoire et archéologie , N°132, Novembre 1988 , pp. 92 - 95.

(2) - Cintas P., Fouilles punique à Tipasa , R. Af. XCII , 1948 , pp. 263 - 330.

(3) - Monter P., La vie quotidienne en Egypte de Ramsés , libraire Hachette, Paris , France ,1946, P. 221



ضريح دوجة الأثري

الشكل رقم 23

- نشير إلى أن المصريين كانوا قد آمنوا بعقيدة الخلود لكل البشر وعليه، فإننا نراهم يعتقدون بعمارته الجنائزية التي تمثلت في الأهرامات والمعابد والمدافن التي كانت محفورة في الصخور، وبالعكس منهم سكان بلاد ما بين النهرين الذين كانوا يعتقدون بأن الخلود سوف لن يكون إلا للآلهة وماعدا ذلك فالكل ينتابه الفناء، ذلك لأنها في رأيهم تمثل المستقر الدائم في الحياة الأخرى.

3- التبادل الاقتصادي :

استفاد المغاربة من الفينيقيين في صناعة الخزف، سواء باستعمال دولا ب الخزاف أو في تطور الرسوم الهندسية التي تبدو على ظهر الأنية الفخارية. علما وأنه كان يغلب على رسوم الأنية الفخارية المغربية قبل ذلك محاكاة الطبيعة، ثم تطورت بعد ذلك، فأصبحت بفضل القادمين الجدد تتخذ خطوطا وأشكالا هندسية وفقا لما كان سائدا في فخاريات شرقي المتوسط وحتى شكلها ومظهرها قد تحسنا. وبذلك أصبحت الأواني المغربية الفخارية تظاهي تلك الأجنبية المعاصرة لها والموجودة في كل من بلاد الإغريق وشرقي المتوسط⁽¹⁾. وعلى ضوء الملاحظات السابقة يتبين لنا بأن العلاقات الفينيقية المغربية كانت علاقات سلمية اقتصادية دينية استفاد منها المغاربة في الخروج من عزلتهم التي كانوا يعانونها في جزيرة المغرب منذ فترة ما قبل التاريخ. كذلك عرف المغاربة بفضل احتكاكهم بالفينيقيين نظام الاستقرار وتأسيس القرى والمدن وزراعة بعض الأشجار مثل الكروم والتين والرمان وتلقيح أشجار الزيتون البري التي كانت موجودة ببلادهم.

(1) - Camps G., op-cit., P.72 .

وهكذا قد استغلت معظم السهول الساحلية التي كانت متوافرة حول المدن والمحطات الساحلية التي تجمع فيها السكان المحليون والقادمون الفينيقيون، وبذلك بدأ الاقتصاد المغربي البوني لا يعتمد على التجارة فقط بل أضيف إليه الاعتماد على الزراعة إلى درجة أنه برع بينهم علماء في ميدانها نذكر من بينهم العالم ماغون (Magon) الذي ألف موسوعة تتكون من 28 جزءا ضمنها خبرة القرطاجيين في فن الزراعة، وقد قدم نصائحه في كيفية زراعة الأشجار المثمرة وتربية الحيوانات كما طلب ممن يزاول مهنة الزراعة أن يتفرغ لها وقد ورد ذلك في إحدى كتاباته : "... ينبغي على من يشتري أرضا زراعية أن يبيع بيته في المدينة حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة الأكيدة التي تدفعه إلى عبادة آلهة منزله في المدينة بدلا من عبادة آلهة الريف والمرئ الذي يجد متعة أكبر في المدينة ليس بحاجة إلى إمتلاك أرض في الريف" ⁽¹⁾. إلى جانب ذلك استغل البونيون والسكان المحليون أخشاب المنطقة في استصلاح السفن وبناء قوارب جديدة ⁽²⁾.

⁽¹⁾ هشام الصفدي، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر، مجلة الأصالة العدد 26، ماي، جوان الجزائر، 1972، ص. 65.

⁽²⁾ - Plin l'ancien, histoire naturelle, livre XVIII, 35, éd. Rackham, loeb classical library 1938 ; R. Viliard « La vigne dans l'antiquité » Lyon 1913, PP. 7-346 ;

- ترجم كتاب ماغون إلى اللاتينية ثم استفاد منه الرومان في إصلاحاتهم الزراعية فيما بعد.

هذا إلى جانب أخذهم حروف الكتابة البونية التي كانت سببا في دخولهم إلى الفترة التاريخية وكذا النظام السياسي المتمثل في نظام السوفيت (Suffète) أي القضاة الحاكمين⁽¹⁾.

ولضمان هيمنة قرطاجة التجارية في شمال الحوض الغربي للبحر المتوسط، تحالف القرطاجيون مع الاتروسكيين، ثم فرضوا سيادتهم على التجار الإغريق والرومان، ولتأمين سير التجارة ارتبطت قرطاجة مع روما بمعاهدتين كانت أولاهما سنة 509 ق.م والثانية سنة 348 ق.م. وقد نص في هاتين المعاهدتين على حق قرطاجة في احتكار تجارة الحوض الغربي للبحر المتوسط، والتزم الرومان وحلفاؤهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئهم قبل أخذ إذن القرطاجيين⁽²⁾. وقد بقي الأمر على ذلك حتى النصف الثالث قبل الميلاد وذلك عندما فقدت قرطاجة سيادتها على صقلية وإسبانيا ثم انكمشت حدودها السياسية عقب الحرب البونية الثانية فقد اقتصر ت على شمال تونس⁽³⁾.

(1) - Moscati S., L'épopée des phéniciens, éd. Fayard, Paris, 1971, PP. 251-253 ;

- محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية. مط. دار الأمة الجزائر 1998، ص. 210.

(2) - The cambridge Ancient history vois 4, Cambridge, university press, 1964, P. 349.

(3) شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ط. بوسلامة، ج. 1 ص. 91؛

4. الشعور بالمصير المشترك :

استمرت علاقة سياسة المصالح المتبادلة خلال القرون الأولى من تأسيس مدينة قرطاجة، غير أنه في بداية القرن السادس قبل الميلاد وأمام الزحف الإغريقي نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط ومنافستهم للقرطاجيين، في صقلية وقرينة بليبيا ازداد الالتحام بين التحالف الليبي القرطاجي، وحسب المؤرخ توسوديدس (Thucydides) : "... فإن الفينيقيين كانوا قد احتلوا مراكز متقدمة في البحر حول كامل أرجاء صقلية، كذلك احتلوا الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشاطئ لكي يمارسوا التجارة مع الصقل (Sekeles) . وقد تجمعوا فيما بعد في غربي الجزيرة في كل من معطية وبانوراموس قرب الإليميين (les Elymes)، ذلك لأن هؤلاء الفينيقيين قد تمسكوا بتحالفهم مع الإليميين من جهة ولأن المسافة من هناك إلى قرطاجة تكون أقصر مما هي عليه من الجزء الشرقي⁽¹⁾ . وهناك من المؤرخين المحدثين من يعترض على رأي توسوديدس الأنف الذكر مفضلا الإشارة إلى استراتيجية موقع الجانب الغربي الجنوبي من صقلية بالنسبة لمدينة قرطاجة الواقعة في الضفة الجنوبية من البحر المتوسط، والتي يمكن أن تتحكم مع صقلية في بوابة الدخول والخروج من الحوض الغربي للبحر

(1) - Thucydides la guerre du Péloponnise, éd. Gallimard 1964, 1, 13 ; 3, 50.

المتوسط⁽¹⁾. ولم تضعف مكانة القرطاجيين في صقلية إلا بعد تأسيس مستوطنة قرينة بليبيا، ومد خط وهمي بينها وبين صقلية للحيلولة دون إبحار الفينيقيين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وكذا الضربات التي تلقتها على يد الإغريق الذين قادهم الطغاة الذين حكموا مدينة سيراكوزة بصقلية.

وحتى يقف القرطاجيون وحلفاؤهم المغاربة في وجه المد الإغريقي أسسوا في الطرف الجنوبي الغربي من جزيرة صقلية كل من بانوراموس (Panoramos) وسولكيس (Sulcis) وغيرهما من المحطات التي كانت تكوّن مع قرطاجة في الطرف الآخر من البحر المتوسط حاجزا منيعا يمنع دخول الإغريق إلى الحوض الغربي من البحر المتوسط الذي كان يعتبر بحيرة قرطاجية حينذاك.

غير أننا نلاحظ بأن المؤرخين القدماء لم يزودوا من جاء بعدهم إلا ببعض المعلومات المتناقضة على مراحل السيطرة القرطاجية على السواحل الشمالية للبحر المتوسط، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الإغريقي ديودورس الصقلي أن القرطاجيين كانوا قد وضعوا يدهم على جزيرة إيبيسا (Ibiça) التي هي إحدى جزر الباليار وذلك بعد 160 سنة⁽²⁾ بعد تأسيس مدينة قرطاجة، مما يجعلنا نعتقد بأنه منذ

(1) - Warmington B. H, Carthage , Pélican books , London 1964, sans date, P. 221; Decret F., Carthage ou l'empire de la mer, éd. du seuil, 1977, PP. 38-41 ; Diodore de Sicile, V, 20, 1.

(2) - Diodore de Sicile V, 16. ; Strabon III, 5, 1 ;

نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد كانت ايبيسا مرفأ فينيقيا تجاريا وحربيا كما مد الفينيقيون نفوذهم إلى كل من سردينيا وكورسيكا، واستولوا على ماسيليا (مرسيليا جنوب بلاد الغال) (Marseille) وفقا لما ذكره ثوسوديدس وذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك كان الفينيقيون منذ وصولهم إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط قد أسسوا على سواحل الجنوب الغربي لشبه جزيرة ايبيريا مدينة قادس، وذلك وفقا لما ذكره ديودورس الصقلي الذي قدم لنا صورة واضحة عن ثروات شبه جزيرة ايبيريا من المواد الخام التي أسالت لعاب التجار الفينيقيين، حيث كانت تحتوي على كميات وافرة من مناجم الفضة والنحاس والقصدير التي كان السكان يجهلون استعمالها، ولكن التجار الفينيقيين الذين حلوا بالمنطقة كانوا يحصلون عليها مقابل البضائع القليلة التي كانوا يجلبونها معهم من بلاد الإغريق وآسيا، ومن بعض الشعوب الأخرى وقد حصل الفينيقيون من وراء ذلك على ثروة كبيرة، كما أن ممارستهم لتجارة المعادن لمدة

- لاحظ بأنه وجدت بجزيرة ايبيسا عدة قبور بونية وعثر فيها على لقى لثروة تبين بعد دراستها بأنها شبيهة بتلك التي عثر عليها بقبور مدينة قرطاجة والعائدة إلى نفس الفترة.

(1) - Gsell St., H. A. A. N, T.1, PP. 423-426; Romany J. Calvet, corpus des inscriptions semiticarum I, 266; Tite - live 23, 37.

طويلة زادتهم قدرة وبالتالي سمحت لهم بتأسيس عدد من المستوطنات سواء في صقلية أو الجزر القريبة منها⁽¹⁾.

نستخلص من كل ما سبق بأن الفينيقيين كانوا منذ الوهلة الأولى قد وضعوا يدهم على كامل سواحل البحر المتوسط الشمالية والجنوبية، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار تأسيس مدينة ليكسوس بالمغرب الأقصى على المحيط الأطلسي، الأمر الذي يخول لها مع قانس التحكم في الدخول أو الخروج إلى البحر المتوسط من خلال بوابته الغربية المطلة على المحيط الأطلسي، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن القرطاجيين خملكان (Himilcon) وحانون (Hannon) كانا قد انطلقا في رحلتهم خلال القرن الخامس قبل الميلاد إلى كل من جنوب بريطانيا ووسط غرب إفريقيا (الكامرون) مستعينين في ذلك بالمدينتين المشار إليهما آنفا⁽²⁾. وفي هذا المجال نشير إلى أن قرطاجة كانت قد عملت على تجنيد المرتزقة من أبناء المناطق التي كانت تتعامل معها، ولا غرو أن يتضمن ذلك أبناء المغاربة الذين كانوا يعتبرون الحلفاء الطبيعيين للقرطاجيين⁽³⁾.

(1) - Diodore de Sicile, Tome V. 25; Veleius paterculus, histoire romaine , 1, 2, 3 et suivie d'après , Cintas P. Manuel d'archéologie punique , T. 1 éd. A et J. Picard, Paris, 1970, P. 253

(2) - Désange J. Utica, Tunesca et la Cirta de Salluste , dans mélanges offerts a proger, Dion , Paris 1974, PP. 143- 150 ; recherche sur l'antiquité des méditerranéens aux confins de l'Afrique , école française de Rome , palais farnes Italie 1978, PP. 161- 173.

(3) - Ibid , PP. VIII- IX.

5. التصدي لإغريق قرينة بليبيا :

أخلص المغاربة في بداية الأمر في تعاملهم مع القرطاجيين ووقفوا إلى جانبهم في كل المعارك التي خاضوها ضد الإغريق سواء أكان ذلك في كورسيكا (معركة الأليا - Alalia) سنة 535 ق.م وذلك ضمن الاتحاد الإيترووسكي القرطاجي، وحتى في صقلية نفسها. كما وقفوا معهم ضد الزحف الإغريقي غرب برقة (Cyrène) بليبيا⁽¹⁾ وذلك عند تأسيس دوريوس (Dorieus) الأسبرتي مستعمرة⁽²⁾ بليبيا عند مصب نهر كنييس (Kynips) وهو وادي كعام الحالي بليبيا وقد اعتبرت قرطاجة ذلك التأسيس والتوسع الإغريقي بليبيا اعتداء على سيادتها الشرقية وقد تمكنت خلال ثلاثة أعوام من الكفاح بمساعدة اللوبيين بوضع حد للإغريق في برقة وترسيم حدودها معهم⁽³⁾، وكان عبء تلك الحرب ثقيلا على قرطاجة حيث أنها اعتمدت بالدرجة الأولى على مواطنيها، غير أنه في بداية القرن السادس قبل الميلاد بدأت تعتمد على الجيش المرتزق على نطاق واسع. وقد كان الليبيون يمثلون أكثرية في ذلك الجيش، لاسيما وأن كتائب الفرسان النوميديين والموريطنيين فيما بعد كانوا خفيفي الحركة.

(1) - Hérodote Histoire , 168 , p. 251 ; Warmington B. H, Histoire et civilisation de Carthage , éd. Payot , Paris 1961 , p. 53.

(2) - Diodore de Sicile , bibliothèque, hist , trad. par A. F. Miot. Paris 1934, XX, 38, 39 et 55, 57.

(3) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص ص. 57 - 60.

وتجدر الملاحظة إلى أن المرتزقة الليبيين النوميديين كانوا قد شاركوا في الجيش القرطاجي كحلفاء وفقا للمعاهدات التي كانت بينهما وبين الدولة القرطاجية، وكمرتزقة فيما بعد ضمن جيشها المرتزق الذي كان يتكون من الايبيريين والغالين والإغريق وحتى الرومان. ومن دون المرتزقة كانت قرطاجة لا تستطيع أن تتحمل الحروب وذلك لمحدودية عنصرها الفينيقي في بلاد المغرب القديم⁽¹⁾.

أمام توسعات قرطاجة شرقا نحو ليبيا وقضاها على محاولة توسعات دوريس، حاول الطاغية جيلون (gilon) حاكم جيلا (Gela) بصقلية أن يفتح عليها جبهة ثانية انتقاما لدوريس وذلك سنة 485 ق.م. غير أن قرطاجة ردت على ذلك، وهكذا نراها ترسل حملة بقيادة ماغون سنة 480 ق.م.، إلا أن حملتها تلك منيت بهزيمة شنعاء⁽²⁾.

ثانيا: العلاقات اللاحقة لما بعد القرن الخامس ق.م.

1. أصول بداية تكوين الجيش القرطاجي:

كان باديا أن قرطاجة أثناء تاريخها بداية من نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، أنها كانت دوما تبحث عن السلم، ذلك السلم الضروري جدا لمؤسساتها الاقتصادية، ولم تكن التجارة لتزدهر في زمن الحرب. ولكي تسيطر المدينة القرطاجية وتضفي طابعها التجاري الاقتصادي

(1) - Tite- Live, Histoire romaine XI, XVII.

(2) - Nicolet C., dans Rome et conquête du monde méditerranéen. Genèse d'un empire presses universitaires, Paris 1978, PP. 595 – 596.

والسلمي، كانت تعرف كيف تجعل أهل البلاد يتقبلونها دون أي تردد في فتح الأبواب لهم واقتراح ثقافتها وتجارها في مجالات التقنية والدين والسياسة والإدارة والحياة الاجتماعية ونتج عن ذلك تأقلم ثقافي وتكيف واستيعاب مع الوسط الذي كانت توجهه المدينة الفينيقية التي أسستها ذات يوم الأميرة عليسة⁽¹⁾.

ومع الدول المنظمة والطموحة والمنافسة لها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لم تدخر قرطاجة جهدا لحل المشاكل الشائكة بالطرق السلمية وامتصاص النزاعات في بداية تاريخها وذلك باقتراح حلول توافقية من خلال التفاوض وتوقيع المعاهدات، والبحث عن تسوية تجنبها الحرب وتؤول إلى اتفاق يرضي الطرفين⁽²⁾.

وبالرغم من تلك السياسة السلمية التي كانت تطبيقها قرطاجة منذ نشأتها فإنها لم تستطع أن تتجنب الخصومات بينها وبين منافسيها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولذلك كان يجب التحقق والنظر بعمق لكل الخلافات التي تدب في المنطقة سواء في الداخل أو الخارج. وكان السلاح والجيش ضروريين لردع التمرد والمغامرين لضمان حماية المدينة ومناطق نفوذها ورعاياها وحلفائها. لاسيما منذ القرن السادس ق.م. وكان يجب كذلك الحرص على التنقل الحر في البحر

(1) - Harden D., The phoenician, Thames and Hudson, London 1963, PP. 124-136.

(2) - Decret F., Carthage ou l'empire de la mer, éd. du seuil 1977, P. 73.

المتوسط، ذلك التنقل الضروري جدا لازدهار التجارة وهي المورد الذي لا ينضب للثروة القرطاجية في بداية أمرها⁽¹⁾.

والخلاصة أنه كان على مدينة الأميرة عليسة ضمان السلم في المدينة وداخل الإمبراطورية وفي نفس الوقت السيطرة على كل احتمال للتمرد لدى بعض الطموحين داخل سدة الحكم للاستيلاء على السلطة وفرض طغيانهم، وكذا بعض المغامرين الأجانب الذين كانوا يداهمونها من حين لآخر. ولم يخل تاريخ قرطاجة لا من التمردات القبلية، ولا من محاولات الانقلابات، وعليه كان على قرطاج منذ القرن السادس قبل الميلاد بعد أن آلت إلى إمبراطورية أن تتدخل وتحمل أعباء ثقيلة لكي تقضي على التمردات دون أن يكون هناك ضحايا وآلام وخسائر ثقيلة في بعض الأحيان في الأنفس والممتلكات. ولكي تتجنب قرطاجة ذلك كان عليها أن تمتلك جيشا مجهزا تجهيزا لانقا ومع ذلك فإنها لم تكن القوة الوحيدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فهناك دول أخرى في المنطقة تريد أخذ مكانها وحصتها من الثروات المتاحة هي الأخرى⁽²⁾.

لقد نازعت المدن الإغريقية دوما وعبر تاريخها في صقلية قرطاجة في الوصاية والتنافس الاقتصادي على الحوض الغربي للبحر المتوسط وشمال إفريقيا وكذا أسبانيا وسردينيا.

(1) - Brisson J. P., Carthage ou Rome.? Paris Fayard, coll. "les grandes études historiques" 1973, PP. 221 - 274.

(2) - Picard G. et C, La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, paris Hachette 1958, PP. 175- 179.

بناءً على ذلك كانت قرطاجة دوماً متحفزة وتبحث عن استغلال أي ضعف في منافسيها لتتغلغل في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ولقد استعرضنا ذلك خلال حديثنا عن محاولات دوريس وبقيّة حكام مدينة سيراكوزة في صقلية أثناء القرن السادس قبل الميلاد. لقد حاول أولئك المغامرون تأسيس مستوطنات في صقلية ومستوطنة دوريس قرب لبتيس ماغنا بقرينة بليبيا. وقد أراد الفوسيون بدورهم التغلغل في جزيرة كورسيكا لتضييق الخناق على الأسطول التجاري القرطاجي والاقتراب من السواحل السردينية. مما ترتب عنه محاربة الوصاية القرطاجية أو البونية لإغريق صقلية وخاصة إغريق أقرجنتي وسيراكوزة⁽¹⁾.

وقد كانت مدينة أثينا هي الأخرى تريد خوض حرب ضد قرطاجة، وهو مشروع قديم يعود إلى عهد بركليس. ووفقاً لذلك استمر الصراع الإغريقي البوني متقطعاً، فترات سلم وتعاون تتلوها فترات توتر ومواجهة. وأمام ذلك كان على قرطاجة أن تحمي نفسها ومستوطناتها من خصومها الذين يحسدونها على قوتها وثرواتها. حيث أن العدو لم يلق السلاح أبداً ولا يوقع السلام إلا منتصراً أو خاضعاً مهزوماً، ولم تكن قرطاجة لتستطيع تجنب الحرب، لهذا كان من الضروري عليها أن تكون جيشاً قوياً يحفظ لها الاستمرارية، خاصة

(1) - Nicolet C., Rome et la conquête du Monde méditerranéen 2/genèse d'un empire, presse universitaire de France, Paris 1978, PP. 600-602.

منذ القرن الثالث قبل الميلاد، حيث ظهرت هناك قوة أخرى تتمثل في الرومان الذين تقبلوا العيش بسلام قبل ذلك مع القرطاجيين من خلال اتفاقيات يعود أقدمها إلى سنة 509 ق.م.، لكنهم فضلوا اللجوء إلى السلاح لحل مشاكلهم منذ القرن الثالث قبل الميلاد وهذا ما دعا قرطاجة لأن تكون بحاجة ضرورية إلى جيش متنوع كامل التجهيز كان جله من المغاربة القدماء⁽¹⁾.

2. جيش محترف من الليبيين - الفينيقيين :

وعلى هذا الأساس كانت قرطاجة خلال كل العهود مجبرة أن تجند الرجال وتؤطرهم بخبراء أكفاء وتجهزهم بأسلحة هجومية ودفاعية لكي يكونوا جاهزين عند الحاجة.

ولمعرفة الجيش والحرب في العالم البوني فإن الكتابات الإغريقية الرومانية تبقى المصدر الأساسي. إن أكثر ما تطالعنا عليه تلك الكتابات هو ما يخص المعارك وكذا الجيوش و الجند وأصولهم العرقية، والإطارات وكفاءاتهم ونقاط ضعفهم من حيث الاستراتيجية وضبط الخطط، ولكن بما أن المؤرخين الرومان والإغريق كانت لهم كتابات معادية ومنحازة في أغلب الأحيان، فإنها تظهر القرطاجيين وحلفائهم

⁽¹⁾ - Polybe, I, 70- 88.

المغاربة القدماء دوماً في أسوأ حالاتهم وينعتون بالضعف حتى ولو كانت الوقائع والانتصارات لصالحهم⁽¹⁾.

إن الكتابات الإغريقية والرومانية لها اتجاه واضح في خدمة قضية الهلينية (الأغارقة) والرومنة. ففي معركة هميرا مثلاً لم يتردد هؤلاء المؤرخون في التركيز على تفوق الجيوش الإغريقية على القرطاجيين، بينما على العكس من ذلك تظهر الأحداث اللاحقة أن القرطاجيين كانوا قد قاوموا واستطاعوا المحافظة على مواقعهم بصقلية⁽²⁾.

نفس الشيء بالنسبة للكتابات اللاتينية التي اتجهت لتفسير الانتصارات القرطاجية ووصفتها بالخيانة وقلة الإيمان أو المداهنة وليس بالشجاعة والعبقرية العسكرية. وقد قدمت تلك الكتابات حنبعل للرومان على أساس أنه وحش عديم الذمة لا يتردد في الجريمة ليسحق خصمه وليس كعبقري عسكري شجاع⁽³⁾.

وعندما نتناول موضوع القادة القرطاجيين، فإن المؤرخين الإغريق والرومان يظهرون الكراهية لهؤلاء القادة، ويمكن أن يكون الأمر بالعكس من ذلك لو توفرت الكتابات البونية التي لم يبق مع الأسف

(1) هشام الصفدي تاريخ الرومان، الجزء الأول، مطر دار الفكر الحديث، لبنان 1967، ص.ص. 155-152.

(2) Polybe I, 44, 27, 46, 1.

(3) هشام الصفدي، المرجع السابق، ص.ص. 176-171.

شيء تقريبا منها بعد تدمير مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م.. لقد كان بإمكان القادة القرطاجيين مثل حنبعل أن يدونوا يوميات جيوشهم ووصف انتصاراتهم ويمكن أن يكونوا قد فعلوا ذلك، غير أن احتراق مكتبة مدينة قرطاجة أثناء التدمير المشار إليها أنفا جعل تلك الكتابات تضيع⁽¹⁾. ومع ذلك فإنه لا بد من الاعتماد على الكتاب الإغريق والرومان مثل بوليبيد وتيت- ليف في وصفهم للجيش القرطاجي وعدده وعدته.. الخ.

كما أنه في غياب الكتابات المحايدة لا بد من ربط الصلة فيما يخص الجيش القرطاجي بالمصادر المادية (الأثرية والنقوشية) وكذا الأسلحة التي استعملت في الحروب والفخاريات سواء تعلق الأمر باللقى الموضوع في القبور (الخناجر، والسيوف، ثم الرماح، والخوذات، وكذا الدروع... الخ) أو تعلق الأمر بالدراسة الزخرفية للنصب أو النقش على العاج والجواهر ثم الرسم، وهناك من ناحية أخرى تتمثل في بقايا أثار القلاع البونية، لاسيما تلك المكتشفة بمدينة كركوان برأس بونة وقرطاجة ثم سردينيا⁽²⁾.

هذه إذن هي المصادر التي يمكن للمؤرخ أن يتوجه إليها ليحاول رسم ملامح الجيش القرطاجي الذي كان جله يتكون من المغاربة

(1) - Walter G. , La destruction de Carthage , éd. Albin Michel, paris 1947, PP. 501 - 506; Appian , Lib., 127- 131 ; Polybe XXX VIII, 19 et 20.

(2) - Harden D., op. cit., PP. 66-75.

القدماء، إضافة إلى أولئك الذين هم من اصل فينيقي، ولا يمكننا نكران الصعوبة في تتبع ملامح جيش كان عليه أن يتأقلم ويتبنى تطورات عالم البحر المتوسط من حيث التجهيزات والتقنية المستعملة في تشكيل الجيوش.

3. دواعي تجنيد الفرق المرتزقة :

يبدو أنه من الضروري أن يكون لقرطاجة جيشا يمكن أن نصفه "بالمترق" أي أنه متكون من جنود خرجوا من صلب السكان القرطاجيين والمغاربة وجنسيات أخرى. ولقد حارب الجنرال ملخوس في إفريقيا وسردينيا على رأس جيش من البونيين. ولما تعرض ذلك الجيش للهزيمة في صقلية عوقب من قبل سلطة مجلس الشيوخ في مدينة قرطاجة، وحول هذا الموضوع يذكر المؤرخ س. جزيل تلك الحادثة قائلا "إن العقوبة لا تفسر إلا بأن الأمر يتعلق بمواطنين قرطاجيين ومترزقة⁽¹⁾". وعندما يئس المعاقبون من رحمة دولتهم قرروا أن يتولى جنرالهم لقب السلطة القائمة في مدينة قرطاجة، لكن تلك المحاولة انتهت

(1) كان الحل والعقد في تسيير شؤون مدينة قرطاجة بيد المؤسسات الدستورية مجلس الشيوخ ومحكمة المئة، فهما اللذان يفوضان للسوفيت وقادة الجيش ما يجب القيام به، وهما اللذان يصدران العقاب في حالة التقصير والجزاء في حالة القيام بالواجب على الوجه الأكمل؛
- Picard G. et C. , La vie quotidienne a Carthage ..., PP. 205 - 212 ;
- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي - البوني في الجزائر، مط. دار الهدى 2003، ص. 93 - 97.

بالفشل وانتهى ملخوس بالاستسلام لأولئك الذين اتهموه بالتطلع إلى
الطغيان⁽¹⁾.

عندما حاول المغامرون الإغريق انتهاج سياسة التوسع ببرقة
بليبيا استطاعت قرطاجة أن تسخر جيشا من المواطنين الذي أتوا
للدفاع عن وطنهم ومصالحه وقد تحالفوا مع السكان الأصليين الماسيل
بإفريقيا ضد الإغريق ببرقة. كما أسندوا مهمة مقارعة الأبطال
الإغريق لمواطنين إثنين الأخوين (فلان) (Phelène)، وقد فازا بالسباق
ورضيا بالدفن في نهاية السباق بنفس المكان الذي التقيا فيه
بخصميتهما. إن قصة الأخوين (فلان) والتي أشاد المؤرخ الروماني
سالوست Salluste بشجاعتها ووطنيتها توحى بوجود جيش
قرطاجي يتكون أساسا من مواطنين مستعدين للموت من أجل وطنهم
ويبدو أن مواطنين قرطاجيين شاركوا في جل الحروب بصقلية⁽²⁾. وقد
شهدت الكتابات القديمة على وجودهم إلى جانب المرتزقة سنة
480 ق.م.، وفي سنة 398 ق.م. عندما هاجم دونيس السيراكوزي
صقلية البونية، فاوض هميلكار المهزوم حول عودة مواطنيه مقابل 300
تالنت وأبحر بهم ليلا على 40 مركبا عائدا بهم إلى مدينة قرطاجة⁽³⁾.

(1) - Diodore de Sicile X, X, 106,5, 109, 4.

(2) - Salluste, la guerre de Jugurtha, trad. Richard F., éd. Grenier
Flammarion, Paris 1966, XXIII; Gsell ST., H. A. A. N., T. 2, PP. 112- 118.

(3) - Polybe, I, 67, 4; Plutarque, Timolean, 29, Diodore XVI, 18, 1.

وفي سنة 339 ق.م. احتوى الجيش القرطاجي الزاحف على الطاغية (تيموليون) 10 آلاف مواطن قرطاجي ينتمي بعضهم إلى العائلات الأكثر جاها وثراء. والذين كانوا يشكلون جيش النخبة التي تدعى "الفيلق المقدس"⁽¹⁾.

بعد عدة سنوات من ذلك جمعت قرطاجة جيشا من مختلف المواطنين من الشرائع الاجتماعية في حملة على صقلية، ولكن عاصفة صادفتهم في عرض البحر مما أدى بهم إلى خسائر معتبرة في الأرواح والعتاد. وفي الحرب الرومانية- القرطاجية الأولى، وعند غزو القائد الروماني ريغولوس لشمالي إفريقيا 256 ق.م. سلمت قرطاجة قيادة الكتيبة القرطاجية للقائد ملقارت وإلى جانب الانخراطات الظرفية هناك من المواطنين القرطاجيين من اختيار المهنة العسكرية، وحسب أرسطو فإن الضباط القرطاجيين كانوا يلبسون خواتم بعدد الحملات التي شاركوا فيها⁽²⁾.

حينئذ نستنتج أنه إذا كانت قرطاجة في بداية تاريخها قد اعتمدت أساسا على سكانها الليبو- فينيقيين باعتبارها مدينة دولة للدفاع عنها، فإنها أجبرت على اللجوء إلى المرتزقة وذلك منذ القرن السادس ق.م.، ذلك لأنها كانت تعي ضعف سكانها العددي ولم تكن قرطاجة

⁽¹⁾ - Gsell, St. H. A. A.N., T.II, P.346.

⁽²⁾ - Sznycer M., Les passages puniques en transcription Latine dans le poemulus de Plaute, paris 1967, PP. 331 - 346.

لتوجد دون البونيين (*) الذين تجب حمايتهم ضد مخاطر الحرب،
ويبدو أن سياسة الارتزاق قد اعتمدت منذ اعتلاء العرش القائد
ماغون وحلفائه لذا كان يجب توفير إمكانية العيش بأمان وسط
العائلات للمواطنين حتى يهتموا بكل ما يصنع عظمة الوطن، لقد
استوجب الأمر على السوفيت (الحاكم) القرطاجي أن يجند جيشا من
المرتزقة هدفه الأساسي الانتصار في الميدان لكي تكون لديه مغريات
تتمثل في تقاسم الغنائم والجراية المعاشية التي يتقاضاها المرتزق، ولا
يعرف شخصا آخر سوى القائد الذي يقوده للنصر. لقد كان ماغون
وخلفاؤه بحاجة إلى أداة يستطيعون استعمالها لبناء أو تحطيم الدول
وفرض المسار الذي يريدون السير فيه⁽¹⁾. وقد بدأت الإشارة في
الكتابات الإغريقية إلى تواجد مرتزقة لأول مرة في الجيش القرطاجي
وذلك عندما تعرضت تلك الكتابات لمعركة هميرا سنة 480 ق.م. التي
قادها هملكار الماغوني⁽²⁾.

لقد وصف هيرودوت "الجيش القرطاجي أنه كان مكونا من
الفينيقيين، والسردنيين والقرينيين يقودهم القائد هملكار بن حانون
ملك القرطاجيين، ولم تكن سياسة الارتزاق اختراعا قرطاجيا، بل أن

(*) مصطلح بوني: يعني امتزاج القادمين الجدد الفينيقيين بعد امتزاجهم بالسكان الليبيين الذين
وجدوهم في المنطقة أمامهم. وبالتالي فإن مصطلح بوني في جوهره يعني سكان قرطاجة
والمستوطنات المستقلة ذاتيا والناطقة لها اسميا، لاسيما عندما يداهمها الخطر فإن قرطاجة
مسؤولة عن الدفاع عنها، ذلك لأن تلك المستوطنات تعتبر مجالا حيويا سياسيا لمدينة قرطاجة.

(1) - Diodore de Sicile XX, 10, 3; Polybe I, 73, 1; 75, 2; 78, 9.

(2) - Nicolet C., op.cit., P. 552.

الممالك الشرقية في بلاد ما بين النهرين عملت هي الأخرى بهذا الأسلوب في الألفية الثالثة قبل الميلاد ، وكانت جيوش الفراعنة هي الأخرى تتكون في أغلبها من المرتزقة وخلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد جندت المدن الإغريقية مرتزقة إغريق. وكان المرتزقة حاضرين في جيش داوود بفلسطين وكذلك الأمر بالنسبة للمدن الفينيقية في شرق البحر المتوسط مثل مدينة صور وصيدا وجبيل⁽¹⁾.

لقد لجأ ماغون للاستفادة من مجموعة من التجارب الشرقية: مصرية كانت أو أكادية آشورية وكذا إغريقية لمعرفة تنظيم الجيش المرتزق، وقد اعترف له جوستان (Justin) بفرض الانضباط العسكري حيث علق قائلا "لقد تعلق الأمر بجنود كان عليهم أداء الخدمة في إطار منظم وانضباط يمليه القائد المسؤول عن تجنيدهم ومقابل ذلك كان عليهم الطاعة التامة حتى نهاية الحرب التي جندوا من أجلها"⁽²⁾.

وفي إطار الحروب ضد الإغريق أو الرومان أو حتى ضد التمردات الداخلية، كان المرتزقة القرطاجيون يؤدون وظيفتهم، وقد رأينا ذلك خلال معركة هميرا في سنة 480 ق.م.، حيث كان ضمن جيش هملكار الماغوني : ليببون وايبيريون وليفواريون وصقليون وسردينيون وقرينيون.

(1) - Gsell St. , H. A. A. N., T. III, PP. 252-337

(2) - Warmington B. H., Carthage , Londres R. Hale and Ca, 1960, PP.128-131. ; Justin XX, 2, 5-6.

ولتجنيد المرتزقة يعين مفوضون كما وقع في سنة 398 ق.م وذلك عندما قرر دونيس السيراكوزي الهجوم على صقلية البونية . وخلال الحرب الرومانية - القرطاجية عندما قرر القائد الروماني ريغولوس نقل الحرب إلى إفريقيا كان عليه قبل التحرك أن يرسل إلى اليونان ليجلب معه مجموعة جنود من بينهم المدعو إيكسانتييوس (xanthippuss) وهو مقدموني تلقى التربية العسكرية في إسبارطة وله خبرة كبيرة في خوض وتسيير العمليات العسكرية ⁽¹⁾.

4. العلاقات بين القادة القرطاجيين والجيش المرتزق:

يبدو أن الضابط القرطاجي المسؤول عن التجنيد كان يسمى في اللغة البونية (هـ م ش ت ر) أو "ر ب م ش ت رت" أي (الضابط السامي) وهي رتبة عسكرية وجدت مكتوبة في نقوش بونية أو اكتشفت في فوليبوليس (volubilis) ومعبد الحفرة (Le Sanctuaire Punique d'El- Hofra) في سيرتا (قسنطينة حاليا) ⁽²⁾.

وحسب المؤرخ بوليبي (Polybe) فإن مرتزقة القائد الليبي ماطوس (Mathos) الذي قاده ثورة الجيش المرتزق ، كانوا ينتمون إلى بلدان مختلفة مثل الغاليين والكمبانيين ثم الايبيريين والليفوريين والبلاريين والليبيين، وفيما يخص هؤلاء الآخرين يجب عدم الخلط بين

⁽¹⁾ - Gsell St., H. A. A. N., T. III, P.427; Décret F., op. cit., P. 84; Justin XX, 2, 5-6.

⁽²⁾ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، مط. دار الأمة، الجزائر 1998، ص.ص. 42-44.

المساعدين المجندين من مناطق خاضعة لقرطاجة وبين أولئك الذين كانوا ينتمون لإحدى القبائل المستقلة في الداخل أو التابعين للملوك النوميديين أو الموريثانيين⁽¹⁾.

5- المرتزقة يمثلون عبئا على خزانة الدولة القرطاجية :

بعد الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى كان عدد المرتزقة المطالبين بأجورهم والعودة بعد ذلك إلى أوطانهم عشرين ألف رجل. لقد عادوا من جبل أيريكس (Éryx) بوسط صقلية أين قاتلوا هناك تحت قيادة هملكار برقة⁽²⁾.

وعند حلول المرتزقة بمدينة قرطاجة لم يتحمل السكان تجاوزاتهم، عند ذاك نقلوا إلى سيكا (الكاف حاليا بتونس) أين قرر الثلاثي ماطوس (Mathos) الليبي، وسبناديوس (Spendius) الإغريقي وأوتاريت (Autarite) الغالي، الزحف على العاصمة قرطاجة، ليفتكوا أجورهم، ويبدو أن قرارهم ذلك كان تحت تأثير البطالة وروح المغامرة والخوف مما كان سيحدث لجيش من المرتزقة تركت نساؤهم وأطفالهم رهائن عند القرطاجيين. فبالنسبة للنوميدي ماطوس كان الأمر يتعلق بأمل التخلص من الجباية المفروضة من السلطات القرطاجية، خاصة في المقاطعات الخاضعة لمراقبتهم، ومن

(1) - Polybe I, 70-88; Diodore XXV, 2; Walter G., La destruction de Carthage, éd. Albin Michel, paris 1947, PP. 233 - 254.

(2) - Ibid, P. 232.

خلال إطلاعنا على التاريخ نعلم أن الفترة الممتدة ما بين 241 و237 ق.م. كان حانون يملك أراضي شاسعة حول مدينة قرطاجة، وفي فترة الحرب الرومانية- القرطاجية الثانية (218 - 201 ق.م.) اعتمد حنبعل على المرتزقة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم في جيشه. وكانوا يتلقون الجراية والمغانم المعهود بها للمرتزقة، ومثل ذلك كان جيش هملكار المرتزق متعلقا به قلبا وقالبا، تلك الشخصية الكاريزماتية التي كانت قادرة على قيادتهم من نصر إلى نصر⁽¹⁾. وقد كان ضمن جيش هملكار برقة مرتزقة ليبيون طبعا وايبيريون ويلياريون وغاليون وليفوريون وغيرهم....، ولتجنيد هؤلاء المرتزقة تسند المهمة أحيانا لجنرال قرطاجي يشرف على الحملة⁽²⁾. وحسب المؤرخ بوليب، فإن المتمردين الذين سقطوا بين أيدي القرطاجيين خلال حرب المرتزقة قد جندوا لخدمة القضية القرطاجية في صقلية. ويلاحظ أنه في حالات أخرى يتم تجنيد المرتزقة بواسطة عملاء ووسطاء مختصين يعرفون اختيار ذلك النوع من الجند وكذا البلاد التي توجد بها الفرق المناسبة وأشهرها الفرسان النوميديين ورماة النبال البالياريون... الخ⁽³⁾.

(1) - Walter G., op. cit. PP.246-248.

(2) - Gsell St., H. A. A. N., T. II, P. 353, Marge ,N° 4.

(3) - Polybe , I, 88,7.

لقد عمد القرطاجيون على إرسال جنرالين في نهاية القرن الخامس ق.م. هما هميلكار وصدر بعل إلى إسبانيا والبلغار لتجنيد مرتزقة بأعداد كبيرة وقد أوكلت تلك المهمة في بعض الأحيان إلى أعضاء من مجلس الشيوخ. وهناك مغامرون وقادة مرتزقة يعرضون خدماتهم. وقد عرفنا هذا النوع من قبل وكيف تعاملت معه سلطات قرطاجة، ذلك ما يتمثل في خدمة اكسنتيبوس الذي استعان به القرطاجيون لدحر القائد الروماني ريغولوس، وبعد الانتصار المدوي الذي أحرزه القرطاجيون سارع اكسنتيبوس بمغادرة إفريقيا ليضع نفسه بدون شك في خدمة ملك مصر⁽¹⁾.

إذا كانت الفرق المجندة في المناطق الخاضعة للإدارة القرطاجية تاتمر بقيادة الجيش البوني، فإن الأمراء والملوك الحلفاء لقرطاجة كانوا يراقبون رعاياهم، ويبدو أنهم أيضا كانوا قد تمتعوا في بداية الأمر باستقلال نسبي، إلا أنهم في الأخير وجدوا أنفسهم خاضعين لقرطاجة، وسواء أكان أفراد الجيش المرتزق قد جندوا من إفريقيا أو من سردينيا وصقلية أو من إسبانيا، فقد كان الجميع مجبرا على الخدمة العسكرية عند نشوب الحرب وكان على الحاكم أن يهيئ قائمة القادرين على اللحاق بالجيش في الثكنات وعند الحاجة لهم في جبهات القتال ولو كان ذلك على حساب العمل في الحقول الزراعية، إلا أنه في حالة زوال الخطر حينذاك كان على هؤلاء ضمان استغلال الأرض

⁽¹⁾ - Polybe , I, 33, 7; 34, 1, 3, 6 et 8.

سواء تعلق الأمر بدفع الإتاوات أو توفير الغذاء للمدينة أو المشاركة في الجبهات كجنود مرتزقة⁽¹⁾.

أما الإطارات السامية فيجندون من بين القرطاجيين ولكننا لا نعرف حسب أي كيفية، لاسيما في الفترة الأولى من القرن السادس قبل الميلاد، حيث كان على رأس الجيش المرتزق ضباط من القرطاجيين كانت لهم مهمة الإشراف على الحرب في إفريقيا وسردينيا أين تعرض الجيش المرتزق للهزيمة، وقد جلب عليه ذلك سخط القرطاجيين ولم نتمكن في أي من الكتابات من معرفة كيفية التوصل إلى القيادة العليا للجيش القرطاجي. وفي القرن الخامس قبل الميلاد وتحت حكم الماغونيين كان القادة القرطاجيون يتحكمون في كل السلطات السياسية والعسكرية⁽²⁾.

ووفقا لذلك قرر القرطاجيون أن يبهر حانون (Hannon) وهو برتبة جنرال إلى ما وراء أعمدة هرقل للإبحار في المحيط الأطلسي في الشاطئ الغربي لإفريقيا، وبدوره حمل ماغون وخلفاؤه من بعده تسمية السوفات أي القاضي الحاكم. وكان همكار الذي كان على رأس الجيش القرطاجي في معركة هميرا في 480 ق.م. قد حمل هو الآخر لقب الملك "بازيلوس" في كتابات المؤرخ هيرودوت، غير أننا لا نعرف أن الإغريق كانوا قد استعملوا على الدوام تقريبا كلمة

(1) - Diodore XXIX, 6.

(2) - Sznycer M. dans C. Nicolet, op. cit., PP. 600-606.

"بازيلوس" (Basilos) بدلا من "سوفيت" التي كانت مصطلحا قرطاجيا يطلق على الحاكم⁽¹⁾.

عند سقوط الماغونيين بدا أنه من بين الإصلاحات التي أدخلها القرطاجيون على النظام السياسي، كان الفصل بين السلطات المدينة والعسكرية غير أن القادة العسكريين كانوا ينتخبون حسب معايير دقيقة كالثراء والكفاءة التقنية والالتزام الأخلاقي واحترام الشرعية... الخ .

وعليه كان على القرطاجيين اختيار رجال ملائمين لقيادة جيشهم وبذلك يبدو وأن حق انتخاب قائد الجيش كان من حقوق شعب مدينة قرطاجة . وقد شهد بذلك أرسطو وبوليبي⁽²⁾.

لقد استمد هملكار برقة نفوذه العسكري من الشعب، وهكذا نرى أنه في سنة 221 ق.م . ينتخب حنبعل بن هملكار برقة من طرف الجيوش القرطاجية في اسبانيا بعد وفاة صهره صدر بعل، وكان على الشعب القرطاجي أن يصادق على ذلك الاختيار حتى يصبح رسميا وشرعيا⁽³⁾.

وبدوره يعين القائد العام المنتخب إشارات شابة يجندون في الغالب من العائلات الثرية . ويشترط أن تتوفر لديهم قابلية تعلم

(1) - Gsell St., H. A. A. N. , PP. 184 - 185.

(2) - Newman W. L., The politics of aristotele, Oxford 1887, PP. 360-372; Justin XX, 5, 12- 13; XXI,6.

(3) - Nicolet C., op. cit., PP. 566-567.

المهنة، تلك المهمة الصعبة وذلك بالاحتكاك بقائد كفاء، لقد اكتسب هؤلاء المجندون معارف نظرية في مناسبات مجالس الحرب وخبرات ميدانية أثناء المعارك. وعلى القائد العام أن يعتمد كذلك على إطارات أقل نبلا ولكن بشرط أن يكونوا أكثر خبرة في الحرب وتحمل العيش في المعسكرات⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى يحمل الجنرال في الجيش القرطاجي المسؤوليات التي كلف بها وذلك حتى نهاية الحرب التي كانت مصدر انتخابه، غير أن بعض الجنرالات يمكن أن تنهي مهامهم ويخلعون بدون شك من طرف الشعب قبل نهاية المعركة إذا ارتكبوا أخطاء جسيمة، وهناك من الجنرالات من يستقبل استقبال الأبطال كما كان الحال بالنسبة لهملكار برقة سنة 241 ق.م. عندما تم توقيع السلام بين قرطاج وروما بعد الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى وقد عاد هملكار بفرق جبل ايريكس إلى ليليبايوم ثم استقال من القيادة. وكان جيسكون الذي عين بديلا له كجنرال قد قام بنقل الجنود المرتزقة إلى شمال إفريقيا⁽²⁾.

وإذا صدقنا الكتاب القدامى، فإن الأرستقراطية القرطاجية كانت في الغالب تحتاط في علاقتها بجنرالات الجيش، خشية الانقلابات

(1) - Diodore de sicile XIII, 44, 46; Gsell St. H. A. A. N, T. III, PP. 344-351.

(2) - Warmington B. H., op. cit., PP. 47- 52.

والطغيان . وهناك كثير من القادة العسكريين حكم عليهم بالإعدام، من ذلك مثلاً ما حدث في القرن السادس قبل الميلاد حيث حكم على مالمخوس بالإعدام لأنه تجرأ على رفض الخضوع لقرار الدولة القرطاجية وحاول الاستيلاء على الحكم باستخدام القوة .

وبالمقابل يلاحظ أن عائلة ماغون لم تستطع التخلص من عقاب الأرستقراطية البونية، وذلك ما يشهد عليه انتحار همليكار الماغوني عندما اعتقد أن سوء قيادته كانت وراء كارثة هزيمة الجيوش القرطاجية في معركة هميرا، معاقبا نفسه بالحد الذي كان القرطاجيون سيطبقونه عليه في ظروف أخرى، وكان ماغون يدرك زوال تلك القوة التي جعلت الماغونيين خارج قبضة مجلس الشيوخ والشعب القرطاجي في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، عندما كانت تلك الأسرة تسيطر في نفس الوقت الدولة والعدالة.

لقد كون القرطاجيون فيما بعد مائة قاض أخذوا من مجلس الشيوخ عرفوا تحت اسم "محكمة المئة" وبعد كل حرب كان على الجنرالات تقديم تقرير على أعمالهم لتلك المحكمة خوفا من الحكام والقوانين التي يمكن أن يخضعوا لها في قرطاجة والتي توحى لهم باحترام سلطة الدولة. بعد إيجاد هذه المحكمة، لم يعد الجنرالات حتى المنتمين إلى عائلة الماغونيين يستطيعون التهرب من القانون، لقد حكم على جيسكون أحد أبناء همليكار الماغوني بالنفي مما اضطره إلى

المكوث بسلينونت (Sélinonte) في جزيرة صقلية. وفي بداية القرن الرابع قبل الميلاد وبعد الكارثة التي تعرض لها هملكار وجيشه قبالة سيراكوزة بصقلية، كان على القائد القرطاجي التفاوض مع الطاغية الإغريقي دونيس حاكم مدينة سيراكوزة ودفع 300 تالنت وإعادة بقايا جيشه محملا في 40 سفينة إلى مدينة قرطاجة أما هو فقد انتحر لكي يتجنب حكم المحكمة الرهيب⁽¹⁾.

وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، انتخبت قرطاجة حانون المشهور بالأكبر لأنه كان من عائلة غنية ومؤثرة، وقد عين على رأس الجيش في حملتين على صقلية ثم قاد رحلة جابت المحيط الأطلسي حتى وصلت إلى وسط غرب إفريقيا، ولأنه قام بأعمال خالدة رددتها الكتابات القديمة صار له خصوم كانوا مصريين على وضع حد لشهرته وبذلك وجهوا له الاتهامات لدى أعضاء مجلس الشيوخ، ودعوا العبيد الأفارقة للثورة عليه، ومهما كانت التبريرات التي قدمها لمحاكميه فإنه خضع للتعذيب ثم الإعدام بعد ذلك⁽²⁾.

(1) - Picard C. G et Ch., op.cit., PP. 94 - 99.

(2) - Polybe, I, 42, 12; III, 95, 2; Tite-live XXII, 19,3; Harden D. , op. cit., 145 - 162. PP.

الفصل الثاني

- النزاع على السلطة بين الأرستقراطية القرطاجية وضباط الجيش

1. دور القادة الماغونيين في حماية الإرث الليبي - القرطاجي

2. انعكاسات توسعات الأسرة البرقية على الواقع الحربي في

بلاد المغرب القديم

1. انعكاسات حرب هاملكار برقة على بلاد المغرب

القديم

ب. انعكاسات حرب حنبعل على المنطقة المغاربية

ج. سر انتصارات حنبعل وأسلافه

10 - Grimal, les Siècles de Scipion, Rome et Thébaïde au temps des guerres Puniques, éd. Montagne, Paris 1975, pp. 358-359.

- النزاع على السلطة بين الأرستقراطية القرطاجية وضباط الجيش :

1. دور القادة الماغونيين في حماية الإرث الليبي - القرطاجي :

مهما كان شعور الأرستقراطية القرطاجية تجاه الجنرالات فإن العاصمة البونية استطاعت أن تنتصر وأن تستمر وذلك بكوكبة من القادة الكبار الذين كانت انتصاراتهم وشهرتهم قد رصدتها الكتابات الإغريقية واللاتينية نذكر منهم ملخوس في القرن السادس قبل الميلاد، وماغون الأول في القرن الخامس قبل الميلاد وكان هذا الأخير من دون شك هو مؤسس بداية الجيش المرتزق، ذلك الجيش الذي كان وراء استقرار دولة ثروتها البشرية محدودة وطموحاتها مفرطة، وهو الجيش الذي حمى مدينة قرطاجة وجعل منها عاصمة لإمبراطورية جعلت من الحوض الغربي للبحر المتوسط بحيرة قرطاجية⁽¹⁾.

لقد كان القرطاجيون في الحوض الغربي للبحر المتوسط وغيره من المناطق الأخرى يتعاملون اقتصاديا مع بقية الشعوب عن طريق المقايضة في بداية الأمر، وكان همهم الوحيد في كثير من الأحيان هو الحصول على المواد الخام والتصنيع المحلي في مدينة قرطاجة، لاسيما منذ القرن الخامس ق.م.، ومن أجل ذلك كله وصلوا في رحلة خملكان (Himilcon) إلى جزر جنوب جزيرة بريطانيا وذلك بحثا عن القصدير الذي كان يتوافر في كل من جزيرة كورنوال (Cornoille) وكاستريدس

(1) - Grimal, les Siècles de Scipion, Rome et l'hellénisme au temps des guerres Puniques, éd. Montagne, Paris 1975, PP. 358-359.

(Cassitérides) في بداية القرن الخامس ق.م.⁽¹⁾، ولنفس الغرض انطلقت رحلة حانون (Hannon) الاستكشافية بحوالي 60 سفينة بمعداتها البشرية والمادية من مدينة قرطاجة مجتازة أعمدة هرقل في نفس التاريخ المشار إليه آنفا . وكانت تلك الرحلة قد اتجهت جنوبا بعد اجتيازها مضيق جبل طارق على سواحل شمال غرب إفريقيا المطلّة على المحيط الأطلسي وذلك قصد تأسيس مستوطنات جديدة والحصول على المواد الخام . وقد وصلت رحلة القائد حانون تلك حتى وسط غرب إفريقيا أو ما يعرف حاليا بخليج غانة والكامرون⁽²⁾ . وللحقيقة نقول أن الدولة القرطاجية قد برزت بقوة أثناء حكم الأسرة الماغونية سواء أكان ذلك من حيث تثبيت المؤسسات الدستورية المتمثلة في مجلس الشيوخ وانتخاب الحكام (السوفيت) ومحكمة المنّة ... الخ، أو من حيث تحديد مهام الضباط العسكريين والجيش المرتزق الذي أصبح يمثل عماد الدولة .

وفي الجانب الإقتصادي تصدت قرطاجة للإغريق في صقلية في بداية الأمر محاولة تثبيت هيمنتها على الجزيرة وعلى بقية منافذ الحوض الغربي للبحر المتوسط⁽³⁾، وهنا يبدأ ما عرف بالأسباب البعيدة للحرب الرومانية القرطاجية خاصة بعد توحيد روما لشبه جزيرة

(1) - Strabon III, 5, 11.

(2) - Gsell St., H. A. A. N., T. Iv, P. 478; Decret F., Carthage ou l'empire de la mer..., PP. 120 - 129.

(3) محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط...، ص.ص. 108 - 109.

إيطاليا واتخاذها لذريعة الجنود الممارتين للاجتياز إلى جزيرة صقلية⁽¹⁾، وهكذا نرى أن الماغونيين قد فعلوا الكثير لحماية الإرث الليبي - الفينيقي بغزوات جديدة خاصة في إفريقيا وسردينيا. وحسب المعطيات التاريخية الإغريقية واللاتينية، فإن أبرز بطلين في التاريخ العسكري القرطاجي بدون منازع هما همكار برقة وابنه حنبعل. فالأب برز في بداية حرب صقلية خلال الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى أو ما يعرف عند شريحة من المؤرخين بـ "الحرب البونية الأولى" أين استطاع هذا القائد الوقوف في وجه القوات الرومانية بتحصنه في جبل أيريكس، ولم يقبل مغادرة حصنه المنيع إلا بطلب من السلطات القرطاجية التي أصبحت في حاجة ماسة إليه⁽²⁾. ومن جهة أخرى أعطته قرطاجة الضوء الأخضر ليتفاوض مع القائد الروماني لوتاتيوس كاتولوس والذي رغم تفوقه وتفوق القوة الرومانية وجب عليه أن يترك الجنود القرطاجيين يعسكرون في جبل أيريكس مع كل أسلحتهم، مكتفيا بفرض غرامة عليهم. وهكذا جنب همكار برقة جنوده عار تسليم سلاحهم الذي صنع مجدهم، ولما رافقهم إلى ليليبايوم وأصبحوا في مأمن استقال حينذاك من القيادة. وكان على حاكم مدينة ليليبايوم جيسكون إعادتهم إلى إفريقيا أين كانوا يعتقدون قبض مخلفات أجورهم. وهكذا

(1) - Polybe , The Histories , trad. W. R. Paton, London 1922, III, 26- 3; XXXVI, 9.

(2) - Diodore, XX, 10, 1; St. Gsell, H. A. A. N., T.III, PP. 242- 244.

أراد هملكار تجنب العودة القاسية ببقايا جيش منهزم ومطروود من صقلية وهي الأرض التي كان يمتلكها الفينيقيون والقرطاجيون منذ قرون متوغلة في القدم، لقد سقوها بدمائهم حتى تكون بمنأى عن الأطماع الإغريقية والرومانية⁽¹⁾.

وأمام ثورة المرتزقة التي عقت الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى (241 - 237 ق.م.) انتخب هملكار برقة قائدا على قوة قوامها 10 آلاف رجل جندوا من العاصمة قرطاجة نفسها، وتوفر له كذلك 70 فيلا، وبعد عدة مغامرات وصفت بدقة في العديد من الكتابات عن الحروب الرومانية القرطاجية استطاع الجنرال البرقي أن يخمد الثورة^(*)، وأن يقبض على ماطوس الليبي حيا، ثم يخضع للتعذيب الفضيع .

لقد كان هملكار بالنسبة للشباب وأهل قرطاجة هو منقذ الوطن الجدير بالاحترام، وقد انتهز عبقريته وشهرته وشعبيته ليعمل على تحقيق مخطط لإعادة بناء القوات القرطاجية ، ففي سنة 237 ق.م. غادر إلى اسبانيا بنية إحياء المستوطنات الفينيقية القديمة بشبه جزيرة ايبيريا وجلب النفوذ لقرطاجة واستعادة مجدها الذي سلب منها في

(1) - Polybe , III, 27, 4; 29, 10; Diodore XIII, 80 , 2-4; XIV, 54, 5; Tite Live XXVII, 5, 11, XXIX, 4, 2; Tite-live XXVII, 5, 11, XXIX, 4, 2; Heurgon J., Rome et la méditerranée occidentale jusqu' aux guerres puniques , Cléo, Paris P. U. F., 1969, PP. 612 - 628.

(*) سنتعرض بالتفصيل لأحداث هذه الثورة في الصفحات القادمة .

الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى ومن هناك كان عليه قبل ذلك الاستيلاء على أراضي جديدة في بلاد المغرب القديم غرب قرطاجة غنية بثرواتها ورجالها وذلك بغية ملء خزانة الدولة القرطاجية، واستعادة قوتها، وامتصاص متاعبها المالية، حيث عانت كثيرا من قلة الأموال إبان حرب صقلية في مجملها⁽¹⁾.

2- انعكاسات توسعات الاسرة البرقية على الواقع الحربي في بلاد المغرب القديم:

1- انعكاسات حرب هملكار برقة على بلاد المغرب القديم :

إن توسعات القائد البرقي هملكار في شبه جزيرة ايبيريا تبدو كتعويض للخسائر وكأمل لاستعادة القوة القديمة للدولة القرطاجية من أجل التواجد مجددا في صقلية وسردينيا اللتين سلبتا أثناء ثورة الجيش المرتزق عن طريق شراة عدو يزداد شراسة تمثل في الرومان، وبذلك تدفقت الثروات على قرطاج وطفحت شهرة هملكار برقة⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 24 ص. 152).

(1) - Walter G. , op.cit., PP. 229 - 288.

(2) - Picard G. , Le monde de Carthage, Paris 1956, PP. 121 - 146.



صورة القائد القرطاجي هاملكار برقة

الشكل رقم 24

لقد استطاع القائد القرطاجي هملكار إرضاء العتاة من أبناء جلدته الذين كانوا ينتقدون ويشهرون بطغيانه وذلك من خلال سياسته التوسعية وغير المكلفة نسبيا. ومن خلال المكاسب الكبرى التي تمتعت بها الدولة أو (سلطة الأثرياء)، وبذلك قضى عن المعارضة، ومن جديد بدا كمنقذ للوطن. لقد كان الرجل الذي أرسلته العناية الإلهية والذي باستطاعته إعطاء قرطاج كل ما فقدته، وأكثر من ذلك فلم يعد يطلب شيئا من القرطاجيين، إذ كان باستطاعته أن يحصل على كل ما يمكن أن يحتاجه إما من إفريقيا أو من اسبانيا أين كانت المستوطنات الفينيقية خاضعة للضرائب، كذلك فإن غزو شبه جزيرة ايبيريا قد أعطاه فرصة، ذلك لأنه كان بعيدا عن أطماع الرومان المنهمكين في مشاكل ترتيب ما بعد الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى التي كانت لصالحهم مثل الاستحواذ على الأراضي المحتلة في صقلية وسردينيا ثم كورسيكا⁽¹⁾.

تلك إذن هي استراتيجية القائد هملكار برقة الذي وبعد إقامته تسع سنوات في اسبانيا حقق انتصارات لا يستطيع أحد نكرانها، لقد كانت غزواته في مجملها ذات شهرة ويبدو أنها استطاعت أن تحجب كل الظنون وتوقف ضمير المغاربة والقرطاجيين الذين كانوا يكونون زهرة جيشه، وبعد إخضاع سهل الوادي الكبير بشبه جزيرة ايبيريا، أسس هملكار مدينة غير بعيدة عن ألكانت (Alicante) والتي

(1) - Polybe, I, 79, III; Tite-Live XXI, 1; Nicolet C., op. cit., PP.612 - 622.

ستشكل قاعدة للعمليات الحربية مستقبلا بالنسبة إلى الغزوات الداخلية في شبه الجزيرة أو بالنسبة إلى مراقبة الملاحاة وحماية السواحل ومكافحة القرصنة وإذا صدقنا ديودور الصقلي فإنه يكون قد سمي المستوطنة الجديدة بالرأس الأبيض وتكون التسمية البونية إذن هي "روش لأبان" والتي ترجمها الإغريق إلى "أكرا لوكا"⁽¹⁾.

كان هملكار برقة قد اعتمد على الخيالة النوميديين الذين اصطحبهم معه عند اجتياحه لنوميديا بهدف جمع الأموال والرجال تعويضا لما خسرت خزينة الدولة القرطاجية واستعدادا للحرب الانتقامية التي سيخوضها ضد الرومان عندما تتوفر له الشروط الملائمة، غير أن ذلك كان حلما بعيد المدى لم يتحقق إلا جزء منه في فترة قيادة ابنه حنبعل⁽²⁾.

وعلى إثر معركة ضد ملك الأوريس تحت أسوار مدينة هليسا، غرق هملكار أثناء هروبه عند محاولته اجتياز نهر فائض وهو على ظهر حصانه. وحسب بوليبي كانت الحادثة قد سبقت بحوالي 10 سنوات الحرب الرومانية - القرطاجية الثانية أي في 229 أو 228 ق.م.⁽³⁾

(1) - Almagro M. et Garcia A., Bellido Y, La Espana de las invasiones célticas y el mundo de las colonizaciones, Madrid 1960, 2^{ème} éd. PP. 612 - 621.

(2) - Fantar M. H., Carthage approche d'une civilisation , T.2, PP. 88-93.

(3) - Polybe, III, 9; 20, 9; 33, 1-4.

ب- انعكاسات حرب حنبعل على المنطقة المغاربية :

إذا كان هملكار شخصية شهيرة، فإن ابنه حنبعل كان النجم المتألق في سماء قرطاجة كما يقال، وقد واصل تألقه على الدوام وفي كل مكان، لقد ولد تقريبا سنة 246 ق.م. وكان عليه مرافقة والده إلى اسبانيا في سن التاسعة . وبعد اغتيال زوج أخته صدر بعل ، نادى به الجيش جنرالا عن طريق الهاتف جماعيا وذلك سنة 221 ق.م. وقد وافق مجلس شيوخ قرطاجة على ذلك الاختيار الحكيم. وكان حنبعل وقتها في سن السادسة والعشرين تتلمذ على يد مدرسين ممتازين لم يعلموه فن التعبير وإلقاء الخطب الجيد فقط، بل غرسوا فيه الفكر الفلسفي وإتقان فن الحرب من خلال أكفأ الاختصاصيين في القتال، وحصار المدن والمناورة، لقد كان يتقن جيدا اللغة الإغريقية إضافة إلى لغته البونية الأم، وقد ساعده ذلك التكوين بمعارف مباشرة في قراءة ما يقترحه عليه معلموه من معاهدات وخطط حربية حكيمة، وبذلك كان لا يقل براعة عن الاسكندر المقدوني في إتقان فن الحرب . لقد استطاع حنبعل أن يتسلح بتعليم نظري وخبرة غنية في الميدان واختيار الرجال وهي شروط مثالية في تعميق عبقرية القادة⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 25 ص.156).

(1) - Warmington B. H., op. cit., PP. 200-211.



صورة للقائد القرطاجي حنبعل

الشكل رقم 25

واعتمادا على ما سبق فقد أصبح حنبعل قادرا على مواصلة عمل سلفيه، فقد هاجم في بداية الأمر شعوب الأوليكاد (شرقي كستيليا الجديدة) والفاكسين (سهل درو الأوسط) والكرباتين (منطقة طليطلة)، وفي ساحات المعركة كان يبدو قويا على صهوة فيله ليسحق العدو، وكانت خياله تطارد أعداءه وتنكل بهم . وكل ذلك كان بجيش محدود من القرطاجيين والفرسان النوميديين جيدي الانقياد، حيث تغلب حنبعل بواسطة أولئك الأبطال على القوات الكثيرة العدد لخصومه والتي تفوق 100 ألف رجل ولم يعد أحد يستطيع في شبه جزيرة ايبيريا أن يقف في وجهه، فيما عدا القبائل الجبلية السمنتية، غير أن حنبعل كان يعد نفسه لخوض الحرب الرومانية- القرطاجية الثانية التي تعد بالنسبة إليه حربا انتقامية، كانت قد اندلعت سنة 218 ق.م. حيث تحمل الرومان فيها مسؤوليتهم كاملة، في إرادة منهم لمحاربة الوجود البوني في شبه جزيرة ايبيريا بغية الحيلولة دون استعادة قرطاج لأهميتها في البحر المتوسط⁽¹⁾، وفي تفسير ذكي ووفي لنص وروح الاتفاقيات الموقعة سنة 241 ق.م.، فإن الرومان صمموا على محاربة القرطاجيين ومحاولة إلقاء القبض على القائد حنبعل الذي استولى على ساغونت (Saguntum) وعليه أوفدوا بعثة إلى مجلس الشيوخ القرطاجي طالبين منه الخيار بين تسليم حنبعل أو الحرب، وعند عودة

(1) هشام الصغدي، تاريخ الرومان، ج. 1 مط. دار الفكر الحديث، لبنان 1967، ص.ص. 159 - 168.

وفدهم دون أن تلبى رغبتهم ، إختار الرومان الحرب رافضين أن يتقبلوا كل العروض. وبالمقابل فإن القرطاجيين لم يقبلوا الإهانة التي وجهت إليهم من قبل الرومان مفضلين بذلك إعلان الحرب وبذلك اخذوا في الاستعداد لها وكانت ملحمة حنبعل الكبرى حيث أنه تسلق جبال البيرني وشق جبال الألب والانتصارات المدوية بترازمان⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 26 ص. 159).

لقد كانت تلك الملاحم شاقة ومع ذلك كان الانتصار فيها للعسكرية العسكرية التي بقيت تثير دهشة الرومان من كثرة السرعة في التخطيط والجرأة المدروسة في الإنجاز وذلك وفق ما أشار إليه س. جزيل الذي يشير مقارنا ذلك بحرب نابوليون في نهاية القرن الثامن عشر⁽²⁾. وقد كان حنبعل يتمتع بمواهب الشجاعة والعزم والإرادة القوية خلال فترة الحرب التي خاضها في شبه جزيرتي ايبيريا وإيطاليا وذلك منذ سنة 218 - 202 ق.م. التي كانت خاتمتها معركة زاما في شمال إفريقيا⁽³⁾.

(1) - Soumagne Ch. , Les prétextes juridiques de la troisième guerre punique, rev. Hist. 1931, PP. 201- 227.

(2) - Polybe I, 65-88; Tite live XXI, XXII, 54; Tlatli S. E., La Carthage punique, PP. 279-285.

(3) - Ibid. PP. 284-285.

من جهة أخرى يبدو أن حنبعل كان أقوى قائد عسكري عرفته
الأسرة البرقية، حيث كانت له السلطة المطلقة في تجنيد الرجال
وتجهيزهم وتوزيعهم وتأطيرهم وكانت له حرية التفاوض مع الشعوب
والدول الأجنبية، وإبرام التحالفات وصناعة الحرب والسلم . مما يجعل
الباحثين يعتقدون أن قرطاجة سلمته مصيرها ، لاسيما بعد
النجاحات التي سجلها في معاركه في شمال شبه جزيرة إيطاليا وفي
وسطها مثل استيلائه على مدينة كابو، وحصاره لمدينة روما نفسها ،
غير أن ظهور سيبليون (Scipion) بوبيليوس (أنظر الشكل رقم 27
ص. 161) على المسرح الروماني ونقله الحرب إلى شمال إفريقيا أرغم
حنبعل على العودة إلى شمال إفريقيا التي غادرها منذ سن التاسعة .
وقد كان حنبعل شديد التعلق بقرطاجة التي تمثل وطنه الأم، ولكي
يستطيع الدفاع عنها عندما ألت بها المخاطر من قبل الجيش الروماني
الذي يقوده ذلك القائد العبقرى سيبليون الذي سيعرف بالإفريقي
فيما بعد عند نقله الحرب إلى شمال إفريقيا والذي تتلمذ في واقع الأمر
في خطته العسكرية على حنبعل . هذا الأخير الذي عسكر بمدينة
حدرومات "سوسة حاليا " حيث كان أنصاره الذين يعتمد عليهم
متواجدين ينتظرونه هناك وقد حاول التخطيط للإيقاع بعده، إلا أن
سيبليون الإفريقي الذي تتلمذ عليه كما أشرنا إلى ذلك أنفا في نقل
المعركة إلى أرض العدو نفسه، فرض على حنبعل الحرب في زاما التي
كان موقعها مغايرا لما كان يخطط له القائد القرطاجي وبذلك لم

يصادفه الحظ في الانتصار، فقد هزم القائد القرطاجي حنبعل لأول مرة على أرض شمال إفريقيا من قبل الجيش الروماني الغازي الذي كان يقوده سيبليون الإفريقي. هذا الأخير الذي عزز جناحي جيشه بالفرسان النوميديين تحت قيادة الأمير ماسينيسا.



صورة القائد الروماني سيبليون الإفريقي الذي تتلمذ على حنبعل

في الحنكة العسكرية ثم نقل الحرب إلى شمال إفريقيا

الشكل رقم 27

وبعد نهاية معركة زاما ومعاهدتها سنة 201 ق.م. ⁽¹⁾ تقلد حنبعل منصب القضاء (السوفيت) اعتقاداً منه بأنه سينجو من عقاب الطبقة الثرية الحاكمة في مدينة قرطاجة ومن حقد الرومان وانتقامهم، غير أن النافذين في الحكم في مدينة قرطاجة أدركوا السياسة الطموحة التي تبناها حنبعل والتي كانت تكن حقداً دفيناً للرومان وكان هدفها الانتقام لشرف قرطاجة المداس ولو كلفها ذلك حرباً أخرى، وبذلك بدأوا يكيّدون له بغية التخلص منه، لأنه تجرأ على اقتراح التغيير وإصلاح المؤسسات النافذة في الحكم، خاصة أنه كان يظن أنه من الضروري وضع حد لغطرسة الأثرياء في مدينة قرطاجة والذين لم يتورعوا في الاستيلاء على الأموال العامة وتغطية تجاوزاتهم، غير أن كل محاولات حنبعل باءت بالفشل وبذلك أصيب باليأس والإحباط في تحقيق أحلامه وكان عليه أمام كل ذلك أن يغادر مدينة قرطاجة التي أحبها وعمل من أجل تحريرها واسترجاع سيادتها على كامل الحوض الغربي للبحر المتوسط. بحثاً عن وطن جديد يحميه ويعيد له الأمل الضائع بعد الإخفاق الذي لازمه في مسعاه، حيث أصبح مغضوباً عليه من جميع الجهات ⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 28 ص. 163).

(1) - Tlatli S. E., La Carthage punique, éd. librairie d'Amérique et d'orient, paris 1978, PP. 285 - 296.

(2) - Farnous B. C., Les guerres puniques "que sais-je?", Paris 1973, PP. 46 - 72.



صورة تخيلية لمعركة زاما الشهيرة التي كانت

خاتمة الحرب البونية الثانية

الشكل رقم 28

أمام كل ذلك امتطى حنبعل قارباً تحت جناح ظلام الليل إلى جزيرة قرقنة ومن هناك اتجه نحو سواحل الشرق القديم ليس بحثاً عن حماية ولكن علّه يجد من يستعين بهم على تكسير شوكة الرومان وإفთكاك النصر من جديد منهم، فقد نزل في بداية الأمر ضيفاً لدى أنتيوخس ملك سوريا غير أن أعين الرومان تابعتهم هناك وضغطت على أنتيوخس ليسلمه لهم وبذلك نراه ينتقل إلى وسط آسيا الصغرى

إلى دولة بيشينيا التي أواها ملكها بروسياس (Prusias) عله ينجو من كيد الرومان ومتابعتهم له ، إلا أن الرومان لاحقوه هناك، مما أرغمه في نهاية الأمر عندما سدت جميع الأبواب في وجهه أن يتجرع كأسا من السم ليضع حدا لحياته، وهناك كتابة بقيت منقوشة على نصب تخذ ذكراه مؤداهما "هذا قبر حنبعل"⁽¹⁾.

ج- سر انتصارات حنبعل وأسلافه :

هناك الكثير من الأعمال الأدبية والفنية التي استلهمت من مفاخر حنبعل لا تزال تخذ حتى الآن ذكرى بطل معارك ؛كان وترازيما وكابو بشبه جزيرة ايطاليا⁽²⁾.

وبالمقابل لم يستطع سيبليون المنتصر في زاما أن يخفي إعجابه بخصم مماثل ،تتبع خطاه في وضع الخطط الحربية، وقد بقي تأثير حنبعل في قادة حروب الأمس مثل قادة الجيوش الحديثة والمعاصرة. لقد وافق انتصار حنبعل في حروبه من حيث الجرأة والكفاءة والخطط الحربية ما قام به نابليون بوناپرت من محاولات في مسعاه للاستيلاء على العالم في نهاية القرن الثامن عشر⁽³⁾.

لقد كان للجنرالات القرطاجيين وعلى رأسهم ماغون وهملكار، ثم حنبعل عبقرية مؤكدة، حيث أنهم كانوا يعرفون التنظيم المحكم

(1) - Polybe, III, 71, 11 et 13; XXII, 44; Grimal P., op. cit., P. 359 et suiv.

(2) - Decret F. , Carthage ou l'empire de la mer...P.226.

(3) - Ibid. PP. 355 - 359; Tite-live XXII, 57,2 et suiv et XXIII, II, 1-6.

وعبقرية استعمال الميدان مما جعل أتباعهم ومواطنيهم يكونون لهم كل تقدير واحترام. وأمام ذلك يجب التذكير بالتكوين الميداني والنظري والتقنية الحربية التي كان هؤلاء الجنرالات القرطاجيين متمكنين منها والتي عرفوا كيف يستخدمونها في الزمان والمكان ضد أعدائهم⁽¹⁾.

إن المعلومات الدقيقة الخاصة بأعمال أولئك القادة لا يزال المؤرخون يجهلونهم، ولكي تتكون لديهم فكرة على أعمال أولئك العباقرة، عليهم أن يرسموا قائمة المناورات والخطط المنسوبة إلى الجنرالات القرطاجيين، إضافة إلى العمليات التي نفذوها بنجاح والتي كانت تتم عن معرفة كاملة للميدان والمناخ والأحوال الجوية وكل مستلزمات النجاح في المعارك التي يخوضونها⁽²⁾. وعليه يمكن أن نتخيل أن هناك إطارات كفاءة من الشباب كانت ترافقهم يعتمدون عليها في الوصول إلى معلومات دقيقة عن طبوغرافية الميدان الذي كانوا سيحاربون عليه. بحيث يستطيعون الفوز واختيار أفضل الأماكن لمعاركهم ومعسكراتهم من حيث التموقع بالنسبة للرياح وحركة الشمس.

وهكذا نرى أن ماطوس الليبي الذي كان قد تمركز في منطقة استراتيجية حيث كان بإمكانه التزود بالمياه وتلقي الإمدادات والمؤونة

(1) - Cary V. M., The origin of the punique wars, in history, VII, 1922, P. 109 et suiv.

(2) - Harden D., op.c it., PP.124 -130; Carcopino J. , Grandeur et faiblesse d'Hannibal dans profils des conquérants, Paris 1961, PP. 109-237.

ومع ذلك استطاع هملكار برقة والد حنبعل أن يفسد خطته وأن يعمل على تطويره بدراسته للظواهر الجوية التي تنتاب مصب نهر مجردة في البحر المتوسط، حيث أنه لاحظ أنه أثناء الرياح تتجمع بعض الرمال مكونة كتلة تتيح الفرصة للخروج بواسطتها وفك الطوق عن جنوده الذين أمرهم أن يبقوا على استعداد في انتظار تشكيل الظاهرة التي كان قد توصل إليها بذهنيته وعبقريته العسكرية، وحين وافته الفرصة الملائمة أخرج جيشه ليلا وعند الفجر اجتاز بهم المكان المعين دون علم واعتراض أحد له، وبعد هذه العملية التي أذهلت سكان مدينة قرطاجة مثلما أذهلت الأعداء الذين كانوا يتابعون تحركاته، سار هملكار في السهل ومشى نحو حراس الجسر بنجاح ، حيث استطاع أن يقلب لهزيمة إلى نصر والسر في نجاح هذه العملية يعود إلى التقنيين الأكفاء الذين كان يصطحبهم في جيشه⁽¹⁾.

وبالمثل كان حنبعل هو الآخر يعرف اختيار ميدان المعركة أين يفرض على عدوه المواجهة والقتال وذلك اعتمادا على بعض المعطيات التي تتضافر فيها جهود التقنيين الذين كان يصطحبهم في جيشه، حيث أنه كان يرسم الخطة بناء على التقنية التي تتوفر لديه والتي تضمن له الفوز بالانتصار، فمثله في ذلك مثل لاعب الشطرنج الممتاز الذي يُقدّر كل حركة تسمح له بضمان معرفة تامة لكل الحالات وكل

(1) - Polybe, I, 88, 7; Walter G. op. cit., PP. 243 - 253; Tissot , Géographie comparée de la province romaine d'Afrique , I, PP. 547 - 548.

الاحتمالات التي تضمن له الفوز، وبذلك يمكن أن يلعب حنبعل برائد الحروب الكلاسيكية في فترته وهي ديناميكية مشفوعة بتحكم ممتاز في الأمور سواء كانت واقعية أو محتملة⁽¹⁾.

إن الجيش القرطاجي كان يعتمد في جوهره على الجنرالات وعلى جميع التقنيين الجاهزين للعمل. ولحل كل المشاكل التي يمكن أن تعترض جيشاً في مسيرته أو حتى في ساحة المعركة، أو في حالة الحصار أو التطويق ببناء الجسور وصناعة الأرمات ودراسة الميدان وتصميم الخرائط بغية اختيار أهم المعايير وأحسن الأماكن لإقامة المعسكرات التي تتناسب مع القدرات المتاحة وطبوغرافية المكان⁽²⁾.

إن عبقرية قادة الجيوش الكلاسيكية كانت تبرز في طريقة استعمال المعارف والكفاءات والتقنيات دون الوقوع في الخطأ أو سوء التقدير⁽³⁾.

من كل ما سبقت الإشارة إليه كان على قادة الحروب الإغريق والرومان المشهورين في صقلية وروما أن يقفوا هم كذلك بوسائلهم الخاصة لمواجهة الجيش القرطاجي، وذلك ما نلمسه لدى القائد جيلون السيراكوزي في بداية القرن الخامس قبل الميلاد خاصة خلال معركة

(1) - Gavin de Beer, Hannibal's March, London 1967, PP. 201- 236.

(2) - Warmington B. H., op. cit., PP. 236 - 239

(3) - Ibid., PP. 237 - 241.

هميرا. وبعده حرب دونيس الذي أراد أن يطرد القرطاجيين من صقلية
ليجعل منها جزيرة إغريقية بعد ذلك.

ومهما يكن الأمر فإنه إذا تساءلنا عن القيمة العددية للجيش
القرطاجية التي كانت مهمتها الأساسية هي الدفاع عن قرطاج
وإمبراطوريتها ضد الأطماع الإغريقية والرومانية، فإننا نلاحظ أنها
كانت مضطرة في غالب الأحيان إلى تجنيد الجيوش المرتزقة. لقد بالغ
الكتاب الإغريق والرومان في تضخيم عدد الجيش القرطاجي عن
قصد! وعلى العكس من ذلك مجدوا شجاعة وكفاءة خصومهم الإغريق
والرومان، فحسب ادعاءات هؤلاء المؤرخين فإن قرطاجة قد دفعت في
معركة هميرا مثلاً ضد جيلون السيراكوزي بجيش قوامه ثلاث مئة ألف
رجل، ولم يتردد بعض المؤرخين المعاصرين مثل س. جزيل وب. ه.
وارمنقتون (B.H. Warmington) في إبراز ذلك الطابع المبالغ فيه⁽¹⁾.

حينئذ فإن بعض الأرقام المعطاة من مؤرخين إغريق ورومان
يكون مبالغ بها بالتأكيد في القيمة العددية للقوات القرطاجية وذلك
لإبراز قيمة الجيوش الإغريقية وتوضيح بطولة أفرادها. لقد فضح
المؤرخون المعاصرون في مجملهم الطابع المبالغ فيه لهذه الأرقام،
فبالنسبة لمعركة هميرا، أكد ب. ه. وارمنقتون: "في الواقع أننا نشك

(1) - Warmington B. H., op. cit., P.238.

في أن الجيش المقصود قد تعدى 30 ألف رجل، حتى ولو كنا تقريبا واثقين من أنه كان يفوق جيش جيلون⁽¹⁾.
أما بالنسبة للحرب الرومانية القرطاجية الثانية، فيبدو أن حنبعل وصل إيطاليا بجيش قوامه 20 ألف من المشاة و6 آلاف فارس وكانت له بالتأكيد إمكانية زيادة قواته وهو في الطريق ولقد استطاع أن يجند جندا من الشعوب التي تشعر بالضعف أمام كرزمايتية القائد القرطاجي ودوي انتصاراته. وذلك ما نلاحظه في معركة "كان" الشهيرة سنة 216 ق.م. حيث أنه لم يكن جيش حنبعل الذي سحق العدو الروماني وأذاقه شر هزيمة، يعد أكثر من 40 ألف من المشاة و10 آلاف من الفرسان النوميديين الذين كانت لهم شهرة في الحرب. وفي معركة زاما كان تعداد جيش حنبعل 50 ألف رجل. وتعتبر زاما هي آخر حرب فرضت على حنبعل من قبل الرومان، ووضعت قرطاجة تحت قيادة صدر بعل بن جيسكون. وحسب رأي أبيان فيما يخص هذه الحرب فإن قرطاجة العاصمة البونية كانت سنة 147 ق.م. محمية هي الأخرى بثلاثين ألف رجل⁽²⁾.

(1) - Piganiol A., Hannibal chez les péligniens, rev. et arché. 1920, PP. 1-17.

(2) - Soumagne C., Les prétextes juridiques de la troisième guerres puniques, rev.hist. 1931, PP. 225 - 252; Farnous B. C. , Les guerres Puniques "que sais-je?", Paris 1973, PP. 41- 53.

من كل المعطيات الأنفة الذكر يتبين لنا أن الجيوش القرطاجية منذ القرن السادس وحتى القرن الثاني قبل الميلاد لم تبلغ التعداد المقدم من طرف الكتاب القدماء، ذلك أنه على أكثر تقدير يكون الجيش القرطاجي قد بلغ تعداده 100 ألف بما فيه كامل الفرق⁽¹⁾.

(1) - Walsh P. G., Massinissa, *Journal of Roman Studies*, 1965, PP. 149-160.

المعدات الحربية القرطاجية أثناء الفترة التاريخية

1. المعدات الفردية البسيطة

كما كان عدد الجيش القرطاجي في كامل المعارك التي اشرف عليها القائد كان يحتوي على معدات فردية بسيطة، والمعدات والقتال، بالإضافة إلى أولئك الذين يستعملون الفيلة، ولكن من هذه الفترة أسلحة تتلاءم مع الماء والبر، أما ما يخص أسلحة المشاة الثقيلة فتختلف في أسلحة الفرق القتالية، وأما أسلحة الدافعين فكانت للرماة والقتال، بالإضافة إلى أسلحة عمال الخنادق والفرسان.

- المعدات الحربية القرطاجية أثناء الفترة التاريخية

1. المعدات الفردية البسيطة

2. البحرية القرطاجية

3. سلاح الرماح والخوذة

4. سلاح المقذوفات

5. الفيلة واستعمالاتها الحربية

6. الحصان واستعمالاته الحربية

غالب الأحيان في ذكر السيف والسكاكين والظواهر والنبال والرماح والاقواس والسهام والمراجم وكرات الحديد وآلات الرمي والنجنيق والأبواج المشحونة والعربات القتالية والفرس والبروق⁽¹⁾، ولكن في أغلب الأحيان فإن ذكر هذه الأسلحة تنقصه الدقة، فمثلاً يمكننا أن نتساءل أيضاً عن كيفية منظر السيف القرطاجي الذي استعمل في

⁽¹⁾ Diodore, XVI, 80, 2.

- المعدات الحربية القرطاجية أثناء الفترة التاريخية:

1. المعدات الفردية البسيطة :

مهما كان عدد الجيش القرطاجي في كامل المعارك التي أشرنا إليها آنفا فإنه كان يحتوي عدة فرق مختلفة من المشاة، والفرسان والرماة والمقلعين، بالإضافة إلى أولئك الذين يستعملون الفيلة، ولكل من هذه الفرق أسلحة تتلاءم مع المهام الموكلة لها، وطبعاً فإن أسلحة المشاة الخفيفة تختلف عن أسلحة الفرق الثقيلة وكذا أسلحة المدافعين. وكان للرماة والمقلعين أسلحتهم النوعية الخاصة هم الآخرين. وعندما نتساءل هل بإمكاننا معرفة العتاد والأسلحة المستعملة في ذلك الوقت لدى الجيوش البونية فإن الإجابة على ذلك السؤال تبدو صعبة في ظل نقص الوثائق ومحدوديتها، ولا يملك الباحث حول هذا الموضوع غير مجموعة من الإشارات التي تخص الأسلحة البونية والتي ورد ذكرها في كتابات الأقدمين وهي في غالب الأحيان تلميحية ومبهمة، وقد تمثلت في غالب الأحيان في ذكر السيوف والسكاكين والخناجر والنبال والرماح والاقواس والسهام والمراجم وكرات الحديد وآلات الرمي والمنجنيق والأبراج المتحركة والعربات القتالية والتروس والدروع⁽¹⁾، ولكن في أغلب الأحيان فإن ذكر هذه الأسلحة تنقصه الدقة فمثلاً يمكننا أن نتساءل أيضاً عن كيفية مظهر السيف القرطاجي الذي استعمل في

⁽¹⁾ - Diodore , XVI, 80,2.

معركة هميرا الأولى سنة 480 ق.م. هل كان متشابهها مع ذلك الذي كان يحمله الجندي القرطاجي في الدفاع عن مدينته قرطاجة (حي بيرصا) سنة 149 ق.م.؟

إن الإجابة عن التساؤل السابق هي الأخرى صعبة، وغامضة ذلك لأن المعطيات الأثرية المعتمدة على اللقى الأثرية لحد الآن لم توضح ذلك، غير أن الباحثين الأثريين الذين نقبوا في موقع مدينة قرطاجة والمواقع الأخرى الواقعة في السواحل الغربية والشرقية منها لا يزالون لم يحققوا اكتشافات ذات قيمة توثيقية كبيرة فيما عدا بقايا تلك الأسلحة التي أشير إلى وجودها في قبور كل من قرطاجة وسوسة وزغوان⁽¹⁾.

وفي الجانب الآخر من الحوض الغربي للبحر المتوسط في كل من سيردينيا وإسبانيا وفي أماكن أخرى من مناطق النفوذ القرطاجي ويتعلق الأمر ببقايا أثرية لسيوف وسكاكين وخناجر، هذا إضافة إلى رسوم بعض المعطيات النصبية التي رسمت عليها بعض قطع الأسلحة التي كانت تستعمل حينذاك ورسوم لجنود مسلحين ظهرُوا هم الآخرين على واجهات نصب أو على مجوهرات كانت تستعمل⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 29 ص. 175).

(1) - Benyounes A., Krandel, Reppal, I, 1985, PP. 17- 18.

(2) - Cagnat R., C. R. A. I., 1910, PP. 791 - 793.

وكانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.

في العصور القديمة، كانت المسننات الحربية (القرطاجية) تختلف (في الشكل) في مختلف العصور.



خنجران بونيان عشر عليهما في مدينة قرطاجة

الشكل رقم 29

Diopre de Carthage, XI, 1, 172
Gard. M. H. A. N. T. III, p. 2

2. البحرية القرطاجية :

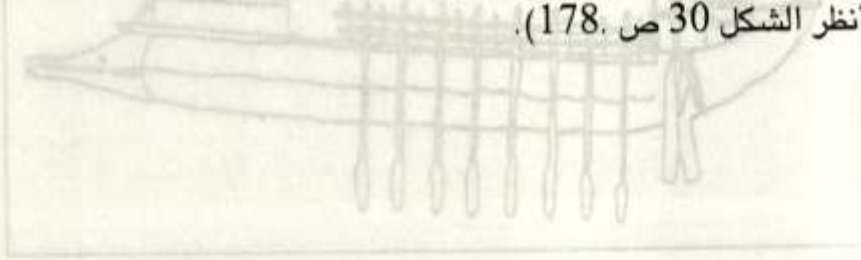
كان القرطاجيون ملاحين مهرة ولهم خبرة كبيرة في بناء السفن ومع ذلك يبدو أنهم لم يبتكروا أساليب جديدة في فن بناء السفن، وبالمقابل فإن الإغريق هم الذين كانوا قبل غيرهم قد طوروا قوة وحمولة السفن البحرية بمضاعفة صفوف التجديف . أما مسألة تزويد السفن بمجذافين فلا تزال مسألة غامضة في تاريخ البحرية القرطاجية ⁽¹⁾.

وإذا كان بناء وصناع السفن القرطاجيين يتمتعون بتفوق حرفي ملحوظ فإنه كما يبدو لا يصعب عليهم ابتكار بعض الإضافات البسيطة على الأقل على غرار ما فعله بعض الإغريق، والواضح أن القرطاجيين كانوا ملاحين لا يهابون مواجهة أمواج البحر الهائجة، كما كانت للجيش القرطاجي البري القوة والمهارة التي تتمتع بها بحريتهم وينبغي الاعتراف لمواطنيهم بالشجاعة والقوة التي لا تقهر وهو ما أثبتته وقائع التاريخ ⁽²⁾.

(1) - Diodore de sicile, XI, I.

(2) - Gsell St., H. A. A. N., T. III, P. 7.

وكانت السفن الحربية القرطاجية تختلف عن التجارية حيث كانت الأولى مستطيلة الشكل ولها مؤخرة مرتفعة غالبا ما تكون في مستوى الماء مجهزة بكتلة حديدية تشبه سكة المحراث يطلق عليها اسم رأس الكبش^(*) (Ram) تستعمل في كثير من الأحيان لتحطيم سفن الأعداء أو قلبها أحيانا أثناء الاصطدام بها⁽¹⁾، إضافة إلى ذلك كانت السفن الحربية القرطاجية تتميز بالخفة وسرعة الحركة في جميع الاتجاهات أثناء الدخول في معركة مع أساطيل الأعداء، وفي غالب الأحيان تعتمد في سيرها على المجاذيف التي تحركها عضلات الجنود بدلا من الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية، وقد كانت في بداية الأمر تعتمد على صفين من المجذفين ينتظم أحدهما فوق الآخر ثم تطورت صناعتها فيما بعد فأصبحت ذات ثلاث صفوف وأربعة فما فوق⁽²⁾.
(انظر الشكل 30 ص 178).

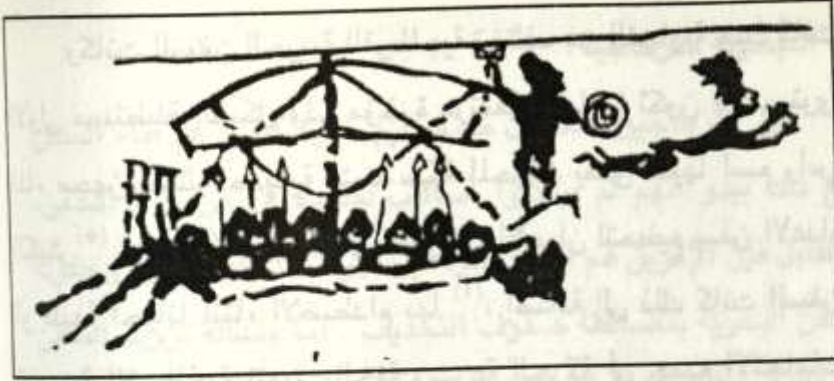


^(*) Ram : تعني رأس الكبش وهي قطعة حديدية تشبه سكة المحراث ناتئة ترتب في مقدمة القارب الحربي أو السفينة الحربية تستعمل لصدم سفن الأعداء وقلبها على وجهها في البحر لمزيد من المعلومات أنظر !

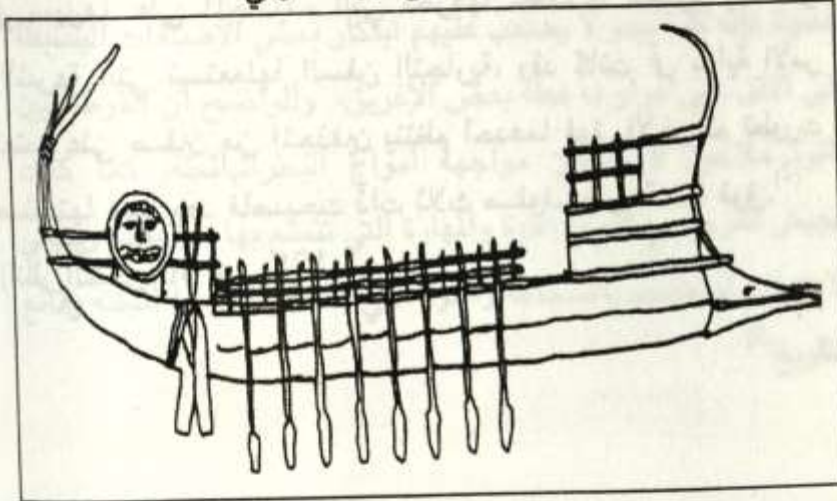
- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ...، ص. 58 - 62.

⁽¹⁾ جون هامرتون، تاريخ العالم المجلد الثاني، ترجمة وزارة المعارف المصرية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1965، ص. 172.

⁽²⁾ نفسه ص. 271.



- ١ - رسم لسفينة حربية، عثر عليها بتونس الشمالية
مرسومة على قبر حانوتي



ب - رسم لسفينة حربية مزودة بمجاذيف وفي مقدمتها تظهر سكة
المحراث (رأس الكبش)

الشكل رقم 30

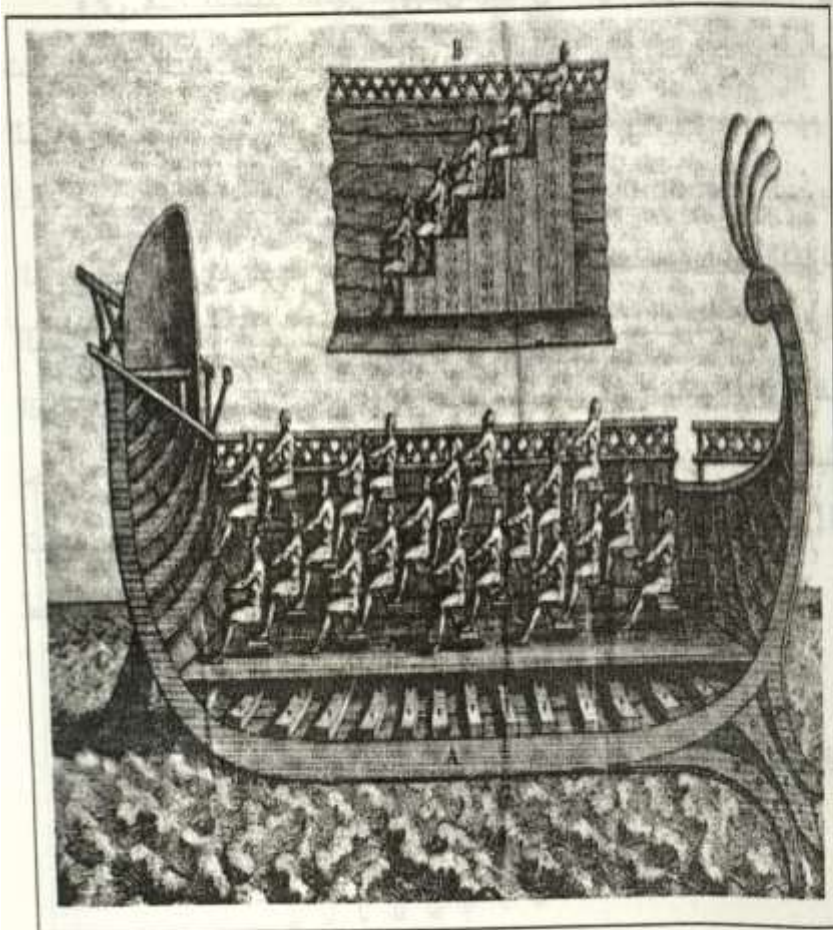
وفي هذا الصدد نشير إلى أن السفن القرطاجية الحربية التي شاركت في الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى قد اختيرت من ذوات الخمس صفوف التي تتسع لحوالي 300 مجذف بأمّعتهم وأسلحتهم. وهكذا مثلاً نلاحظ أنه في معركة أكنوموس (Ecnomus) البحرية التي يصادف تاريخها سنة 250 ق.م. والتي تعد من أبرز المعارك البحرية الحربية التي دارت بين قرطاجة وروما حيث كان الأسطول القرطاجي فيها يتألف من 350 سفينة تحمل على متنها 150 ألف جندي ومقابل ذلك كان الأسطول الروماني يتألف من 330 سفينة تحمل على متنها 140 ألف جندي روماني⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 31 ص. 180).



تيسر للعلماء (المؤلفين) أن يلاحظوا أن السفن القرطاجية الحربية التي شاركت في الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى قد اختيرت من ذوات الخمس صفوف التي تتسع لحوالي 300 مجذف بأمّعتهم وأسلحتهم.

الشكل رقم 31
IE مع الماشا

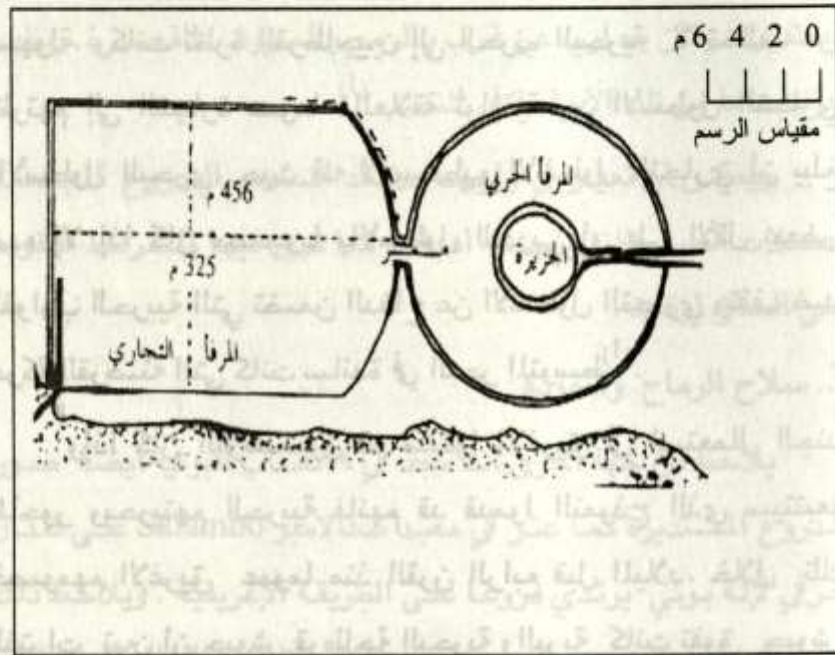
(1) شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1969، ص. 97.



رسم لسفينة حربية ذات خمسة صفوف من المجاذيف (خماسية)

الشكل رقم 31

وحتى تحتفظ قرطاجة بأسطولها البحري كانت مرافئها مزودة بنظام الميناءين الحربي والتجاري وغالبا ما كان الميناء الحربي يبدو في شكله مستديرا مثل ذلك الذي عرفناه في مدينة قرطاجة⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 32 ص. 181).



الميناء المزدوج المرافئ لمدينة قرطاجة (تجاري - عسكري)

الشكل رقم 32

(1) محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، مطبعة دار الهدى، عين مليلة 2003، ص. 86-90.

وتجدر الملاحظة إلى أننا نعرف من وقائع التاريخ أن القرطاجيين كانوا قد عهدوا للدفاع عن مصالحهم التجارية البحرية إلى محترفين من الجيش المرتزق وهذا منذ القرن السادس قبل الميلاد، ويفهم من ذلك أنهم كانوا حريصين على الاحتفاظ بالشعب القرطاجي من خطر التناقص الكبير في الحرب وهو التناقص الذي لا يمكن تعويضه بسهولة، وكانت نظرة القرطاجيين إلى الحرب البحرية لا تختلف عن نظرتهم إلى التجارة عموماً فالعلاقة توافقية بين الأسطول التجاري والأسطول البحري، حيث أنه لا يستطيع الأسطول التجاري أن يبلغ أمدته إلا إذا كان مصحوباً بالأسطول الحربي أو على الأقل ببعض القوارب الحربية التي تضمن الدفاع عن الأسطول التجاري وتقف ضد حركة القرصنة التي كانت سائدة في البحر المتوسط⁽¹⁾.

وإذا كان القرطاجيون قد سبقوا الإغريق في استعمال الجند المأجور وبحريتهم الحربية فإنهم قد قدموا النموذج الذي سيقبّله خصومهم الإغريق عموماً منذ القرن الرابع قبل الميلاد، خلال تلك الفترات تبين أن جيوش قرطاجة البحرية والبرية كانت تفوق جيوش المدن الهلينية الكبرى وفي وقت لاحق فاقت حتى جيوش ملوك الشرق⁽²⁾.

(1) - Meirat J. , Marines antiques de la Méditerranée, éd. Librairie arthème, Fayard 1964, PP. 21- 23.

(2) - Polybe , III, 25, 4 et 5; Gsell St., H.A.A.N., T. II, PP. 454 - 460.

وقد كانت الجيوش المرتزقة تنتمي إلى مدن وبلدان مختلفة، وقد جاء البعض منهم بأسلحتهم وأساليبهم الحربية.

أما الكتيبة المدججة بالسلاح الثقيل والتي تعرف بـ (Hoplite) عند الإغريق فهي تمثل العمود الفقري للتنظيم العسكري القرطاجي وقد كان الجندي فيها مزودا بخوذة ودروع برونزية، ودروع مستديرة، وكان يحارب عن قرب بالرمح والسيوف القصيرة، ويظهر جانباً هاماً من تلك الأسلحة في النصب⁽¹⁾.

ويمكن أن نميز في واجهات تلك النصب الدروع المجسدة لعضلات الصدر المنتهية بشبه أهداب، كما تبين فيها الشرائط الملفوفة على الساق لوقايتها.

3. سلاح الرماح والخوذة :

يلاحظ من جهة أخرى أننا نجد في الأنصاب البونية أيضاً صور الدروع المستديرة كما عثر في معبد صالامبو Salambo على تمثال خزفي لإله بوني يرتدي دروعاً على الطريقة الإغريقية . ويلاحظ ذلك أيضاً في أنصاب معبد الحفرة بسيرتا (قسنطينة حالياً). العائدة إلى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد وكانت رسوم هذه الأخيرة تحتوي على زخرفة أكثر دقة من تلك التي وجدت في قرطاجة يظهر ذلك

(1) - Fantar M.H., op. cit., PP. 101- 113.

واضحاً في الدرع المستدير (l'Aspis) عند الإغريق أو (Le Clipeus) عند الرومان⁽¹⁾.

إن هذا النوع من الأسلحة هو شكل مشترك بين الإيطاليين والسلتيين ولا يستبعد أن يكون المرتزقة الأوربيون هم الذين جلبوه معهم إلى إفريقيا⁽²⁾ وفقاً لما ذكرته الكتابات التاريخية الغربية. (أنظر الشكل رقم 33 ص. 185).

كذلك نلاحظ وجود الدرع البيضوي الممتد المزود بمقبض أنه شبيه بـ (Thyreos) الإغريقي أو (Chipeus) الروماني وهو مصنوع من مادة خفيفة. هذا النوع أيضاً يبدو غريباً وقد ذكر في الجرد الذي قام به الرومان ضمن الغنائم التي سلبوها من قرطاجة سنة 149 ق.م. وذلك قبل تدميرها⁽³⁾.

الجدير بالذكر أنه في أنصاب سيرتا، يوجد عدد من الأسلحة هي على التوالي سيف طويل، ورمحان وخوذة مخروطية⁽⁴⁾.

(1) - Berthier A., et Charlier R., Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine, Paris 1955, PP. 193 - 194, Pl. XVIII, A, B, C, D.

(2) - Walter G., op. cit., PP. 250 - 253; Picard, La vie quotidienne à Carthage..., PP. 202- 206.

(3) - Warmington B. H., op. cit., PP. 251 - 256.

(4) - Berthier A., et Charlier R., op. cit., P. 68, Pl. XVII A.



صورة فارس قرطاجي يمتطي حصانا ويرتدي خوذة و يحمل في يديه
درعا ورمحا وإلى جانبه كلب السلوقي (جسدت على الطين)

الشكل رقم 33

إن تلك الأسلحة لم ترسم على الطريقة الإغريقية بل هي أسلحة قرطاجية خفيفة احتفظ بها في بعض المعابد البونية الفخمة التي تعود إلى القرن الأول ق.م. مرفوقة بأسلحة تتكون من صدرية دائرية تستند على سيف لفارس مزود بدرع محدب Musclé وضع فوق وتد، وقد نمت أحد الدروع (Bonoliers) بعناية كبيرة وهي تشبه كثيرا التروس (Rondaches) المقدونية التي نحتت على تمثال نصفي لأرتيميس في إفريز مماثل في شمتو (Chemtou) بتونس في شكل (Aspis) اتخذت له كشعار، ذلك هو الشعار الأيوني⁽¹⁾.

وقد كان الجندي المدجج بالسلاح الثقيل (Hoplite) هو بمثابة صورة للجندي المثالي في عصر ازدهار دول المدن وذلك في العالم القديم، ثم ظهر مثال آخر حل محله وهو الجندي حامل الترس⁽²⁾. وإذا كان الجندي القرطاجي هو أقل قوة من الروماني فإنه أسرع حركة في الميدان.

وقد كان القرطاجيون يوازنون بين سلاحي الفرسان والمشاة الخفيفة، يضاف إليهما المقلعيون الأيبيريون وكذلك الرومان. ومن

(1) - Fantar M. H., Carthage..., PP. 94-95; Picard C., Karthage , XVIII, 1978, P.19.

(2) - Cagnat R., Les stèles de la ghorfa , C. R. A. I., 1910, PP. 792- 793.

جهته يرجح Picard أن تكون الرماح التي وجدت على أنصاب سيرتا ذات تأثير ايبيري وهو رأي ضعيف⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن مؤرخي الفترة الكولونيالية ينسبون كل إبداع وأصالة إلى شعوب الضفة الشمالية من البحر المتوسط وينفونها على الأفارقة رغم تعمقهم في البحث.

تقول أسطورة تأسيس قرطاجة الرومانية أنه خلال حفر أساس الكابيطول عثر على رأس عجل، وهو ما أدى إلى التطير أو الفأل الذي أدى بهم إلى تغيير مكان بنائه حتى لا تكون الديانة الناشئة في عبودية دائمة للديانات التي سبقتها، وفي مكان آخر عثر على رأس حصان رمز القوة الحربية والقوة الإلهية وهناك تم بناء الكابيطول القرطاجي، وهو دليل على مكانة الحصان في عموم بلاد المغرب القديم⁽²⁾.

كل ما سبق يجعلنا نعتقد أن الإله حدد (Hadad) الذي يرمز له الحصان وضع في مكانة المعبود الحربي في قرطاج منذ البدايات، كما يظهر الإله ذاته في بعض الأنصاب يرتدي خوذة وهو الشكل القريب الشبيه بالنموذج الإيطالي السلتي المستعمل في الجيش الروماني، غير أنه شبيه أيضا بالخوذة الأشورية وذلك من خلال الجداول (Hampe)

(1) - Picard C. G. , Catalogue du musée Alaoui, nouvelle série collection puniques, I, Tunis , S. D. P. 169.

(2) - Mazard J., Corpus Nummorum Numidiae Maurétanique, éd. arts et métiers graphiques , Paris 1955, P. 25 , Marge N° 2

التي تتدلى فيه وتنتهي بقرص صغير بشرائط تنسدل على كتفي الإله
حدد لعلها شعار الحرب⁽¹⁾.

تجدر الملاحظة إلى أنه من بين الدلائل الأخرى على أن الجيش
القرطاجي كان غريبا في تنظيمه وتسليحه، ذلك لأنه لم يعتن بالرماة
على عكس الجيش الأشوري الذي كان الرماة (Archers) فيه من
الفرق الأساسية⁽²⁾.

وقد عثر المنقبون في القبور البونية على رؤوس سهام تعود إلى
القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، كما يظهر في نقش على لوح
حجري التقط من اوتيكا رسم محاربا يرتدي خوذة كبيرة⁽³⁾. وعلى
العكس من هذه الوثائق الأثرية لا نجد في المصادر الأدبية المعاصرة
للفترة أن القرطاجيين في حروبهم ضد الإغريق أو الرومان قد اعتمدوا
على فرق الرماة ، غاية ما هنالك أن أعضاء الطبقة الأرستقراطية
القرطاجية الذين كانوا يعملون كضباط عسكريين يهوون الاستعراض
والتجوال وهم بالزي العسكري مدججين بالسلاح . وقد كان لصدر
بعل القرطاجي في معسكره درع (Clipeus) من فضة يزين تمثاله، وقد
استولى عليه الرومان ووضعوه على باب الكابيطول، فهو عمل فني ولم
يكن موجهًا للاستعمال الحربي⁽⁴⁾.

(1) - Vieyra M., Les Assyriens, Paris 1961, P. 91.

(2) - Ibid.

(3) - Fantar M. H., Carthage ..., PP. 303 - 310.

(4) - Picard G., et Charles, la vie quotidienne..., PP. 198 - 199.

وندلل على ما أشرنا إليه بما اكتشف أيضا في قبور بونية في
المزاق البيزاسان (Byzacène) وقصور الصافي، التي وجد ضمنها
قطعتان من البرونز بشكل قلب أحدهما لتغطية الصدر والأخرى لتغطية
الظهر وهما مزودتان بزخارف ثرية جدا يمثلان رأس الآلهة اثينا وهي
ترتدي خوذة، تعتبر من أنها لم تصنع في قرطاجة، بل لا يستبعد أن
تكون قد صنعت في كمانيا خلال القرن الثالث قبل الميلاد، ويمكن أنها
قد اشتريت من هناك أو نهبها أحد جنود حنبعل أثناء الحرب الرومانية
- القرطاجية الثانية، يمكن أيضا أن تكون قد اقتنت من إفريقيا
ويكون صاحبها قد اعتبرها كتذكارات ثمين وشخصي وبذلك وضعت في
قبره بعد وفاته⁽¹⁾.

4. سلاح المقدوفات :

أثبت الجيش القرطاجي نجاعته في سلاح القذف بواسطة
المقلع في حرب المدن في صقلية ضد الإغريق . وقد اعتبر القرطاجيون
أنفسهم مخترعي آلة رأس الكبش أو كبش اقتحام الأسوار (Bélier)
مع أنه كان معروفا عند الآشوريين قبلهم والراجح أن الفينيقيين هم
الذين عرفوا الأوربيين به⁽¹⁾، وقد استخدم حنبعل الماغوني هذا السلاح
خلال 409 ق.م.، وبفضله استعاد مدينتي سيلينونت (Sélinonte)
وهميرا (Himéra) ولكن الإغريق ما لبثوا أن تفوقوا على خصومهم

(1) - Ibid, P. 199.

(2) - Fantar M. H., op. cit., PP. 105- 106.

ومنافسيهم القرطاجيين، فقد اخترعوا المنجنيق الذي صممه مهندس من سيراكوزة (Syracuse) في عهد دونيس الكبير (Denis l'Ancien) في 398 ق.م.⁽¹⁾ وقد سمحت هذه الآلة بقذف صخور ضخمة على أسوار ومدن الأعداء، وقد تطورت الآلة السابقة إلى آلة قذف مزودة بنابض معدني، أما القراصة (Baliste) ذات النابض المعدني فقد صنعت في وقت لاحق يمتد إلى العهد الإمبراطوري الروماني وذلك قبل الرومان⁽²⁾.

لقد أنتج القرطاجيون عددا كبيرا من الأدوات الحربية التي سنسميها بالمنجانيق أو عرادات (Catapultes) أو العقارب (Scorpions) كما وجد للرومان مخزونا فيها يصل إلى 20 ألف كويرة، خلال اقتحامهم لقرطاجة. كما وجد أثناء ذلك عدد كبير من الكويرات (Boulets) المستعملة في القذف أي الذخيرة الحربية كما يقال اليوم⁽³⁾.

من جهته قام الباحث الألماني الجنرال (Rathgen) بدراسة تقنية متخصصة للمقذوفات التي يتراوح وزنها ما بين 5 إلى 30 كلغ ووصفها بأنها كانت تقذف من أعلى الأسوار من قبل جيش المقاومة ضد المحاصرين لمدينة قرطاجة وبالتالي فهي سلاح قرطاجي⁽⁴⁾.

(1) - Plin L'Ancien, Hist. nat., VII, 57.

(2) - Tite-live, XXVI, 49,3.

(3) - Polybe, XXXVI, 6-7; Diodore XXXII, 6,2.

(4) - Picard G. C., op. cit., P.200.

لم يكن القدامى لدى حملاتهم الحربية يحملون سلاح المقذوفات، ذلك لأن المنجنيق ثقيلة ويصعب نقلها، وكان القرطاجيون أحيانا يستعملون للتغلب على تلك الصعوبة عربات حربية تجرها حيوانات وكذا سلاح الفيلة بدلا من المنجنيق، أما العربات التي تجرها الخيول فقد استعملها في الواقع الليبيون قبل ذلك وخاصة في الصحراء، وكانت عربات البونيين مصفحة (Blindies) تستعمل في الاقتحام أكثر من كونها تستعمل لنقل الجند كما هو الحال في عهد هميروس⁽¹⁾.

إن تقنية الاقتحام بعربات مصفحة كانت خطة ذات منشأ فارسي دون ريب، ومع أنها استعملت قرونا عديدة لدى المغاربة القدماء إلا أنها لم تثبت فعاليتها بسبب عدم وجود وافي يحمي الأحصنة التي تجرها من الجروح كما أن ثقل العربة في حالة الانسحاب كانت تفرض على المنهزمين تركها في ساحة المعركة غنيمة⁽²⁾.

5. الفيلة واستعمالاتها الحربية :

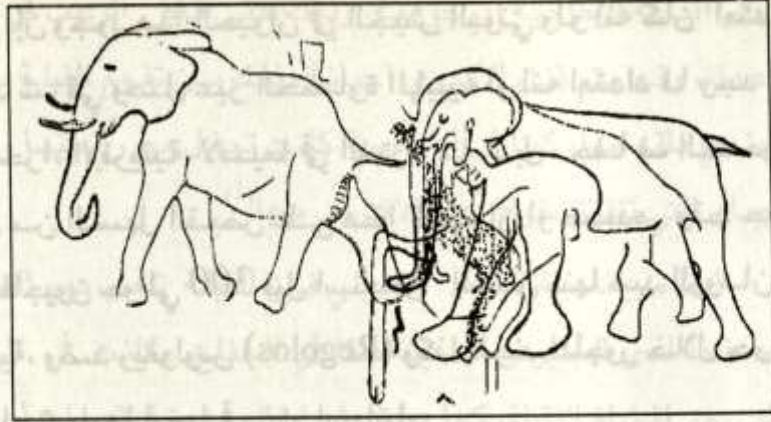
تعتبر الفيلة سلاحا خفيفا من حيث الاستعمال إذا ما قيس بالقاذفات والمنجنيق . وكانت الفيلة ذات الجلود الخشنة لا تزال تعيش في بلاد المغرب القديم خلال العصر البوني وهي من بقايا حيوان المناخ

(1) - Warmington B. H. , Histoire et civilisation de Carthage, trad. de l'anglais, Paris 1961, PP. 121 - 136.

(2) - Picard G. C., Images de chars romains sur les rochers du Sahara , C. R. acad. Inscr et Belles - lettres , séance du 21 fev. 1958, PP.44 - 49; Fevrier J. G., Le char de guerre dans l'antiquité dans rev. De cavalerie, Paris 1938, PP. 5- 20.

المداري وعزلت بسبب جفاف الصحراء في منطقة لا توفر لها النبات الكافي لتغذيتها ولذلك لم يكن لها لا القامة ولا القوة مثل فصيلتها التي تعيش في إفريقيا الوسطى جنوب الصحراء وكانت أقل قوة حتى من فيل الهند ولكن بفضل رعايتها والعناية بها تتحدث الروايات الأسطورية عن قوتها ذلك لأنها فاعتبرت حيوانات قوية بإمكانها إطفاء حرائق الغابات بخرائيمها ، ورغم كل هذه الأساطير فإن القرطاجيين كما يبدو لم يستخدموها إلا في الحرب ويكون الرومان قد تعرفوا عليها لأول مرة في صراعهم مع الفرس أو في بلاد الإغريق ولذلك أطلقوا عليها في البداية ثيران لوكانيا (Bœufs Lucania) باسم البلد الذي شاهدوها فيه لأول مرة⁽¹⁾ . (انظر الشكل رقم 34 ص. 193).

(1) - Diodore de Sicile, XXII, 8, 2; Appian, Lib. 95.



١- صور لفيلة جسدت على الرسوم الصخرية في الصحراء الجزائرية



ب- رسم صخري يوضح صورة فيل

الشكل رقم 34

إن وجود هذا الحيوان في الجيش البوني ولو أنه كان امتدادا لتقليد شرقي وصل عبر الحضارة الهلينية أو أنه امتداد لما وجد في الصحراء الإفريقية، لاسيما في الفترة ما قبل جفاف الصحراء، كان من السهل القبض على هذا الحيوان أو صيده. وقد جمع القرطاجيون حوالي 300 فيل استعملوا البعض منها ضد الرومان في صقلية، وضد ريغولوس (Regolos) وكذا الجند المناجور خلال حربهم له، واستعملوها أيضا في غزو إسبانيا.

كان حنبعل قد أخذ معه حوالي الأربعين فيلا ليعبر بها الألب والبيرني لكن أغلبها مات بسبب البرد القارس خلال الشتاء وبعد المعاهدة التي فرضت على قرطاجة سنة 201 ق.م. جردت قرطاجة من فيلتها ومنع عليها أن تروض أو تستعمل مستقبلا هذا الحيوان في أغراض حربية⁽¹⁾.

إن تأثير الفيلة كسلاح له أثره النفسي أكثر من الأثر الحربي، حيث كان يثير الرعب في صفوف الجند. وظل الجند الرومان يخشون خوض المعركة في السهل خوفا من زحف هذا الحيوان الثقيل الذي إذا زحف لا يتراجع وهو ما يثير مخاوف الجند كما ذكرنا.

ولزيادة الرعب في صفوف الخصم كان القرطاجيون يلبسون فيلتهم قطعا مختلفة الألوان من القماش وكان سائق الفيل يرتدي هو

(1) - Polybe , I, 18, 8; 19, 2; Diodore XXIII, 8,1; I, 30, 8.

الآخر البسة قرطاجية أوجوانية، وذلك حتى تثير الرعب في قلوب الأعداء، وقد يتم قتل الأسرى أحيانا وذلك بأن تقوم الفيلة برفس الجندي بأقدامها، كما أن الأحصنة كانت تجفل من رائحتها وكذلك الجمال التي تتفرق خوفا عند الاقتراب منها⁽¹⁾.

أما من ناحية العتاد الحربي فإن الفيلة تلعب دور العربات المصفحة لدى الجيوش الحديثة هذا في الدفاع، وكانت في الهجوم تلعب دور المشاة الثقيلة، كما يعلق عليها قطع معدنية لإحداث أصوات ترعب العدو وتنصب فوقها القلاع التي تحمل الرماة والمقلعين⁽²⁾.

6. الحصان واستعماله الحربية :

لقد استعمل الحصان في البدء لجر العربات القتالية عند الليبيين القدماء وهم الذين وسعوا استعماله في كامل منطقة شمال إفريقيا والصحراء، ثم تطور استعماله فيما بعد، حيث أصبح يمتطى وذلك لخفته، حيث أنه عوض العربات . وقد استعمله القرطاجيون في حروبهم ضد الإغريق والرومان فيما بعد، وكانت أهميته قد ظهرت في بلاد المغرب القديم منذ الفترة النوميدية، وهكذا نرى أن الفرسان النوميديين قد اشتهروا واكتسبوا سمعة حربية سواء أكان ذلك في الجيش القرطاجي أو الجيش الروماني فيما بعد، ولشهرتهم في ركوب الخيل

⁽¹⁾ - Tite -Live, XXVII,19,1; zonaras IX,9.

⁽²⁾ - Ferray J. L., Rome et les Balkans, la grèce et l'orient au II^{ème} siècle avant J. C.; dans C. Nicolet, op. cit., P. 747; Harden D. the phonicians thames and Hudson , London 1963, P. 156.

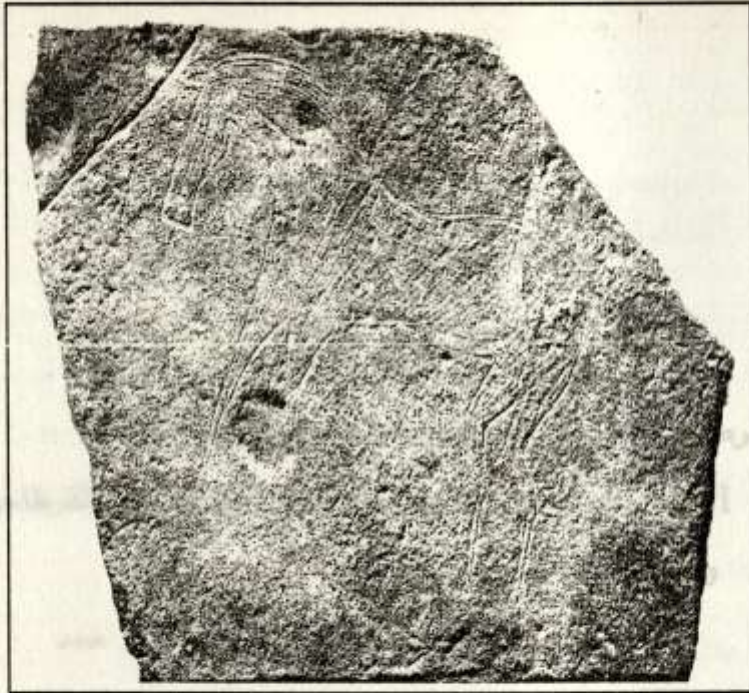
واعتمادهم أسلوب الكر والفر وأرباك جيوش العدو اعتمد عليهم
الرومان في حروبهم التوسعية في بلاد الإغريق والشرق القديم⁽¹⁾.
(أنظر الشكل رقم 35 ص. 197).

وفي هذا الصدد نشير إلى مساندة الملك ماسينيسا وابنه
مسيبسا للرومان وذلك منذ انحياز ماسينيسا للرومان في الحرب
الرومانية - القرطاجية الثانية وترجيحه لكفة الانتصار في معركة زاما
سنة 201 ق.م. بقيادة سيبيون الإفريقي ضد الجيش القرطاجي تحت
قيادة حنبعل.

وقد سلك مسيبسا مع الرومان نفس الطريقة التي كان عليها
والده، لذلك نراه سنة 227 ق.م. يرسل ابن أخيه يوغرطة على رأس
كوكبة من الفرسان النوميديين مزودين بالفيلة لمآزرة الرومان في
محاصرة مدينة نومانس (Numance) في شبه جزيرة إيبيريا، وفي تلك
الحرب لاحت للرومان كفاءة يوغرطة وشجاعته في الحرب مما جعلهم
يؤهلونه لقيادة نوميديا شريطة أن يبقى وفيا للشعب الروماني⁽²⁾.

(1) - Roux E. J., Le cheval barbe , éd. Maisounew, Paris 1987, PP. 68- 71;
Troussel M., Le cheval animal solaire, dans R. S. A. C., T. LXVIII, 1954,
PP.123 - 174.

(2) - Salluste , VI, 1-3, VII, 1-2, 4-7.



رسم صخري يجسد حصانا

الشكل رقم 35

1. جيش بلا امور
2. جيش غير متماسك
3. من التمرد إلى الثورة
4. تنظيم الراجية

الباب الثالث

- قرطاجة والكيان النوميدي

الفصل الأول

- قرطاجة تتحول إلى إمبراطورية وتغير سياستها الإفريقية.

1- التذمرات الناتجة عن تضارب المصالح بين القرطاجيين

وحلفائهم المغاربة.

1 - تذمرات الليبيين- النوميديين ضد

قرطاجة.

ب- المنطلقات الأولى لظهور الكيان النوميدي

2- ثورة الجيش المرتزق نموذجا ضد الهيمنة القرطاجية

1- الحرب ومراحلها

1. جيش بلا أجور

2. جيش غير متجانس

3. من التمرد إلى الثورة

4. تنظيم المواجهة

ب- تداعيات الحرب

1. مرحلة العقاب

2. ثورة لها مطالب أم مجرد تمرد

الفصل الثاني

- الحروب والمقاومة في فترة الملوك النوميديين الأوائل

1. الحرب والمقاومة في فترة الملك سيفاقس

أ- مؤتمر سيقا ومحاولة التوسط بين القوتين

اللتين تسيطران على الحوض الغربي للبحر المتوسط

ب- سيفاقس يختار الجانب القرطاجي

ج- معركة سيرتا وإلقاء القبض على سيفاقس

2. المقاومة والحرب في فترة الملك ماسينيسا

أ- ماسينيسا يواجه قرطاجة لأول مرة

ب- توسعات ماسينيسا تثير مخاوف الرومان :

ج- ماسينيسا يبث العيون في مدينة

قرطاجة

الفصل الأول

3. المعدات والتجهيزات الحربية النوميديّة

1. التمرات أ- السيوف والرماح

ب- الدروع بأنواعها

ج- الخوذة والقوس النوميديّ ضد قرطاجنة

د- المقلّاع الأولي لظهر الكنان النوميدي

2. ثورة الد- الحصان النوميدي واستعمالاته الحربية

أ- الفيلة النوميديّة واستعمالاتها الحربية

ز- البحرية النوميديّة

2- جيش غير متجانس

3- من التمرد إلى الثورة

4- تنظيم المواجهة

ب- تداعيات الحرب

3- مرحلة المطالب

2- ثورة إيزا مطالب أم مجرد تمرد؟

الفصل الأول

- قرطاجة تتحول إلى إمبراطورية وتغير سياستها الإفريقية.

1. التذمرات الناتجة عن تضارب المصالح بين القرطاجيين وحلفائهم المغاربة.

أ- تذمرات الليبيين- النوميديين ضد قرطاجة.

ب- المنطلقات الأولى لظهور الكيان النوميدي

2. ثورة الجيش المرتزق نموذجا ضد الهيمنة القرطاجية

أ- الحرب ومراحلها

1- جيش بلا أجور

2- جيش غير متجانس

3- من التمرد إلى الثورة

4- تنظيم المواجهة

ب- تداعيات الحرب

1- مرحلة العقاب

2- ثورة لها مطالب أم مجرد تمرد؟

Hannibal vo. III, p. 163 - Herodote, W, CXL II.
St-Gsell, H. A. A. N. T. II, p. 112

- قرطاجة تتحول إلى إمبراطورية وتغير سياستها الإفريقية :

عملت قرطاجة منذ القرن الخامس ق.م على تغيير سياستها الإفريقية وكان السبب في ذلك راجعا إلى هزيمتها لأول مرة أمام الإغريق في معركة هيميرا (Himira) سنة 480 ق.م. وقد انعكس ذلك التغيير على علاقتها مع المغاربة حيث حاولت بعد تلك الهزيمة أن تعيد النظر في سياستها الاقتصادية المعتمدة على التجارة عبر سواحل المتوسط وربط حوضه الغربي بالشرقي ، غير أن ظهور الإغريق في كل من صقلية وقرينة بليبيا ومنافستهم لها بحيث أصبحوا يمثلون حاجزا يحول دون اتصال تجارها بشرقي المتوسط⁽¹⁾ وكان على قرطاجة أمام هذه الوضعية الجديدة كما أشرت إلى ذلك أنفا أن تعيد النظر في كل شيء يتعلق بسياساتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط وأن لا تعتمد على التجارة وحدها ، بل لابد أن تعطي للزراعة مكانتها اللائقة. وهنا بدأ ما عرف في سياستها بالاتجاه الإفريقي⁽²⁾. وقد لاح ذلك واضحا في تجهيزها وإرسالها لرحلة خميلكان (Himilcon) إلى جزر كاسيتريدس وكورنوال في جنوب بريطانيا شمالا ، وكذا رحلة حنون (Hannon) الاستكشافية في نهاية القرن الخامس إلى أواسط جنوب

(1) - Harden op. cit., p. 163 ; Hérodote , W, CXL II.

(2) - St Gsell. H. A. A. N. T. II , p. 112.

غرب إفريقيا ، بحثا عن مناطق أخرى في السواحل الإفريقية على المحيط الأطلسي يمكن اللجوء إليها عند الضرورة⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الإغريقي بوليبي (Polybe) بأن السيادة القرطاجية قبل الحرب البونية الأولى كانت تمتد على كامل البحر الداخلي وذلك ابتداء من معبد الفلان بخليج السيرت الكبير شرقا حتى أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الحالي) على المحيط الأطلسي غربا⁽²⁾.

1. التذمرات الناتجة عن تضارب المصالح بين القرطاجيين وحلفائهم المغاربة :

لم تقف قرطاجة عند ذلك الحد في علاقتها مع حلفائها المغاربة والمتمثل في التوجه الإفريقي على حسابهم ، بل أساءت إليهم بقطع الضريبة السنوية التي كانت تدفعها لهم وذلك منذ نشأتها⁽³⁾. وأكثر من ذلك أصبحت قرطاجة تفرض على المغاربة ضرائب جديدة لتمويل الحرب التي أصبحت تخوضها ضد المدن الإغريقية وتجند المرتزقة من أبنائهم لمواجهة الموقف في صقلية. مما جعل الشك يتسرب إلى أنفسهم ويعتبرونها شوكة غريبة في جسدكم.

(1) - Décret F., Carthage ou l'empire de la Mer , éd. du Sud 1977 , p. 123 et suiv ; Desanges J. ,op. cit., pp. 39 - 85.

(2) - Polybe, III, 30, 2; Desanges J., recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique , école française de Rome Palais Farnèse, Italie 1978, PP. 223 - 241.

(3) - Picard G. et C., vie et mort de Carthage , éd. picard , Paris 1970 , p89.

غير أن قرطاجة باتباعها لتلك السياسة كانت قد أساءت لحلفائها
المغاربة وفتحت أعينهم على التمرد والعصيان ضدها ، حيث أنهم
أصبحوا ينظرون إليها بعين الريبة وإن ما يهمها بالدرجة الأولى إلا
مصلحة أرستقراطيتها التي امتدت يدها إلى أراضي المغاربة تقيم لهم
المزارع بغية تعويض ما خسروه في جزيرة صقلية⁽¹⁾.

وتشير الكتابات التاريخية إلى أنه منذ القرن الخامس ق.م. حتى
نهاية الحرب البونية الثانية بمعركة زاما (Zama) 201 ق.م. كانت
قرطاجة قد عملت على ابتلاع كثير من الأراضي المغاربية ووضعها
تحت يد أرستقراطيتها وكان ذلك على حساب المغاربة القدماء. ولم
تكتف قرطاجة بالشريط الساحلي، بل تسربت إلى الداخل تقيم المزارع
لأرستقراطيتها التي باتت مهددة في صقلية⁽²⁾. وهكذا نرى أنها أنشأت
مزارع كبيرة بعد انتزاع الأرض من أصحابها المغاربة القدماء.
1- تذررات الليبيين - النوميديين ضد قرطاجة :

لقد توالى ردود الفعل اللوبية ضد القرطاجيين، لاسيما بعد أن
أصبح لديهم شخصيات توظفهم وتقودهم ضدها سواء أكانت تلك
الشخصيات قد تمثلت في رؤساء القبائل الذين احتكوا بالمجتمع
القرطاجي وذاقوا مرارة الاجحاف المتمثل في تسليط الضرائب على

(1) - Nicolet C., op- cit., P. 601.

(2) - Warmington B. H., op- cit., pp. 57 - 87 ; Décret F. et Fantar M.,
l'Afrique du Nord dans l'Antiquité , Payot , Paris 1981 , pp. 66- 67.

اتباعهم وتجنيد أبنائهم في الجيش المرتزق الذي كان يشارك في حرب
تعود فائدتها على الأرستقراطية الحاكمة في مدينة قرطاجة ، الأمر الذي
أدى بهم إلى مناوأة توجهات الأرستقراطية الأوليجارشية الحاكمة في
مدينة قرطاجة والتي أصبحت لا تعمل إلا لصالحها ، وقد ساعدهم في
ذلك الضباط الليبيون والنوميديون وكذا الجنود الذين كانوا يعملون
داخل الجيش المرتزق الذي أصبحت قرطاجة تعتمد عليه وقت الشدة
في الدفاع عن كيائها ومصالحها في الحوض الغربي للبحر المتوسط⁽¹⁾.

ومما عمق روح التذمر والتفكير في الانفصال على قرطاجة في
نفوس المغاربة أن الضباط القرطاجيين كانوا يعاملون جنودهم المرتزقة
بقساوة ويتكاثرون في دفع مرتباتهم وأكثر من ذلك ، أنه عندما كان
القادة القرطاجيون يحسون بالخطر في المعارك أمام ضربات الأعداء
فإنهم كانوا يفرون منها مع بني جلدتهم ويتركون بقية الجنود المرتزقة
يتحملون نتائج الهزيمة التي غالبا ما كانت تكلفهم حياتهم أو الوقوع في
الاستعباد لدى أعدائهم⁽²⁾.

بناء على ما سبق أصبح المغاربة ينتهزون فرص الأزمات
الصعبة التي تمر بها قرطاجة ليتمردوا عليها ، وقد ظهر ذلك واضحا
في عدة مناسبات نذكر منها الآتي :

(1) - Polybe, I, 56, 6 ; Diodore, XX, XXVI, 10.

(2) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ، ط: دار الأمة ، الجزائر العاصمة
1998، ص. 45.

1- تدمير المغاربة مرة أولى وذلك سنة 396 ق.م. حيث حاولوا التصدي للقرطاجيين محاولين في ذلك استغلال ضعفهم بعد هزيمة القائد خميلكون (Himilcon) أمام أسوار مدينة سيراكوزة (Syracuse) الإغريقية بجزيرة صقلية وفرار القائد خميلكون صحبة الضباط الذين هم من أصل قرطاجي وترك الجنود المرتزقة تحت ضربات الأعداء ، وحول هذا التدمير يذكر المؤرخ ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) الذي نقل لنا أنباء هذا التدمير بأن تعداد المغاربة الذين طوقوا مدينة قرطاجة حينذاك كان حوالي 20 ألف رجل⁽¹⁾ .ومن جهته يؤكد المؤرخ الفرنسي ج. كامبس (G.Camps) بأن العدد الذي أورده ديودور قد لا يكون مبالغا فيه ، ذلك لأن تعداد المغاربة الذين يقطنون مدينة قرطاجة أو بالقرب منها وكذا العبيد الذين هم بداخلها يجعل العدد يفوق ذلك⁽²⁾.

2- تدمير المغاربة مرة ثانية وذلك سنة 379 ق.م كما يذكر ديودور الصقلي الذي هو مصدرنا في هذا الموضوع وذلك باستغلالهم فرصة الاضطرابات السياسية التي حدثت داخل مدينة قرطاجة من جراء اجتياح مرض الطاعون لها غير أنهم لم يفلحوا في الاستيلاء عليها⁽³⁾.

(1) - Diodore de Sicile X IV , 77.

(2) - Camps G., Massinissa au les débuts de l'histoire , imprimerie officielle , Alger 1961 , p.35

(3) - Diodore de Sicile XV- 24.

3- أما التذمر الثالث فقد حدث فيما بين سنة 310 - 307 ق.م وذلك أثناء غزو القائد الإغريقي أجاثوكليس (Agathoclés) . لبلاد المغرب القديم وقد انضم إليه منذ الوهلة الأولى قائد نوميدي يدعى إيلماس (Ailymas) برجاله إلا أنه عدل على ذلك فيما بعد لأسباب مجهولة !⁽¹⁾ هل يعود ذلك إلى أن بقية القبائل الليبية - النوميدية قد عارضته في ذلك ؟ أم أنه أدرك بعد انضمامه إلى القائد الإغريقي، بأن هذا الأخير قد دخل في مغامرة مع قرطاجة قد لا يستطيع تسجيل الانتصار عليها ؟.

وما نعرفه هو أن ديودور الصقلي لم يشير إلى الأسباب الحقيقية التي جعلت إيلماس يتراجع عن مناصرة القائد الإغريقي ، كما أنه لم يشير إلى هوية شخصية إيلماس نفسها⁽²⁾ ! هل كان أميراً أو رئيس قبيلة ؟.

ويذهب ج. كامبس إلى أن إيلماس كان أحد رؤساء قبائل الماسيل وهو من أجداد ماسينيسا⁽³⁾ .

(1) - Diodore de Sicile XX , 17 - 1.

(2) - Diodore de Sicile, XX, 17, 1 et 18, 3;

- إيلماس : كل الذي يذكره ديودور أن إيلماس (Ailymas) عاش في نهاية القرن الرابع ق.م. وهو شخصية قوية نوميدية لا يستبعد أن يكون من أجداد ماسينيسا الأوائل ؛ وكان أول من زود القائد الإغريقي بأفيال تستعمل في الحرب . ، لمزيد من المعلومات أنظر ؛

- Polybe IV,5,1.

(3) - Camps G., op. cit., p. 117.

ويصف بوليبي إيلماس بأنه ملك نوميدي⁽¹⁾. غير أن الغموض بقي يسود شخصية إيلماس.

وبشأن حملة القائد أجاتوكليس لبلاد المغرب القديم يشير ديودور الصقلي في مكان آخر من مكتبته التاريخية إلى أن المغاربة انقسموا فيما بينهم بين التأييد والمعارضة ، فبينما أيدت بعض القبائل الليبية القائد الإغريقي المغامر الذي نقل الحرب إلى شمال إفريقيا وقلب الهزيمة في صقلية إلى نصر في شمال إفريقيا بحيث غامر في البحر ونزل شمال شرق قرطاجة ثم حاصرها وأرغمها على التفاوض معه بعد إقدام سكانها على التضحية بحوالي 400 طفل من أبنائهم ، بغية إرضاء الآلهة التي اعتقد عرافوها وكهنتها بأنها غضبت عليهم. نرى في الطرف الآخر بعض القبائل المغاربية التي بقيت مترددة ترقب نتائج تلك الأحداث ، ولعل هذا ما جعل إيلماس يعدل عن مناصرة القائد الإغريقي⁽¹⁾.

4. كذلك استغل المغاربة القدماء محاولة أحد القادة القرطاجيين واسمه حنون (Hannon) للاستيلاء على الحكم في مدينة قرطاجة مستعينا في ذلك ببعض الليبيين من سكانها ، وقد ناصره في ذلك ملك المور حسب رواية ديودور الذي لا يذكر اسم هذا الملك الموري وحتى المملكة

(1) - Polybe , I , 6-69 .

(2) - Walter G., la Destruction de Carthage, éd. Albin Michel, Paris 1947 , pp.94 – 116 ; Diodore de Sicile, XIX et XX

التي كان يحكمها. وقد علق المؤرخ س. جزيل (St. Gsell) على ذلك بقوله بأن قرطاجة كانت تخرج في كل مرة منتصرة وتوسع أراضيها على حساب السكان المحليين عقابا لهم. ذلك لأنها أصبحت لا تثق فيهم ، كما أن حصانة سورها الذي كان يمتد ما بين سبخة أريانة وبحيرة تونس إضافة إلى مرتفع بيرصة جعلها تكون مدينة محمية تصمد في وجه كل من يحاول اقتحامها ⁽¹⁾.

ب- المنطلقات الأولى لظهور الكيان النوميدي :

تعود المنطلقات الأولى للظهور الكياني النوميدي إلى كامل التذمرات التي أشرنا إليها، لاسيما ذلك التذمر المشهور في العلاقات البونية المغاربية والذي عرفه بعض المؤرخين بالثورة الاجتماعية المناوئة لقرطاجة ، خاصة في مرحلتها الأخيرة وهو بذلك يتمثل في مشاركة المغاربة القدماء فيما يعرف بثورة الجنود المرتزقة (Révolte des Mercenaires) ، والتي اندلعت في نهاية الحرب البونية الأولى 241 - 237 ق.م ولاتهمنا هنا أسباب وتفاصيل ذلك العصيان الأول والشخصيات التي قادته بقدر ما يهمنا مشاركة القرى والمدن الليبية والنوميديّة ، لاسيما بعد أن عمدت قرطاجة إلى العقاب الجماعي لكل من

(1) - Gsell St. , Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord , T.1 , pp. 303 - 304;

- في الحقيقة أن قرطاجة كانت محاطة بثلاثة أسوار يتمثل السور الأول في مجموعة من الأوتاد مصطفة على كامل السور ، ويتمثل السور الثاني في الخندق الذي كان يحميها هو الآخر. أما السور الثالث فيتمثل في الجدار السميك الذي هو عبارة عن تكتة عسكرية في جانبه الداخلي؛ أنظر محمد الصغير غانم ، التواجد الفينيقي - البوني في الجزائر ... ص.ص. 83-88.

له صلة بذلك العصيان سواء أكان من الجنود المرتزقة الذين كان أحد قادتهم ليبي يدعى ماطوس (Mathos)⁽¹⁾. أو من سكان القرى والمدن المغاربية التي تعاطفت معهم في بداية الأمر ثم انضموا إليهم في المرحلة الأخيرة من ذلك التمرد بعد أن استغاثوا بهم، وبذلك انقلب التمرد المشار إليه إلى ما يشبه الثورة الاجتماعية. وعلى ذلك الأساس عمدت قرطاجة إلى فرض ضرائب مجحفة على السكان الليبيين والنوميديين الذين انضموا إلى المرتزقة عقابا لهم وذلك بهدف تسديد الديون التي خرجت معبأة بها تجاه الرومان والمتمثلة في ضريبة المنتصر على المنهزم في نهاية الحرب الرومانية القرطاجية الأولى وقدرها 3200 تالنت ، إضافة إلى محاولة التلكئ في دفع جمع أجور المرتزقة الذين كانت تمنحهم أثناء الحرب بأنه بعد انتصارها ستسدد لهم كامل أجورهم وعلف خيولهم ودوابهم.

وحتى تتصدى قرطاجة بكل قوة إلى ثورة الجيش المرتزق فوضت الأمر إلى قادتها العسكريين وعلى رأسهم هملكار برقة والد حنبعل. وقد حمل هذا الأخير على فلول المرتزقة بعد أن بلغ تعدادهم حوالي 70 ألف في حرب عرفت في تاريخ المغرب القديم بالحرب غير المغتفرة (La

(1) - Polybe , I ; Walter G.,op. cit., pp. 237 – 254 ; Diodore XXV , 2 ; 70 – 88

- تمثل قادة المرتزقة في القائد ماطوس الليبي وكذا أسباتديوس الذي كان عبدا رومانيا فر من الاستعباد والتحق بالجيش القرطاجي. أما الثالث فكان أوطاريئوس من أصل غالي اشتهر بالخطابة وإلهاب المشاعر داخل صفوف المرتزقة.

(guerre inexpiable) فحاصروهم في عدة مناطق وقضى عليهم ، ثم عاقب كامل القرى والمدن التي تعاونت معهم. وعلى ضوء ذلك اجتاحت كامل المنطقة الشمالية الواقعة على الحدود التونسية الجزائرية الحالية حتى اقترب من مدينة تبسة ثم سار نحو مدينة سيرتا ، وعاد بعد ذلك محملا بالغنائم التي استولى عليها عنوة⁽¹⁾.

بعد عودة القائد هملكار برقة إلى قرطاجة بقليل عاد من جديد فاجتاح بجيوشه بلاد المغرب وعبر أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الحالي) إلى شبه جزيرة ايبيريا بهدف تجديد قوة الدولة القرطاجية هناك في إسبانيا بعيدا عن أعين الدولة الرومانية⁽²⁾. وبعد وفاة هملكار جراء غرقه في وادي تولى القيادة بعده صهره صدر بعل (Hasdrubal) الذي شيد مدينة قرطاجنة (Carthagène) في إسبانيا الحالية ، وبعد قتل صدر بعل تعلق الجيش القرطاجي بحنبعل وذلك لما يتصف به من جرأة ومعاداة للرومان رغم صغر سنه ، فقد قبل القيادة وعمره لا يتجاوز 26 سنة وبعد إعادة تنظيم جيشه أعلن عن بداية الحرب البونية الثانية 218 ق.م وذلك بمهاجمته لمدينة ساغونت

(1) - Gsell St., H. A. A. N. T. 5 , pp. 179 - 180 ; Tissot , Géographie comparée de province romaine d'Afrique T. I , Paris 1884 , pp. 545 - 548.

(2) - Polybe , I , 70 , Diodore XXV , 2;

- يلاحظ بأن أسيرة البرقيين كانت تعارض اتفاقية نهاية الحرب الرومانية - القرطاجية الأولى ، لاسيما القائد هملكار الذي بقي في صقلية بعد نهاية تلك الحرب يعسكر في جبل إيريكس ويقلق الرومان بحرب العصابات.

(Sagonte) الموالية للرومان. وقد تسلق حنبعل في فصل الشتاء البارد بجيشه سلسلة جبال البيريني والألب ، ثم دخل إلى إيطاليا من الشمال ورغم محاولة الرومان المستمرة للتصدي له وإعاقته عن الوصول إلى هدفه استطاع أن يؤثر بواسطة أتباعه لأسلوب سياسة (فرق تسد) مع القبائل المتوضعة في شمال إيطاليا أن ضمن انحياز كامل شمال إيطاليا إلى جانبه وافراد روما ثم إشعارها بالخطر الداهم الذي قد يزعزع أسوارها.

وتجدر الإشارة إلى أن المغاربة في كامل هذه الفترة كانوا يشكلون زهرة الجيش المرتزق القرطاجي، لاسيما فرقة الفرسان منه التي كانت تعرف بالخيالة النوميديين (Les cavaliers numides) ⁽¹⁾.

غير أن المصادر تصمت عن نوعية العلاقات التي سادت بين القرطاجيين وأتباعهم من المغاربة بعد إخماد ثورة الجيش المرتزق! هل كان عمل أولئك الجنود في الجيش القرطاجي ناتجا عن طوعية وحسن نية ؟ أم أن قرطاجة بعد إخمادها لتمرّد الجيش المرتزق وما ترتب عنه من انضمام بعض المدن النوميديّة إلى جانب المرتزقة جعلها تفرض التجنيد الإجباري على رعاياها عقابا لهم على ما ارتكبوه في حقها؟ من جهته يذكر المؤرخ جوستان (Justin) فيما يخص العلاقات القرطاجية اللوبية، أنه منذ القرن الرابع قبل الميلاد تظهر عدة مشاكل

(1) - Tlatli S.E., la Carthage punique librairie d'Amérique et d'orient , Paris 1978, pp.282 - 283.

ضد قرطاجة من قبل رعاياها الأفارقة وذلك عندما حاول شخص يدعى حانون الاستيلاء على الحكم في مدينة قرطاجة مستعينا في ذلك باللوبيين الذين كانوا يقطنون داخلها ، وكذا تحالفه مع ملك موريطانيا . ويعلق ج. كامبس على رأي جويستان هذا بقوله : " ... إن قرطاجة كانت طوال مدة وجودها في الحوض الغربي للبحر المتوسط لا تثق في رعاياها اللوبيين والنوميديين.. " (1).

ويلاحظ أنه مهما كانت الإشارات الخفيفة التي قدمناها حول العلاقات المشار إليها فإننا لا نستطيع التثبت من خلفيات وخفايا تلك العلاقات التي كانت تربط القرطاجيين بحلفائهم المغاربة وذلك لنقص الوثائق فيما عدا تلك الحرب التي دارت بين قرطاجة والملك غايا (Gaïa) وذلك بعد استيلاء هذا الأخير على بعض المدن التي كانت تابعة للدولة القرطاجية وكان ذلك حوالي 213 ق.م وكذا الحرب مع سيفاقص ملك نوميديا الغربية التي سبقت بداية الحرب البونية الثانية وسرعان ما تراجعت قرطاجة عن تلك الحرب وحسنت علاقتها مع الملك المازسيلي وذلك بهدف ضمان استمرار الاتصال بجيوشها في شبه جزيرة ايبيريا (2). وفي هذا المضمار يأتي تزويج الأميرة القرطاجية سفونيسبة

(1) - Camps G., Massinissa ou les débuts de l'histoire ..., P. 35.

(2) - Tite- live XXIV , 13 , p. 583;

- محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية مط. دار الأمة للنشر والتوزيع ، الجزائر 1998 ، ص.ص. 59 - 60.

(Sophonisbe) من الملك سيفاقص بعد أن كان ماسينيسا قد وعد بالتزوج منها قبل ذلك عندما كان يحارب ضمن الجيش القرطاجي في شبه جزيرة ايبيريا. ولذلك اعتبر هذا الزواج سياسيا أكثر منه عاطفيا⁽¹⁾.

نستخلص من كل ما سبق بأن قرطاجة في أخريات أيامها كانت تسلك في علاقتها مع المغاربة القدماء سياسة مسك العصا من الوسط. وذلك من بين الأسباب التي جعلت بعض حلفائها المغاربة يتخلون عليها وينقلبون ضدها في كثير من الأحيان وأكثر من ذلك يرتمي البعض منهم في أحضان أعدائها وهو ما جعلها لقمة سائغة بالنسبة للرومان وقد أساءت للمغاربة بسياستها تلك. هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن روما كانت دولة في مستهل شبابها تطبق نظاما انضباطيا بين مواطنيها لا يقل صرامة عن التنظيم الذي كان سائدا قبل ذلك في مدينة اسبارطة ببلاد الإغريق وكان الهدف من كل ذلك هو جعل البحر المتوسط بحيرة رومانية وإيجاد مستعمرات لجنودها وعبيدها في مناطق أخرى خارج شبه جزيرة إيطاليا قصد التخفيف على مدينة روما التي كانت تعج بالطبقات الاجتماعية المتصارعة على السلطة السياسية والاقتصادية ، إضافة إلى العبيد والجنود المتقاعدين الذين أصبحوا يشكلون خطرا عليها.

(1) نفسه ، ص. 81.

اعتبارا إلى ان ثورة الجيش المرتزق تعتبر اول تعبير سياسي واجتماعي يفرد شخصية المغاربة القدماء ويظهر مدى تدمرها وعزمهم على التخلص من قرطاجة باعتبارها الت إلى دولة أوليجارشية ترعى مصالح ارسقراطيتها دون أن تعير أي اهتمام لحلفائها اللوبيين النومديين الذين ناصروها منذ نشأتها ووقفوا إلى جانبها في كل معاركها في صقلية ضد الإغريق والرومان ، فإننا سنحاول تقديم المراحل التي تبدو في اعتقادنا أنها الشعرة التي قسمت ظهر البعير كما يقول المثل ، لاسيما بعد مشاركة القرى والمدن التي كانت في المنطقة التي جرت فيها أحداث تلك الثورة وكذا أشهر الشخصيات التي قادتها.

2- ثورة الجيش المرتزق نموذجا ضد الهيمنة القرطاجية :

1- الحرب ومراحلها:

تعتبر ثورة الجيش المرتزق في بلاد المغرب القديم ، ضد الكيان القرطاجي من بين الثورات التي نالت قسما وافرا في كتابات المؤرخين القدماء من أمثال بوليبي (Polybe) وديودور الصقلي (Diodore) محاولين إعادة أسبابها من الأساس إلى تنكر قرطاجة لالتزاماتها نحو جيشها المرتزق الذي كان يحارب في جزيرة صقلية ضد الرومان⁽¹⁾.

وقد خصص بوليبي لتلك الثورة جزءا يسيرا من الفصل الثاني في كتابه الأول تضمنته الفقرات 70 - 88 ، وقد وردت ملخصة إلى حد كبير⁽²⁾، كذلك تناولها فيما بعد كل من ديودور الصقلي وأبيان (Appian) وتيت- ليف (Tite-Live) وغيرهم من المؤرخين المحدثين والمعاصرين. ويمكن أن نقدم بدورنا للقارئ الكريم ملخصا موجزا عن تلك الحرب والتعاليق التي يمكن أن نستشفها من خلال قراءتنا لها كما وردت على لسان المؤرخ الإغريقي بوليبي ومن جاء بعده⁽³⁾:

(1) - Polybe, Histoire livre 70- 88 I, éd. les belles lettres, Paris 1969, PP. 105 - 139.

(2) - Ibid, P. 177.

(3) - Walter G., La destruction de Carthage, éd. Albin Michel , Paris 1947, PP. 237- 253.

1- جيش بلا أجور :

يذكر بأنه بعد هزيمة قرطاجة على يد الجيش الروماني في الحرب البونيقية الأولى بجزيرة صقلية تم ترحيل الجيش المرتزق إلى مدينة قرطاجة على دفعات بغية إعطاء فرصة للدولة القرطاجية لتسديد أجورهم التي كانت قطعتها عليهم أثناء الحرب ممينة إياهم بأنها ستدفعها لهم مضاعفة بعد انتهاء الحرب⁽¹⁾، وقد كان الهدف من وراء ترحيلهم بتلك الطريقة هو ربح الوقت بالنسبة للقرطاجيين وتجنب تجمع المرتزقة في مدينة قرطاجة ثم ترحيلهم بعد حصولهم مباشرة على أجورهم والتخلص منهم نهائيا⁽²⁾.

ونظرا لهزيمة قرطاجة في الحرب وإلزامها بدفع ضريبة المهزوم للرومان ، فقد بات من المستحيل عليها دفع أجور هؤلاء الجنود الذين بدأوا يتجمعون في مدينة قرطاجة معربين عن تذمرهم في بعض أحداث الشغب التي تشتم منها رائحة استعمال العنف نتيجة مماطلة قرطاجة في دفع مرتباتهم وتملصها من كل التزاماتها اتجاه هؤلاء الجنود الذين وقفوا إلى جانبها وقت المحنة⁽³⁾.

(1) - Polybe, I, 12; Gsell St., H. A. A. N., T. III, PP. 100- 123.

(2) - Ch. Picard , La vie quotidienne à Carthage au temps de Hannibal, éd. Hachette, Paris 1958, PP. 182-189.

(3) - Gsell St., Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T.III, éd. Hachette, Paris 1911, P.101.

وحتى تتجنب قرطاجة أعمالهم تلك أمرت قادتهم بسحب وحداتهم إلى مدينة سيكا (الكاف حاليا) بتونس. ووعدتهم بتسديد الأجور قريبا وألحقت بهم بعد ذلك مباشرة عائلاتهم وأمتعتهم⁽¹⁾.

حاولت قرطاجة بعد تلك العملية أن ترسل بعض قادتها المحنكين من أمثال حانون وجيسكون لمفاوضة المرتزقة بقصد التنازل عن بعض مرتباتهم لفائدة خزينة الدولة ووضعهم في الصورة والظروف الصعبة التي تمر بها قرطاجة ماديا⁽²⁾. ولكن عبثا حاولت ذلك ، فقد زادت مفاوضاتهم في غموض الأوضاع وبات المرتزقة يعتقدون بأنهم لن يحصلوا على أجورهم بتاتا ، ولذلك عمدوا إلى التجمعات داخل معسكرهم وإلقاء الخطب الحماسية ، وظهر من بينهم زعماء متشددون في المناداة بحقوقهم كاملة غير منقوصة⁽³⁾.

ومن جهته يحمل بوليب وزر الثورة إلى ثلاثة أشخاص من المرتزقة هم :

ماطوس^(*) Mathos الأفريقي الأصل الذي كانت له علاقة سيئة بقاته القرطاجيين خلال الحروب الماضية نتيجة تعسفهم فحشي

(1) - Tlatli S. E., La Carthage punique, , Librairie d'Amérique d'orient , Paris 1978, PP. 278- 279.

(2) - Polybe, I, 67,13.

(3) - Ibid., I, 70; Warmington B. H., Carthage, éd. penguin books 1960, PP. 201- 206.

(*) ماطوس Mathos : لم يكن هذا القائد الليبي بناء على ما وصفته المؤلفات القديمة والمحدثه فضا غليظ القلب مثل زملائه في قيادة المرتزقة ، بل كان يتقد ذكاء ، قويا متبصرا له إلمام بالمسائل الحربية ، ذلك لأنه تكون في مدرسة هميلكار برقة رب القتال برا وبحرا.

العقاب ومن ثم حمل لواء الثورة لكي يتخلص ممن يضمرون له الكراهية⁽¹⁾.

وقد أغفل بوليب بروايته تلك الجانب الوطني في الموضوع وجرد الرجل من كل مسؤولياته تجاه بني قومه الذين كانت قرطاجة ترهقهم بدفع الضرائب التي بلغت حينذاك نصف المحصول في الحبوب والمواشي مثل ما أشار إلى ذلك المؤرخ ديودور الصقلي⁽²⁾.

أما القائد الثاني لتلك الثورة فكان سبانديوس Spendius العبد الكمباني (الروماني) الذي فر من الاستعباد وتجنّد في الجيش المرتزق وكان هو الآخر يخشى العودة إلى سيده لأن عقابه سيكون الإعدام وذلك عملاً بالقانون الروماني ، ولذلك كان عليه أن يبالغ في ترويع الشائعات ويعمل على احتدام الثورة حتى يجد المناخ الملائم للزعامة⁽³⁾.

كذلك كان الشخص الثالث ، وهو أوطاريتوس Autaritos من أصل غالي عمل كثيراً في الجيش القرطاجي ، وكان يحسن اللغة

من خصال ماطوس أنه يعرف كيف يفرض النظام في جيشه ويحافظ عليه ، إلى جانب ذلك أنه كان مثل بقية الليبيين يمثّل القرطاجيين جراً استبدادهم وتعسفهم في استعمال السلطة والاستيلاء على الأراضي لصالح الأرستقراطية القرطاجية، وكان ماطوس ينوي إزالة القرطاجيين بغية تكوين فيدرالية كبيرة من القبائل الليبية - النوميديّة استعداداً لنظام سياسي يبرز كيان المنطقة المحلية.

وفقاً لهذا المنظور وجه ماطوس في بداية ثورة الجيش المرتزق نداءً إلى كامل القرى والمدن الليبية-النوميديّة يحث أصحابها على الانضمام إلى الثورة ، ولقد لقي نداؤه تجاوباً كبيراً في كامل المنطقة الواقعة غرب قرطاجة فيما عدا المدن الساحلية مثل أوتيكا وبنزرت وغيرهما ، تلك المدن التي كانت تسيطر عليها قرطاجة.

(1) - Gsell St., op. cit., PP. 105- 107.

(2) - Diodore de Sicile, XXIV,23.

(3) - Walter G., op. cit., PP. 239 - 243.

البونية الأمر الذي جعله يترجم ويروج كثيرا من الدعايات المغلوطة هادفا من وراء ذلك إلى إنكفاء روح التذمر والانتقام من القادة القرطاجيين الذين كان يكن لهم كامل العداوة نتيجة تصرفهم المتعالي واحتقارهم للمرتزقة.

ويمضي بوليبي في سرد روايته تلك ، بأن ماطوس الإفريقي الأصل وسبانديوس الروماني كانا قد بعثا برسلا تفرقوا في أوساط السكان الإفريقيين والنوميديين ، يشيعون بأن القرطاجيين سوف يحملونهم نتائج الأحداث مثل ما تعودوا أن يفعلوا ذلك وبالتالي يجبرونهم على دفع التعويضات وأنه من صالحهم أن يضموا جهودهم إلى الجنود الثائرين للانتقام من عدوهم المشترك⁽¹⁾.

2- جيش غير متجانس :

تجدر الملاحظة أن الجنود الثائرين كانوا يتكونون من جنسيات مختلفة من بينهم الأفارقة والنوميديين والليغوريين والغاليين والايبيريين. وقد كانت الأغلبية تتكون من الأفارقة (الليبيين) والنوميديين الذين كانوا يتوضعون في الغالب على سواحل شمال إفريقيا أو بالغرب منها وكانوا يدورون في فلك القرطاجيين ، بالإضافة إلى أقليات أخرى من الإغريق وجزر البحر المتوسط. وينسب بوليبي إلى زعماء الثورة أسلوب العنف تجاه الجنود المرتزقة لإرغامهم على التمرد ، حيث يذكر

(1) - Polybe, I, 77.

أن شعار "أجهز عليه" كان هو الرادع لكل جريئ يريد إبداء رأيه بالتأييد أو المعارضة⁽¹⁾.

ووفقا لذلك باتت الطاعة وتنفيذ الأوامر هما سبيل النجاة كذلك يفهم من إشارات بوليبي بأنه عندما أدرك المرتزقة بأن قرطاجة أصبحت تخشى صولتهم بدأوا يتشددون في مطالبهم مثل التعويض عن خيولهم التي فقدوها أثناء حروب صقلية وكذا العلف الذي كان يقدم لها ، إلى غير ذلك من المطالب الخيالية التي لا نهاية لها⁽²⁾.

وأمام تلك الوضعية السيئة بالنسبة لقرطاجة والملائمة بالنسبة للمرتزقة أقدم هؤلاء الأخيرون على إلقاء القبض على القائد القرطاجي جيسكون ورفاقه الذين كانوا يفاوضونهم وعددهم حوالي 700 رجل حسب بعض المصادر ، وفي نفس الوقت أوفد ماطوس رسلا إلى سكان الأرياف والقرى من الليبيين والنوميديين يطلب إعانتهم والتحامهم بالثورة قصد القضاء نهائيا على قرطاجة التي أرهقتهم ماديا ، وأكثر من ذلك زحف المرتزقة من مدينة سيكا (الكاف) نحو الشمال الشرقي وعسكروا في تونس مبتدئين بضرب الحصار على مدينة قرطاجة ، كذلك بعثوا بكتائب أخرى لمحاصرة مدينة أوتيكا وبنزرت وهنا بدأت الحركة تأخذ طابعا شموليا تشتم منه رائحة الثورة الاجتماعية على

(1) - Gsell St., op. cit., P.124.

(2) - Polybe , I, 71.

الهيمنة الاقتصادية والتعسف المسلط على المغاربة القدماء ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد⁽¹⁾.

وذلك عندما أرغمت قرطاجة أمام الإغريق في صقلية على التخلي عن سياستها البحر متوسطية واتجاهها وجهة إفريقية ، وكان ذلك على حساب السكان المغاربة القدماء الذين اعتبروا حلفاء طبيعيين لها بداية من نهاية الألف الثاني قبل الميلاد⁽²⁾.

ومن جهته يبرر بوليبي دور المغاربة في تمويل ثورة المرتزقة بالتأكيد على الحماس الذي أبداه المتطوعون في الانضمام إلى الثورة حيث بلغ تعدادهم في وقت قصير حوالي 70 ألف رجل ، وأيضاً يشير بأن النساء الإفريقيات والنوميديات كن قد ساهمن في المجهود الحربي بحليهن وأمتعتن انتقاماً من أولئك الذين سلطوا الضرائب المجحفة على أبائهن وأزواجهن⁽³⁾.

والظاهر أن الأموال التي تبرع بها الأهالي كانت كثيرة جداً لدرجة أنها مكنت القائد ماطوس من تسديد أجور المرتزقة بدلاً من القرطاجيين وجندهم أكثر في خدمة الثورة التي استمر قادتها يتكفون بدفع أجورهم⁽⁴⁾.

(1) - Walter G., op. cit, P. 251.

(2) محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي ، مط. دار الهدى ، عين مليلة ، 2004 ، ص.ص. 69-70.

(3) - Polybe , I, 77, 78.

(4) Polybe , I, 76.

3- من التمرد إلى الثورة :

مما سبق يتضح بأن ثورة الجنود المرتزقة انقلبت من عصيان وتمرد في بدايتها إلى ثورة ذات طابع اجتماعي وسياسي هدفها تحرير المغاربة مما كانوا يعانونه من قبل الأوليجارشية القرطاجية ، وبذلك فقد أصبحت عبارة عن امتداد للتذمرات التي سبقتها قبل ذلك، لاسيما تلك التي اندلعت خلال القرنين الرابع والنصف الأول من القرن الثالث ق.م. كما أن الدلائل التاريخية تظهر بوضوح مدى مشاركة الطبقات الشعبية في تلك الملحمة بما فيها الأسر العريقة حيث يتضح ذلك من خلال انضمام الأمير النوميدي نرهافاس إلى الجيش القرطاجي صحبة ألفين من أتباعه ، ولا يستبعد أن يكون قبل ذلك يقاتل في صفوف الثوار ولأسباب لم يشر إليها المؤرخون فيما عدا ذلك الذي تم بينه وبين القائد القرطاجي والمتمثل في وعده بالتزوج من إحدى بناته وهو سبب واهي في رأيي ، ولربما كان للصراعات القبلية في بلاد المغرب القديم ، أو لاختلافه مع قادة الثورة وذلك نظرا لمكانته الاجتماعية في قومه ، كل ذلك دفعه للانضمام إلى الطرف المعادي⁽¹⁾.

أعود إلى الدور القرطاجي في مواجهة تلك الثورة ، فأسجل بأنه كان على حكومة الأقلية الحاكمة أمام تلك الأوضاع المتردية المشار إليها رغم اختلافاتها الحزبية الداخلية أن تستدعي أحد قادتها الذي

(1) - Ibid., I, 78, 1-9.

اشتهر بالصرامة والشدة أثناء حروب صقلية ضد الرومان ، ذلكم القائد هو "هملكار برقة" والد حنبعل بطل الحرب الرومانية- القرطاجية الثانية⁽¹⁾

كان على القائد هملكار برقة الذي اختبر الجيش المرتزق عندما كان يحارب تحت قيادته في الضفة الشمالية لغرب البحر المتوسط أن يستغل نقاط الضعف عند أولئك الجنود، لاسيما . وقد انضم إليهم سبعون ألف مقاتل من الأهالي كانوا هم الآخرين مشحونين بالعواطف ، ولكن لا يتقنون فن الحرب مما يسهل مهمته⁽²⁾.

4- تنظيم المواجهة :

إن أول شيء قام به القائد القرطاجي هو تنظيم الجيش القرطاجي وتزويده بالفيلة والمعدات اللازمة ثم تحين الفرصة وخرج تحت جناح الظلام من مدينة قرطاجة التي كانت محاصرة من قبل المرتزقة ، وبدأ يناوشهم حتى استدرجهم إلى مكان منبسط تكون للفيلة فيه القول الفصل ، وهناك لقنهم الهزيمة الأولى التي أنهكت قواهم وكلفتهم ضياع الكثير من جنودهم ، علما وأنه أثناء تلك الظروف انضم إلى قوات القائد القرطاجي الأمير النوميدي نرهافاس مزودا بحوالي 2000 من أتباعه ، وبذلك تعززت صفوف الجيش القرطاجي القتالية بأولئك الفرسان النوميديين. وقد عمد هملكار برقة في معاركه الخاطفة

⁽¹⁾Gsell St., H. A.A. N., T. III, PP. 108 - 116.

⁽²⁾-Gsell St., H. A.A. N., op. cit., P. 106.

تلك إلى أسلوب نفساني كان له أثره العميق في أوساط الجيش المرتزق ، بحيث أنه كان يحسن إلى أفراد الجيش المرتزق الذين يلقي عليهم القبض⁽¹⁾ ، وفي كثير من الأحيان يطلق سراحهم أو يعيد تجنيدهم في جيشه ، وكان هدفه من وراء ذلك الأسلوب هو تفتيت الجيش المرتزق والنيل من عزيمته ووحدته حتى يسهل عليه بعد ذلك معاقبة المتسببين في تلك الحرب الداخلية التي قاربت أن تجهز على قرطاجة وهي منهوكة القوى من جراء ما لحقها في جزيرة صقلية⁽²⁾ .

غير أن قادة الجيش المرتزق كانوا متنبهين لما قام به القائد القرطاجي ، ولذلك كان عليهم أن يقابلوا إحسانه بالإساءة حتى يفسدوا عليه مخططه ، وبالتالي يضطرونه للمعاملة بالمثل ، فقد عمدوا إلى قتل القائد القرطاجي جيسكون ورفاقه الذين كانوا سجناء عندهم تحت التعذيب ومثلوا بهم ثم رموهم بعد ذلك في هوة سحيقة بالقرب من أسوار مدينة قرطاجة ، هادفين من وراء ذلك إلى بث الخوف والهلع في نفوس القرطاجيين. وفعلا فقد أثرت تلك العملية البشعة في سكان مدينة قرطاجة لدرجة أنهم ألحوا في الطلب على قادتهم لمعاملة المرتزقة بالمثل⁽³⁾ . ووفقا لذلك قرر القادة القرطاجيون قتل الأسرى الذين كانوا بين أيديهم ورمي كل من يلقي عليه القبض في المستقبل تحت أرجل

(1) - Walter G., op. cit., PP. 244-245; Gsell St., H.A.A.N., T. III, P. 113.

(2) - Diodore XXV,3,2.

(3) - Polybe, I, 87,7.

الفيلة لتدوسه ، وكانت هذه الأخيرة بمثابة الدبابة في عصرنا الحالي لها مكانتها في إحراز النصر عندما يحسن استعمالها⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى ازداد ضنك قرطاجة المالي في تلك الظروف الصعبة ، فالتجأت إلى طلب سلفة مالية من القائد الإغريقي هيرون الثاني ملك سيراكوزة وكذا بطليموس الثاني فيلادلفي ملك مصر ، فاستجاب الأول ورفض الثاني معللا ذلك ، بأنه لا يريد الدخول في مشاكل مع الدولة الرومانية التي كانت ترتقب الأحداث من الضفة الشمالية للحوض الغربي للبحر المتوسط ، وقد انتهزت فرصة انشغال قرطاجة في حروبها الداخلية لتستولي على كل من سردينيا وكورسيكا بعد أن ساعدت على إخماد ثورة الجيش المرتزق التي شبت هناك ضد بقايا القرطاجيين في الجزيرتين ، وبذلك فقدت قرطاجة الجزيرتين نهائيا لفائدة الرومان الذين كونوا منهما المقاطعة الثانية خارج شبه جزيرة صقلية⁽²⁾.

أعود إلى الميدان العسكري فأشير بأن أنصار القائد همكار في مدينة قرطاجة قد تكاثروا فنادوا بإعطائه السلطة المطلقة من جديد ، مما زاده تعنتا وصلابة في وجه المرتزقة بحيث تتبع خطاهم مستفيدا من كل هفواتهم في المعارك السابقة حتى حاصروهم في مكان صعب المسالك

(1) - Walter G, op. cit., PP. 237-253.

(2) - Diodore de Sicile, XXX, 103, Bibliothèque , histoire , trad. par A. F. Miot, Paris 1943; Nicolet C. , op. cit., PP. 594 - 599.

منعزل عن كل شيء وأمعن في ضغطه عليهم فاضطروهم هذه المرة لكل دوابهم وعبيدهم ، وفي الأخير أرسلوا له بوفد يفاوضونه على فك الحصار والتصالح ، غير أنه مقابل ذلك اشترط عليهم حجز عشرة من قادتهم كرهائن ، ثم الاستجابة بعد ذلك لطلباتهم. وكانت مفاجئته لهم هي وقوع اختياره على الوفد المعارض له والذي كان من بين أعضائه القائدان سبانديوس الروماني وأوطاريتوس الغالي⁽¹⁾ ، ولم يعد هؤلاء المفاوضون إلى جنودهم حيث فسر المرتزقة ذلك بالخيانة والمؤامرة من قبل القرطاجيين ولم يتحملوا قوة الصدمة ، فاشتبكوا بالجيش القرطاجي في عملية شبه انتحارية منوا فيها بهزيمة شنعاء شلت قواهم العسكرية ، وعرفت تلك المعركة بمعركة فج المنشار بالقرب من زغوان الحالية⁽²⁾.

لم يتوقف انتقام هملكار برقة من المرتزقة عند ذلك الحد ، بل عمد إلى قتل "سبانديوس" و"أوطاريتوس" في المكان الذي قتل فيه القائد القرطاجي جيسكون وأتباعه انتقاماً لأرواح مواطنيه وبالمقابل لم يهدأ بال القائد الإفريقي ماطوس الذي كان يستولي على مدينتي أوتيكا وبنزرت أثناء معركة المنشار السابقة الذكر، فانتقم هو الآخر بقتل أحد القادة القرطاجيين واسمه حنبعل مع شلة من رفقائه ، وكان هذا الأخير

(1) - Gsell St., H A. A. N., T. III, PP. 119 - 121.

(2) - Diodore de Sicile , 34; Polybe, I, 31,72; Decret F., Carthage ou l'empire de la mer..., PP. 174-178.

من مساعدي هملكار برقة. بالإضافة إلى ثلاثين شخصية قرطاجية من
وجهاء القوم قدموا هم الآخرين قربانا لأرواح سبانديوس وأوتاريت
ورفاقهما⁽¹⁾.

وتجدر الملاحظة إلى أنه بعد مرور سنتين على تلك الأحداث
الانتقامية لكلا الطرفين ، أعادت قرطاجة من جديد تنظيم جيشها بحيث
جعلت القيادة جماعية بين حانون الكبير وهملكار برقة هادفة من وراء
ذلك إلى تخفيف حدة الانقسامات داخل مجلس الشيوخ القرطاجي بين
المؤيدين والمعارضين للنظام الأسرى والإجهاز في نفس الوقت على قوة
المرتزقة⁽²⁾.

ووفقا لذلك تقدم القائدان القرطاجيان بجيشهما لمناوشة الجيش
المرتزق وعلى رأسه القائد ماطوس وتتبع خطاه حتى اضطر للاشتباك
معهما في معركة بالقرب من سوسة ، وهناك توفرت للجيش القرطاجي
الظروف الملائمة ، فأجهز على المرتزقة وألقى القبض بعد ذلك على
القائد ماطوس ، فاقتيد إلى الساحة العامة في مدينة قرطاجة
للاستعراض به مكبلا ، ولقي مصيره تحت التعذيب وبذلك انتهت
المجابهة المنتظمة في شكلها العسكري ، وبقيت أثارها الاقتصادية

(1) - Ibid, P.176.

(2) - Polybe, I, 2, 86; Warmington B. H., op. cit., PP. 202- 206.

والاجتماعية ماثلة للعيان في تحديد العلاقات المستقبلية بين المجتمعين القرطاجي والليبي - النوميدي⁽¹⁾.

ب- تداعيات الحرب :

1. مرحلة العقاب :

كان على هملكار برقة بعد ذلك أن يعاقب كامل المدن والقرى النوميديّة التي انضمت إلى ثورة الجنود المرتزقة حتى أعطتها ذلك الطابع المحلي "الوطني" ولذلك نراه يجرّد حملة عسكرية يجتاح بها المنطقة الواقعة غربي قرطاجة مسلطاً أقصى العقوبات على النوميديين الذين شملتهم حملته تلك. وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ ستيفان جزيل (ST. Gsell) بأن الحملة العسكرية القرطاجية وصلت حتى مدينة سيرتا (قسنطينة الحالية) وعادت من هناك بغنائم كثيرة أتاحت لهم الفرصة لحل بعض مشاكلهم المالية العويصة التي كانت تتخبط فيها الدولة القرطاجية ، وفي نفس الوقت سمحت لهم بتجهيز حملة عسكرية اجتاز بها هملكار برقة وصهره صدر بعل بلاد المغرب القديم لتجديد دماء وحيوية الدولة القرطاجية في شبه جزيرة إيبيريا التي اختارها الفينيقيون الأوائل أجداد القرطاجيين منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد⁽²⁾، غير أنه يبدو أن هملكار برقة لم يتمكن من استئصال جذور الثورة التي كانت بدايتها تذرّج الجيش المرتزق نهائياً خلال حملاته

(1) - Polybe , I, 288; Warmington B. H., op. cit., P. 206.

(2) - Gsell St., op. cit., T. II, P. 128.

داخل المنطقة الليبية- النوميديّة ، ذلك أن نار الثورة ما لبثت أن اندلعت من جديد عندما ترك القائد القرطاجي شمال إفريقيا مجتازا "أعمدة هرقل" (مضيق جبل طارق حاليا) لفتح شبه جزيرة ايبيريا من جديد، حيث انتهز زعماء الثورة المتبقين في شمال إفريقيا فرصة انشغال هملاكار بمشاريعه التوسعية في شبه جزيرة ايبيريا وأخذوا في استنهاض الهمم للثورة من جديد بغية التخلص من نير القرطاجيين قبل أن تلتئم الجراح وتخمد حرارة الثورة⁽¹⁾.

ففي الأعوام الممتدة ما بين سنوات 237 - 228 ق.م. حدثت عدة ثورات عنيفة في نوميديا أوردها بعض المؤرخين القدامى وعلى رأسهم ديودور الصقلي ، الذي أشار إلى أن القائد صدر بعل القرطاجي وهو ابن أخ القائد هملاكار وصهره في نفس الوقت قد قاد عدة حملات قضى فيها على تلك الثورات المتجددة إلى درجة أنه قتل أثناءها حوالي 8000 نوميدي وأسر 2000⁽²⁾. وقد كان الهدف الاستراتيجي بالنسبة للقرطاجيين من وراء ذلك هو الاستعداد بعيدا عن أعين الرومان للجولة الثانية التي سيقودها حنبعل بن هملاكار برقة ضد الرومان وذلك انتقاما لشرف قرطاجة الذي ديس في الحرب البونية الأولى. وقد سميت تلك الجولة بالحرب البونية الثانية التي نقل فيها القائد القرطاجي المعركة إلى أرض العدو نفسه ، وبقي وصول ويجول

(1) - Decret F., Carthage... P. 178.

(2) - Diodore de Sicile, op. cit., 34.

هناك في شبه جزيرة إيطاليا لمدة 17 سنة أفشل فيها كل مخططات مجلس الشيوخ الروماني الذي عمل المستحيل للقضاء عليه. ويلاحظ بأنه أتيحت الفرصة عدة مرات لحنبعل لمحاصرة مدينة روما نفسها ، إلا أن مخططه كان أبعد من ذلك بحيث ربط علاقته مع فليب الخامس ملك مقدونية بغية توحيد جهودهما ضد أهداف الرومان التوسعية في أطراف البحر المتوسط⁽¹⁾.

2. ثورة لها مطالب أم مجرد تمرد :

والآن بعد استعراض الأحداث العسكرية ، هل يمكن أن نعد ثورة الجنود المرتزقة ثورة محلية "وطنية" بمفهومنا الحالي للمصطلح؟ أم أنها كانت عبارة عن تدمير وتمرد قام به جنود من أجل أجورهم ومصالحهم الخاصة؟

للإجابة عن هذين التساؤلين يمكن أن نقول بناء على المصادر المكتوبة بأن الثورة كانت قد مرت بمرحلتين أساسيتين كانت أولهما تدمير الجيش المرتزق من جراء تنصل قرطاجة من التزاماتها إزاء أولئك الجنود⁽²⁾.

أما المرحلة الثانية فتتمثل في استجابة المغاربة لنداء القائد ماطوس الذي هو من أصل إفريقي وجمعهم للأموال التي استطاع بواسطتها ذلك القائد دفع مرتبات المرتزقة وتموين سير الثورة بعد

(1) - Polybe , I, 72.

(2) - Picard Ch., op. cit, P P. 179- 180.

انضمام حوالي سبعين ألفا من النوميديين المتطوعين إلى الثورة ويعد ذلك بمثابة مشاركة فعلية فيها ويبرهن هو الآخر بما فيه الكفاية على محتواها الوطني إلى درجة أن بوليب يذكر بأن النساء كن قد شاركن بحليهن ، وكل ما يملكن لصالح الثورة. أيضا يعد اتساع رقعة الثورة الجغرافية خارج مدينة قرطاجة وسيكا إلى المناطق الليبية والنوميديية الأخرى من بين الشواهد التي تعطيها طابع ثورة محلية (وطنية) أكثر شمولية إلى درجة أن بعض المؤرخين جعلوها امتدادا للتذمرات السابقة عنها والتي كان الهدف منها هو الوقوف في وجه الهيمنة الاستعمارية القرطاجية ابتداء منذ القرن الخامس قبل الميلاد⁽¹⁾.

أما الملاحظة الأخرى التي يمكن أن نسوقها في هذا المجال فتتمثل في الامتداد الزمني لتلك الثورة ، فقد دامت أكثر من ثلاث سنوات وأربعة أشهر رغم الشراسة التي كان يتسم بها الطرفان القرطاجي والليبي -النوميدي إلى درجة أنها عرفت بالحرب غير المغتفرة التي سجلها التاريخ حينذاك في بلاد المغرب القديم.

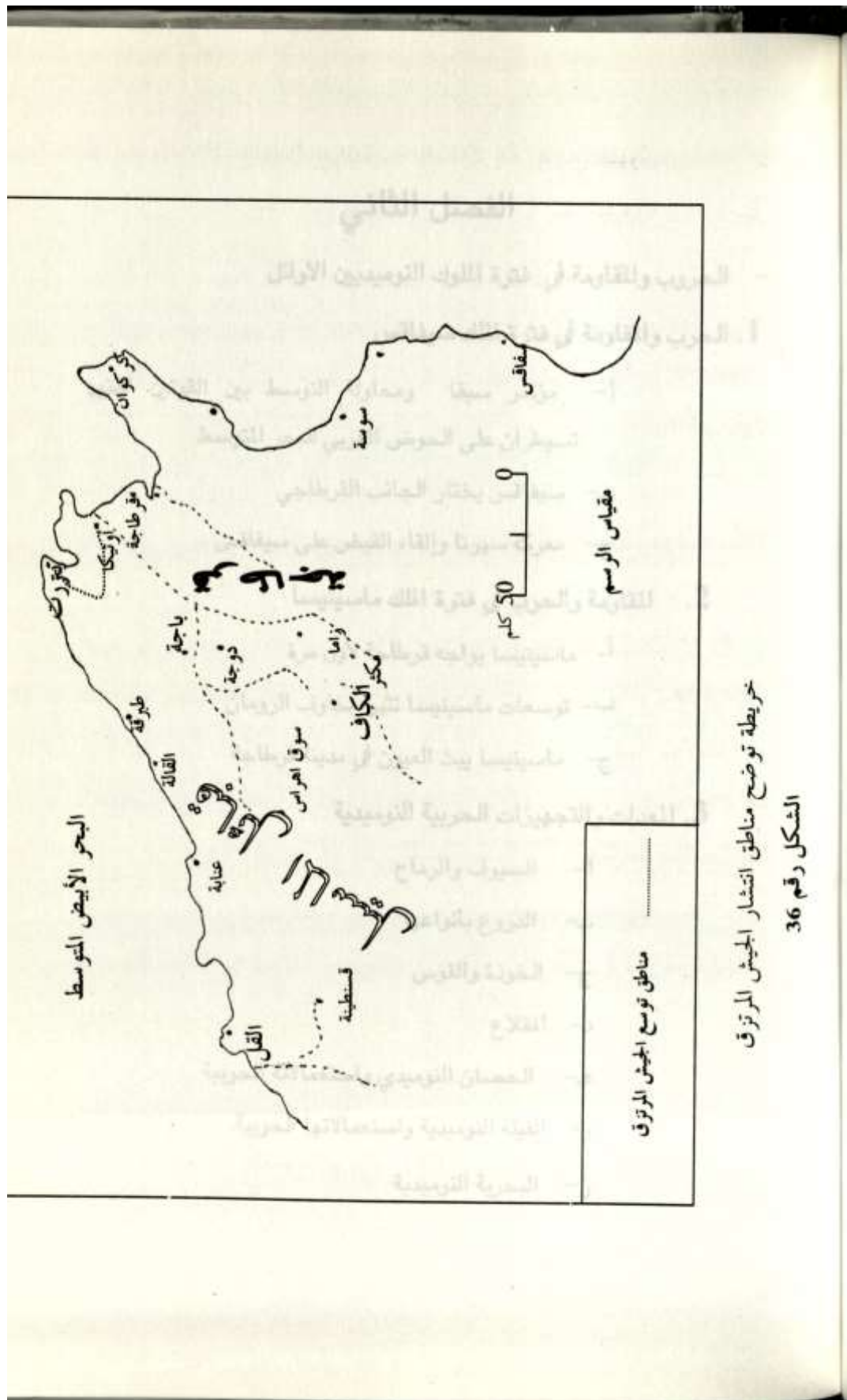
يضاف إلى ذلك أنه إذا قمنا بعملية إحصائية لمحتواها البشري سواء أكان ذلك على مستوى الجيش المرتزق الذي كان جله من المغاربة أو بعد ما انضم إليها سكان القرى والمدن القريبة التي شملتها الثورة ، فإننا نصبح شبه متأكدين من طابعها المحلي التحريري. كذلك يمكن أن

(1) - Hours Médian M., Carthage P. U. F., 1949, PP. 46- 61.

نذهب بعيدا فنعتبر استيلاء قرطاجة على أراضي سهول دخلة أولاد بوسالم ذات التربة الخصبة على أعالي نهر المجردة ، وفرار الأمير النوميدي نرهافاس باتباعه وانضمامه إلى القرطاجيين وبهذا تعدّ البذرة الأولى للصراع بين النوميديين فيما بينهم والتي امتد أثرها فيما بعد إلى الملك سيفاقس الذي ناصر القرطاجيين والملك ماسينيسا الذي انحاز للرومان ، وبالتالي فهي من الأسباب البعيدة لمجيء الاستعمار الروماني إلى شمال إفريقيا. هذا إذا اعتبرنا بأن الصراعات القبلية بين الماسيسيل والمازسيل كانت مسؤولة عن ضعف الكيان المغاربي أمام الهجمات الخارجية⁽¹⁾. (انظر الشكل رقم 36 ص. 237).

واعتمادا على ما سبق يمكن أن نقول ، بأن التاريخ تصنعه إرادة الشعوب وأنه ليس هناك من يستطيع أن يقف على رجليه سويا تحت الشمس في هذا العالم، إذا لم تكن له قوة ضاربة ذاتية معنوية ومادية يستطيع أن يدافع بهما عن نفسه وقت الحاجة ، أما الاعتماد على الآخرين فهي نظرية مضللة في غالب الأحيان سلبية أكثر من إيجابياتها سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أو الدول.

(1) محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ...، ص. 245.



الفصل الثاني

- الحروب والمقاومة في فترة الملوك النوميديين الأوائل

1. الحرب والمقاومة في فترة الملك سيفاقس

أ- مؤتمر سيقا ومحاولة التوسط بين القوتين اللتين

تسيطران على الحوض الغربي للبحر المتوسط

ب- سيفاقس يختار الجانب القرطاجي

ج- معركة سيرتا وإلقاء القبض على سيفاقس

2. المقاومة والحرب في فترة الملك ماسينيسا

أ- ماسينيسا يواجه قرطاجة لأول مرة

ب- توسعات ماسينيسا تثير مخاوف الرومان

ج- ماسينيسا يبث العيون في مدينة قرطاجة

3. المعدات والتجهيزات الحربية النوميديّة

أ- السيوف والرماح

ب- الدروع بأنواعها

ج- الخوذة والقوس

د- المقلع

هـ- الحصان النوميدي واستعمالاته الحربية

و- الفيلة النوميديّة واستعمالاتها الحربية

ز- البحرية النوميديّة

- الحروب والمقاومة في فترة الملوك النوميديين الأوائل

1- الحرب والمقاومة في فترة الملك سيفاقس :

ورد في كتابات المؤرخ الإغريقي بوليبي ما يشير على أنه منذ نهاية القرن الثالث ق.م. (213 ق.م.) كانت هناك صداقة بين الملك سيفاقس (Syphax) والقرطاجيين ويمكن أن تمتد إلى ما قبل ذلك عمقا في التاريخ⁽¹⁾.

ويصف سترابون (Strabon) أراضي قبائل المازسيل بأنها كانت تمتد من حدود القبائل المورية غربا حتى رأس تريتون (Cap reton) وقد كان الهدف من وراء تلك الصداقة بالنسبة لقرطاجة يتمثل في حفظ خط الاتصال بينها وبين جيشها الذي يحارب في شبه جزيرة ايبيريا ، حيث كان القرطاجيون يضعون نصب أعينهم مفاجأة الرومان من حيث لا يدرون في شمال شبه جزيرة ايطاليا ، وهو ما كان قد بدأه حنبعل منذ سنة 218 ق.م. وما عرف لدى المؤرخين بانطلاقة الحرب البونية الثانية⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 37 ص. 242).

أشير إلى اسم سيفاقس وقد كتب على عملة برونزية بحروف بونية جديدة "س ف ق ه م ل ك ت" وهو ما يقابله في اللغة العربية

(1) - Polybe, III, 33, 15.

(2) - Strabon , XVII,3,9; Tite-live, XXIV,48,12.

"الملك سيفاقس"، أو مملكة سيفاقس ويظهر على عملة سيفاقس البرونزية رأس متوج وعلى ظهرها فارس يمتطي جواده في حالة عدو سريع⁽³⁾.



عملة نوميديية تعود إلى فترة الملك سيفاقس يظهر في الوجه الثاني فارس يمتطي جوادا وتحتة كتب بحروف بونية (س ف ق - ه م م ل ك ت)

الشكل رقم 37

⁽³⁾ - Mazard J., op. cit., PP. 18 - 21 N°1-12

وحول اصل تسميت سيفاقس يعتقد المؤرخ كامبس أنه مستمد من اسم الآلهة سوفاكس (Sophax) ابنه الاله هرقل⁽¹⁾، وكانت له عاصمتان: أولهما تاكمبريت (Siga) على نهر التافنة والثانية سيرتا (قسنطينة الحالية) على وادي الريمال ، وكان قد ضم هذه الأخيرة في حوالي 205 ق.م. وذلك أثناء الخلاف بينه وبين ماسينيسا بعد وفاة والده غايا سنة 206 ق.م.

كان الملك سيفاقس في بداية الأمر قد انحاز إلى الرومان في حروبهم ضد القرطاجيين في شبه جزيرة ايبيريا وكان ذلك قبل سنة 213 ق.م حيث زوده الرومان ببعض قاداتهم المتواجدين باسبانيا وذلك بغية تعزيز علاقتهم معه وتدريب جيشه ليحارب على الطريقة الرومانية⁽²⁾.

ويشكك في هذا الرأي الأخير المؤرخ س. جزيل ، حيث يرى أن الرومان كانوا يهدفون إلى إبقاء جسر الصداقة مع الملك سيفاقس خوفا من انتقاله إلى الجانب القرطاجي⁽³⁾.

ولعل أول حروب سيفاقس ضد القرطاجيين كانت في شبه جزيرة ايبيريا بعد تحالفه مع الرومان فقد جازاه الرومان على التحالف بأن

(1) - Camps G., Massinissa ou les débuts de l'histoire, P. 293.

(2) - Tite-Live, XXIV, 48, 1.

(3) - Gsell St., H. A. A. N., T. III, P. 181.

أرسلوا هدايا تمثلت في عباءة أرجوانية اللون وكُرسي من العاج وكأس من الذهب . كما زودوه بتقنيين عسكريين⁽¹⁾.

أ- مؤتمر سيقا ومحاولة التوسط بين القوتين اللتين تسيطران على الحوض الغربي للبحر المتوسط :

لقد توقف القائد القرطاجي صدر بعل (Hasrubal) الذي كان متوجها إلى قرطاجة في سيقا وفي نفس الوقت وصل إليها القائد الروماني سيبيون (Scipion).

وقد اجتمع القائدان القرطاجي والروماني في ضيافة الملك سيفاقس الذي لا يستبعد أن يكون قد رتب اللقاء بين القائدين بغية التوسط لإنهاء النزاع بين القوتين المتصارعتين على سيادة البحر المتوسط ، وعند التطرق للموضوع أجاب القائد الروماني سيبيون أنه لا يكن عداوة شخصية للقائد القرطاجي صدر بعل ، ولكن ليس بإمكانه أن يبيت في قضية يعود الحل والعقد فيها لمجلس الشيوخ الروماني وحده وهو المخول لذلك⁽²⁾.

ومع محاولة الرومان للحفاظ بالملك سيفاقس إلى جانبهم ، إلا أن هذا الأخير كان يفكر في الأمر جيدا ويوازن بين الهيمنة الرومانية والتردد القرطاجي فيختار عن طوعية الانضمام إلى القرطاجيين ذلك لأنه كان يرى أن مصير بقاء مملكته مرتبط بالجانب القرطاجي في

(1) - Tite-Live, XXIV, 49; XXVII, 17.

(2) - Tite-Live , XXVIII, 17- 18; Strabon , VII, 3, 9.

الشاطئ الجنوبي للحوض الغربي للبحر المتوسط ويخشى عاقبة الامتداد الروماني إن هم حطوا رحالهم ببلاد المغرب القديم⁽¹⁾.

ب- سيفاقس يختار الجانب القرطاجي:

بناء على ذلك نرى سيفاقس يقترب أكثر من القرطاجيين فيتزوج من الأميرة سوفونيسبة (Sophonisbe) ابنة القائد صديرعل وذلك سنة 205 ق.م. وكانت هذه الأخيرة تشارك زوجها سيفاقس حتى في تسيير الحكم وتدفعه لكره الرومان⁽²⁾.

وقد أحسن سيفاقس للقرطاجيين فأعاد لهم مدنا كانوا قد تنازعوا عليها مع الملك غايا قبل وفاته سنة 206 ق.م.⁽³⁾

ولم تتوقف وساطة سيفاقس بين القرطاجيين والرومان وذلك تقديرا منه للأهداف التوسعية التي كانت تحرك الرومان بعد توحيدهم لشبه جزيرة إيطاليا ومنها امتدت توسعاتهم لكل من صقلية وسردينيا وكورسيكا على اثر نهاية الحرب البونية الأولى 241 ق.م..

ولذلك نرى سيفاقس يبادر بإرسال مبعوثين عنه سنة 204 ق.م. للقنصل الروماني سيبليون الذي كان يعسكر في سيراكوزة (Syracuse) بصقلية استعداد لنقل الحرب إلى بلاد المغرب القديم يدعوها فيها للعدول عن رأيه فيما سيقدم عليه وإلا فإن جيوش الملك

(1) - Tite-Live , XXVIII, 17, 6.

(2) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ... ص 62.

(3) - Tite-live XXIX, 23, 7-10.

سيفاقس ستقف إلى جانب القرطاجيين الذين يعتبرون حلفاءه الطبيعيين في الشاطئ الجنوبي للحوض الغربي للبحر المتوسط⁽¹⁾.

فعلا فإنه بمجرد نزول الحملة العسكرية الرومانية سنة 204 ق.م. بقيادة سيبليون في أرض إفريقية انضم الملك النوميدي سيفاقس بحوالي 60 ألف من محاربيه إلى الجيش القرطاجي وذلك بغية الوقوف في وجه الخطر الروماني الداهم الذي بدأ يحققه الرومان على أرض الواقع في شمال إفريقيا.

ولم يئس سيفاقس بعد رجحان كفة المناوشات الأولى بين الرومان والقرطاجيين والتي كانت في معظمها لصالح الرومان ، فاتصل ثانية بالقائد الروماني سيبليون يعرض عليه الصلح والعودة من حيث أتى، ومقابل ذلك فإن قرطاجة ستطلب بدورها من حنبعل مغادرة شبه جزيرة إيطاليا التي ظل يرباطبها مدة من الزمن ، غير أن القائد الروماني سيبليون تظاهر ما بين التردد والقبول وأوعز في نفس الوقت إلى بعض مساعديه بالتسلل إلى معسكر القرطاجيين وحليفهم سيفاقس متكررين ليعرفوا مناطق الضعف فيه ، وعندما أدرك إيجابية خطته بعث ببعض جنوده لإضرام النار التي أتت على كل شيء في معسكر أعدائه.

(1) - Grimal P., Le siècle de scipions rome et l'hellénisme au temps des guerres puniques, Aubier, Paris 1975, PP. 320- 324.

لاسيما وأن هذا الأخير كان مغطى بالحلفاء والقش والأشياء القابلة للاشتعال⁽¹⁾.

وقد كانت النتيجة ثقيلة بالنسبة للقرطاجيين وحليفهم سيفاقس. ولم تفت تلك الهزيمة المشار إليها في ع ضد سيفاقس وحلفائه القرطاجيين ، فجمعوا أشتات جيشهم وجندوا فرقا جديدة من أبناء المنطقة واستعدوا لمعركة السهول الكبرى⁽²⁾ التي جرت سنة 203 ق.م. ، غير أن الحظ لم يكن مع سفاقس وحلفائه القرطاجيين في تلك المعركة الانتقامية الدفاعية في نفس الوقت. وبمجرد أن أحس سيفاقس بالهزيمة فر تاركا ساحة المعركة باتجاه عاصمته سيرتا ، غير أن ماسينيسا الذي وقف إلى جانب الرومان في معركة السهول الكبرى صحبة لاليوس (Laelius)⁽³⁾ أحد مساعدي القائد الروماني سيبيون كانا قد تتبعوا خطأ سيفاقس . وعبثا حاول هذا الأخير التعرض لهما بعد أن دخل مدينة سيرتا ثم عاد ليعترض طريقهما وذلك فيما عرف عند المؤرخين بمعركة سيرتا سنة 203 ق.م. .

ج- معركة سيرتا وإلقاء القبض على سيفاقس :

لقد هزم سيفاقس في معركة سيرتا وألقي عليه القبض بعد أن أصيب جواده ، ثم أخذ مكبلا إلى مدينة سيرتا وسلم بعد ذلك من قبل

(1) - Polybe, XIV,9 XIV,2,3; Tite-Live XXIX,35, 11- 12.

(2) E. , op.cit., P.383. - Tite Live, XXX,3,4.; Tlatli S.

(3) - Polybe XIV, 6-12 X, V, 7,4.

ماسينيسا للقائد الروماني سيبيون ليرسل بعد ذلك إلى روما ، حيث أودع سجن تيبور (Tibur) وبعد ذلك الاستعراض به مكبلا شنق في الساحة العامة بمدينة روما⁽¹⁾.

خلى الجو لماسينيسا الذي توج في معسكر القائد الروماني وأمام جيوشه ، ثم أعطي لقب ملكا حليفا للشعب الروماني ونصب في مدينة سيرتا وبقية المدن النوميديّة الثانوية القريبة والتي كان قد وحدها بمساعدة القرطاجيين ، وبذلك لا نعدوا أن نقول إن توحيد نوميديا بجناحيها الشرقي والغربي كان قد تم على يد الملك سيفاقس وذلك منذ سنة 205 ق.م. وطبعا كان ذلك بمساعدة القرطاجيين الذي كانوا قد خبروا قبل ذلك طموحات ماسينيسا⁽²⁾ منذ أن تثقف في مدينتهم وعمل ضابطا في جيشهم بشبه جزيرة ايبيريا⁽³⁾.

لقد حاول فرميننا (Vermina) أو فرميند (V R M N D) كما ورد كتابة اسمه في النصوص اليونانية أن يخرج الجانب الغربي من

(1) - Polybe, XXX, 12, 6-10, 14-15.

(2) هنا يمكن أن نتساءل ما إذا كان ماسينيسا غير قادر على رؤية ذلك المستقبل الخاص بنوميديا في ظل الهيمنة الرومانية ، وذلك يعود لتثقافته التي جعلت منه رجل ميدان بفضل السيف والخيمة العسكرية أكثر منه سياسيا ، يعيش في القصور ويتضلع في الدهاء السياسي ؟ أم أن ماسينيسا كان رجلا أنانيا لا يرى إلا مصالحه الشخصية ولا يهمه ماذا بعده أو ماذا ستجنيه المنطقة من خلال سياسته تلك. وهو بذلك يعمل وفقا للمثل القائل : "ليكن بعدي الطوفان". ومهما يكن ، فإننا يجب أن لا نتهم الرجل أو نبرئه مادامنا لا نعرف الظروف الحقيقية التي كانت تحيط به ، غير أن الأنتلجاسيا التي كانت تدير مجلس الشيوخ الروماني كانت تدرك مطامح ومصالح الرجل في تحقيق شعاره " إفريقيا للأفارقة " ، ولذلك كانت توجهه حسب مصالح الشعب الروماني وتقف ضده كلما بدت منه أشياء تخالف ذلك ، والأدلة على ذلك كثيرة يمكن التطرق إليها في مكانها .

(3) - Tie-Live, XXXI, XI, 45, 4; Gsell St. H. A. A. N., T. 3, P. 197.

نوميديا من غرفة الإنعاش التي وضعه فيها الرومان بالاستعانة مع ماسينيسا الذي تربع على العرش في مدينة سيرتا كعاصمة لإتحاد الملكتين بعد أن ألقى القبض على سيفاقس⁽¹⁾.

غير أن جهوده باءت بالفشل أمام الزحف الروماني ضمن مخططهم العام الذي يتلخص في وضع البحر المتوسط بحيرة رومانية بدلا مما كانت عليه قرطاجية قبل ذلك ، وحول هذا الموضوع يذكر المؤرخ الاغريقي بوليبي أن ماسينيسا بإيعاز من الرومان كان قد ضم مملكة المازسيل إلى مملكته الشرقية (الماسيلية)⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 38ص.250).

وقد تضاربت أقوال المؤرخين حول حكم الملك فرمينيا بعد وفاة والده، والظاهر أنه استمر في الحكم حتى سنة 193 - 192 ق.م ، لكن ذلك كان في المناطق المحاذية لمنطقة القبائل الجنوبية الصحراوية بالغرب الجزائري⁽³⁾.

(1) - Tite-Live, XXX, 45,4; Gsell St. H. A. A. N., T. III, P. 197, Note N° 2.

(2) - Polybe, XV, 15, 3.

(3) - Piganiol A., La Conquête romaine, éd. P.U.F, paris 1995, P. 367.



خريطة توضح أملاك الدولة النوبية الموحدة
الشكل رقم 38

2- المقاومة والحرب في فترة الملك ماسينيسا :

يشير المؤرخ الروماني تيت- ليف (Tite live) أن غايا والد ماسينيسا كان قد حارب القرطاجيين قبل سنة 213 ق.م. واقتطع منهم قطعة أرضية لم يحدد مكانها بالتفصيل⁽¹⁾. التي بدأ الصراع يدب حولها بين أبناء الأسرة المالكة الحاكمة في ماسيليا وإثارة إشكالية وراثية العرش النوميدي.

بعد وفاة غايا تأكد ابنه ماسينيسا من نتائج الحروب التي كانت تدور بين قرطاجة والرومان على حيازة الحوض الغربي للبحر المتوسط والتي كانت في معظمها لصالح الرومان ، واتصل الأمير ماسينيسا بعد وفاة والده سنة 205 ق.م. بقائد الجيش الروماني سيبليون اميليانوس في أسبانيا ، فعرض عليه تحالفه⁽²⁾. (أنظر الشكل رقم 39 ص. 252). وبما أن الرومان كانوا من جهةتهم يبحثون على من يتخذونه كذريعة لغزو شمال إفريقيا ، فإنهم استجابوا لطلب ماسينيسا معتمدين في ذلك على النتائج الحاسمة التي سجلوها قبل ذلك في كل من صقلية وسردينيا⁽³⁾.

أخذ ماسينيسا ما دار بينه وبين القائد الروماني سيبليون مأخذ الجد معتبرا في نفس الوقت قرطاجة من خلال تاريخها في شمال

(1) - Tie Live, Histoire Romaine, XL, X.

(2) - Warmington B.H, Carthage pelicon books, London 1964,P.124 - 137,172-174.

(3) - Colode N., op. cit., P. 611.

إفريقيا ، لاسيما بعد القرن الخامس قبل الميلاد ، على أنها أصبحت
دولة مهيمنة تعمل لصالح أرسقراطيتها أكثر مما تعمل لصالح
السكان المحليين⁽¹⁾.



صورة العاهل النوميدي ماسينيسا

الشكل رقم 39

⁽¹⁾ - Ibid., P. 626.

كذلك قيم ماسينيسا سياسة القرطاجيين فيما يخصه هو
شخصيا. فوجد أنهم يحاولون جادين للحيلولة دون وصوله إلى كرسي
العرش النوميدي، لاسيما بعد أن اسند الحكم بعد وفاة والده إلى عمه
أوزالسيس (Ozalces) وابن عمه كابوسا.

وفي الأخير آل الحكم في ظروف غامضة إلى ابن عمه الأصغر
الذي هو اقل سنا منه ، ولو أن ذاك كان تحت مظلة القائد مازيتول الذي
لا ينتمي إلى الأسرة المالكة . كل تلك الأحداث أثرت في نفسية
ماسينيسا وجعلته يضرب عرض الحائط بالتقاليد الماسيلية في الوصول
إلى التربع على كرسي العرش⁽²⁾.

من جهتها أوعزت قرطاجة للملك سيفاقس عاهل المملكة النوميديّة
الغربية لمحاولة الوقوف في وجه ماسينيسا للوصول إلى الحكم ، لاسيما
وأن الملك سيفاقس كان يدرك هو الآخر مدى طموح الأمير ماسينيسا
في الوصول إلى الحكم ولو أدى به الأمر إلى التعامل مع الذين كانت
لهم أطماع توسيعية في شمال إفريقيا⁽³⁾. وقد ساعد ماسينيسا
الرومان على الرسو في شمال إفريقيا وذلك بالقرب من ميناء
هيبوريجيوس (عنابة) سواء أكان ذلك انتقاما من القرطاجيين الذين كان
يعتبرهم شوكة عربية في جسم النوميديين أو عن حيلة كان يبيتها بغية
ضرب القرطاجيين بالرومان ، ثم الاستقلال بعد ذلك بشمال إفريقيا !

(2) - Tite Live XXVII, 19, 9.

(3) - Tite live XXX, 12; Polybe, XIV, 9, 1-5.

وذلك ما ستظهره مواقفه التالية ، لاسيما بعد إلقائه القبض صبحه القائد لاليوس على الملك سيفاقس في معركة سيرتا سنة 203 ق.م.⁽¹⁾ وهنا تجدر الملاحظة إلى أن الرومان كانوا قد وجدوا في شخصية ماسينيسا ما يسهل تحقيق أهدافهم في وضع أرجلهم على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ولذلك لا مانع لديهم أن يمدوه بالعون اللازم للمساهمة في إضعاف قرطاجة وحليفها سيفاقس⁽²⁾. ومن جهته يذكر المؤرخ الروماني تيت- ليف أن سيبليون الإفريقي كان قد وضع التاج الملكي على رأس ماسينيسا وأعطاه لقب ملك (Rex) وذلك داخل المعسكر الروماني ثم اسند له مسؤولية نوميديا وعاصمتها سيرتا التي كانت تشرف على بقية المدن النوميديّة الثانوية القريبة منها⁽³⁾.

أ- ماسينيسا يواجه قرطاجة لأول مرة :

لقد اتجهت أنظار ماسينيسا بعد ضمه لأجزاء كثيرة من مملكة سيفاقس الواقعة إلى الغرب منه إلى مواجهة القرطاجيين ومحاولة تنفيذ خطته المتمثلة في تحقيق الشعار الذي كان يحمله " إفريقيا للأفارقة" ولذلك بادر بالاستعانة بالرومان للقضاء على كل معارضيهِ وعلى رأسهم القائد أفتر (Aphtir) حتى أتاحت له الفرصة للاستيلاء

(1) - Liddel Hart B. H. , Scipion l'africain, Paris 1934, P.48.

(2) محمد الصغير غانم ، علاقة نوميديا بالرومان مجلة التراث ، ع.2 ، مطر. الشهاب باتنة 1987، ص.13-35.

(3) - Tite Live XXXI, XI; Dion Cassius XXXVI.

على المنطقة الممتدة من منطقة أمبوريا (Emporia) غربا إلى منطقة طرابلس شرقا بليبيا الحالية⁽¹⁾.

وفي سنة 182 ق.م. استرجع ماسينيسا منطقة الحفر الفينيقية (Les phosses Phéniciens)⁽²⁾ ، وقد اتبعها سنة 174 ق.م. بضم ما يقارب أكثر من 70 مدينة كانت تابعة لقرطاجة مدعيا بأنها كانت جزء من مملكة أبائه وأجداده ، ثم استولى بعد ذلك على منطقة الخمير والأسواق ولبدة الكبرى بليبيا⁽³⁾.

ب- توسعات ماسينيسا تثير مخاوف الرومان :
حاول ماسينيسا أن يضرب القرطاجيين بالرومان ثم يسترجع مملكة أبائه وأجداده وكان كل طموحه منصبا على اتخاذ قرطاجة عاصمة له قبل أن يستولي عليها الرومان⁽⁴⁾.

وبالمقابل كانت الانتلجانسيا في مجلس الشيوخ الروماني متنبهة لما يقوم به ماسينيسا والطموحات والأهداف التي كانت تحركه ضد الأجانب الذين ربما يكون من بينهم الرومان فيما بعد رغم الخدمات التي قدموها للعاهل النوميدي، فإنه لا يأتمن جانبهم⁽⁵⁾.

(1) - Ward Perkins, The arch of septimius severus in leptis Magna , in archéologiam IV 1951, P.226.

(2) - Camps G., Massinissa ou les débuts de l'histoire, Alger 1961, PP.193.

(3) - Polybe XXX,21.

(4) - Rossetti S., La Numidia carthagine fra la II et la III gurra punica parola passato, 1960, PP. 336 - 353.

(5) - Gsell St. H. A. A. N., T. III, P. 354; Appian lib, 69.; hadi Slim et autres, Histoire de la Tunisie l'qntiauit2m 2d. Société Tunisienne de la diffusion, sans date, PP. 117-118.

لقد كان العاهل النوميدي ماضيا في تنفيذ ما يصبو إليه وبذلك نراه يطالب قرطاجة بتنازلها سنة 153 ق.م. على منطقة السهول الكبرى ومنطقة سهول نهر مجردة التي يصفها شارل تيسو (Tissot ch.) بأنها من أخصب الأراضي الزراعية في تونس⁽¹⁾.

مع تدمير قرطاجة وطلبها للوساطة الرومانية بينها وبين ماسينيسا، تنفطن روما لمخططاته الطموحة ولذلك كانوا من حين لآخر يرسلون بعثات تحقق ميدانيا في المشاكل التي كانت بين العاهل النوميدي والقرطاجيين، كان آخر تلك البعثات تلك التي قادها العميد قاطو الكبير (Caton l'ancien) الذي كان متشعبا بفكرة التوسع الروماني وعند عودته إلى روما قدم تقريره إلى مجلس الشيوخ الروماني حاثا إياه على تهديم قرطاجة بغية قطع الطريق على ماسينيسا، الذي إن ترك له جر الجبل على الغارب في ابتلاع المنطقة القرطاجية فإنه لا محالة سيؤول إلى حنبعل جديد في منطقة شمال إفريقيا ويجني الثمار التي كان الرومان يطمحون للحصول عليها وبذلك تذهب الجهود التي بذلوها سدى، لاسيما وأن هناك تجند للكثير من النوميديين حول أطروحته في كره قرطاجة وتشجيعه على التخلص منها⁽²⁾.

ج- ماسينيسا يبث العيون في مدينة قرطاجة :

(1) - Tissot Ch., Géographie comparée de la province Romaine d'Afrique T. I, P.47, T. II, P.110.

(2) - Warmington B. H., op. cit., PP. 250 - 259.

حاول ماسينيسا أن يثبت عيونه في غمق مدينة قرطاجة وأن يعمل على خلق معارضة موالية له داخل مدينة علية وذلك حتى يسهل له تنفيذ مخططه في إذلال القرطاجيين ووضع الخطوة الأولى للاستيلاء على المدينة قبل أن يركز الرومان أنفسهم في شمال إفريقيا ويفصحون على مخططاتهم في ابتلاع المنطقة بكاملها ، إلا أن القرطاجيين تفتنوا لما كان يبيته ضدهم العاهل النوميدي وبذلك شنوا حملة تطهيرية على أتباعه في مدينتهم والذين كان من بينهم ابنيه مكوسن وغلوسة وكان ذلك حوالي سنة 151 ق.م.⁽¹⁾

انتهز ماسينيسا فرصة تعرض القرطاجيين لابنيه وإخراجهما من مدينتهم فشن ضدهم الحرب وبذلك هاجم مدينة أروسكوبا (Orascopa)^(*) القرطاجية .

وبالطبع كان على القرطاجيين أن يدافعوا على أنفسهم فاشتعلت الحرب بين الطرفين وكان سيبليون الإميلي قائد الجيش الروماني الذي حضر صدفة إلى المنطقة يعاين عن قرب مجريات أحداث تلك المعركة، وقد حاول التوسط بين المتحاربين النوميديين والقرطاجيين هذا ظاهريا، إلا أنه داخليا كان يدعم ماسينيسا حتى يمضي في إذلال قرطاجة ودفعها للإخلال بأحد شروط نهاية الحرب الرومانية - القرطاجية

(2) - Camps G., Massinissa ...P. 149.

(*) أروسكوبا : مدينة مجهل موقعها بالضبط ، غير أنها حسب اشارات إيبان تقع في المنطقة التي تفصل بين السهول الكبرى ومنطقة توسكا ، وبذلك لا يستبعد أن تكون في موقع ما من منطقة الخمير حول هذا الموضوع أنظر : Camps G. Massinissap.149.

الثانية التي تلزمها بعدم الدخول في أي حرب قبل موافقة روما عليها، وفي رأيه فإن ما قامت به قرطاجة في دخولها في الحرب ضد ماسينيسا كان كافيا لإدانتها⁽¹⁾.

وأكثر من ذلك فإن نتائج تلك الحرب كانت لصالح ماسينيسا حين خرجت قرطاجة محملة بغرامة الحرب وأرغمت على قبول عودة أنصار ماسينيسا الذين طردتهم من مدينتها قبل ذلك، ولو كانوا سببا في إشعال فتيل الحرب بينهما وبين العاهل النوميدي⁽²⁾.

أما النتائج الأخرى التي كانت لصالح ماسينيسا فقد تمثلت في خضوع قرطاجة وقبولها للأمر الواقع المتمثل في وجود مملكة نوميديّة محاذية لها تقاسمها السيادة في منطقة شمال إفريقيا⁽³⁾.

3- المعدات والتجهيزات الحربية النوميديّة :

أ- السيوف والرماح :

إن رمز الأسلحة التي استعملها المغاربة القدماء في الحرب كان قد ظهر الكثير منها على الرسوم الصخرية والنصب الجنائزية ، ويمكن أن نأخذ كمثال على ذلك ما وجد من أسلحة تحت دهليز ضريح الصومعة بالخروب و مقابر جزيرة رشقون والمتمثلة في درع وخوذة وبقايا بعض

(1) - Tlatli S. E., op. cit., P. 286.

(2) - Saumagne Ch., Les prétextes juridiques de la troisième guerre puniques, in rev historique 1931, PP. 307 - 319.

(3) - Saumagne Ch., La Numidie et Rome, P. U. F., Paris 1966.

السيوف والخناجر المتاكلة وحربة ⁽²⁾ ، يضاف إلى ذلك ما عثر عليه في مقابر جزيرة رشقون بالغرب الجزائري ⁽³⁾ (أنظر الشكل رقم 40ص.260) من مجمع نصب معبد الحفرة بمدينة قسنطينة الحالية، حيث عثر على ثمانية نصب ، كانت أربعة منها تحتوي على كتابة والباقي خالية من الكتابة. فلقد ظهر على تلك النصب الدرع المستدير والبيضاضوي الشكل ، وفي بعض الأحيان يكون مستطيلا تخترقه سيوف أو رماح ويمكن أن تكون إلى جانبه بعض الأسلحة .



أ- نموذج لأسلحة بونية - مغربية

عثر عليها في جزيرة رشقون بالغرب الجزائري

(2) - Bonnell M., Monuments gréco- puniques de la Soumaa, R. S. A. C., 1915, N° 49, PP. 166- 170; G. Vuillemot , reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autin 1966, PP. 129 - 131.

(3) محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، مطبعة دار الهدى عين مليلة الجزائر 2003، ص. ص. 157 - 158.



ب- نماذج لأسلحة نوميديية عثر عليها في صومعة الخروب،
(خناجر وسيوف ورماح) متاكلة

الشكل رقم 40

أما الخوذة فنجدها قد ظهرت مرة واحدة فوق النصب وثانية فوق درع
بيضوي الشكل.

أما فيما يخص صور السيوف فلقد ظهرت على أربعة نصب منها
اللوحة (18 ج) (XVIII.C) (أنظر الشكل رقم 41 ص. 262) ،
وهي تشبه تلك التي وجدت في دهليز وجد في أسفل صومعة الخروب

بالقرب من قسنطينة⁽¹⁾، وهناك بعض السيوف التي عثر عليها في
النصب المشار إليها تشبه تلك التي توجد على المنهير التي عثر عليه في
بوشان بالقرب من عين مليلة، إضافة إلى تلك التي عثر عليها في جزيرة
رشقون⁽²⁾.

وفيما يخص الرمح الذي يعتبر من الأسلحة القديمة فقد ظهرت
صورة له على احد النصب وكان مرافقا لدرع دائري وذلك ما تمثله
اللوحة (18 أ ، ب) (XVIII A,B) ، وهناك رمحان قد ظهرا على
النصب التي وجدت في اللوحة (18 د) (XVIII D) واللوحة (17 أ) (XVII A)
من كتاب معبد الحفرة .

- Bounelle, Monument gréco- punique de la Soumaa dans R. S. A. C., ⁽¹⁾
T. XLIX, 1915, PP. 167- 178; Berthier A. et Charlier L. Le sanctuaire
punique d'el-hofra a constantine ..., catalogue PL. XVIII C
- Hérodote , Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord, éd. A. ⁽²⁾
Jourdan et E. Beroux , Alger , Paris 1916, IV.



نصب يحمل كتابة بونية ، حيث يظهر على بدنه درع مستدير توجد
بوسطه دائرة بارزة وفي الناحية اليمنى منه غرس سلاح (عثر عليه في
معبد الحفرة بقسنطينة)

الشكل رقم 41

- النص البوني

٩٩٦ ٦٧٨ ٤٥٩٤ ٦٩٤٤

1

٧٩٤ ٦٩ ٤٩٤ ٩٩٦ ٧٩

2

[٧٩٩] ٥٤٧ ٥٧[٧]

3

- النص الكتابي : (نقيشة بونية من ثلاثة أسطر)

1- لادن لبعل حمن نذر

2- اش نذر ارش بن لبي

3- [ش]م ع قل ع [برك]

- مؤدى النص باللغة العربية :

1. الى المولى الى بعل حمن نذر

2. نذره ارش بن لبي

3. [سد]مع قوله ، [باركه]

ما نستنتجه من هذا النصب هو وجود صورة الدرع المستدير الذي رسم على بدن النصب والسلاح الذي يحاذيه على اليمين ثم اسم الليبي الذي أشير إليه في السطر الثاني وهو دليل على بقاء التسمية الليبية حتى ما تلى القرن الثالث قبل الميلاد في منطقة الشرق الجزائري (قسنطينة) ⁽¹⁾.
إن وجود رسوم الأسلحة على نصب معبد الحفرة يدل في حد ذاته على أن تلك النصب كانت تشخص الحياة العامة في الدولة النوميدية بما فيها الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولم تقتصر فقط على الجانب الديني الذي يظهر مدى ورع مقدمي النذر والاستجابة لهم، ثم المباركة وهي الصيغة التي غالبا ما يختم بها نص النقيشة.

(1) - Berthier A et l'abbé charlier op. cit, P. 104;

- محمد الصغير غانم ،، المساهمة الحضارية البونية في المملكة البونية ، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب القديم والآثار البونية ، نوقشت بجامعة قسنطينة سنة 1996 ص.. ص. 164-165.

ب- الدروع بأنواعها :

لقد أخذت الدروع شكلا دائريا في أربع نصب وبيضاويا في ثلاث نصب أخرى ، وكان يلصق بها في كثير من الأحيان دائرة (Umbo) بارزة في وسطها، لاسيما في الدرع الدائري مثلما نلاحظه في اللوحة (18د) (XVIII D) (أنظر الشكل رقم 42 ص. 265) وقد تكون عمودية بالنسبة للدروع المستطيلة نلاحظ ذلك في اللوحة (د 15) (XV D) (أنظر الشكل رقم 43 ص. 267) و في اللوحة (17 أ) (XVII A) (الشكل رقم 44 ص. 269) ⁽¹⁾.

وحسب إشارة الباحث س. جزيل فإن الدروع ذات الشكل الدائري كانت أكثر قدما من حيث الزمن من الدروع المستطيلة اعتمادا على أن هذه الأخيرة كانت قد صنعت على عجل فيما بين سنة 149 - 146 ق.م. لظروف أملتها الحروب البونية، ولقد أشار الرومان بعد وضع أيديهم على مدينة قرطاجة بعد سقوطها إلى أن معظم السيوف والسهام والدروع القرطاجية كانت ذات شكل مستطيل ⁽²⁾، وقد كانت الدروع النوميديّة في كثير من الأحيان تقليدا لها.

⁽¹⁾ - Berthier A., op. cit., PP. 194 - 195; catalogue pl. XV D, XVII A, XVIII D.

⁽²⁾ - Cagnat R., Les stèles de lixus au Maroc, C. R. M. T., 1910, PP. 792 - 793; Racob, Die Nimider, Boum 1979, PP. 159 - 163, fig 85,93.



نصب يحمل كتابة بونية ، يظهر درع مستدير الشكل تتوسطه دائرة وفي الأسفل منه تظهر قبضة سيف وامتداده (عثر عليه في معبد الحفرة بقسنطينة).

الشكل رقم 42:

- | | |
|-----------------------|---|
| 𐤁𐤏𐤕 𐤕𐤓𐤕 | 1 |
| [𐤁𐤏𐤕 𐤕𐤓𐤕 𐤕𐤓𐤕] 𐤕𐤓𐤕 𐤕𐤓𐤕 | 2 |
| 𐤕𐤓𐤕 𐤕𐤓𐤕 | 3 |
| 𐤕𐤓𐤕 𐤕𐤓𐤕 | 4 |

النص البوني :

- النص الكتابي:

1- لادن لبع ل ح.....

2- اش ندر م [جن بن بع ل]

3- س ي ل ج ر ب م

4- ك ش ن ا

مؤدى النص باللغة العربية :

1- الى المولى الى بعل حـ[من]

2- ما نذر مـ[جن بن بعل]

3- سيلج رب مـ[ش ط ر]

4- كشنو

إن ما نستنتجه من النصب أعلاه و الصورة المجسدة للدرع والمتوفرة في أعلى النصب يلوح في الأسفل منها بقايا سيف بمقبضه وكذا الاسم العسكري الذي أشير إليه في السطر الثالث من النص الذي بقي منه الحرف الأول من اسم الضابط السامي "مشطر". إن بقايا السيف هي إشارة إلى الأسلحة العسكرية ذات الاستعمال الشخصي⁽¹⁾.

(1) - Berthier A. et L'Abbé Charlier le, sanctuaire punique d'El Hofra , à Constantine Paris 1955, PP. 68-69. ;

- محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص ص. 100-101.



نصب يحمل كتابة بونية يظهر درع بيزاوي الشكل مع الاستطالة إلى
حد ما نفذ بواسطة النحت البارز يتوسطه خط بارز مستطيل (عثر عليه
في معبد الحفرة بقسنطينة)

الشكل رقم: 43

النص البوني

١ ٤٩٤ ٥٥٤ ٦٥٠ ٦٦٠ ٦٦٠ ٦٦٠
٢ ٤٩٤ ٥٥٤ ٦٥٠ ٦٦٠ ٦٦٠ ٦٦٠
٣ ٤٩٤ ٥٥٤ ٦٥٠ ٦٦٠ ٦٦٠ ٦٦٠
٤ ٤٩٤ ٥٥٤ ٦٥٠ ٦٦٠ ٦٦٠ ٦٦٠

- النص الكتابي :

- 1- لادن لبع لعمن ولتنت.
- 2- فنا بعل اش ندر حملك.
- 3- [هـ]مي شطر بن بعبش لك هـى.
- 4- [اص]كش [م]ع قل ابركا.

- مؤدى النص باللغة العربية :

- 1- إلى المولى بعل عمّن وإلى تنت.
- 2- وجه بعل ما نذر حملك
- 3- [ال]مشطر بن بعل شك الم.
- 4- سد [تشار] ؟ ، لأنه سمع قوله، باركه.

ما نستنتج من نص هذا النصب هو الإشارة إلى اسم الضابط (مشطر) الذي ورد في السطر الثالث⁽¹⁾. وهناك إشارة في النص السابق إلى الضابط السامي (رب هـ م ش ط ر) مما يجعل الباحث يستنتج إلى انه كان هناك تدرج في الأوسمة العسكرية.

(1) - Berthier A et L'Abbé charlier op. cit, P. 71. ;

محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص. 105 - 106

- النص الكتابي :

- 1- نحن بم اش ندر بدعشترت .
- 2- رب مشطرت بن مسرفك شم ا .
- 3- قل ا برك ا .

- مؤدى النص باللغة العربية :

- 1- نحن بم ما نذره بدعشترت .
- 2- كبير المشاطرة بن مسرف، لأنه سمع .
- 3- قوله ، باركه .

ما نستنتج من نص هذا النصب العائد إلى فترة الملوك النوميديين هو صورة الدرع البيضاوي المائل إلى الاستطالة الذي تعلوه خوذة وتتخلله أسلحة تستعمل في الحرب ، كما أشير في نصه السطر الثالث منه إلى اسم الضابط السامي (كبير المشاطرة)⁽¹⁾ . ولا يستبعد أن يشير إلى الضابطة السامية ، ذلك لأن وجود حرف التاء (ت) في نهاية بدعشترت ومشطرت يدل على أن الاسم مؤنث !

(1) - Berthier A et L'Abbé Charlier op. cit, P. 68. ;
- محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص. ص. 97-98.

وقد وصف المؤرخون القدماء الإغريق والرومان على أن الدروع النوميديّة كانت صغيرة الحجم⁽¹⁾. وقد ظهرت هناك إشارة للدروع في النصب الليبية التي عثر عليها في ويلي (Volubilis) بالمغرب الأقصى، وبرج القصر الواقع بالقرب من سيجوس بالقرب من قسنطينة. وتجدر الملاحظة إلى أن فارس "ابيزار" كان هو الآخر يرتدي درعا مستديرا ويمتطي حصانا⁽²⁾. ومن جهته يورد س. جزيل معلومات مفادها أن النوميديين القرطاجيين كانوا قد تركوا الدروع الدائرية واستعملوا المستطيلة إقتداءً بالأيبيريين والغالين. وقد وصلت إلى الرومان فيما بعد في شبه جزيرة إيطاليا، ثم استعملتها الشعوب التي كانت تقطن المنطقة، وقد نجد الدروع الدائرية المصنوعة من الجلد في أيدي الأهالي الليبيين منذ بداية الفترة التاريخية، اعتمادا على ما ذكره س. جزيل الذي قدم لنا النصوص المتعلقة بليبيا والتي كان قد كتبها المؤرخ الإغريقي هيرودوت، ثم يعزز هذا الرأي ما أشار إليه الكتاب القدماء الذين تناولوا الحروب البونية فيما بعد، وكانوا يطلقون على تلك الدروع أسماء مختلفة، فالإغريق والرومان يطلقون عليها اسم Caétera وربما المصطلح مأخوذ من اللغة الأيبيرية، ذلك لأن هؤلاء الأخيرين هم أول من استعمل هذا النوع من الدروع⁽²⁾.

(1) - Strabon XVII, 3,7.

(2) - CIL VIII, 21516.

(1) - Gsell St., Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T. II, PP. 350- 351.

ج- الخوذة والقوس :

ويلاحظ أنه وجدت صورة وحيدة للخوذة رسمت على النصب وهي ملتصقة بالدرع البيضاوي الشكل الذي تبرزه اللوحة (17 أ) (A XVII A) (أنظر الشكل رقم 44 ص. 269) وهي تبدو مدببة حيث أنها تشبه تلك التي عثر عليها في ضريح الصومعة بالخروب هذا بعد المقاربة بينهما (وفيما يخص مجموعة الأسلحة التي وجدت على النصب بصفة عامة فكانت تحتوي على دروع مستطيلة ورماح وقباعات ومجموعة أسلحة أخرى غير معروفة يمكن أن تكون مجلوبة من بلاد الشرق القديم، ذلك لأنها كانت تشبه في كثير من الأحيان تلك التي يحملها الجنود التدمريون التي كانت هي الأخرى مدببة، وفي هذا الصدد يذكر الأثري باروا (Barrois) أن أسلحة وتجهيزات العبرانيين كانت تتمثل هي الأخرى في الأسلحة المشار إليها وكثيرا ما تتشابه مع ما كان يحمله المحاربون الكنعانيون ، إضافة إلى الهروات التي كان يحملها حراس الملوك⁽¹⁾.

إن مصطلح السيناح Sinnah عند العبرانيين كان يعني الدرع الكبير الذي تطور عن الآشوريين الذين استعملوه في المنطقة وكان يصنع من النحاس أو جلود الحيوانات وكذا القماش مزخرف بحراشيف من البرونز تشبه شكل الخوذة . والظاهر أن الجيش

⁽¹⁾ - Cocquerillat, Les masses d'armes d'après les textes dans revue d'assyriologie et Orientale , T. XLVII, 1952, PP. 132 - 133 .

التدمري كان هو الآخر يملك ما يشبه تلك الأسلحة ، ونلاحظ أن أكبر قسم من الأسلحة المصورة على نصب الحفرة تتقارب مع تلك الأسلحة التي عثر عليها مرسومة على أوابد ونصب الشرق القديم ، وهي لا تختلف في شكلها على النصب الأربعة التي تحمل كتابات لا يشار فيها إلى صاحب مقدم النذر فيما عدا الأسلحة التي تحتل واجهة النصب ، حيث تعوض كل أنواع الرموز الأخرى مثل رمز الإلهة تانيت والصولجان والهلل والقرص وبذلك يكون من الصعب أن نجعل تلك الأسلحة بسيطة ، يمكن لصاحب النذر أن يقدمها ، غير أنه من المنطقي أن تكون لها علاقة قداسة مع ما يوجد في النصب.

وحول موضوع الأسلحة كتب المؤرخ الفرنسي بيكار Picard أنه من المفروض أن مجموعة الأسلحة هي بمثابة إشارة للآلهة وقد يفسر ذلك صورة الإمبراطور قيصر مع مجموعة الأسلحة التي كانت قد رسمت على رأس سريره وهو يرتدي البسة دكتاتورية وبجانبها كتابة لاتينية (Genius caesarius)، كذلك نجد على القطع النقدية العائدة إلى الإمبراطور أوكتافوس (أوغسطس) صورة لمجموعة أسلحة رسمت على معبد كان إفريزه يحمل كتابة إهدائية⁽¹⁾.

لقد أشرنا فيما سبق عند حديثنا عن رمز الإلهة تانيت أن قوسا وسهما كانا قد نقشا داخل قاعدة مثلث يرمز للإلهة تانيت وفي أعلى

(1). Picard Ch., Les religions préhelléniques (crêtes et Mycènes) coll.Mans,PP.20.

النصب يوجد قوس منقوش صحبة سهم . وبذلك يمكننا أن نقول أن القوس قد لعب دورا كبيرا في الحروب ، سواء أكان ذلك في الشرق القديم أو في بلاد المغرب. غير أنه نادرا ما توجد صور له في نصب قرطاجة ، ويعيد س. جزيل الأقواس التي وجدت أمام Sélinonte والعائدة إلى سنة 407 ق.م. أن ديودور الصقلي كان قد أشار إليها في الفقرة (13 - 57 - 7) وبذلك فإن الإشارة إلى السيوف التي وجدت في المقابر سواء أكان ذلك في قرطاجة أو صومعة الخروب يمكن أن يمتد استعمالها من القرن السادس قبل الميلاد حتى ما بعد القرن الثاني قبل الميلاد⁽¹⁾.

إذا كانت الأقواس قد استعملت في عصور ما قبل التاريخ فإن الرمح والأسلحة الأخرى الحقيقية للسكان المحليين في شمال إفريقيا مثل تلك التي أشار إليها المؤرخ الإغريقي أبيان Appian في فقرتين من كتابته فإن س. جزيل غير متأكد مما أشير إليه، وربما ترجع الرماح إلى أصل إفريقي محلي وهي غير تلك الأصناف الأثينية التي أشار إليها المؤرخ أبيان ، وعليه يمكن أن يوجد رماة السهام في المنطقة المغاربية لكنهم ليسوا كثيرين ذلك لأن النصوص الحربية لإفريقيا التي تركها لنا كل من بوليبيد وتيت - ليف وسالوست وتاسيت وأبيان ثم بروكوب وكوريبيوس لا تشير في غالب الأحيان إلى تلك الأسلحة⁽²⁾.

⁽¹⁾ - Picard G. , Le trophée augustéen de la turbie dans revue archéologique , T. XXXIV, 1945, P. 155; Diodore VII, 57-13.

⁽²⁾ - Salluste conjuration de Catilina, , Guerre Jugurtha histoire, Traduction par François Richard, LVIII, Gramier flamartions, Paris 1968, PP. 73 - 75.

ويعتقد أن القوس قد ظهر في بداية الأمر كرمز للآلهة في بلاد الشرق القديم، غير أن كتلة الأسلحة التي استحدثت وصورت على النصب كأسلحة معدنية قد لعبت دورا مهما في ديانة وحياة شعوب الشرق القديم، وفي هذا الصدد كتبت الباحثة كوكيريللا (Cocquerillat) أن التابع أو الرمز الخاص بشعار الملوك كان قد عمم في الفترة التدمرية، حيث ظهر أيضا فيما بعد عند أكبر الإمبراطوريات لكن سلاح العصي والهروات والكتلة المعدنية كان لها جانب عقائدي خاصة، لذلك نرى صورها تلوح على التقديمات أو النذر التدمرية ضمن القائمة المهداة للإله مردوخ الذي يعتبر أول ملوك الأسرة البابلية وأن وظيفة الأسلحة المشار إليها مهمة جدا لدرجة أنها استعملت للإشارة إلى سير مهرجانات الاحتفالات السنوية. غير أن التدقيق في تلك التظاهرات الاحتفالية لا تزال تفاصيله غير محددة جيدا والذي نعرفه منها فقط هو أن تلك العصي والهروات والكويرات المعدنية كانت منسوبة في استعمالاتها إلى الجيش الأشوري الذي كان يربط ببنينوة وبابل. ويمكن أن نعتقد أيضا على وجه الخصوص أنها كانت مصطفة على أبواب مقصورات الآلهة وحسب وظيفتها فإنها تعد مثل بقية رموز الآلهة التي كانت تزين تماثيلها بهذا النوع من الأسلحة⁽¹⁾.

ومن جهتها تشير الباحثة الأنفة الذكر أن كتلة الكويرات المعدنية يمكن أن تمثل الآلهة المقدسة.

(1) - Coloquerillat, Les masses d'armes d'après les textes dans revue d'assyriologie et d'archéologie orientales, T. XLVI, 1952, PP. 121 - 136.

كما يبدو تقديس الأسلحة العسكرية التي وضعت في أعلى
النصب والتي يكون من ضمنها البوق الذي له هو الآخر دورا دينيا⁽¹⁾.
وقد عبر المؤرخ بيكار أن رمزية العرش الملكي تتقارب من رمزية
الأسلحة، إذ يمكن أن نعتقد أن هذا النوع من الأسلحة بقي مرتبطا
بالذاكرة وذلك مثل انتشار الدروع وزخرفتها في المعالم الأثرية خاصة
الدينية منها مثل النصب وواجهات المعابد، وهذا الدور لا يعتبر فقط
زخرفي محض ولكن هو رمز لبقايا الديانات الوثنية التي كانت تمارس
حينذاك في المنطقة الإفريقية⁽²⁾.

د- المقلع :

يبدو أن الإنسان كان قد استعمل المقلع منذ بداية الفترة
التاريخية ذلك لأنه عوض قذف الحجارة بواسطة اليد .
وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي أن
الليبيين الشرقيين كانوا يحملون معهم أكياسا من الجلد مملوءة
بالحجارة المدورة الصغيرة ، وقد كانوا يصوبونها بمهارة⁽³⁾.
ومن جهته يذكر المؤرخ أبيان (Appian) أنه كان ضمن فرق
يوغرطة في حرب نومانس (Numaince) مقلعين⁽⁴⁾.

(1) - Coloquerillat , op. cit., PP. 129 - 131.

(2) - Picard G. Ch., la vie quotidienne à Carthage, éd. Librairie Hachette ,
Paris 1958, PP. 195 - 202 .

(3) - Diodore de Sicile , liv. III, 24, 2- 3.

(4) - Appian Iber, 89.

هـ - الحصان النوميدي واستعمالاته الحربية

يصف المؤرخ سترابون الحصان النوميدي بأنه قصير القامة يتسم بالذكاء، ينقاد لفارسه بسهولة بواسطة عصا بسيطة أو مهماز في الرجل دون استعمال اللجام والشكيمة، حيث يكتفي الفارس بوضع حبل على أنف الفرس يعرف بـ "الرصن"، وعند جذبه من قبل الفارس تشل حركة تنفس الحصان وبذلك يستجيب للفارس ويتوقف⁽¹⁾.

وقد وصف تيت - ليف بأنه كان بإمكان الفرسان تغيير الأحصنة أثناء المعركة عندما ينالها التعب⁽²⁾. ومن سلالة الحصان التي اشتهرت في بلاد المغرب القديم واستمرت حتى فترة قريبة، تلك التي تعرف بالحصان الملتحي.

من جهة أخرى يلاحظ أنه أشير إلى رسم صورة الحصان عدة مرات على نصب معبد الحفرة المحفوظة في متحف سيرتا، وأن أفضل صورة للحصان كانت تلك التي يظهر فيها هذا الأخير على ظهر قطع نقدية نوميديّة عائدة إلى فترة الملوك النوميديين الأوائل⁽³⁾.

وفي رأي الباحثة هورس ميدان (Hours Midane) فإن تجسيد الفارس على ظهر الحصان يعتبر أكثر شرف وأهمية بالنسبة

(1) - Strabon , Géographie , XVII, 3,7; Gsell. St., H. A. A. N., P. 631.

(2) - Tite-Live XXIII, 29, 5.

(3) محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، مط. دار الهدى عين مليلة 2003 ، ص.ص. 164 - 165 ، الشكل رقم 54 (أ، ب).

للقرطاجيين والنوميديين وذلك ما جعلهم يجسدونه على ظهر العملة في فترة الملوك النوميديين⁽¹⁾.

وقد درس الباحث بايث (Bayet) صور الحصان التي ظهرت على القطع النقدية البونية والنوميديية فاستخلص إلى أنه يرمز إلى جانب ديني ، وقد ذهب إلى أبعد من ذلك حيث اعتبره رمزا يجسد إله البحار والشمس⁽²⁾.

وهناك بعض القطع النقدية النوميديية التي تحمل على ظهرها صورة حصان في حالة عدو يتجه نحو اليسار⁽³⁾. (أنظر الشكل ص 45 ص. 279).

(1) - Hours Miédam M., Les représentations figurées sur les stèles de Carthage , imp. Cahiers de Byrsa 1951, PP. 101 - 144; Tlatli S. E., La Carthage punique ..., P. 226, fig. N° 64 et 65; Troussel M., le trésor monétaire de Tiddis dans R. S. A. C. T. LXVI, 1948, P. 154, Pl. V.

(2) - Bayet J., L'omne du cheval a Carthage rev. Des études latines , XIX 1941 , PP.116-190.

(3) - Charlier L., Descriptions des monnaies de la Numidie et de la Mauritanie protat frères 1912, P.6.



عملة نوميدية حملت على وجهها الأول رأس متوج وعلى الوجه الثاني يظهر حصان يتجه نحو اليسار ، كتبت تحته حروف "ه م ل ك ت" أي المملكة

الشكل رقم 45

وقد لعب الحصان إلى جانب الفيلة دورا كبيرا كأداة للحرب في بلاد المغرب القديم . ولم يكن اهتمام النوميديين بالخيول لأغراض حربية خالصة بل تعداه إلى جوانب أخرى مثل الرياضة والفروسية والركوب للترفيه وقد وصل تعداد الخيول في فترتي الملك ماسينيسا وابنه مسيسيسا إلى حوالي 100 ألف فارس وذلك وفقا لما ذكره المؤرخ سترابون⁽¹⁾.

(1) - Strabon, XVIII, 3-7; Decret F. et Fantar M...P. 136.

والجدير بالذكر أن المؤرخ الروماني تيت - ليف يشير عند وصفه للفرسان النوميديين إلى أن سلاحهم كان يقتصر على الخناجر والسيوف والحراب في بعض الأحيان وتظهر خيولهم قصيرة القامة بشعة المنظر سريعة الركض تمتطى دون سرج وهي تتسم بالصبر ومقاومة الجوع والعطش ، وتقتصر في كثير من الأحيان في غذائها على العشب والتبن لا غير ⁽²⁾.

ومهما يكن فإننا نعرف الفرسان النوميديين من خلال الصور المنقوشة في النصب النوميدي في المنطقة القسنطينية مثل المشاة وليس لهم سلاحا دفاعيا سوى صدرية صغيرة وسلاح الرمي عندهم هو الحراب (Prelus) التي يقذفونها بقوة التسديد وهم يمتطون على الخصوص ظهور أحصنتهم الخفيفة التي تتركب دون سرج ، أما الخيالة الثقيلة فهي تمثل النخبة وقد كانت في الغالب مكونة من مواطنين نوميديين وقرطاجيين وكان إله الحرب البوني ينحت أو يصور على صهوة جواد المحارب ⁽¹⁾.

ويلاحظ أن الفرسان النوميديين كانوا يحسنون الكر والفر في الحروب ثم المناورة وسرعة الالتفاف حول العدو، مما جعل القرطاجيين والرومان فيما بعد يعتمدون عليهم في أجنحة جيوشهم أثناء حروبهم الكلاسيكية. ويلاحظ أن فرق الخيالة في الجيش النوميدي كانت أكثر

⁽²⁾ - Tite Live, Histoire romaine , XXX, 11, 7-11.

⁽¹⁾ - Gsell St., H. A. A. N., T. VII, P. 53 et suiv.



عملة نوميديية حملت على وجهها الأول رأس متوج وعلى الوجه الثاني
تحمل فيلا متجها نحو اليسار وتحتة كتابة بونية "م س ن س ن"
تشير إلى اسم (ماسينيسا)

الشكل رقم 46

غدا انه ملاحظ أن الفيل الذي رسم على العملة في عهد
ماسينيسا كان يتجه نحو اليمين ، كان بين ما ذلك الذي رسم في فترة
يوغورطة كان يتجه نحو اليسار. (انظر الشكل رقم 47 ص. 283).



عملة نوميدية تعود لفترة العاهل يوغرطة تحمل صورة فيل يتجه
نحو اليمين كتبه تحته بالكتابة البونية حرف الألف "أ"

الشكل رقم 47

ز- البحرية النوميدية :

أما الإشارة إلى الأسطول البحري النوميدي فإنه كان يمثل في كثير من الأحيان في قوارب كانت تماثل في شكلها قوارب الأسطول القرطاجي، وسفنه سواء أكان ذلك في السفن التجارية أو الحربية.

غير أنه ورد في بعض الكتابات الأدبية التي أوردها الأديب الروماني سيسرون (Ciceron) بعض الإشارات إلى أسطول الملك ماسينيسا الذي كان قد أرسى ذات يوم في جزيرة مالطا وحمل قائده نابي فيل كانا قد وضعوا بمعبد الإلهة عشتاروت ليقدمهما كهدية للملك ماسينيسا. وعندما علم هذا الأخير بأنهما جلبا من المعبد المشار إليه أنفا طلب من أمير البحر أن يعيدهما إلى مكانهما وهنا تأتي الإشارة في كتابة سيسرون إلى السفينة الخماسية التي أبحر بها أمير البحر النوميدي لإعادة النابين إلى مكانهما بمعبد الإلهة عشتاروت بجزيرة مالطا⁽¹⁾. وهناك أيضا إشارات إلى الأسطول النوميدي في كتابات المؤرخين القدماء والمحدثين الذي كان ينشط في البحر المتوسط ليعزز العلاقة المتينة التي كانت بين ماسينيسا وجزر بلاد الإغريق ، لاسيما جزيرة رودس (Rhodes) وتاروس اللتين كانتا تحصلان على العاج والأخشاب من المملكة النوميدية. وقد كان الأسطول التجاري النوميدي معززا بسفن حربية تدافع عنه وتتصدى لمداهمة القراصنة واللصوص

⁽¹⁾ - Camps G., Massinissa ou les débuts de l'histoire, éd. imprimerie officielle, Alger 1961, P. 199.

الذين كانت تعج بهما مياه البحر المتوسط . وبفضل الأسطول
 النوميدي ازدهرت موانئ بلاد المغرب القديم ، لاسيما تلك الممتدة من
 نهر الملوية غربا حتى لبدة بليبيا شرقا⁽²⁾.

الفصل الأول

الحروب والمقاومة في فترة الملك يوغرطة

- 1 - خريطة يوغرطة الملكة النوميدية
- 2 - الحرب والمقاومة البوغرطية ضد الرومان
- 3 - يوغرطة يهزم الرومان في معركة
- 4 - يوغرطة يهزم الرومان في معركة
- 5 - يوغرطة يهزم الرومان في معركة
- 6 - يوغرطة يهزم الرومان في معركة

الفصل الثاني

الحروب والمقاومة في عهد الملك يوبا الأول

- 1 - يوبا الأول الملك النوميدي
- 2 - يوبا الأول الملك النوميدي

⁽²⁾ محمد حسين فنطر ، يوغرطة، مط. الدار التونسية لشر . تونس ١٩٧٥ . ص.س. 94-97.

الباب الرابع

المقاومة والحرب ضد الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا

الفصل الأول

- الحرب والمقاومة في فترة الملك يوغرطة

1. يوغرطة يوحد المملكة النوميديّة
1. الحرب والمقاومة اليوغرطية ضد الرومان
2. يوغرطة يسترد سيرتا ويتخذها عاصمة له
3. يوغرطة يواجه القناصل الرومان
4. يوغرطة يلقن الرومان أكبر هزيمة في معركة ستول
5. مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطة
6. تداعيات حرب يوغرطة على المنطقة بعد إلقاء القبض عليه.

الفصل الثاني

- الحرب والمقاومة في عهد الملك يوبا الأول

1. التحالف النوميدي الروماني
2. دور الملك يوبا الأول العسكري
3. حملة كريون 49 ق.م.

4. نجدة الملك يوبا الأول لواروس.
5. خطة يوبا الأول القتالية .
6. المعركة على ضفة باغراداس والقضاء على كريون .
7. الدور النوميدي في التصدي للحملة القيصرية .
8. الجيش النوميدي في عهد الملك يوبا الأول .
9. الخطط الحربية النوميديّة .
10. نكبة تابسوس 146 ق.م.
11. تداعيات تابسوس .

الفصل الثالث

- المقاومة بقيادة أربيون

1. عودة الأمير أربيون من إيبيريا إلى نوميديا
2. الصراع بين حكام أفريقيا الرومان .
3. التحالف بين أربيون والوالي الروماني سكستوس
4. انتصارات أربيون .
5. اغتيال الأمير أربيون .

الفصل الرابع

- مقاومة التوسع الروماني في نوميديا وموريتانيا

أولا : المقاومة بقيادة تاكفاريناس ومواجهة الحملات الرومانية.

1. حملة البروقنصل فوريوس كاميلوس (Fvrius Camillvs) [17م].

2. حملة ديكریوس (Decrius).

3. حملة أبرونيوس (Apronius) [20م].

4. حملة يونيوس بليسوس (Q Junius Blaesus)

[20 م].

5. حملة دولابيلة (P. Cornelius Delabella)

23- 24 م.

6. نتائج الحرب.

ثانيا : استمرار المقاومة بعد مقتل تاكفاريناس

1. اغتيال الملك بطليموس .

2. الثورة بقيادة أيديمون .

3. القوة الرومانية وفرض الاحتلال .

الفصل الأول

- الحرب والمقاومة في فترة الملك يوغرطة

1. يوغرطة يوحد المملكة النوميديّة
2. الحرب والمقاومة اليوغرطية ضد الرومان
3. يوغرطة يسترد سيرا ويتخذها عاصمة له
4. يوغرطة يواجه القناصل الرومان
5. يوغرطة يلحق الرومان أكبر هزيمة في معركة ستول
6. مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطة
7. تداعيات حرب يوغرطة على المنطقة بعد إلقاء القبض عليه.

- الحرب والمقاومة في فترة الملك يوغرطة :

اعتمدت روما منذ بدايتها على النظام العسكري المتمثل في تجنيد مواطنيها ومنذ الهزيمة الأولى فرضت على الذكور ما يعرف بالخدمة العسكرية ابتداءً منذ سن الثامنة عشر وكانت تلتقي في ذلك مع النظام الذي كان متوفراً في بلاد الإغريق (مدينة اسبارطة) وكان الرومان هم الآخرون يطبقون في معاركهم نظام الفلانكس (Phalanx)^(*) الذي يعتبر ذا نشأة إغريقية . وبنشأة روما ذات الطابع العدائي وتأسيسها لجيش يعتمد على الانضباط استطاعت أن تهيمن على معظم العالم القديم وأن تضع حداً لكثير من مدن حضارية وأن تفرض سياسة الرومنة على كثير من شعوبه شعار السلم الرومانية (Pax Romana)، وهي في ذلك شبيهة بأمريكا في عصرنا الحالي التي تحمل شعار العولمة (Mondialisation) المعتمدة على الديمقراطية والإصلاحات المفروضة على بقية العالم ! تماشياً والمصالح الاقتصادية والثقافية الأمريكية . وبتلك الطريقة سادت روما على الحوض الغربي للبحر المتوسط بما فيه بلاد المغرب القديم . وقد صادف حضورها في المنطقة في بداية الأمر تلبية مصالح بعض الطامحين إلى السيادة من أبناء المنطقة وبذلك كانت خير معين لهم على بلوغ أهدافهم، إلا أنها وبمرور الزمن تضاربت مصالحها الجشعة مع شعوب المنطقة، فكان رد

^(*) الفلانكس (Phalanx) كلمة إغريقية تعني المشاة الثقيلة التي تعتمد طريقتها في القتال على المقدمة والأجنحة ثم المؤخرة والالتفاف على العدو ثم شل حركته.

فعلهم عنيفا الأمر الذي دفعهم للتذمر والمقاومة ثم الحرب والكفاح المتواصل ضد الوجود الروماني.

وقد تمثلت تلك المقاومة والحروب المنظمة فيما قام به الإغليد يوغرطة في بداية الأمر والذي سنتطرق له في الصفحات القادمة ، ويعتبر يوغرطة في رأيي بدون منازع رائد الكفاح المسلح ضد الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا.

والجدير بالذكر حول هذا الموضوع أنه لم يرق للرومان أن يستمر الوضع على ما كان عليه في فترة ماسينيسا وابنه مسيسا ، لاسيما بعد تهديمهم لمدينة قرطاجة سنة 146 ق.م. وتأسيسهم للبروقنصلية الإفريقية الأولى التي أسالت لعابهم بمنتجاتها من القمح الصلب والخيل والعجول ، ولذلك نراهم يوعزون إلى ورثة مسيسا ولو بطريقة غير مباشرة إلى تقسيم المملكة بنفس الطريقة التي قسمت بها بعد وفاة العاهل ماسينيسا ، غير أن هذه المرة مس التقسيم المنطقة الجغرافية نفسها حيث قسمت المملكة إلى ثلاثة مناطق يحكم كل واحدة منها ملك. ولم يبق الوضع كما كان سابقا خاصا بالتنظيم الإداري فقط. فقد عمد الورثة الثلاثة إلى تقسيم المملكة النوميديّة بين ابني مسيسا (مكوسن) كما أشير إلى اسمه في النقوش البونية، إضافة إلى يوغرطة ابن أخيه مسطنبعل الذي كان قد تبناه في السنوات الأخيرة من حياته. وكان يوغرطة قد اختبر الرومان قبل وفاة عمه

مسييسا وذلك عندما أرسله إلى مساعدتهم في حروبهم في شبه جزيرة
ايبيريا ، وهناك تعرف على أبناء الطبقة النبيلة ولس عن قرب شعورهم
بالسمو الجنسي والعرقى تجاه الآخرين من أبناء الشعوب الأخرى
من غير الرومان⁽¹⁾.

وكان يمكن أن ينفرد يوغرطة بوراثة العرش وفقا للعادة القبلية
التي تخول لكبير السن في الأسرة المالكة تولي الحكم⁽²⁾. وقد حاول
الرومان بعد وفاة مسييسا مثل ما أشرنا إلى ذلك سابقا⁽³⁾ أن تبقى
نوميديا ممزقة بين عدة حكام وذلك حتى يسهل عليهم التدخل في
شؤونها وتبقى لهم مهمة الحكم الذي لا يراعي مصلحة الذين يحكمون
أو يسيرون ، بل ما تقتضيه المصلحة العامة الرومانية⁽⁴⁾.

(1) - Salluste XXVI, 21;

(2) - Picard G. Ch., "Civita Mactarina", Karthago, T. VIII, 1957, PP. 39 - 40 .

(3) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة ...ص. 100.

(4) محمد حسين فنظر ، يوغرطة ، مط. الدار التونسية للنشر ، تونس 1970 ، ص.ص. 144-

145. Salluste, la guerre de Jugurtha, VII, 2. - Salluste, op. cit., 145.

1- يوغرطة يوحد المملكة النوميديّة :

كان يوغرطة قد تنبه لمخطط الرومان مسبقا وعرف كيف يرد على أطماعهم، ولذلك نراه يزيع ابن عمه هيمبسال في مؤامرة اتسمت خيوطها بالغموض ، ثم يحاصر سيرتا ويقتل أدهر بعل الذي هو الابن الأكبر لعمه مسيبسا وينكل بالجالية الإيطالية التي كانت تتخذ من سيرتا مقرا لها منذ فترة الملك مسيبسا تحت اسم وكالة تجارية لاقتناء القمح⁽¹⁾ .والحقيقة أن معظم أفرادها كانوا يعملون كعيون وجواسيس لصالح الرومان.

لقد كان يوغرطة في حربه للرومان مؤهلا للاستماتة في الدفاع عن نوميديا بشتى الطرق العسكرية والسياسية وهو يتقن الفنون معا . حيث توفرت لديه الجرأة والشجاعة في الحرب وإقناع محاوريه وقت السلم⁽²⁾ .

ويؤكد سالوست في كتابه حروب يوغرطة النص التالي : " لقد جمع يوغرطة في شخصيته بين صنفين من الصفات يصعب الحصول عليهما لدى شخص واحد أولهما الجرأة والشجاعة في الحرب إلى درجة المجازفة ، وثانيهما الدهاء السياسي زمن التهاور ، بينما يورث

(1) - Salluste, bell. Jugurtha, XXI, 2. A.;Berthier , la Numidie, Rome et le Maghreb...P.52.

(2) - Benabou M., La résistance africaine à la romanisation, éd. Maspero, Paris 1975, P.58, Marge52.

الأول المجازفة والإقدام ويورث الثاني الثاني والحكمة⁽¹⁾. (أنظر الشكل رقم 48 ص. 297). هنا لا يسعنا إلا أن نقول "إن القول الحق هو ما شهد به الأعداء"!



صورة لعملة نوميديّة تعود لفترة الملك يوغرطة تحمل على وجهها الأول رأس متوج بالغار وعلى الوجه الثاني رسم فيل يتجه نحو اليمين

الشكل رقم 48

(1) - Salluste , la guerre de Jugurtha, VII, 5.

2- الحرب والمقاومة اليوغرطية ضد الرومان :

فعلا إن المتتبع لخطوات ومراحل حرب يوغرطة ضد الرومان يدرك مؤهلات الرجل للاستماتة في الدفاع عن نوميديا بشتى الطرق العسكرية والسياسية ، وهو يتقن الفنون معا ، حيث توفرت له الجرأة في الحرب وأسلوب المواجهة وإقناع محاوريه وقت السلم⁽¹⁾.

لقد بدا يوغرطة أثناء دفاعه عن نوميديا ضد الرومان رجلا ذا دهاء سياسي وخبرة كبيرة بشؤون السياسة والحرب لا في بلاد المغرب فحسب ، بل وأيضا عالما بشؤون المشاكل السياسية والاجتماعية التي كان يتخبط فيها المجتمع الروماني مثل الصراع بين حزبي الأشراف والعوام ، وامتلاء مدينة روما بالعبيد الذين باتوا يطالبون بحقوقهم ويثيرون مشاكل لمالكيهم وأسيادهم .

(1) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البوننية...، ص. 101.

وكان على روما أيضا إيجاد حل لمشكلة الطبقة البورجوازية والجنود المتقاعدين الذين أصبحت الأراضي التي هي تحت حيازتهم في شبه جزيرة إيطاليا لا تكفيهم^(*).

كل تلك المشاكل التي كانت تعاني منها الطبقة الحاكمة في روما بما فيها مجلس الشيوخ ، كان يوغرطة يعي ثقلها على الحكم والمجتمع الروماني ، ولذلك كان عليه أن يتخذ منها معاول وأوراقا رابحة للتصدي لتلك القوة المهيمنة⁽¹⁾.

(*) روما : ينسب تأسيس مدينة روما إلى محارب طروادي قدم من بلاد الإغريق إلى سهل اللاتيوم وهناك تزوج بـ "لافينيا" ابنة ملك تلك المنطقة . وتذكر الأسطورة بعد ذلك أن الإله مارس كان قد اتصل بابنة نوميستور أحد أحفاد المحارب الطروادي (رياسيلفيا) التي أنجبت له ولدين هما رومولوس وريموس ، غير أن اميلوس يغتصب العرش من أخيه نوميستور ويقتل رياسيلفيا ويتخلص من ابنيهما بالقائهما في نهر التيبر ، وبقدرة قادر يطفو مهد الطفلين على شاطئ هضبة البلاتين فتعثر عليهما ذئبة حسب الأسطورة ثم ترضعهما ويشبا بعد ذلك ثم يقررا إنشاء مدينة ستعرف بروما نسبة إلى رومولوس الذي كان قد شق أسس أسوارها بمحراثه ، ثم قتل أخاه ريموس الذي كان قد اجتاز الخط الوهمي الذي يمثل سور المدينة استهزاء بأخيه .

نستخلص من هذه الأسطورة أن مدينة روما كانت قد نشأت على القتل وأن مصير كل من يريد اجتياز أسوارها سيلاقى نفس الجزاء الذي لاقاه ريموس ، وهي إذا ما قيست بأسطورة نشأة مدينة قرطاجة بالاتفاق مع المغاربة القدماء تظهر طبيعة المدينتين من حيث العنف والهيمنة والطابع السلمي . وهذا ما يجعل الباحث يقارن بين التواجد القينيقي القرطاجي السلمي في بدايته في بلاد المغرب القديم والتوسعات الرومانية في عالم البحر المتوسط . كما يلاحظ أيضا العلاقة بين بلاد الإغريق والرومان وبين اللغة الإغريقية واللاتينية وبين قانون صولون الإغريقي والألواح الإثني عشرة الرومانية .. الخ.

وهناك ظاهرة مقاربة بين مدينتي إسبارطة وروما من حيث الانضباط وتأطير المجتمعين ، حيث كان قادة الجيوش الكبار لدى الرومان يعطون الأوامر لمن دونهم من الضباط أن يتصرفوا بصرامة في حق الجنود المتقاعسين أثناء المعارك وغالبا ما كانت عقوبة الموت تطبق في حق المنهزمين أو الفارين والجناء الذين لا يطبقون الأوامر التي تعطى لهم.

(1) هشام الصفدي ، تاريخ الرومان ، ج. 1 ، ... ص. 198-204.

وعلى المستوى المغاربي حاول يوغرطة أن يلفت انتباه جيرانه الموريين إلى الخطر الداهم الذي يهدد المنطقة بكاملها بما فيها القبائل الجيتولية (سكان الصحراء) ⁽¹⁾.

3- يوغرطة يسترد سيرتا ويتخذها عاصمة له :

ركز يوغرطة حكمه في مدينة سيرتا بعد قضائه على ابن عمه أدهربعل وتنكيه بالجالية الإيطالية وذلك سنة 112 ق.م. ⁽³⁾ واتخاذها سيرتا عاصمة له ، وهو ما دفع الرومان إلى التفكير في الأمر جيدا ، وبذلك ألوا على أنفسهم أن يضعوا حدا نهائيا لذلك المتمرّد (الإقليمي) الذي ربما سيعرقل مخطّطهم الذي بدأوه والذي كان وراء نقلهم الحرب إلى شمال إفريقيا وتهديمهم لمدينة قرطاجة 146 ق.م. ، ثم تأسيسهم للبروقنصلية الرومانية الأولى ومدّ جسور صداقتهم ، وقد كان تنفيذ الكثير من تلك الخطوات بفضل التعامل مع أسلافه الأوائل ماسينيسا وابنه مسيبسا وبالمقابل، فإن استيلاءه على سيرتا عاصمة المملكة النوميديّة الموحدة وإتباعه لطرق المراوغة وأن يعمل بأسلوب الشدة ، والتظاهر بالضعف أحيانا للانقياد وذلك بغية الاحتفاظ بوحدة المملكة ⁽³⁾.

(1) محمد الصغير غانم ، ثورات التحريض ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي

"ثورة تافاريناس نموذجاً" ، حولة المؤرخ ، ع.1 ، مطر. الجزائر 2002 ، ص.ص. 15-31.
(2) - Cagnat R., "Notes sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146 av. J. Ch.", dans C.R.A.I., 1994, PP.43-51.

(3) محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 104؛ محمد حسين فطر، يوغرطة ، ص.

وقد حاول يوغرطة أن يبرهن للرومان على أن ما قام به لم يكن موجها ضدهم، بل كان ضد ابن عمه ادهر بعل الذي بادره بالحرب وهو على استعداد لمواصلة خط السير الذي بدأه أسلافه معهم، وفي ذلك الاتجاه بعث بأحد أبنائه على رأس وفد لمدينة روما قصد شرح قضيته وتقديم التبريرات الكافية التي كانت وراء ما قام به .

غير أن الرومان اعترضوا على دخول وفد يوغرطة إلى مدينة روما مقدمين له شرطا أولا وأخيرا تمثل في التنازل عن المملكة النوميديّة للرومان وتقديم الملك يوغرطة للمحاكمة أمام القانون الروماني ، وإلا فإن روما ستعلن عليه الحرب⁽²⁾ .

4- يوغرطة يواجه القناصل الرومان :

ومع تمسك روما بقرار إعلان الحرب وإصرار العاهل النوميدي يوغرطة على التمسك بوحدة نوميديا مهما كلفه ذلك ، بادرت روما سنة 111 ق.م. بإرسال القنصل بيستيا (Bestia) على رأس حملة عسكرية للإطاحة بيوغرطة واستعادة وبسط الشرعية الرومانية المتمثلة في تعيين عملاء نوميديين ضعفاء، ينصاعون للرومان ، وحسب المؤرخ الروماني سالوست الذي هو مصدرنا في تلك الحرب التي دارت بين يوغرطة الذي يدافع عن الشرعية النوميديّة التي ورثها عن أسلافه الأوائل وبين

- Salluste XVII, 4, XXIX,2.

(1) - Saumagne Ch., Numidie et Rome , Massinissa et Jugurtha, Paris 1966, PP. 131 - 172.

الأطماع الرومانية في تنفيذهم لخطط الهيمنة الاقتصادية وقهر الطرف الآخر النوميدي تحت سياسة تثبيت الرومنة التي شعارها السلم الرومانية(*) (Pax Romana) ⁽¹⁾.

ومع أن القنصل بيستيا حاول أن ينفذ خطة مجلس الشيوخ في وضع حد للعاهل النوميدي يوغرطة إلا أنه اتهم بوقوعه في فخ الرشوة الذي نصبه له يوغرطة وبذلك أنهيت مهامه واستدعي يوغرطة إلى مدينة روما ليدلي بشهادته عن تلك الفضيحة التي تتعارض والقانون الروماني ⁽²⁾.

وكانت فرصة تلك المحاكمة الفاشلة التي وقف ضدها أنصار يوغرطة في مجلس الشيوخ الروماني والمتورطين فيها من أصحاب النفوذ في مدينة روما ، قد هيأت للعاهل النوميدي الفرصة لتدبير مقتل ماسيفا (Massiva) وهو أحد العملاء من العائلة المالكة الماسيلية الذي كانت روما تحضره لحكم نوميديا لصالح الرومان.

وقد خرج يوغرطة بعد أن استخف بالرومان بارتكابه لفعلة تلك في عقر دارهم وقال في حق مدينتهم "روما مدينة للبيع ومصيرها الهلاك إن وجدت من يشتريها" ⁽³⁾.

(*) السلم الرومانية : تعني السلم المفروضة على الشعوب التي قهرتها روما واستولت على أراضيها عن طريق القوة.

(1) إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان ، ج. 2 ، بيروت 1978 ، ص. 241

- Salluste , Bell. Jugurtha, XXXV.

(2) - Salluste XVII, 4, XXIX, 1.

- Saumagne , op.cit., PP.134 - 141

(3)

5- يوغرطة يلحق الرومان أكبر هزيمة في معركة ستول :

لقد استشاط الرومان غيضا من الإهانة التي ألحقها بهم يوغرطة في مدينتهم وبذلك أرسلوا هذه المرة قنصل تلك السنة 110 ق.م. وهو الينوس (Albinus) صحبة أخيه أولوس (Aulus) إلا أن يوغرطة اعتمد في حربه مع هذا القنصل كعادته حرب العصابات التي تعتمد على إرهاب العدو معنويا وماديا وبالتالي شل حركته وجعل اليأس يتسرب إلى نفسه وبذلك يفقد المبادرة والصواب ثم يمل مواصلة الحرب ، وذلك فعلا ما حصل مع القنصل الروماني الينوس الذي غادر إفريقيا عائدا إلى روما بدعوى تجديد انتخابه لسنة ثانية (109 ق.م) عله يستطيع الانتقام من ذلك الخصم العنيد ، وقبل مغادرة الينوس مملكة ماسيليا النوميديّة أسند قيادة الجيش لأخيه أولوس الذي كان لا يتقن مهنة وحصافة القيادة وبذلك جره يوغرطة في أحراش نوميديّة الشرقيّة وغاباتها ولحقه أكبر هزيمة عرفها الرومان في حربيهم على الإطلاق وكان ذلك في معركة ستول (Suthul) الواقعة بمستنقعات سفوح جبل الماونة بالقرب من مدينة قالمة الحاليّة⁽¹⁾.

وقد أرفقت خاتمة معركة ستول بمعاهدة بين أولوس قائد الجيش الروماني ويوغرطة حيث كانت كل بنودها لصالح الملك يوغرطة الذي فرض على الجيش الروماني مغادرة شمال إفريقيا⁽²⁾.

(1) - Salluste, XXXII, VII, 3.

(2) محمد حسين قطر ، يوغرطة ص. 172.

لقد حاولت روما بعد هزيمتها في معركة ستول سنة 109 ق.م. أن تأخذ الموضوع بجدية وان تنتقم لشرفها الذي داسه ذلك الباربار (Barbar) الذي بقي عوده يشتد صلابه أمام جيش يقوده ضباط من أبناء الأرستقراطية الرومانية ولذلك نراهم هذه المرة يختارون رجلا آخر من الأرستقراطية الرومانية لا يقل دهاء في حياته السياسية عن العاهل النوميدي متمرسا في إتقان شؤون الحرب ، ذلكم الرجل هو القنصل ميتلوس (Metellus Caecilius) الذي جاء معززا بمساعدين لا يقلان عنه اتقاننا لفن الحرب والدهاء السياسي وهما ريتلوس (P. Rutilus) وماريوس (C. Marius) ⁽¹⁾.

أمام تلك الوضعية الجديدة للحرب الرومانية ليوغرطة حاول هذا الأخير أن يدرس كامل تحركات عدوه محاولا إرغامه على التوغل في الغابات . وقد ناوش يوغرطة الجيش الروماني في معركة وادي المتول (O. El-Muthul) نهر ملاق الحالي بحيث سجل عليهم انتصارا باهرا وفقا لما أشار إليه سالوست ⁽²⁾. غير أن يوغرطة انهزم بعد ذلك في معركة زاما سنة 108 ق.م. وتالة (Thala) بعدها ، مما أوجب عليه التوغل نحو الجنوب إلى مدينة قفصة (Capsa) وعن طريق الأقوام الجيتوليين الذين قضى يوغرطة بينهم مدة ليست بالقصيرة ، حيث

⁽¹⁾ - Saumagne Ch., " Le champ de bataille du Muthul", rev. Tunisienne , T.I, 1930, PP. 2-16.

⁽²⁾ - Salluste , L. VII, L. XI.

دربهم على القتال والتصدي للعدو. وعن طريق الجيتول استطاع
العاهل النوميدي أن يتصل بالملك الموريطاني بوكوس الأول
(Bocchus) وحتى يدخله يوغرطة معه للحرب والتصدي للرومان تزوج
من ابنته وشرح له أهداف الرومان والجشع الذي يصابورهم في
ابتلاعهم للمنطقة المغاربية. وفي تلك الأثناء تغيرت قيادة الجيش
الروماني ، فاعتلى ماريوس الذي كان ينتمي إلى الطبقة الشعبية قيادة
الجيش وذلك سنة 107 ق.م. وعين العميد سولا (Sulla) نائبا له وكان
هذا الأخير لا يقل دهاء في عقد المؤامرات الخفية بحيث يحسن فن
الاستخبارات ويتقن حيك الدسائس ولذلك نراه يدرس المناخ
الجيوسياسي الدائر في المنطقة بين مصالح يوغرطة وبوكوس الأول
ويحاول الاتصال بهذا الأخير مقدما له بعض المغريات التي من بينها
توسيع مملكته على حساب نوميديا ونيله للقب صديق وحليف الشعب
الروماني⁽¹⁾ ، ومع ذلك فإن بوكوس لم يستجب لعروض سيلا المغرية في
أول الأمر وواصل الزحف مع صهره يوغرطة في كل من غرب المملكة
النوميديية التي اعتقد الرومان بأن خزينة يوغرطة التي ورثها عن جده
ماسينيسا كانت مخبأة هناك في قصر تاويريرت .

(2) - Rinn L., Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha,
rev. Afr., T. 29, 1885, PP. 80 -81.

6- مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطة :

انتقل الجيشان النوميدي والموريطني بعد توحيدهما شرقي المملكة النوميديّة وهناك استرد يوغرطة مدينة سيرتا التي كان قد اغتصبها منه الرومان قبل ذلك وخاضوا معركة معه بالقرب من وادي العثمانية التي سجل الجيش النوميدي في بدايتها انتصارات محدودة إلا أنه هزم في آخر المعركة أمام تقاعس الشريك الموريطني الذي بدأ يصاوره الخوف على مصير مملكته والاقتناع بأن الجيش الروماني لا يقهر وذلك من جراء اختلال ميزان القوة لصالحهم ، وأن قبول الإغراء الذي قدم له من قبل سيلا يمكن أن يطيل عمر مملكته ويبتعد عن حماقة الخطأ الذي ارتكبه في التحالف مع يوغرطة ، ذلك المجازف الذي لن ينال في الأخير إلا التشرد أو القتل وتقسيم مملكته أو دمارها أمام الخطر الداهم الذي يجتاح البحر المتوسط برمته والعالم القديم والمتمثل في الزحف الروماني⁽¹⁾. وأمام انصياع بوكوس لنزواته ومغريات الرومان التي قدمها سيلا (Sulla) له ألقي القبض على يوغرطة سنة 105 ق.م. في مؤامرة دنيئة اشترك في نسج خيوطها كما ذكرت صهره الملك بوكوس الأول ، وقد سلم العاهل النوميدي بعد ذلك لماريوس قائد الجيش الروماني الذي اقتاده بدوره إلى مدينة روما⁽²⁾ وهناك في روما بعد الاستعراض به مكبلا بالسلاسل الحديدية في

(1) - Mazard J., Corpus nummorum Numidiae Mauritanique, Paris 1955, P.44.

(2) Gsell St. H. A. A. N., T.5, P.125.

الساحة العامة وضع في دهليز تلتيانوم (Tiltianum) تحت معبد الكابيتول عاريا ونزعت منه عنفا القرط الذهبية التي كان يرتديها في أذنه وأمام تلك المعاملة ألا إنسانية قال مقولته المشهورة وهو على باب الدهليز المشار إليه " بالهتكم ما ابرد بيت الاستحمام عندكم". وقد بقي لسبعة أيام يتضور جوعا وعطشا وبعدما أخرج من دهليزه ليشنق في الساحة العامة بمدينة روما سنة 104 ق.م. ، وذلك حتى يكون عبرة لمن تخول له نفسه الوقوف في وجه المد الروماني⁽¹⁾.

7- تداعيات حرب يوغرطة على المنطقة بعد إلقاء القبض عليه :

جمعت حرب يوغرطة للرومان بين الحرب المنظمة والمقاومة فهو في ذلك شبيه بما كانت عليه الحرب والمقاومة في فترة الملك سيفاقس الذي واجه هو الآخر الرومان أثناء نقلهم الحرب إلى شمال إفريقيا وكان يرى فيهم الخطر الداهم الذي يهدد شمال إفريقيا برمتها بما فيها مملكته. ومثل هذين الأخيرين فعل ماسينيسا مع القرطاجيين الذين كان يرى في وجودهم شوكة غريبة في جسم المغاربة ، لاسيما بعد أن أظهروا تحيزهم للأرستقراطية القرطاجية على حساب المغاربة القدماء الذين يعتبرون في رأيه أصحاب الأرض الحقيقيين ، لاسيما بعد أن أصبحت قرطاجة ترهقهم بالضرائب لتسديد غرامات الحرب التي تخرج محملة بها أثناء هزيمتها أمام الرومان وذلك في نهاية الحربين البونيتين الأولى

⁽¹⁾ محمد الصغير غانم: شخصيات من بلادي مجلة التراث، ع.5، مط. الشهاب، بالتنة 1992 ص.ص. 8-21.

والثانية ، ضف إلى ذلك إقبال قرطاجة على تجنيد المرتزقة من أبناء
المغاربة ودفعهم في حرب تعود فائدتها في حالة الانتصار على
الأرستقراطية الحاكمة في مدينة قرطاجة وفي المقابل كان ماسينيسا
يرى في الرومان بعد انتصاراتهم في توحيد شبه جزيرة إيطاليا وضمهم
لجزيرة صقلية وسردينيا وكورسيكا في نهاية الحرب البونية الأولى
بأنهم الشريك القوي الذي يمكن الاعتماد عليه في تواصل الحكم
بالنسبة للأسرة الماسيلية التي حاولت قرطاجة وسيفاقس حرمانها منه،
لاسيما بعد أن وحد هذا الأخير لأول مرة المملكة النوميديّة بشطريها
الغربي والشرقي⁽¹⁾.

كل تلك التراكمات والتحركات والسكون في بعض الأحيان
ومجاملة الخصم الروماني بغية المحافظة على المصلحة الأنية وذلك مثل
ما فعل الملك مسيبسا بن الملك ماسينيسا الذي لم يحرك ساكنا تجاه
الرومان بل على العكس من ذلك كان يخشى صولتهم في اتخاذ أي
قرار حتى في تعيين من سيخلفه في الحكم ، وهكذا كان لرسالة
سيبيون إميليانوس (Scipion Aémilianus) وقعها الخاص في تبني
ابن أخيه يوغرطة وإعطائه حق وراثة العرش النوميدي مع ابنه
هيمبسال وادهر بعل .

(1) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ...، ص. 64.

غير أن يوغرطة الذي خبر الرومان أثناء مشاركته في حرب
نوماس بشبه جزيرة ايبيريا على رأس فرقة نوميدية كان قد اختبر أبناء
الأرستقراطية الرومانية في تلك الحرب وطريقة الاستعلاء التي ينظرون
بها لمن لا ينتمي لطبقتهم أو على الأقل يحمل الدم الروماني في
عروقه⁽¹⁾. كل تلك القضايا التي أشرت إليها مجتمعة دفعت يوغرطة
لمحاربة الرومان بغية الوقوف في وجه المد الروماني من جهة وإخراج
المغاربة القدماء من إتباع أسلوب المجاملة لا أقول "العمالة للرومان" ،
لاسيما بعد تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م. وتأسيس البروقنصلية
الرومانية الأولى على أراضي أملاك الدولة القرطاجية غير أن الملك
يوغرطة الذي حارب الرومان مستعملا كامل الأساليب التي كان يملكها
المادية والفكرية لم يوفق في تلك الحرب التي سرдна بعض تطوراتها
والمراحل التي مرت بها في الصفحات السابقة ولذلك كانت تداعياتها
ثقيلة بالنسبة للمنطقة وقد تمثلت في :

- تقسيم المملكة النوميديّة إلى ثلاث مناطق ، بحيث نصب على
الثلاث الشرقي منها الأمير غودا (Gauda) وهو أخ ليوغرطة إلا أنه
كان ضعيف الشخصية إلى درجة أن بعض الكتابات تصفه بالمعتوه
ومع ذلك فقد ادعى الرومان بأنهم ينفذون وصية العاهل مسيبسا

(1) - Nicolet C., op.cit., P. 664;

- هشام الصفدي ، تاريخ الرومان ، المرجع السابق ، ص.ص. 104-198.

الذي أوصى بأن يكون غودا وريثاً من الدرجة الثانية وذلك لقربته منه، فهو ابن أخيه مسطنبعل وأخ ليوغرطة .

وكان يمكن أن يشمل العقاب وعدم الاطمئنان إليه ⁽¹⁾، غير أن الرومان كانوا يطبقون سياسة "ذر الرماد في الأعين" وذلك حتى يهدئوا من غضب القبائل النوميديّة التي كانت تناصر قضية يوغرطة .

- أما الثلث الثاني من نوميديا والموالي للمملكة الموريطنانية فقد سلم للملك بوكوس الأول وفاء من الرومان لوعودهم التي تعهدوا بها له أثناء تحالفه معهم ومساهمتهم في إلقاء القبض على الملك يوغرطة رغم القرابة التي تتمثل في المصاهرة والجوار والمصير المشترك الذي كان يربطهما ، ومع ذلك فإن الملك الموريطاني فضل الأهم على المهم والغاية بالنسبة إليه تبرر الوسيلة.

- وقد بقي إسناد الثلث الثالث الجنوبي مجهولاً ⁽²⁾.

كما عمل الرومان من جهة أخرى بعد انتهاء حرب يوغرطة على استصدار قانون خاص سنة 103 ق.م. يعرف بقانون تورنوس يعطي الحق لقدماء المحاربين الذين وقفوا إلى جانب الرومان في حربهم ضد يوغرطة وذلك بالحصول على قطع أرضية تصل مساحتها حتى 25 هكتارا يفلحونها ويزرعونها ولعلها تلك الأراضي التي تمثل الثلث

(1) - Burain J., Afrika and Rome in der Zeit der republik dans afrika und rome in der antike Halle- Wittenberg, 1968, PP. 27- 52.

(2) - Desanges J., op. cit., P. 365.

الباقى من نوميدىا والتي اشرنا إليها أنها بقيت مجهولة ، التي تشمل المنطقة الستيسية التي سيمر بها خط الليمس فيما بعد .
نضيف إلى ما سبق ذكره ، اعتبار مجلس الشيوخ الرومانى للمملكة النوميدية بعد هزيمة يوغرطة على أنها ملك عام للشعب الرومانى المنتصر (Ager Publicus) وذلك وفقا للقانون الرومانى الذى ينص على حق الامتلاك بعد الاستيلاء والذى كان يطبقه الرومان من توسعاتهم⁽¹⁾ .

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن أن نصف الفترة التي عقت وفاة يوغرطة بأنها كانت تتسم بالتبعية المطلقة والتأثر بما يجري من صراعات طبقية في مدينة روما ما بين الأشراف والعوام⁽²⁾ .

ولعل أهم شيء ترتب على تداعيات فشل الحرب اليوغرطية ضد الرومان كان قد تمثل في ضعف روح الدفاع والوقوف في وجه الرومان ، وعلى العكس من ذلك قويت روح الاندماج في الحضارة الرومانية والتعامل مع سياسة الرومنة كواقع يومي مما ترتب عنه ارتباط الحركة الفكرية النوميدية بما ينتجه الكتاب والمؤرخون الرومان في حولياتهم من تمجيد للحركة التوسعية الرومانية تحت شعار السلم الرومانية الذي لا يقل شراسة عن سلبيات ديموقراطية العولمة في عصرنا الحالي التي

(1) - Camps G., Origines du royaume massyle, dans rev. D'hist. et de civil. Du Maghreb N° 3 1973, PP. 29 - 39.

(2) - Saumagne Ch., "prétextes Juridiques de la 3^{ème} guerres puniques", rev. hist. T.167, 1931, PP.121-125.

يفرضها الأقوياء تكنولوجيا على الضعفاء ، ويكفي أنهم يروجونها
للآخرين بل ويفرضونها دون أن يطبقوها في بلدانهم عملا بالقول "
الذي يصنع التاريخ غير الذي يقرأه" ، فالغلبة الفكرية تكون دائما للامة
التي تستفيد من ماضيها لتصنع حاضرها وتستشف مستقبلها .

الفصل الثاني

- الحرب والمقاومة في عهد الملك يوبا الأول

- 1- التحالف النوميدي الروماني
- 2- دور الملك يوبا الأول العسكري
- 3- حملة كريون 49 ق.م.
- 4- نجدة الملك يوبا الأول لواروس.
- 5- خطة يوبا الأول القتالية .
- 6- المعركة على ضفة باغراداس والقضاء على كريون .
- 7- الدور النوميدي في التصدي للحملة القيصرية .
- 8- الجيش النوميدي في عهد الملك يوبا الأول .
- 9- الخطط الحربية النوميديّة .
- 10- نكبة تابسوس 146 ق.م.
- 11- تداعيات تابسوس .

- الحرب والمقاومة في عهد الملك يوبا الأول:

ظلّ الوضع العسكري مستقرًا في أفريقيا⁽¹⁾ على امتداد قرن (146 - 46 ق.م.) ، ما عدا ما كان يحدث من صراعات على السلطة بين أفراد من العائلة الملكية النوميدية مثل الصراع الذي نشب بين هيمبسال الثاني (Hiempsal II) وهرباس (Hiarbas)⁽²⁾ وهي الصراعات التي تجد فيها روما فرصة لتجديد تدخلها وحضورها في الشؤون الأفريقية ، أمّا العلاقات بين الممالك المغاربية وروما فقد كانت عادية طيلة القرن الأخير من عمر الجمهورية الرومانية ، غير أنّ أحداث الحرب الأهلية في روما امتدّت إلى كلّ مقاطعاتها في حوض البحر المتوسط ، وكانت المقاطعة الأفريقية من الأهميّة بحيث قدّر لها أن يكون حسم تلك الحرب على أرضها .

(1) أفريقيا هنا كما هو في المصادر القديمة هي المعبر عنها الآن بالمغرب القديم أو شمال أفريقيا ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن بأنّ المقصود هو القارة الأفريقية إطلاقاً .
(2) - Orose ; Adv. Pagan. V, 21, 14 .

احتفظت الجمهورية الرومانية بالحدود الموروثة عن العهد القرطاجي وهي الخندق الملكي (Fossa Regia) ⁽¹⁾ تلك الحدود التي كانت محلّ نزاع طويل بين نوميديا وقرطاج وهو النزاع الذي كانت تؤجّجه روما إمعانا في إضعاف قرطاج ضمن السياسة التي أسماها الرومان: سياسة استلام الجئة أي إضعاف قرطاج نهائيا إلى الدرجة التي تجعلها جئة هامة عند الإجهار عليها ! ومع أنّ أصواتا كانت قد ارتفعت تطالب روما بالحدّ من القوّة النوميدية منذ الأيام الأولى بعد سقوط قرطاج ومنها ما نقله أبيان (Appian) على لسان أحد الخطباء في مجلس الشيوخ الروماني قائلا : ... أي شيء نفعله ؟ أنلحق الإقليم القرطاجي بالدومان العمومي ؟ إنّ ما يمكن أن نتحصّل عليه من إنتاج من هذا الإقليم سيستنزفه الإنفاق على الحاميات الدائمة الواجب

(1) هو الخندق الملكي أي الحدّ الفاصل بين المملكة النوميدية وقرطاج وهي حدود رسمت بين الدولتين لإنهاء النزاع الحدودي بينهما وكان سيببون الأفريقي هو "عرّاب" الاتفاق على ترسيم هذه الحدود ، وعن الخندق الملكي جاء في التاريخ الطبيعي لبلين :
... Ea pars quam Africam appellavimus dividitur in duas provincias, veterem et novem, discretas fossa inter Africanum sequentem et reges Thenas usque perducta. - Plin ; Histoire Naturelle, V. 25 ;

وقد نُشر عن الخندق الملكي عديد الدراسات أهمّها :

-TISSOT Ch., Géographie Comparée de la Province Romaine d'Afrique. II, Imprimerie Nationale, paris 1884, pp. 3-5 ;
- Cagnat R., Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions ,1894, p. 43. ;
- GSELL S., Rec. des mémoires publiés au XIVE congrès des orientalistes p. 349. ;
- Poinssot L.; Comptes rendus de l'Académie des inscriptions , 1907, p. 466.

إقامتها لصدّ هؤلاء الذين بقدر ما هم متوحّشون فهم مجاورون
لنا، أنقيم مستعمرات في نوميديا الأهلة بالسكان، لا ريب أنّ أولئك
المتوحّشين سيدمّرونها أو أنّهم سيسيطرون عليها متطلّعين إلى
الاستقلال، وإن كان الأمر سيكون كذلك فلو بقيت قرطاج لكان
أجدى⁽¹⁾ !.

نستخلص من بعض المصادر بأنّ روما لم تجعل من الخندق
الملكي حدودا عسكرية ذات حاميات ومراكز أمامية كما هو الحال في
منشآت الليمس بعد توسّعها في وقت لاحق ، وعلى حدّ تعبير روني
كانيا (R. Cagnat) فإنّ الخندق الملكي كان يمثل حدود الممتلكات
الرومانية لا غير، ومع ذلك كانت أوتيكا مقرّ حشد كبير للقوة الرومانية
فقد جاء في نصّ أوروّز (Orose) أنّ الطاعون الذي ضرب أفريقيا سنة
125 ق.م. - في أعقاب غزو الجراد لها وحلول المجاعة - فتك بثلاثين
الف عسكري في أوتيكا (Utica) كانوا يرابطون بها لضمان أمنها
والدفاع عن المقاطعة كلّها في الوقت الذي يتطلّب الأمر ذلك⁽²⁾.

- Appian, Pun. 61.

(1)

جاء في نصّ أوروّز ما يلي :

(2)

- ... Apud ipsam vero Uticam civitatem triginta milia militum quae
ad praesidium totius Africae ordinata fuerant. Extincta atque abrasa
sunt. Quae clades tam repentina ac tam violenta institit ut tunc apud
Uticam sub una die per unam portam ex illis junioribus plus quam
mille quingentos mortuos datos fuisse narretur. Orose , Adv. Pagan.
V, II, 4 .

يستبعد روني كانيا وجود مثل هذا العدد وروما لا تزال لم ترم بثقلها في المنطقة ، وليس لها بأفريقيا بعد على حدّ تعبيره سوى موطن قدم ، ولكنه يستدرك قائلا : إنّ المنتصر يحتاج إلى فرض الهيبة بعد النصر ، وعليه يمكن أن يكون نصف العدد المذكور من الجند النظاميين ويكون الباقي من الفرق المساعدة ⁽¹⁾ .

لا ريب أنّ روما وهي تحتفظ برأس جسر في إفريقيا على امتداد قرن كامل لم تكن مطمئنة لجيرانها من ملوك البلاد المغاربية خاصة وأنّ الأسرة الملكية النوميدية كانت تمتلك داخل المقاطعة الرومانية بأفريقيا أراض وعقارات كانت محلّ نزاع قضائي جعل يوبا الأول وهو لا يزال وليا للعهد يذهب إلى روما للمرافعة في هذا الشأن للتذكير بالعقود التي أمضى عليها قناصلة روما والتي تؤكّد وجوب احترام تلك الملكيات ، إلّا أنّ الشعبين النافذين في روما ومنهم كوريون أخذوا يلوحون بحجزها ⁽²⁾ .

منذ اندلاع الحرب الأهلية بروما انقسم الرومان إلى حزبين ومعسكرين متصارعين هما: الشعبيون وهم أنصار طبقة العامة وانتهت زعامتهم إلى يوليوس قيصر (Julius Caesar) والجمهوريون وهم أنصار طبقة الأشراف وقد انتهت قيادتهم إلى بومبيوس (Cn.

(1) - Cagnat R., Militaire de Armée Romaine d'Afrique et l'occupation l'Afrique sous les empereurs, Imprimerie nationale, Paris 1913, P. XV

(2) عقون (محمّد العربي) ، حملة يوليوس قيصر على أفريقيا ، ماجستير بإشراف د. محمّد الصغير غاتم ، جامعة قسنطينة 1996 ، ص 20.

(Pompeius) وطبيعي أن ينحاز الملك يوبا الأول إلى الجمهوريين، فهذا الأخير [بومبيوس] كان حليف والده فقد ساعده في استرجاع وحدة المملكة والتخلص من المنشق هرباس (Hiarbas) حليف ماريوس والماريانيين⁽¹⁾، وعندما اشتد الصراع بين الحزبين الرومانيين، كان يوبا الأول وفيما لمواقفه في نصرة الجمهوريين، وقد تحصل على وعد باستلام المقاطعة المسماة رومانية في مقابل الوقوف عسكريا إلى جانب البومبيين مما يدل على أنه كان ذا طموح سياسي وطني كبير⁽²⁾.

1- التحالف النوميدي الروماني :

إن التحالف بين العرش النوميدي والحزب الأرستقراطي الروماني قديم ويعود إلى عهد هيمبصال الثاني والد يوبا الأول⁽³⁾، لأن الحزب

(1) ظهر هرباس هذا على مسرح الأحداث في نوميديا ما بين 102 ق.م. و 81 ق.م. وقد انشق عن الملك همبصال الثاني واتخذ بولا ريجيا (Bulla Regia) عاصمة له وتحالف مع الماريانيين... أنظر؛

- Gsell St., H.A.A.N. VII. P. 281, N. 7.

(2) عقون محمد العربي؛ مرجع سابق، ص. 57.

(3) انشق عنه أحد أفراد الأسرة المالكة وهو هرباص في ظروف غامضة لأن المصادر الرومانية كعادتها لا تؤرخ إلا للدور الروماني في كل ما يتعلق بأفريقيا، وقد استعان على ما يبدو ببقايا الماريانيين من أنصار الحزب الشعبي ولذلك اعتبر مجلس الشيوخ الروماني التدخل ضد هرباص وحلفائه الماريانيين من أوكذ الواجبات وانتدب لهذا الغرض القائد بومبيوس الكبير وقتله رتبى الإمبريوم ومذه بكل الصلاحيات لإنجاز مهمته، فبحر البحر ونزل في أفريقيا ووقف إلى جانب همسال الثاني والد يوبا الأول حتى تم القضاء على المنشق هرباص وحلفائه الماريانيين، ومنذئذ ستتدغم العلاقات بين العرش النوميدي ومجلس الشيوخ الروماني، والحزب الأرستقراطي هو حزب مجلس الشيوخ ولذلك ظل العرش النوميدي وفيما له ضد خصومه الشعبيين، أنظر؛

- عقون (محمد العربي)؛ مرجع سابق، ص ص 19-20.

الشعبي الروماني منذ أيام ماريوس والأخوان غراكوس⁽¹⁾ كان لا يخفي أطماعه التوسعية فهو الحزب الذي يرى في التوسع والاستيلاء على المزيد من الأقاليم حلاً لمشاكل البروليتاريا الإيطالية من خلال الاستيطان وتوزيع الأرض المفتوحة ، وفوق ذلك كان كريون وقيصر قد أظهرتا عداوتهما ليوبا منذ مرافعته في مجلس الشيوخ دفاعاً عن حقوق الأسرة الملكية النوميديّة ... والواقع أنّ التحالف بين العرش النوميدي والحزب الأرستقراطي تحالفاً استراتيجياً لا نبالغ إن قلنا بأنّ الملك يوبا كان يسعى من خلاله إلى تحقيق حلم قديم ظلّ يراود الملوك النوميدي وهو تكوين مملكة أفريقية عاصمتها قرطاج !

2- دور الملك يوبا الأوّل العسكري:

يستخلص من المصادر أنّ الملك يوبا الأول نشأ نشأة عسكرية ، جعلته ميّالاً إلى القوة، وفي كنف والده هيمبسال الثاني (Hiempsal II.) الذي تمثّلت المملكة النوميديّة في عهده بالسلم فترة

(1) تعود جذور الحزب الشعبي إلى حركة الأخوين غراكوس (Gracchus) تيبريوس [162-133 ق.م.] وغازيوس [154-121 ق.م.] وكانا من أشدّ المدافعين عن الطبقة الشعبية (la plèbe) وقد قتلا تبعاً في خضمّ الصراع بين الأرستقراطيين أنصار جمهورية رومانية طبقية ، والشعبيين أنصار المساواة ، أمّا الحزب الجمهوري فكان يقاوم من أجل استمرار جمهورية رومانية أرستقراطية لحماية مصالح طبقة الأشراف ، للمزيد أنظر : Bloch F. et Carcopino J., Histoire de la République Romaine , P.U.F. paris 1950 .

طويلة كان يساعد والده في إدارة شؤون المملكة ، وكان دون ريب قد احتك بالرومان واستوعب حضارتهم⁽¹⁾.

في حوالي سنة 50 ق.م. توفي هيمبسال الثاني فخلفه ابنه يوبا الأول ، ولعلّ أول عمل قام به بعد تولّيه الحكم هو تنظيم قوّته العسكرية ليس فقط ضمن الفرق المتكوّنة من العنصر النوميدي ولكن أيضا بجلب عناصر من شعوب البحر المتوسط للاستفادة منها في تطلّعاته السياسية والعسكرية⁽²⁾.

كان يوبا الأول يقود جيوشه بنفسه وهو تقليد عرفه الملوك الماسيل منذ ناراواس (Naravas) وغايا (Gaia) إلى ماسينيسا (Masinissa) ويوغرطة (Jugurtha) ويمكن أن نعتبر النشأة العسكرية للملك يوبا الأول مؤشرا نحو تحوّل المملكة إلى قوّة عسكرية ناشئة ذات جيش نظامي محترف يمكن أن تبرز فيه كفاءات وقيادات عسكرية ترقى بالمؤسّسة العسكرية من مجرد قوّة عسكرية صغيرة

(1) تدلّ مرافعته في مجلس الشيوخ - وكان قد ذهب إلى روما 64-63 ق.م. في شأن المطالبة بتسليم المنشقّ ماسينثا (Masintha) وكذلك في شأن الدفاع عن حقّ الأسرة الملكية النوميديّة في ممتلكاتها التي ورثتها عن أسلافها داخل ماسني بالمقاطعة الرومانيّة بأفريقيا - تدلّ على ثقافة لاتينية عالية، إذ المعروف أنّ المرافعة في ذلك المجلس كانت مجالا للتباري بين فصحاء الرومان، وكانت الفصاحة تلعب دورا كبيرا في كسب القضايا بما لها من تأثير على الحضور، وقد كسب يوبا قضيته إلى الحدّ الذي جعل يوليوس قيصر وقد انقلبت منه السيطرة على أعصابه، يقوم غاضبا ويمسك بلحية يوبا، ومنذئذ ستكون العداوة بين الرجلين عداوة شخصية أيضا، انظر :

- Jules César, B.A. 71

(2) - Mercier E., Histoire de l'Afrique du nord (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, 1830, T.1, Ernest le roux édition, Paris, 1888, P.75.

تعتمد على التجنيد العشوائي في الظروف الحرجة ، دون تدريب أو احترافية ، ولعلّ الشروع في مثل هذا العمل العسكري دليل على وجود طموح لدى الملك يوبا الأول يتجاوز مجرد الوظيفة التقليدية للجيش وهي الحفاظ على أمن المملكة الداخلي إلى طموح أكبر في المنطقة ، وهو الأمر الذي قد يثير مخاوف حقيقية في روما وحتى في موريتانيا المجاورة غربا .

تحدّث المصادر عن رقم كبير يمثل جيش المملكة النوميديّة في عهد يوبا الأول هو ثلاثون ألفا من المشاة وعشرون ألف فارس وعدد معتبر من الرماة (Archers) ⁽¹⁾ ومع أنّ هذه الأرقام يبدو أنّه مبالغ فيها إلاّ أنّها تدلّ على توافر إمكانيات عسكرية هامة ، لعلّها تفوق إمكانيات الرومان في مقاطعة أفريقيا ⁽²⁾.

عندما قرّر قيصر توجيه الضربة إلى واريوس (Aetius Varus) حاكم أفريقيا الموالي لخصومه الجمهوريين لم يجد أفضل من كوريون الذي كان من غلاة الشعبيين الذين يرون في ضمّ الأقطار الأخرى حلاً للمشكلة الاجتماعية في روما ، بحيث أنّ الحرب فضلاً عن الأرباح التي تدرّها على جيش محترف وأغلبه - في المعسكر القيصري - من العامة ، فإنّها توفرّ أراض جديدة توزّع على البروليتاريا الإيطالية وعلى

(1) هذه الأرقام يوردها أبليان Appian , II, 96 -

(2) - Cagnat R. ;Op. Cit. p. XIV.

قدماً الجند⁽¹⁾ ، وفي هذا السياق لم يتردد كوريون في المطالبة علناً في إحدى جلسات مجلس الشيوخ الروماني بضمّ نوميديا ولم يزل كذلك حتى جاءت الفرصة المناسبة فعينه قيصر على رأس حملة على أفريقيا لفرض السيطرة القيصريّة عليها وانتزاعها من حاكمها واروس ومن معه من أنصار الجمهورية الأرستقراطية الرومانية .

3- حملة كوريون 49 ق.م:

أبحر كوريون على رأس حملة قوامها عشرة آلاف جندي و 12 سفينة حربية وسفن أخرى للشحن في 23 أبريل 49 ق.م. من ميناء سيراكوزة (Syracuse) لفرض سيطرة القيصريين على أوتيكا مقرّ الحاكم الروماني ومن ثمّ على كلّ مقاطعة أفريقية الرومانية ، ولعلّ الهدف الأبعد من هذه الحملة هو توجيه الضربة إلى المملكة النوميديّة بعد الانتصار على واروس وهو الاحتمال الذي لا يستبعده الملك يوبا الأول الذي كان حاضراً في مجلس الشيوخ عندما ألقى فيه كوريون خطاباً يحرض المجلس على ضمّ نوميديا ولذلك اعتبر كوريون عدوّاً للشعب النوميدي أيضاً.

(1) عقّون محمد العربي ، مرجع سابق ص 56 .

استغرق سير الحملة يومين وثلاث ليال عبرت خلالها إلى البرّ الأفريقي وتمّ الإنزال بالمكان المسمّى أنكويلاريا ⁽¹⁾ (الهوارية حالياً) ، وتكرّر مسألة الإنزال العسكري في البرّ الأفريقي منذ أجاتوكليس (Agathocles) إلى كوريون (49 ق.م.) ثمّ قيصر (47 ق.م.) فيما بعد - حتّى ولو أنّ هؤلاء أنزلوا قواتهم في شواطئ ليست ضمن إقليم المملكة النوميديّة - إلى سيدي فرج (1830) أخيراً ، وهي ثغرة في التاريخ العسكري المغاربي بحيث أنّ ذلك دلّ على عدم الاهتمام بمراقبة السواحل التي هي بوابات يمكن أن يتسلّل منها العدو في أيّ وقت وأكثر من ذلك لم يتحرّك واروس حاكم أفريقيا لصدّ حملة كوريون ، بل إنّ هذا الأخير بعد النزول بسلام في البرّ الأفريقي توجه نحو أوتيكا مقرّ الحاكم الجمهوري الروماني وعسكر بالقرب منها ، وذكر أبيان أنّه عسكر في قلاع مهجورة هي القلاع الكورنيلية (Castra Cornelia) ⁽²⁾ وهي القلاع التي كان قد تحصّن فيها سيبليون (Scipion) خلال الحرب الرومانيّة - القرطاجيّة الثانيّة ⁽³⁾ وهي في أعلى مرتفع يطلّ على أوتيكا من جهة الشرق وبعد عنها بحوالي 3 كلم .

(1) جاء في نصّ الحرب الأفريقيّة : ... Ad pellit ad eum licum qui appellatur Anquillaria hic , lucus abset a Clupeis passuum XXII milia habetque non incommodam aestat stationem et duobus envinetibus. De Bello Africano XXIII,1-2

(2) - Appian ; B.C. , II, XL, IV.

(3) - Gsell St., H.A.A.N., III, pp. 219-220

بعد أن استقرّ كوريون في القلاع المذكورة- ونرجّح أنّه كان يملك مخطّطا لهذه القلاع يكون قد جلبه من أرشيف القيادة العسكرية الرومانية واستعان به في مخطّط الإنزال والتحصّن- ثمّ جاء دور نهب الريفيين العزل ، فقد أطلق كوريون العنان لجنده بالإغارة عليهم وسلب ممتلكاتهم⁽¹⁾ .

ذكر أبيان بأنّ البومبيين (Pompéiens) قاموا بتسميم الينابيع، فأصيب أفراد جند كوريون بالآم حادة في عيونهم وبوهن شديد، وأصيبوا بالقيء وبثشّج مريع⁽²⁾ أمّا جزيل فلا يستبعد أن يكون ما أصابهم بسبب ارتفاع الحرارة في مناخ أفريقي لو يتعوّد عليه الرومان وهو ما أدّى إلى إصابتهم بالدوسنطاريا (Dysenterie) فاعتقد جند كوريون خطأ بأنّهم شربوا من مياه مسمومة⁽³⁾ ، ومع ذلك فإنّ كوريون وجنده تجاوزوا الأزمة وتقدّموا نحو أوتيكا وأقاموا معسكرا أماميا قبالة أسوارها .

قرّر كريون حسم الأمر لصالحه بسرعة ، ويبدو أنّه كان متمرسا ومندفعاً ، ويريد أن يحتكر المبادرة ، فقد نزل في ثالث يوم إلى الميدان وتمكّن من استدراج خصمه إلى المعركة وقد رسم الخطّة الآتية :

(1) وجد له بعض المؤرخين الاستعماريين مبرّرا بقوله أنّه فعل ذلك لإجبار واروس المتحصّن خلف أسوار أوتيكا على الخروج ومنازلته عسكريا ، انظر :

- Pavy , Histoire de la Tunisie, Bouslama Ed. Tunis 1977 , p. 178 .

- Appian , B.C. II, 44 .

- Gsell St., H.A.A.N., VIII, pp. 18-19 .

- استدراج جيش وارسو إلى الميدان .
- الهجوم في اتجاه الخطّ الواصل بين فرسان العدو ومشاته .
- فصل فرسان العدو عن مشاته بجدار من الجيش المهاجم .
- تطويق المشاة وإبادتهم .

وقد نفذ كريون هذه الخطة بمهارة ونجح في الانتصار على خصومه، ولما طوّق مشاتهم انهاروا واندفعوا نحو منحدر مجاور وتفرّقوا في جميع الجهات ، وما إن نزل الظلام حتّى رفع وارسو معسكره ودخل أوتيكا محتما بأسوارها ، ومن الغداة شرع كريون في حصارها وبدا أنّ سكّانها في حالة استعداد للاستسلام لكريون حفاظا على أرواحهم وممتلكاتهم⁽¹⁾ .

4- نجدة الملك يوبا الأول لوارس:

خلال هذه الوقائع ، وصلت أخبار مفادها أنّ الملك يوبا الأوّل قادم لنجدة المدينة على رأس قوّة معتبرة وما لبثت طلائعه أن أصبحت قريبة من المدينة ببضعة فراسخ ، وهو ما أثار الفزع في معسكر كريون الذي اضطرّ إلى رفع الحصار عن أوتيكا مقرّرا الانسحاب إلى القلاع الكورنيلية للتحصّن بها ريثما يصله المدد من صقلية⁽²⁾ .

(1) كلفت هذه المعركة جيش وارسو حوالي 600 قتيل و 1 000 جريح ، أمّا جيش كريون فكانت خسائره قليلة جدّا، أنظر :

- Caesar, B.C., II, 25 .

- Gsell St. , H.A.A.N., VIII, p. 20.

(2)

كان مقدم الملك يوبا الأول دون ريب بسبب الإلحاح في طلب النجدة من قبل واروس ، ويكون الملك قد انتظر الوقت الملائم لتقديم العون إلى حلفائه ، بعد أن ثبت عجزهم وتلك خطة جيدة ، لأنه في حال انتصاره لا أحد يسلب منه ذلك الانتصار أو يدعي التقليل من دوره .

5- خطة يوبا الأول القتالية :

استخلصنا من نص الحرب الأفريقية خطته ، ونريد تقديمها في النقاط الآتية :

- تكوين طليعة من أفضل العناصر تتقدم الجيش يكون القائد سابورا (Saburra) على رأسها لتكشف الطريق للجيش الذي يزحف خلفها .
- التوقف في مشارف أوتيكا في موقع على مسافة حوالي عشرة أميال جنوباً⁽¹⁾ .
- أن يعسكر الملك على رأس باقي الجيش على بعد حوال سبعة أميال من هناك⁽²⁾ .
- أن يرسل سابورا عيونه نحو معسكر كوريون وفي حال القبض عليهم يوهمون جيش كوريون بأن الملك وصلته أخبار من مملكته عن وقوع اضطرابات بها وأنه عاد أدراجه بسرعة لفرض الأمن وتهدة الأوضاع .

- Ibid. pp. 19-20.

(1) ضبط جزيل الموقع وهو حرس سيدي ثابت ،

(2) في المكان المسمى الآن : قهوة الدوناجي ، على بعد 4 كلم شمال شرقي جنيّة ، - Ibid. p. 20 -

- انتظار نتائج هذه الخطة وفي حال خروج جيش كوريون يتم نصب كمين له .

نجحت هذه المناورة ، فقد ظن كوريون أن الملك عاد فعلا إلى مملكته وأن القائد سابورا لوحده ومن السهل الهجوم للقضاء عليه لأن القوة التي معه كانت صغيرة .

6- المعركة على ضفة باغراداس والقضاء على كوريون :

أرسل كوريون طلائعه لتكشف له موقع سابورا وعادت الطلائع لتؤكد خبر انسحاب الملك وأن سابورا لوحده مع قلة من الجند، في حين كان الملك على رأس الجيش في موقع مجاور ينتظر استدراج كوريون إلى الميدان كما تقتضي الخطة للإجهاز عليه، وكانت خطة الملك تقتضي أن ينسحب سابورا عندما يرى مقدم العدو كما لو أنه انهزم حتى يجرد خلفه كوريون في شمس صيف أفريقيا المحرق وكان ذلك في شهر جوان، وهو ما حدث فعلا فما إن زحفت فرق فرسان جيش كوريون حتى أخذ سابورا في الانسحاب⁽¹⁾ و ضعفت الرغبة في مطاردته في صفوف جيش كوريون الذي بدا عليه التعب من العطش ولم يجدوا مياه الشرب لهم ولا فراسهم فتفرقوا بانتظار التحاق فرق المشاة بهم⁽²⁾.

(1) اعتبر جزيل ذلك الانسحاب الاستراتيجي هزيمة معتمدا على بعض العبارات الشعرية في ملحمة لوكان (Lucaïn) علما أن الشعر الملحمي يقوم على الإثارة والتضخيم ، أنظر : - Gsell St., H.A.A.N. VIII, pp. 20 - 21 .

(2) - Moinier Col., Une expédition en Afrique ..., In R. AF., 1900, N°44, pp.5-43 pp. 36-37.

في تلك الأثناء ، وجيش كريون متفرّق بحثاً عن الماء ، علا غبار كثيف انكشف عن ظهور القائد سابورا وخلفه باقي الجيش من فرسان ومشاة ولم يجد كريون الذي فوجئ بهذا الوضع سوى أن يخوض المعركة أو أن يستسلم .

طوّق الجيش النوميدي جيش كريون الذي لم يقو على ردّ مهاجميه وقتل القائد كريون والكثير من جنده ، وانسحب الناجون باتجاه القلاع الكورنيلية على أمل التمكن من ركوب البحر والفرار باتجاه صقلية ، وتعقبهم الجيش النوميدي وأسر منهم الكثير ، وحُمِلت جمجمة كريون إلى الملك ⁽¹⁾ يوبا الذي دخل أوتيكا قائدا مظفراً ، واستقبل من طرف واروس وسامي موظفي المقاطعة الرومانية ، ويذكر ديون كاسيوس بأنّه قام بإبادة العدد الكبير من الأسرى واستثنى منهم خيرة الفرسان الغاليين والجرمان الذين ضمّهم إلى جيشه ⁽²⁾ .

برهن الملك في معركة باغراداس (Bagradas) هذه على أنّه يتمتّع بمزايا القائد العسكري المحنّك وستكون مشاركة الملك فعّالة في الصراع بين الحزبين الرومانيين المتناحرين في وقت لاحق ولعلّه أدرك أنّ قيصر لم يكن ليكتفي في حال انتصاره على خصومه من الحزب

(1) ورد هذا في كلّ المصادر : Caesar, B.C., II, 38-43; Appien, B.C., II, 45; Florus, Histoire Romaine IV, 2; B.A. XL

وكان المؤرخين الرومان يقصدون من وراء ذلك ترسيخ هذه الفكرة عبر الأجيال للإبقاء على روح الثأر .
(2) Dion Cassius , XLIII, 30.

الأرستقراطي وأنه بقضائه على حملة كريون حدّد الخطّ العامّ للسياسة النوميديّة وربط مصير المملكة بالحزب الأرستقراطي الروماني ولذلك لا مجال للتراجع .

دخل الملك يوبا الأوّل مدينة أوتيكا عاصمة المقاطعة الرومانيّة بأفريقيا منتصرا على كريون وفي حضور الحاكم الروماني أتيوس واروس ومساعديه وسكّان المدينة أعلن تحالفه مع الجمهوريين وأنه يضع كلّ قواته لحماية المدينة والمقاطعة من الهجوم القيصري ، وعندما وصل نبأ انتصار يوبا على كريون اجتمع مجلس الشيوخ الروماني وأعلن يوبا صديقا للشعب الروماني وبالمقابل أعلن مجلس الشيوخ القيصري أنّ يوبا عدوّ للرومان يستوجب موقفه العقوبة الكبرى ⁽¹⁾ ، وفي أوتيكا سيّجّع القادة الجمهوريون [كاتون عضو مجلس الشيوخ البارز ولبيينوس قائد الفرسان وسيبيون القائد الأعلى] بعد اغتيال زعيمهم بومبيوس (Pompeius Magnus) في مصر ، وكان كاتون هذا رومنسيا حالما مليئا بالكبرياء ⁽²⁾ .

(1) بعد استيلاء قيصر على روما أصبح فيها مجلسان للشيوخ ، مجلس جمهوري أرستقراطي انتقل مع بومبيوس إلى اليونان ، ومجلس قيصري شعبي في روما ... أنظر : - عثمان (أحمد) قيصر والسعي وراء السلطنة في سلسلة عالم الفكر عدد يوليو-أغسطس-سبتمبر، الكويت 1985، ص. 120.

(2) عندما جلس سيبيون إلى يمين الملك يوبا وكان يفترض أن يجلس كاتون إلى يساره ، قام كاتون وجلس إلى جانب سيبيون حتّى يحرم الملك من تصدّر المجلس وهو علامة توقيير واحترام، ولعلّ كاتون رأى في تصدّر يوبا المجلس اعترافا ضمّنيا بسيادته ، ويخلو لغزال سرد ما جاء في المصنّع اللاتينية : Gsell (S.), HAAN, VIII, p. 35 - من أنّ الرومان اعتادوا أن يستصغر الأجانب أنفسهم فإذا ما ساووا أنفسهم بالرومان لجدارتهم عنوا ذلك استعلاء ، ولذلك لا تخلو النصوص اللاتينية من هذه العبارات ، وهي تسجّل

في أول اجتماع ذكر يوبا بشروط التحالف وبالوعد الذي قدمه مجلس الشيوخ له وهو أن يستلم إقليم المقاطعة الرومانية بأفريقيا، فهذا الإقليم الذي هو أرض أفريقية ينبغي أن يعود إلى الشعب الأفريقي، ولكن جزيل ينسب فكرة تسليم أفريقيا للملك إذا تم النصر على القيصريين إلى سيبليون ليوهنا بأنه قرار فردي، مع أن مجلس الشيوخ [الجمهوري] في مداولته المنعقدة في اليونان أعلن أن الملك يوبا صديق للشعب الروماني وأقرّ الوعد بتسليمه المقاطعة بعد تصفية القيصريين، والحال أن مقايضة النصر على القيصريين بتسليم المقاطعة ليس أمرا هينا حتى لو تم الانتصار للجمهوريين على القيصريين لأنّ الجيوش المنتصرة لا تسلم شيئا، ولا تعدو المسالة أن تكون - في نظرنا - خطة رسمها الجمهوريون لضمان مؤازرة الملك لهم لا غير (1).

7- الدور النوميدي في التصدي للحملة القيصرية :

لقد ذكرنا أعلاه العوامل التي جعلت النوميدي يقفون إلى جانب الحزب الجمهوري الروماني لأنّه الحليف التقليدي للعرش النوميدي فضلا عن أن تمركز ولاية "رومانية" في جوار المملكة النوميديّة زهاء قرن

انتصار الملك يوبا الأول على كريبون بل وتصفه بالعجرفة والاستعلاء ... والحقيقة أن الملك يوبا الأول منع سيبليون من ارتداء الحلة الأرجوانية في حضرته لأنها لباس الملوك وهو ما استكرهه الرومان واعتبروه عجرفة، جاء بالحرف في نصّ الحرب الأفريقية Homini superbissimo intertissimoque. ... أنظر: B.A., LVII. (1) ومع ذلك عزّ على المؤرخين الرومان وحتى الأوروبيين المحدثين أن يسجل التاريخ هذا الوعد وكأنه الوعد بالاستقلال في العصر الحديث.

أدى إلى قيام علاقات عميقة بين مجلس الشيوخ الروماني والعرش النوميدي فلم يسجل طيلة هذا القرن [146 - 46] أي خلاف أو نزاع بين حكام المقاطعة الرومانية والمملكة النوميديّة ، وبالمقال كان الحزب الشعبي القيصري ذا نزعة توسّعية وكان يتشكّل في أغلبيته من البروليتاريا المحترفة للجنديّة والتي ترى في العمل العسكري مصدر رزق بما تناله من الغنائم ومن النهب .

كانت فكرة استرجاع المقاطعة الأفريقية التي استحدثها الرومان غداة سقوط قرطاج كافية لأن تحرّك في وجدان الملك النوميدي "جذوة الوطنية" وهو الذي يستخلص من المصادر على قلّتها أنّه كان ذا طموح سياسي كبير لا يهادن بشأّنه ، فضلا عن ذلك لم يكن مجرد ملك وارث للعرش بل كان قائدا عسكريا يتقدّم جنده كأبي فارس آخر بعيدا عن الخمول والترف الذي يطبع حياة الملوك⁽¹⁾ .

اتّضح بعد لجوء الجمهوريين الرومان - المنهزمين في اليونان - إلى أفريقيا أنّ حسم الصراع بينهم وبين القيصرين سيكون على الأرض الأفريقية خاصّة عندما تمكّن قيصر من إنزال جيشه على البرّ الأفريقي [ديسمبر 76 ق.م.] ، وليس أمام الملك النوميدي أن يتراجع

(1) لعلّ نشأته العسكرية بما فيها من صرامة وخشونة هي التي جعلت المؤرّخين يصفونه بالعجرفة ، ولم يسلم من ذلك حتّى المؤرّخين المحدثين الذين جرّفتهم النعوت الواردة في المصادر ، ومثال على ذلك ما جاء في كتاب عبد اللطيف أحمد علي بالحرف : كان [يوبّا] رغم عداوته لقيصر رجلا متفطرسا! ، انظر : - علي (عبد اللطيف أحمد) ، التاريخ الروماني [عصر الثورة] دار النهضة العربية ، بيروت 1970 ، ص 254 .

أو أن يتجاهل ما يحدث في المقاطعة المجاورة لمملكته فقيصر الذي حلّ
بأفريقيا لمواجهة خصومه الجمهوريين لا يمكنه أن ينسى الدور الذي
قام به الملك في القضاء على الحملة التي أرسلها بقيادة ضابطه كريون
لانتزاع أفريقيا من الجمهوريين ولذلك فإنّ مقدمه إلى أفريقيا ليس
لتسوية الوضع في المقاطعة والعودة بل لضمّ نوميديا وهو مطلب قدّمه
نواب حزبه في مجلس الشيوخ الروماني مرارا حتّى قبل نشوب
الصراع .

8- الجيش النوميدي في عهد الملك يوبا الأول :

يكون الجيش النوميدي النظامي قد ظهر منذ وقت
مبكر نسبيا، فقد ذكرت المصادر أنّ ناراواس (Naravas) قد
انتقل إلى صفّ هاملكار باركا ومعه فرقه العسكرية ⁽¹⁾ أمّا في
عهد غايا وابنه ماسنيسا فإنّ الجيش النظامي كان
أكثر عددا وتنظيما، وقد ذكرت المصادر بأنّ جيش الملك يوبا
الأول كان يتكوّن من أربعة فيالق نظامية ⁽²⁾ إضافة إلى الفرق
المساعدة (Auxiliaires) من الفرسان النوميدي الذين يركبون
الخيول دون سروج وعدد معتبر من فرق المشاة، وقد قدّر أبيان
قوّات الملك بحوالي 30 000 من المشاة و20 000 من الفرسان وعدد

- Gsell St. , HAAN, III, p. 113
- B.A, I. , II, 96.

(1)

(2)

كبير من الرماة بالرماح⁽¹⁾ ، ولكن يبدو أن الرقم كبير وفيه مبالغة، فضلا عن أنه لم يرد في مصادر أخرى ، وكان في إمكان المملكة أن توفر عددا هائلا من الأفراس النوميديّة ذات الشهرة الكبيرة في كلّ البحر المتوسط لخفّتها وسرعتها في الكرّ والفرّ، وكان الملك قد جلب معه إلى ميدان المعركة ضد كاريون 60 فيلا⁽²⁾ وخلال الحرب بين الجمهوريين والقيصريين وصلت شائعات تقول بأنّ عدد الغيلة التي جاء بها الملك 120 فيلا⁽³⁾.

9- الخطط الحربية النوميديّة :

استخلصنا من المصادر على قلة معلوماتها بعض العناصر التي يمكن بفضلها تحديد "التكتيك" الحربي النوميدي وأول عنصر في هذا المجال هو :

الكمين : لقد فرضت جغرافيا البلاد نفسها على الوضع الحربي ، من خلال السلاسل الجبلية والخوانق والمضائق التي تتخلّلها كمعابر طبيعية للانتقال من السهول الساحلية إلى التلال الداخلية ومنها إلى

(1) - Appian , B.C.

(2) - Caesar , B.C. II, 40.

(3) - B.A, LXXXV.

(1) وهو عدد كبير ومبالغ فيه كما يبدو ، أنظر ؛

السهول العليا ، وهذا التكتيك يقوم على عنصرى المفاجأة والاستعانة بالطبيعة .

1. عنصر المفاجأة : بحيث يكمن الجيش أو نخبة من أمهر الفرسان والرماة في مكان بانتظار عبور العدو وتتمّ مباغتته وهو في حالة استرخاء وغير مستعدّ.

2. الاستعانة بالطبيعة : يتمّ اختيار مكان نصب الكمين ولا بدّ من أن يكون في خانق جبلي هو المعبر الوحيد في المنطقة ويتمّ التمرّكز في القمة وفي المنحدر ويكون الاختفاء حيث الأشجار الكثيفة والجلاميد التي يختفي خلفها الرماة على الخصوص .

3. تطويق العدو: خلال الانسحاب للعودة إلى معسكراته بعد أن يكون قد قضى يوما كاملا في حالة استعداد لخوض معركة نظامية [أي المعركة وجها لوجه أو المعركة الصريحة] وبذلك يداهم العدو من مؤخرته ، وتكون الخطة محكمة إذا أدمجت الطريقتان مع بعضهما أي ضرب العدو من مؤخرته عند انسحابه للعودة إلى معسكره ، ثمّ إعطاء الإشارة للفرق التي تكون كامنة في مرتفعات مجاورة لخطّ عودة الخصم إلى معسكره ، وبذلك يتمّ تطويقه وضربه من الأمام ومن الخلف وهي الخطة التي

طبّقها لبيينوس في الكمين الذي نصبه للقيصريين وهم في طريق العودة من زيطا (Zeta) إلى معسكره ⁽¹⁾.

يكون التحضير لنصب كمين بعد جمع معلومات عن العدو وعن تحركه والطريق التي سيسلكها وتقدير الوقت الذي سيعبر فيه مكان الكمين ، ولا ريب أنّ معرفة جغرافية البلاد كان أهمّ عنصر لنجاح الكمائن ، وتكمن أهميّة الكمائن في أنّها قليلة الخسائر وتستنزف مقدرات العدو فضلا عن أنّها تجعله في حالة رعب دائم ⁽²⁾ ، ممّا يجعله يعيش حالة من الروتين المملّ وفي حالة قيصر مثلاً كان ينزل بجيشه يوميا إلى ميدان المعركة ويصفّ جنده انتظارا لفتح المعركة ولكن خصومه يحجمون عن النزول لمواجهة ، وعندما يتكرّر هذا الوضع يوميا يصاب الطرف القيصري بالملل لأنّه لا يفعل أيّ شيء سوى استهلاك مؤنه التي ستنضب وشيكا .

نعتقد بأنّ الكمين الذي نصبه الجمهوريون بقيادة لبيينوس ⁽³⁾ هو تطبيق لقواعد القتال عند النوميد وهذا الكمين من أصعب حلقات الحرب الأفريقية فقد هدّد قيصر تهديدا حقيقيا لأول مرّة ممّا جعله

(1) - Gsell St., HAAN, T. VIII, p. 113 .

(2) وفوق ذلك تغني عن الحرب الصريحة التي تتطلّب إمكانيات بشرية وتكتيكية ومادية معتبرة .
(3) لبيينوس (Labienus) هو أبرز القادة في المعسكر الجمهوري ، وصلته معلومات عن أنّ قيصر سيخرج خلال أيام بحثا عن المؤن فقام باصطحاب فيلقين من جيشه وكمن بهما في مكان سيعبر منه قيصر [مابين بلدتي قصر اهلال ومكنين الحاليتين] ، للمزيد أنظر : - عقون (محمّد العربي) ؛ مرجع سابق ص ص 169-170 .

يتراجع ويأمر بإحراق معسكره والفرار إلى مكان آخر يجد فيه الأمان
ليقيم فيه معسكره⁽¹⁾ .

10- نكبة تابسوس 146 ق.م :

تابسوس (Thapsus) هي بلدة ساحلية [في الموقع المسمى الآن
راس ديماس] وقعت بجوارها المعركة الفاصلة بين الحزب القيصري
من جهة والحزب الجمهوري الروماني وحليفه الملك يوبا الأول من جهة
أخرى (46 ق.م.)⁽²⁾ وهي من أكبر معارك التاريخ القديم ، وفيها
انتصر يوليوس قيصر انتصارا ساحقا على خصومه (أنظر الخريطة
اعلاه ، ص 6) وجعل من أفريقيا ولاية قيصرية وقضى على المملكة
النوميديّة وجعلها مقاطعة رومانية .

دارت وقائع المعركة في مكان بشكل برزخ ما بين الحافة الشرقية
لسبخة مكنين وشاطئ البحر [أنظر الخريطة] وهو المكان الذي اختاره
قيصر ونجح في استدراج خصومه إليه ، وقد فشلت الخطة التي
اعتمدها سيبيون⁽³⁾ وهي استدراج القيصرين إلى نفس المكان وغلق

- B.A. LXVI.

(1)

(2) أشار فلوروس إلى اشتراك الملك في المعركة ولكن لا يقدم تفاصيل هذا الاشتراك ، -

Florus, II, 13,67.

(3)

وردت الخطة في ديون كاسيوس ، وتتضمن جرّ الخصم إلى الموقع المذكور ثم القيام بـ :
- إغلاق البرزخ الشرقي من الجنوب بواسطة سلسلة من الخنادق تربط معسكر
سيبيون بمعسكر الملك يوبا .

مدخلي البرزخ من الشمال والجنوب ثم فرض حصار محكم عليهم هناك ، ويبدو على الأرجح أن قيصر اكتشف ما ينويه خصومه فأتخذ احتياطاته وصمم على أن يوقع بهم في ما خطّطوا له ⁽¹⁾.

جمع الجمهوريون حشدا ضخما من الجيش ولكن كان بقيادات متعددة، وكان الملك يوبا الذي عاد لنجدة حلفائه قد اتخذ معسكرا خاصا به [أنظر الخريطة] مما يدلّ احتمالا على تهميش حلفائه له عملا بنظرة كاتون الاستيعابية، ولا تقدّم لنا المصادر أيّ تفصيل عما كان يجري في معسكره، وهل اشترك جيشه فعلا في المعركة لأنّ بلوتارك ذكر بأنّ القيصرين بعد أن انتصروا على سيبليون قاموا بالهجوم على معسكر أفرانيوس ^(Afranius) واستولوا عليه فلمّا شاهد الملك يوبا ذلك اكتفى بالانسحاب ولعلّ ذلك كان بسبب قلة عدد جنده قياسا مع كتائب سيبليون وأفرانيوس اللذين انهزما ، وكان انسحاب الملك باتجاه مملكته، ويكون قد ينس من تحقيق حلفائه أيّ نصر على القيصرين رغم تقديم

- إغلاق البرزخ من جهة الشمال بسلسلة خنادق تصل السبخة بالبحر - Dion Cassius, XLIII, 8-2 ، ولكن قيصر عندما أحسّ بأنّ أعداءه يخططون لحصاره داخل البرزخ غير خطّته .

(1) تضمّنت خطة قيصر الثانية :

- استدراج خصومه نحو البرزخ .
 - إقامة تحصينات في الأماكن المرتفعة المطلّة على البرزخ وانتداب أمهر العناصر للتخندق بها بانتظار اللحظة الحاسمة
 - وضع الأسطول في حالة الاستعداد الثام قبالة ثابوسوس للجوء إليه في حالة الهزيمة .
 - غلق المنافذ الموصلة إلى ثابوسوس التي كانت تحت حصار الجيش القيصري .
- أنظر: عقون (محمّد العربي) مرجع سابق ص 210.

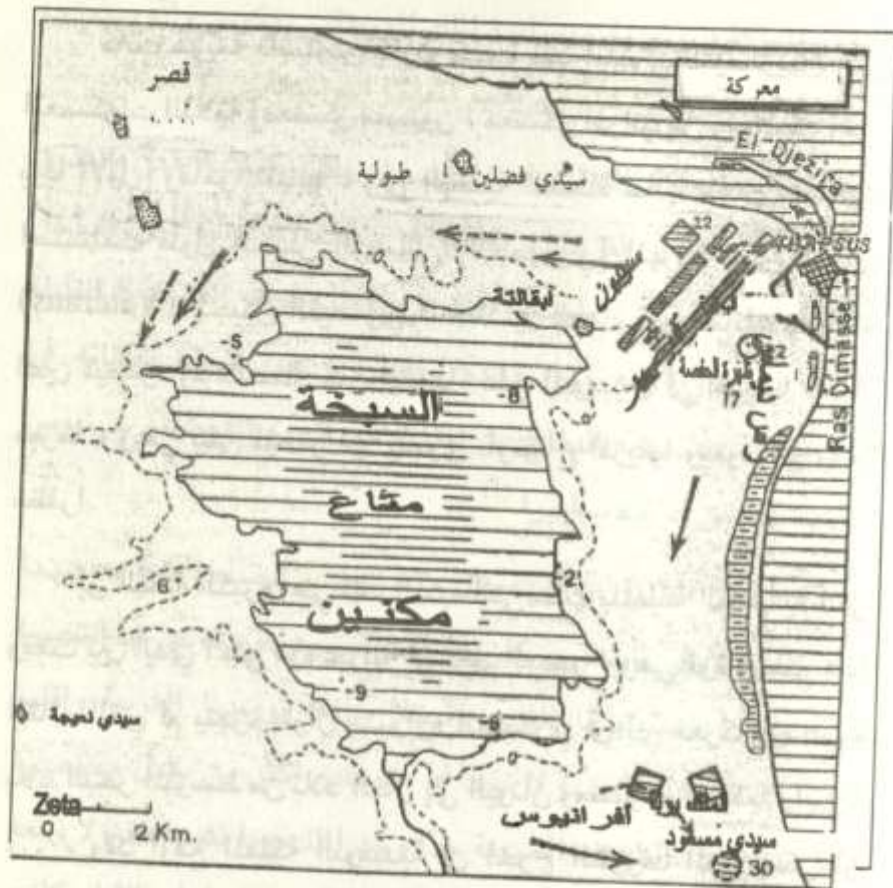
كلّ ما يستطيع من مساعدة لهم وخاصّة الأفيال ولكن سوء التدبير وضعف القيادة في الصفّ الجمهوري أدّى إلى تلك الكارثة ومع أنّ المصادر ذكرت بأنّ عدد الجيش الملكي [النوميدي] وجيش سيبيون معاً يكونان حوالي 80 ألف رجل ⁽¹⁾ كانت الخسارة في بعض المصادر 50 ألف قتيل وهي أرقام مبالغ فيها ونعتقد أنّ نصّ الحرب الأفريقية أكثر معقولية إذ سجّل رقم 10 آلاف قتيل فقط .

إنّ هذه الأرقام وباقي الإمكانيات المتوفّرة في الجانب الجمهوري ولو أنّه مبالغ فيها لا ينفي أنّ القوّة التي يمتلكها الحزب الجمهوري بأفريقيا كانت كبيرة ومنه نستخلص بأنّ الخلل كان على مستوى القيادة والتخطيط ، وهي قيادة ضعيفة أسندت لشخص لم يظهر أيّ تفوّق عسكري وهو سيبيون متلوس ، على حساب قائد الفرسان لبيينوس الذي أبعد من القيادة العليا ، وفوق ذلك لم يعمل الرومان الجمهوريون بنصائح الملك يوبا الذي أشار بضرورة التخلّص من ذوي الميول القيصريّة في عموم المقاطعة وخاصّة في أوتيكا ، لأنّ هؤلاء -

ثبت فيما بعد- أنّهم قدّموا خدمات كبيرة للقيصريين على مستوى نقل المعلومات وبثّ البلبلة فقد كانوا بحكم إقامتهم الطويلة بأفريقيا أدركوا بمختلف الأوضاع في عموم المقاطعة ، ولا ريب أنّ إثارة البلبلة في المملكة النوميديّة وتحريك النعرات القبلية خاصّة في أوساط الجيتول

- Appian, B.C., II, 97

(1)



خريطة توضح المنطقة التي جرت فيها أحداث واقعة تابسوس

الشكل رقم 49

11- . تداعيات ثابسوس : الحالات الرومانية السابقة

كانت هزيمة ثابسوس كارثة كبيرة فقد استولى القيصريون على المعسكرات الثلاثة [معسكر سيبليون ، معسكر أفرانيوس ومعسكر الملك يوبا الأول] وقاموا بنهبها ، وفي الهضبة المسماة حاليا سيدي مسعود استسلمت فلول الجيش الروماني [الجمهوري] المهزوم ولكن قدامى (Vétérans) الجيش القيصري المتعطشين للدماء قاموا بإبادتهم أمام أعين قيصر ، وباختصار كان القضاء على البومبيين في أفريقيا قضاء مبرما ، وبقي على قيصر أن "يسوي" أوضاع أفريقيا ويعود إلى روما مظفرا .

إن النكبة الكبرى هي تلك النكبة التي حلت بالمملكة النوميديّة التي وقعت بين أيدي أعتى قوّة حربية في ذلك العصر ، وهي قوّة قيصر هذا القائد الذي لم ينهزم طوال مشواره العسكري في أي معركة في عموم بلاد البحر المتوسط من بلاد الغال إلى اليونان ومصر ثم أفريقيا وإيبيريا ... ، وقد أوقع المملكة النوميديّة في أخرج الظروف التي يمكن أن تعصف بأمة أو دولة ويتمثل ذلك في :

- بثّ البلبلة داخل المملكة : فقد قام بإرسال مبعوثين إلى الجيتول يحثّهم على العصيان ويذكّرهم بما كان يربطهم بالقائد ماريوس وهو من أقربائه ومن الأوفياء لسياسته وأنه سيعيد لهم "الحقوق التي انتزعت منهم" .

- التحالف مع سيتيوس زعيم القراصنة : فقد اتّصل به وحثّه على اقتحام المملكة النوميديّة بمساندة الملك الموريتاني بوكوس وأنّه سيمنحه الشرعية في حكم جزء هامّ من إقليم المملكة النوميديّة . وجدت المملكة النوميديّة نفسها بين فكّي كماشّة فمن الشرق قيصر ومن الغرب القرصان سيتيوس وحليفه بوكوس وفي الداخل اضطرابات وعصيان ، واضطرّ الملك إلى تقسيم قواته العسكرية القليلة قياساً إلى عدوّه بينه وبين قائده سابورا وذهب لنجدة حلفائه في تابسوس وأسند مهمّة الدفاع عن المملكة من هجوم القرصان سيتيوس وحليفه بوكوس لقائده سابورا ⁽¹⁾ .

ليس من السهل مواجهة مثل هذا الوضع الصعب جداً ، فعندما انتصر قيصر في تابسوس كان حليفاه سيتيوس وبوكوس قد انتصرا على سابورا ومسينيسا الثاني واحتلّا مملكة نوميديا الغربية وإقليم سيرتا في ظروف غامضة لا نجد في المصادر أكثر من جمل مختصرة عنها ، وفي هذه الظروف الصعبة جداً وجد الملك يوبا نفسه معزولاً ومعه القائد الروماني بتريوس (Petreius) ولعلّ وجهتهما في الأول كانت أوتيكا على أمل الالتحاق بكاتون لاستئناف المقاومة من جديد ، وأرسل إلى كاتون يستعلمه عمّاذا يكون قد قرّر للدفاع عن أوتيكا وبقي متخفياً ينتظر الردّ ، ولما لم يصله شيء قرّر العودة إلى عاصمته ولكن المدن

(1) - Moinier Col., Op. Cit. pp. 350-351.

التي مرّ بها رفضت فتح أبوابها له وحتى العاصمة زاما وقفت نفس الموقف ، ويبدو من القصّة التي وردت في المصادر من أنّ الملك كان قبل التحاقه بحلفائه في ثابسوس جمع سكّان عاصمته وأمر بجمع أكوام من الحطب وخطب فيهم قائلاً أنّه إن انهزم سوف يقوم بإضرام النار وأنّه سوف يُلقى فيها بجميع ما يملك وبالسكّان وأنّه سيحرق نفسه معهم ! ⁽¹⁾ ، ويبدو أنّ هذه القصّة ذات حبكة رومانية أو إغريقية وتذكّرنا بأسطورة أليسا مؤسّسة قرطاج و لعلّها إشاعة نشرها أعضاء الجالية الرومانية بالمدينة في أوساط الدهماء لخلق البلبلة والفوضى التي سيستغلّونها لصالحهم .

عندما تأكّد الملك أنّ عاصمته لن تفتح الباب له ، وأنّه لا توجد في مملكته مدينة يمكن أن تستقبله قرّر أن يموت موت الأبطال فهو ملك وقائد عسكري ولن يقبل الوقوع في الأسر والانتقال به إلى روما لعرضه أمام سكّانها في عربة وهو مقيّد كما هي عادة الرومان في انتصاراتهم ، وتذكر المصادر بأنّه أقام وليمة فاخرة مع رفيقه بتريوس وقرّرا الموت معاً بأن يقتل بعضهما بعضاً ، وحيث أنّ يوبا لا يزال في قوّته فقد قتل رفيقه بتريوس الذي كان في نهاية كهولته ، وبعد ذلك جرّب الملك أن يقتل نفسه بالارتداء على سيفه ولكن لم ينجح ، فطلب من أحد عبيده أن

(1) - B.A. XCI.

يقوم بطعنه طعنة قاتلة ، فقام العبد بما أمر به ، وفاضت روح الملك الذي لا يعرف مكان دفنه .

لقد ترتب عن نهاية الملك يوبا الأول هذه النهاية المأساوية ، نهاية المملكة النوميديّة وفقدان الأفريقيين للسيادة بعد ذلك قرونا عديدة، وجعل قيصر منها مقاطعة رومانية أسماها أفريقيا الجديدة (Africa Nova) وكان أول حاكم لها هو سالوستيوس الذي خلد نفسه باعتباره مؤرخ حروب يوغرطة ولكن أيضا خلده التاريخ كأكبر مبتز لحكوميه وإذا كانت القوة الرومانية قد انتصرت فإن الأفريقيين لن يستسلموا وستستمر المقاومة .

الفصل الثالث

- المقاومة بقيادة أربيون

1. عودة الأمير أربيون من إيبيريا إلى نوميديا
2. الصراع بين حكام أفريقيا الرومان .
3. التحالف بين أربيون والوالي الروماني سكستوس
4. انتصارات أربيون .
5. اغتيال الأمير أربيون .

- المقاومة بقيادة أربيون:

ليست لدينا وثائق عن ميلاد وطفولة ونشأة الأمير أربيون ، لأن المصادر بدأت تذكره منذ انتقاله إلى جانب البومبيين حلفاء أبيه . بعد مقتل هذا الأخير، خلال غارة الملك الموريتاني بوكوس الثاني، وحليفه سيتتيوس زعيم المرتزقة ⁽¹⁾ على مملكة نوميديا الغربية . فقد انتقل إلى إسبانيا بعد نكبة ثابسوس (Thapsus) 46 ق.م.، إلى جانب البومبيين. الأمير أربيون هو نجل الملك ماسينيسا الثاني ⁽²⁾ ملك نوميديا الغربية ، هذه المملكة التي كانت تمتد في إقليم سطيف الحالي ، ولعلها كانت تمتد ما بين أمبساغا (Ampsaga) شرقا ووادي يسر غربا ، لتشمل السهول العليا السطيفية في الداخل.

ليست لدينا وثائق عن نشأة مملكة ماسينيسا الثاني ⁽³⁾ ولعل الملك هيمبسال الثاني (Hiempsal II) يكون قد التجأ إليها خلال انتصار حركة التمرد التي قادها الأمير النوميدي هرياس ⁽⁴⁾ (Hiarbas) فهو شقيق الملك ماسينيسا الثاني ولكن المصادر لم تشر

(1) هو سيتتيوس بوبليوس (Sittius Publius) من إقليم كامبانيا في إيطاليا اشترك في مؤامرة كاتيلينا الفاشلة ، أفلس ولم يتمكن من تسديد ديونه الكبيرة ، فر من المتابعات القضائية إلى إسبانيا ، أنشأ عصابة من القراصنة والمرتزقة وأصبح يعرض خدماته على ملوك المنطقة ، قدم خدمة كبيرة لقيصر خلال الحرب الأفريقية وهي التحالف مع الملك الموريتاني بوكوس ومهاجمة مملكتي ماسينيسا الثاني وبوبا الأول من الغرب مما ساهم في انتصارات قيصر .

(2) هو ماسينيسا الثاني بن عودة بن مستان بن ماسينيسا الأول (الكبير) ، قتل سنة 46 ق.م. في إحدى المعارك ضد بوكوس الثاني وحليفه سيتتيوس ، ذكره أبيان بهذه الصيغة

(Massanasses) أنظر : - 5 -

(3) سماها ثيشررون مملكة الماستانيزوسوس (Mastanesosus) .

(4) Gsell St., H.A.A.N., T. VII. PP. 281-286 -

إلى وجود دور له في مقاومة ذلك التمرد ، غير أنه من المحتمل أن تكون مملكته نقطة ارتكاز وقاعدة خلفية للملك حنصال الثاني بحكم القرابة ، كما أن التحالف الذي حدث خلال الحملة القيسرية بين المملكتين قد يكون مؤشرا لاستخلاص أن علاقة التحالف قديمة ومتجذرة بين المملكتين المتجاورتين ، وهذا يعني أن الموقف "الوطني" الذي تجذر في نوميديا الشرقية على يد الملك يوبا الأول خاصة ، امتد إلى مملكة ماسينيسا الثاني ، ولذلك وقفت المملكتان جنبا إلى جنب ضد الحملة القيسرية على أفريقيا 47- 46 ق.م .

أشار نص الحرب الأفريقية (De Bello Africano) إلى اكتساح سيتتيوس زعيم جماعات المرتزقة وحليفه الملك الموريتاني بوكوس الثاني، لمملكة ماسينيسا الثاني دون أن يقدم لنا تفاصيل عن هذا الاجتياح ، غير أن الإشارة إلى احتلال هؤلاء لمدينتين جيتوليتين وأن سيتتيوس عرض على الجيتول إخلاء المدينتين مقابل الإبقاء على حياتهم ، يمكن استخلاص عدة دلالات منه ⁽¹⁾ ، من ذلك أن سيتتيوس يكون قد توغل في العمق النوميدي إلى الجنوب، ربّما إلى مشارف الأطلس الصحراوي ، جنوبي السهول العليا السطيفية، حيث أن مواطن الجيتول (Gaetulii) تبدأ من هناك.

(1) قام سيتتيوس بإبادة السكان في المدينتين لأنهم رفضوا إخلاءهما أنظر: B.A. XXV -

نستخلص أيضا أن نوميديا الغربية وهي مملكة ماسينيسا الثاني، أصبحت ميدان حرب ضارية وأن الملك ماسينيسا الثاني والقائد سابورا (Saburra) كبير ضباط الملك يوبا الأول⁽¹⁾ خاضا 4 معارك طاحنة ضد المؤامرة التي حاك خيوطها قيصر ونفذها كل من بوكوس الثاني (Bocchus II) وسيتيوس .

1- عودة الأمير أربيون من إيبيريا إلى نوميديا :

لقد استعرضنا هذه الأوضاع لأنها تمثل الظروف التي واكبها الأمير أربيون والتي نشأ في ظلها فإذا كان قد استلم مهام الدفاع عن المملكة النوميديّة وحاول إحياءها من جديد في أعقاب مقتل قيصر (44) ق.م.⁽²⁾ فإنه يكون آنذاك في سن النضج، خاصة وأنه يكون قد عاد إلى بلاده من إيبيريا⁽³⁾ بعد أن تمكن قيصر من تصفية بقايا البومبيين في إسبانيا في أعقاب معركة موندا (Munda) في 17 مارس 45 ق.م. ، التي قتل فيها القادة البومبيون وزعيمهم غنايوس بومبيوس .

(Cnaeus Pompeius) نجل بومبيوس الكبير⁽¹⁾.

(1) شنيقي (محمد البشير) : الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، ط.2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص. 68

(2) هو من أبرز القادة الذين نوه بهم نصّ الحرب الأفريقية ، استشهد وهو يدافع عن مدينة سيرتا ضد تحالف الملك الموري بوكوس الثاني وزعيم القراصنة سيتيوس ليست لدينا تفاصيل عن حياته وأعماله العسكرية أكثر من ذلك .

(3) جوليان (شارل أندريه) : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج 1 ، تعريب محمد مزالي وبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969 ، ص 171 .

(1) Bellum Hisp., XXXII, 6-8; XXXVII, XL
- Dion Cassius, XLIII, 40-2 ;

نستخلص من ذلك أن أربيون كان يتمتع بخبرة عسكرية كبيرة من خلال اشتراكه إلى جانب البومبيين في محاولتهم الأخيرة في إسبانيا ، وكانت عودته إلى بلاده خطوة شجاعة تدل على تحليه بروح المسؤولية ، واستعداده لمواجهة الوضع في الميدان ، بالعودة إلى القاعدة "الشعبية" ، وتكوين جيش "وطني" لعله يتمكن من إبطال ما ترتب عن الحملة القيصرية ، وإعادة بعث المملكة النوميديّة من جديد ⁽²⁾ .

عندما عاد أربيون إلى نوميديا كان عليه أن يواجه وضعاً في غاية الصعوبة، وهو الوضع الذي ترتّب على انتصار يوليوس قيصر وانتهاء التحالف البومبي النوميدي والمتمثل في :

- قرار إلغاء المملكة النوميديّة وتحويل جزء منها على الأقل إلى مقاطعة رومانية تحت اسم أفريقيا الجديدة ⁽³⁾ (Africa Nova) .

- مكافأة زعيم المرتزقة سيتّيوس من قبل يوليوس قيصر، بمنحه الشرعية في حكم الإقليم السيرتي الذي احتلّه، والذي كوّن فيه الإمارة السيتيانية في المنطقة الممتدة

من تلال قسنطينة جنوباً إلى البحر المتوسط شمالاً ويضمّ المدن الأربع: القل (Chullu)، وسكيكدة (Rusicade)، وميلة (Milev) ثم

- Appianus, B.C. II, 105;

- Florus , II, 13

⁽²⁾ - Arabion , IN Encyc. Berbère, pp. 831-834 , p. 832 Camps (G)-
⁽³⁾ شنيّتي (محمد البشير) : مرجع سابق ، ص ص. 64-65.

العاصمة سيرتا⁽¹⁾ (CIRTA)، وهي المنطقة التي سيَتكوّن فيها في ما بعد ما يعرف بالاتحاد السيرتي، وقد شهدت هذه المنطقة أبشع أنواع الاستعمار، لأن قراصنة سِيتيوس تحوّلوا إلى "كولون" وأسسوا مستعمرات في الإقليم⁽²⁾ ولعلهم يكونون قد تحالفوا مع أفراد الجالية الرومانية بالمنطقة، واستولوا على مصادر الثروة كلها ، واستعبدوا الأهالي، لأن أبشع أنواع الاستعمار هو الاستعمار الذي تنفذه الجاليات والقراصنة⁽³⁾ .

لعل أهم الآثار المترتبة على النقطتين السابقتين هي اضطراب أحوال البلاد، على إثر الغارة القيصرية ، فتشتتت القوى النوميدية التي ليس من السهل إعادة تجميعها ، ولكن ما يشجع الأمير أربيون على شقّ طريقه في الكفاح هو أنه كان أعرف بوضع بلاده وبنقاط القوة والضعف فيها ، ولعله أدرك أن الجذوة "الوطنية" فيها لا يمكن أن تنطفئ، ولذلك سرعان ما استجمع قواه ، وكوّن جيشا نظاميا ، لعله كان متمركزا به خارج منطقة النفوذ الروماني التي لم تكن تتجاوز المنطقة التلية بعد ، إذ أنه يبدو أن السهول العليا القسنطينية لا تزال تحت نفوذ

(1) - Alquier (Prosper), Les Limites de Cirta au temps de SITTIVS, (46-40 Av. J.C) d'après les Inscriptions Funéraires" IN R.A. Année 1932, Hors-Série, PP. 29-30.

(2) مستعمرة (Colonia) هي مستوطنة لجالية رومانية تتمتع بحقوق المواطنة الرومانية ، كأنها جزء من روما يقع وراء البحر - انظر: صفر (أحمد) : مدنية المغرب العربي في التاريخ ، دار النشر بوسلامة ، تونس 1959 ، ص. 3184.

(3) غاتم (محمد الصغير) ، " علاقة نوميديا بالرومان - مرحلة الضعف - "، في مجلة التراث، العدد 3، دار الشهاب باتنة 1988، ص. 27.

زعماء القبائل⁽¹⁾ وأن النفوذ الروماني لم يصلها بعد ، وهي المنطقة التي ستكون مرتكزا للمقاومة التي سيقودها هذا الأمير .

كانت الأوضاع المضطربة التي أعقبت اغتيال قيصر مناسبة للثورة على الاحتلال الروماني الذي لم يتجذر بعد، ففي ظل حكومة الائتلاف الثلاثي في روما ، استمر الصراع الثنائي بين الشعبين والأرستقراطيين ، واضطربت الأوضاع في أفريقيا ، خاصة وأن مسألة مقاومة الاحتلال الروماني تكون قد لاقت حماسا كبيرا من شرائح اجتماعية واسعة، لأن قساوة الاحتلال أصبحت محسوسة لدى كل الشعب، ولذلك فإن المقاومة لا يمكن أن تكون قضية أمير يريد استرجاع عرشه كما تصوّره المصادر اللاتينية، بل هي فوق ذلك إرادة شعب بأكمله يريد قيادة تمتلك الاستعداد والخبرة وقوة الإرادة ، وهي الشروط التي لمسها هذا الشعب في شخص أربيون دون ريب .

لم يكن للأمير ظهر يحميه ، سوى القاعدة الشعبية النوميديّة، فألى الغرب بوكوس الثاني الخصم اللدود ، وإلى الشرق منطقة الاحتلال الروماني، ولذلك كان لا بد من البدء من الحلقة الضعيفة وهي "إمارة سييتيوس".

(1) سيكون التوسّع الروماني نحو هذه الناحية سببا في المقاومة التي قادها الثائر تاكفاريناس (Tacfarinas) [7 - 24 بعد الميلاد] للمزيد أنظر : الميلي (محمد) ؛ الجزائر في ضوء التاريخ ، نشر دار البعث ، قسنطينة 1980 ، ص ص. 126-129.

كان قد حدث انقسام في إدارة الاحتلال الروماني بأفريقيا، وكان على رأس ولاية أفريقيا القديمة (Africa Vetus) وال هو: كورنيفيكيوس (CORNIFICIUS) وهو عسكري وصديق لشيشرون وكان مجلس الشيوخ الحريص على ضمان تزويد روما بالقمح الأفريقي يشجعه على الصمود في منصبه أما ولاية أفريقيا الجديدة (Africa Nova) فكان على رأسها وال هو: سكستوس⁽¹⁾ (Sextius) ويبدو أن يوليوس قيصر هو الذي عينه في هذا المنصب على إثر خلع سالوستيوس بعد فضائح الرشوة والنهب التي أدين بها.

2- الصراع بين حكام إفريقيا الرومان :

حدث صراع حاد بين الحاكمين لأن كلا منهما كان يريد توحيد المقاطعتين تحت حكمه، وعندما جرد مجلس الشيوخ الروماني سكستوس من كتابته، قام هذا الأخير بالانضمام إلى الائتلاف الثلاثي الذي تشكل من أوكتافيوس (Octavius) وماركوس أنطونيوس (Marcus Antonius) وليبيدوس⁽²⁾ (Lepidus) وعندما وزعت المقاطعات بين الثلاثة، كانت أفريقيا من نصيب أوكتافيوس، فقام بتعيين تيتوس سكستوس واليا على الأفريقيتين القديمة والجديدة، ولكن كورنيفيكيوس وهو والي أفريقيا القديمة اعترض على هذا الوضع الجديد محتجاً بأن تعيينه تمّ من قبل مجلس الشيوخ، وأنه لا

(1) جوليان (شارل أندريه)، مرجع سابق، ص. 169.
(2) Mercier E., op. cit., p. 84.

يعترف بما يقرره أعضاء الحكم الثلاثي ، ووصل الأمر إلى حدّ إعلان الحرب بين الوالدين⁽¹⁾.

كان كورنيفيكوس يمتلك قوات كبيرة، فقام بغزو أفريقيا الجديدة لفرض إرادته والقضاء على منافسه سكستوس، وبالمقابل قام هذا الأخير باكتساح ناحية هدروميت لإجبار خصمه على الانسحاب .

وجد كورنيفيكوس نفسه مجبرا على إيقاف زحف سكستوس، فقام بتقسيم جيشه إلى قسمين:

أ . القسم الأول : وضعه تحت قيادة أحد ضباطه، وهو: ليليوس ديكيموس (Lelius Decimus) وكلفه بغزو نوميديا وحصار عاصمتها مقررًا حكم سكستوس .

ب . القسم الثاني : ووضعه تحت قيادة ضابط آخر من ضباطه وهو: ب. ونتديوس (P.Ventidius) وكلفه بمهمة التصدي لسكستوس أما كورنيفيكوس فبقي في أوتيكا حيث أقام معسكرا رئيسيا هناك .

تمكن ونتديوس من الانتصار على سكستوس وأجبره على الانسحاب إلى مقاطعته ، وهذا يدل على أن كورنيفيكوس يمتلك قوة عسكرية كبيرة فعلا.

(1) جوليان شارل أندريه ، مرجع سابق ، المكان نفسه .

في تلك الظروف المضطربة ، بدا للأمير أربيون الذي استرجع نفوذه في نوميديا الداخلية أن الفرصة سانحة لتوجيه الضربة القاضية لسيتيوس ، ولم يكتف بمقتل زعيم "القراصنة" بل قام بإبعاد "الكولون" السيتيانيين عن منطقة سيرتا ⁽¹⁾.

في تلك الأثناء كان السكان في نوميديا الغربية "السطايفية" وهي المملكة التي انتزعت من أربيون بعد مقتل أبيه، ومنح قسم كبير منها لبوكوس الثاني لقاء وقوفه إلى جانب قيصر خلال حملته على أفريقيا وقسم منح للسيتيانيين فقد انتهز أولئك السكان فرصة الاضطرابات، وقاموا بالثورة على سلطة بوكوس الثاني، وتحررت المنطقة من حكمه وعادت إلى أربيون ⁽²⁾ وبذلك أخذت ملامح مملكة نوميدية تتشكل من جديد، وهي تستكمل استقلالها سياسيا وإداريا وعسكريا بالتدريج، وعادت فرق الفرسان النوميدي ⁽³⁾ إلى الظهور، وهي الفرق التي تزعم الرومان ، فالحصان النوميدي كان أخطر سلاح على الوجود الروماني بالمغرب القديم ⁽¹⁾.

3- التحالف بين أربيون والوالي الروماني سكستيس:

(1) شنياتي محمد البشير، المرجع السابق ، ص. 69 .

(2) نفسه ، نفس المكان .

(3) نوميد، صيغة جمع مفردا نوميدي، وحيث أن البلاد هي التي أخذت اسمها من اسم الشعب النوميدي، فمن الأصوب استعمال صيغة نوميد بدل نوميديين .

(1) - Lacroix L., Histoire de la Numidie et de la Mauritanie, Firmin Didot frères Ed., Paris 1844, P.60

لم يجد الوالي الروماني سكستوس . الذي انهزم في ناحية هدروميت . حلاً أمامه سوى الاعتماد على هذه القوة المتنامية في نوميديا لمواجهة خصمه كورنفيكيوس ، ومن جهته كان الأمير أربيون يدرك بأن كلا الوالين يريد الاستعانة به على خصمه لحسم الوضع لصالحه، غير أنه كان ينتظر الفرصة ليكون تدخله إلى جانب أحدهما لصالح مملكته، وفي الأخير فضل أن يقف إلى جانب الطرف الضعيف، وهو سكستوس للقضاء على الطرف الأقوى والاحتفاظ بالتحالف مع الطرف الأضعف لتكون له الكلمة العليا على الدوام بعد أن يتحقق الانتصار، وحيث أن سكستوس كان في وضع حرج للغاية وعاصمته محاصرة ، فإن أربيون قرر الانطلاق على رأس جيشه لنجدة، وتمكن من فك الحصار الذي ضربه جيش كورنفيكيوس على عاصمة أفريقيا الجديدة⁽²⁾، وأجبر ليليوس ديكيموس على الانسحاب والعودة إلى أوتيكا، وبعد انتصار أربيون أصبحت معركة واحدة هو وسكستوس، وبدأ أن تحالفهما قوي، ولا ريب فإن الاتصالات التي تمت بين القائدين جعلت من ذلك التحالف قراراً رسمياً اتخذاه لاقتسام نتائج النصر، بحيث يسترجع كل واحد منهما سيادته⁽¹⁾.

(2) اختلف الباحثون في العاصمة هل كانت سيرتا أم زاما ، والمرجح أنها زاما ، لأن سيرتا كان سيثيوس قد اتخذها مقراً له ، ثم استرجعها أربيون منه بعد مقتله .
(1) - Mercier Ernest, Op. Cit. pp. 84-85

4- انتصارات الأمير أربيون :

قام الأمير أربيون بتعقب جيش ليلوس ديكيموس، وكانت اخبار انتصاره قد وصلت إلى حليفه سكستوس الذي استرجع الثقة والأمل، وفك الحصار الذي ضربه عليه قائد كورنفيكيوس، وأوقعه في الهزيمة، ولم يكتف بذلك بل تعقبه نحو معسكره الرئيسي بأوتيكا، وهكذا أصبح كورنفيكيوس الذي دارت الدائرة عليه بين عدوين، ورغم جيشه الكبير فإن وضعه أصبح سيئا للغاية.

كان الجيش النوميدي بقيادة أربيون قد أدرك ليلوس ديكيموس قبل وصوله إلى معسكر كورنفيكيوس وحاصره بفرق الخيالة النوميدي السريعة، التي فرضت عليه اللجوء إلى قمة جبل للاحتماء بها، وأحكمت عليه الحصار إلى درجة أنه أصبح مهددا بالموت جوعا وعطشا، وفي تلك الأثناء لحق سكستوس على رأس جيشه، وازداد وضع كورنفيكيوس سوءا، ولم يجد بدا من الخروج من معسكره لمواجهة هذا الوضع، وهي الخطوة التي كان أربيون ينتظرها، فما إن خرج كورنفيكيوس حتى أمر أربيون قسما من الفرسان النوميدي بالهجوم على معسكر العدو، فاقتحموه واستولوا على ما به من مؤن ونخائر، وأبادوا من به من حرس، ومن جهة أخرى كان خروج كورنفيكيوس فرصة لتطويقه من قبل جيش أربيون و سكستوس اللذين أمرا بالهجوم من كل جهة، ووقع

جيش كورنفيكيوس في خطر إبادة حقيقية وقتل كورنفيكيوس ولم يتمكن قائده ليليس من نجده فانتحر وتبدد جنده ⁽¹⁾ .

كانت معركة ضارية ، أظهر فيها الأمير أربيون قدرة كبيرة في التخطيط وإدارة المعركة، فهو الذي صنع النصر الحقيقي؛ لقد أدى انتصاره إلى انتصاب سكستوس على رأس مقاطعة أفريقيا، وأصبح عدو الأمس (الحزب القيصري الذي ينتمي إليه سكستوس) حليفاً .

عاد الأمير أربيون إلى مملكته، وفي ضميره أنه انتقم للشعب النوميدي من الظلم والقهر الذي ملأ البلاد منذ الحملة القيصرية ، فهذا النصر أكد السيادة "الوطنية" للمملكة، ولم يبق أربيون مجرد أمير، بل توج ملكاً أصبحت مملكته تشمل إضافة إلى نوميديا الداخلية ⁽¹⁾ الإقليم السيرتي ونوميديا الغربية (السطايفية) وأصبح سكستوس الحاكم الأوحـد لأفريقيا الرومانية.

لقد أشرنا أعلاه بأنه وقع الصلح بين أكتافيوس وأنطونيوس [43 ق.م.] وتكون ائتلاف ثلاثي جديد، وتمّ تعيين والٍ جديد على أفريقيا هو فوفيكيوس فانغو (C. Fuficius Fango) وهو من أصل وضع (de Basse extraction) بدأ مشواره المهني مرتزقاً وارتقى حتى بلغ

(1) - Appian , De Bello Civ. Lib. IV. ; Dion Cassius : Lib. XLVII
(2) هي المناطق التي يمكن أن نطلق عليها حالياً اسم لوراس الكبير ، أي السهول العليا الشرقية والكتلة الأوراسية وهي العمق النوميدي وموطن قبائل الموسولام الذين سيستمرون في المقاومة بعد نهاية مقاومة أربيون بسنوات ، وسيقودهم الثائر تاكفاريناس .

عضوية مجلس الشيوخ وقد خلف كورنيفكيوس لحساب أكتافايوس والقيصريين وفوض إليه أمر استرجاع أفريقيا البروقنصلية⁽¹⁾.

خلال سنة 42 ق.م. تم تقسيم المقاطعات الرومانية على أعضاء الإئتلاف الثلاثي فكانت قوريناية (Cyrénaïque) وأفريقيا " القديمة " من نصيب أنطونيوس أما أفريقيا الجديدة فظلت من نصيب أكتافايوس ولذلك عاد الصراع من جديد بين والي أنطونيوس ووالي أكتافايوس .

رفض فانغو الخضوع لإنذار سكستوس بالإذعان ، فصمم هذا الأخير أن يجعل من الأفريقيتين مقاطعة واحدة تكون من نصيب أكتافايوس غير أن السكان كانوا مستائين من الطرفين لتعرضهم في كل مرة إلى النهب والتقتيل ، أما فانغو فكان يريد جرّ خصمه إلى المعركة بأي ثمن ولذلك قام بسلسلة من العمليات الانتقامية كان أفظعها الانتقام من السيرتين⁽²⁾ ولم يجد سكستوس بداً من التحالف مع الأمير أربيون للاستفادة من خياله ومن خبرة النوميدي في حرب الكمان، وكانت النتيجة أن التحالف بين سكستوس وأربيون أثمر بالانتصار على فانغو⁽³⁾.

(1) - Dion Cassius, XLVIII, 22

(2) - Ballu De Lessert M.C., Fastes..., Op. Cit. pp. 7-8

(3) - Mercier E., Op. Cit. pp. 85-86.

5- اغتيال الأمير أربيون :

إنّ هذا الوضع الذي يتكرّر وهو الانتصار بفضل مؤازرة أربيون أصبح يقلق سكستوس الذي يبدو أنّه لا يقبل أن يظلّ الأمير هو صاحب الفضل عليه في كلّ مرّة ، فامتلاً صدره بالحقّد والضغينة وأضمر الشرّ للأمير ، فكيف يعرف الراحة والاطمئنان إزاء قائد من سلالة ملكية وفوق أرضه وبين شعبه ، وهو الذي أعاده إلى منصبه في كلّ مرّة مثله مثل واروس الذي كان قد أصبح تحت "حماية" الملك يوبا الأول على إثر انتصاره على كريون في 49 ق.م.

لقد أضمر سكستوس -إذن- للأمير الشرّ بدافع الحقّد والشعور بالخوف من هذا الأمير الذي أثبت كفاءة حربية عالية وفوق ذلك يعمل من أجمل بعث مملكة نوميديّة قوية وذلك من شأنه أن يثير الرعب في روما ذاتها وفي إدارتها الاستعمارية في أفريقيا ، وقد نقل أبيان وديون كاسيوس بأمانة أسباب حقّد الوالي الروماني على الأمير وهي : " تكمن في شجاعته وحسن تنظيمه لجيشه وخاصّة تعلّق الشعب النوميدي به " (2) .

قام سكستوس بتدبير اغتيال الأمير أربيون وأشاع بأنّه فعل ذلك لأنّه علم بمؤامرة ضدّه يحيكها في الخفاء مع الوالي فانغو (1) ،

(2) - Dion Cassius, op.cit. ; Loc.cit.

(1) - Lacroix J., Op. Cit. Loc. Cit.

وبعد هذا الاغتيال الغادر قام الفرسان النوميد بالانفصال عن جيش سكستوس وانضموا إلى جانب فانغو أملا في الانتقام من قاتل قائدهم وأميرهم غدرا ، ثم تجمعوا في زاما غير أن سكستوس انتصر على فانغو ودخل زاما التي قاومته مقاومة عنيفة - كأنها تكفر عن ذنب تنكرها ذات مرة للمكها يوبا الأول - وأصبح الحاكم الأوحـد لأفريقيا .

إذا كان المؤرخون القدامى لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في خلفيات هذا الاغتيال وأبعاده فمن السذاجة التوقف عند ظاهر الأحداث لأن اغتيال الأمير أربيون هو الحكم بالموت النهائي للمملكة النوميدية التي لن يقوم لها كيان بعد ذلك .

لقد ترتب عن اغتيال الأمير أربيون إعادة فرض السيطرة الرومانية على كامل أفريقيا الجديدة بما في ذلك الإقليم السيرتي وتم توحيد الأفريقيتين واسترجع السيتيانيون امتيازاتهم التي افتقدوها طيلة وجود الأمير الذي قضى على زعيمهم ولا ريب أنه كان قد أبعدهم عن سيرتا ، كما استرجع بوكوس الثاني القسم النوميدي الذي كان قد تحرر من سلطته (2) وأصبح بعد وفاة بوغود الذي لم يخلف عقبا ، على رأس مملكة شاسعة تمتد من المحيط غربا إلى وادي المساقة (Ampsaga) شرقا (1)، لكن هذا الوضع لن يدوم طويلا فقد توفي

(2) شنيقي (م. البشير) : مرجع سابق ، ص 69 .
(1) - Poulle A., à travers la Maurétanie Sétifienne, dans R.S.A.C., 1863, pp. 102- 103.

بوكوس الثاني دون أن يترك عقبا هو الآخر سلّمت مملكته إلى يوبا
 الثاني نجل يوبا الأول الذي نشأ في روما نشأة لاتينية ، ولعلّ ذلك كان
 مبعث اطمئنان الرومان له ، فسلموه هذه المملكة الواسعة لتكريس
 التبعية كخطوة أولى تمهّد للاحتلال في النهاية لكل أفريقيا .

الفصل الرابع

- مقاومة التوسع الروماني في نوميديا وموريتانيا
- أولا : المقاومة بقيادة تاكفاريناس ومواجهة الحملات الرومانية.
1. حملة البروقنصل فوريوس كاميلوس (Fvrius Camillvs) [17م].
 2. حملة ديكريوس (Decrius).
 3. حملة أبرونيوس (Apronius) [20م].
 4. حملة يونيوس بليسوس (Q Junius Blaesus) [20م].
 5. حملة دولابيلّة (P. Cornelius Delabella) 23-24 م.
 6. نتائج الحرب .
- ثانيا : استمرار المقاومة بعد مقتل تاكفاريناس
1. اغتيال الملك بطليموس .
 2. الثورة بقيادة أيديمون .
 3. القوّة الرومانية وفرض الاحتلال .

- مقاومة التوسع الروماني في نوميديا وموريتانيا :

في أعقاب الغدر بأربيون، تأكّدت السيطرة الرومانية في المناطق الساحلية وجميع المنطقة التليّة في المقاطعة الأفريقية التي وحّدها الإمبراطور أوغسطس وأجرى تعديلات في إدارتها، وبعد الخضوع للقوة العسكرية الرومانية يأتي دور الخضوع للقوانين والنظم الرومانية لترسيخ الاحتلال، وعلى الخصوص في ما يتعلّق باستصدار قوانين نزع الملكية والاستيلاء على الأرض وتوزيعها على الكولون الرومان لتوطينهم بالأرض الأفريقية وحيث أنّ الأفريقيين فقدوا الدولة فإنّه ليس أمامهم سوى الاحتماء بالقبيلة ككيان اجتماعي سياسي تتمّ في إطاره التعبئة وسائر أشكال التضامن .

- أولا : المقاومة بقيادة تاكفاريناس ومواجهة الحملات الرومانية.

تحدّث المصادر عن مجموعة قبلية كبرى تسمّى الموسولام أو الموسولان ⁽¹⁾ (Musulamii ou Musulanii) كانت متمركزة في المنطقة الممتدّة من الكتلة الأوراسية جنوبا إلى سيرتا والمايور شمالا وإلى جهات قفصة شرقا، ومنذ بداية القرن الأول الميلادي ستجد هذه القبيلة المحاذية لحدود الاحتلال الروماني نفسها وجها لوجه أمام التوسّع الروماني الذي سخر أعوانه لإجراء عملية الكنترة

⁽¹⁾ - Ptolémée, IV, 3, 6.

(Centuriation) ⁽¹⁾ وتسخير القوانين الفلاحية لضم أراضي القبيلة إلى ما يسمّى بـ: "أمالك الشعب الروماني (Ager publicus)" وكان ذا سببا مباشرا لقيام الحرب التي وصفها البعض بأنها أكبر حرب خاضها الرومان ضد سكان العمق الأفريقي ⁽²⁾.

تسمّى المصادر الإغريقية واللاتينية قائد هذه "الحرب" تاكفاريناس ⁽³⁾ (Tacfarinas) وتذكر أنّه كان مجنّدا في صفوف الفرق المساعدة (Troupes auxiliaires) الرومانية ثمّ تخلّى عن الجيش الروماني وعاد إلى قبيلته الموسولان، وأخذ يكوّن مجموعات قتالية سرعان ما تحوّلت إلى جيش منظم، ولا ريب أنّه استفاد من احتكاكه بالرومان خلال الفترة التي قضاها في العمل العسكري في الفرق المساعدة، وتعرّف مباشرة على خطط الرومان وأطلع على مراميهم القريبة والبعيدة، فهي فترة إعداد للحرب التي سيقودها هذا القائد على

(1) هي عملية تقسيم الأراضي الزراعية والرعية إلى مساحات توزّع على الكولون أو تقام فيها مستثمرات كبرى، ويقوم الإحصاء بغرض فرض الضريبة في وقت لاحق على أساس معطيات الكنترة، انظر :

- Vivien (P.), Aspects agricoles de l'occupation romaine en Afrique proconsulaire et en Numidie, paris 1976, p. 64.

(2) يعلّل لأكروا ذلك بأنّ هؤلاء الموسولان كانت لهم حياتهم وتقاليدهم الخاصة بهم على عكس سكان المناطق الساحلية الذين تعودوا على التعامل والاحتكاك بشعوب البحر المتوسط، انظر :

- Lacroix L., Histoire de la Numidie et de la Maritanie, Firmin didot freres éd. Paris 1844, p. 220.

(3) يحتفظ اسم تاكفاريناس إذا أزلنا اللاحقة اللاتينية اس AS Le Suffixe Latin : بصيغته اللببية : تاكفاريناس وهذا الاسم نعتقد أنّه اسم شهرة وليس اسما شخصيا، وهو كما نلاحظ قريب من اسم لأحد مشاهير المغرب الإسلامي هو : ابن تافراكين الذي كان وزيرا في الدولة الحفصية، ولعلّ الأول تصحيف للثاني ؟ .

امتداد أكثر من سبع سنين، واجه خلالها قيادات رومانية متوالية تتكوّن من كبار الضبّاط والقناصل وتذكّرنا بالحملات التي واجهها يوغرطة قبله.

أخذت حركة المقاومة بقيادة تاكفاريناس أبعادا كبيرة، فقد انضم إليه السنيثيون (Les Cinithiens) وهم قبيلة كبيرة تتمركز بجوار السيرت الصغير⁽¹⁾، كما امتدّت غربا نحو موريتانيا لتشمل كلّ السهول العليا، وقد نجحت في تجنيد سكّان هذه المناطق وفوق ذلك تمكّنت من تجنيد سكّان المناطق الخاضعة للرومان والتي اعتُبرت مناطق هادئة، وسينضمّ إليه ثائر موري هو ماسيبا (Mazippa) وبذلك تعرّزت صفوف المقاومة وأصبحت أفريقيا كلّها تقريبا من السيرت شرقا إلى جهات الورشنييس غربا في حالة استعداد لمواجهة الاحتلال الروماني المتمركز في المنطقة الساحلية التّلية وكان هدف هذه المقاومة دون ريب هو كسر نير الاحتلال الروماني وهو الدليل على أنّها مقاومة شعبية لا تتعلّق بفرد كما تحاول التسمية الرومانية أن توحى بذلك⁽²⁾.

(1) - Ptolémée, IV, 3,22-27. ; Pline, Hist. Nat. V, 4, 30. ; Tissot Ch., Géog. Comp., T.I, p. 453.

(2) تسمّيها المصادر اللاتينية وكذلك كلّ الدراسات الحديثة المتعلقة بالموضوع بحرب تاكفاريناس وقبلها أطلقت اسم يوغرطة على الحرب التي شنتها روما ضدّ المملكة النوميدية ... وكأنّها توحى من طرف خفي بتحميل مسؤولية الحرب لتاكفاريناس أو ليوغرطة أو كأنّها توجّه رسالة ضمنية إلى الشعب بأنّها لا تستهدفه بالحرب بل تستهدف تاكفاريناس أي فصل الشعب عن قائده وهذا هو دهاء الاستعمار قديما وحديثا.

كانت خطط تاكفاريناس كما نستخلص من المصادر على قلتها وتركيزها على ما يحدث في المعسكر الروماني وإغفالها لتفاصيل الاستعدادات في المعسكر النوميدي، تقوم على تقوية روح التضامن وتحسيس الشعب بخطورة ما سيُقدم عليه الرومان من توسع ونزع للملكية، وأنّ الجميع ينتظره الطرد نحو الفيا في البعيدة والخالية من شروط الحياة إذا لم يدافع عن أرضه وعن وجوده، وفوق ذلك قام تاكفاريناس بتدريب فرق مختارة للقيام بالحرب الخاطفة أو حرب الكمان لأنّ الحرب النظامية مع الجيش الروماني وهو أول جيش في عصره تعتبر مغامرة كبرى أكثر منها حرباً .

امتدّ لهيب المقاومة إلى كلّ المناطق الداخلية في نوميديا الداخلية من السيرت شرقاً إلى الورشنييس غرباً وانضمت إلى الموسولام قبائل أخرى قويّة مثل الغرامنت جنوبي طرابلس والسنتيين (Cinithiens) بجوار السيرت الصغير والجيتول ثمّ مجموعة القبائل التي يقودها ماسيبا (Mazippa) من المنطقة التي تلي الحصنة غرباً إلى جبال جرجرة شمالاً، وبذلك عمّت المقاومة كلّ البلاد وانضمت إليها البروليتاريا من منطقة النفوذ الروماني ذاتها⁽¹⁾.

⁽¹⁾ – Cagnat R., l'Armée romaine de l'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Ernest le Roux éditeurs, Paris 1913, p. 11.

كانت خطة تاكفاريناس تقوم على :

- تقسيم جيشه إلى فرق صغيرة وتوزيعها على عدة نقاط .
- الاختفاء أمام الرومان عند هجومهم .
- الظهور عند انسحاب الرومان .
- تجديد خطط يوغرطة أي خوض حرب الكمان لاستنزاف قوة العدو وجعله لا يشعر بالأطمئنان .
- مواجهة الحملات الرومانية :

لقد شعر الشعب الأفريقي كله بخطر الأطماع الرومانية في الأرض الفلاحية وهي مصدر عيشهم فاستعد الجميع لمواجهة القوة العسكرية الرومانية التي ستأتي لفرض إرادتها في حملات متتالية، كما أحس الرومان من جهتهم بخطورة هذه الحركة الشعبية الكبرى وأن وجودهم بأفريقيا مهدد بالزوال إذا لم يسارعوا إلى مواجهة المقاومة الشعبية القادمة من العمق النوميدي فأعدوا العدة لحرب طويلة ستمتد على سبع سنين، تعاقب خلالها عدة قادة رومان على قيادة الحملات التي شنها أباطرة روما وعبأوا لها كل قواهم وهذه الحملات هي :

1- حملة البروقنصل فوريوس كاميلوس (Fvr) ivs
(Camillvs) [17م]:

كان على رأس أفريقيا البروقنصلية عندما اندلعت حرب المقاومة بقيادة تاكفاريناس ⁽¹⁾ فأخذ مبادرة الهجوم على المناطق الداخلية في حملة استخلصنا أننا تستهدف العزل أكثر مما هي موجّهة نحو المحاربين المقاومين لأنّ الرومان عندما يفشلون في دفع المحاربين النوميد لحرب مواجهة صريحة يقومون بالانتقام من العزل، وقد استعان هذا البروقنصل بالفيلق الثالث الأوغسطي الذي كان متمركزا في حيدرة (Haïdra)، وقد اعتبر الإمبراطور تيبيريوس هذا الانتقام من العزل انتصارا كبيرا وعبر عن ابتهاجه بخلع النياشين على البروقنصل فوريوس كاميلوس والإشادة به في مجلس الشيوخ ⁽²⁾.

انسحب تاكفاريناس نحو الجنوب للتعبئة والاستعداد للهجوم في الوقت المناسب وفي سنة 20 م سيقود هجوما كبيرا على مراكز الكولون الرومان، ردّا على هجوم الرومان على العزل وحقق نصرا كبيرا، وهذا الهجوم الذي يسمّيه البعض مناوشات هو أسلوب الحرب

(1) Tacite, Annales II, 52.

(2) كانت وقائع هذه الحملة خلال سنة 17 بعد الميلاد، وقد استعان الرومان منذ ظهور المؤشرات الأولى للحرب بحليفهم يوبا الثاني لأن نقوده التي سكّت بعد ذلك تحمل صورة الانتصار، انظر؛

- Müller, Numismatiques de l'Afrique ancienne, III, N° 69.

الذي اعتمده تاكفاريناس لمواجهة اختلال التوازن في القوة بين الجانبين
الروماني والأفريقي⁽¹⁾.

2- حملة ديكريوس (Decrius) :

هو من قدامى الضباط الرومان، قاد جيشه نحو جهات وادي
باغيدا (Pagida)⁽²⁾ في قلب إقليم قبيلة الموزولام وفي أول اشتباك
بجيش تاكفاريناس تم تطويق الجيش الروماني الذي وقع بين هجوم
الفرسان النوميدي والمشاة والرماة حسب التقليد الحربي النوميدي
وانهزم الرومان، وكان نصرا كبيرا لتاكفاريناس أمام جيش
محترف⁽³⁾.

3- حملة أبرونيوس (Apronius) [20م] :

عندما وصلت أخبار الهزيمة إلى هذا البروقنصل⁽¹⁾ استنفر القوات
الرومانية، وأنه ينبغي أن يكون بنفسه على رأس الحملة واستقدم من

(1) يحاول كائيا الانتفاص من قيمة النصر الذي حققه تاكفاريناس بالقول أنه عملية نهب لمراكز
الاستيطان الروماني ومناوشات كرز وفرز على حدود المقاطعة البروقنصلية وهو تكتيك دائم
للرحل الأفريقيين ... انظر !

- Cagnat R., Op. Cit. p. 1.

(2) اعتقد البعض خطأ أنه وادي تازولت، انظر ! Ragot W., Le Sahara de la province
de Constantine, dans R.S.A.C., XVI, 1874, p. 115.

(3) لا يتردد كائيا في استعمال عبارات تدلّ على عنجهية مؤرخي العهد الاستعماري الفرنسي
المشؤوم فقد جاء في كتابه المشار إليه بالحرف : ... كان ديكريوس عسكريا محتكا اعتبر
حصار البرابر له عارا فنصح فرقه بفتح المعركة ... وعندما يهزم الرومان يقول تراجعوا
... إلى أن يقول وبقي ديكريوس وحده في الميدان يقاتل حتى قتل ؟ إلى آخر هذه العنتريات،
انظر !

- Cagnat R., Op. Cit. P. 12.

(4) - Tissot Ch., Fastes de la province romaine de l'Afrique, Librairie C.
Klincksieck, paris 1885, P. 50-51

بانونيا(Pannonie) الفيلق التاسع الإسباني (IX Hispania) لدعم الفيلق الثالث الأوغسطي، وأصدر أحكاما قاسية على المهزومين الرومان تصل حدّ الإعدام⁽¹⁾ وزحف باتجاه منطقة تالة، ودارت الحرب بجوار هذه المدينة العريقة التي كانت مدينة الدفاع والمقاومة في عهد يوغرطة أيضا⁽²⁾.

كان الرومان يريدون جرّ النوميدي إلى معركة صريحة لأنهم يتفوقون فيها، وكانوا ينتظرون الطرف النوميدي الذي جمع غنائم كبيرة أن يعسكر ليقع الهجوم عليه، ويتحدّث تاسيت عن المكان الذي اختاره الرومان للمعركة وهو غير بعيد عن البحر جنوبي تونس⁽³⁾.

كان كسيانوس (Caesianus) نجل أبرونيوس قد التحق به على رأس فرقة فرسان ومفرزة تتكوّن من نخبة مدربة، ومع أنّ المصادر اللاتينية تتحدّث عن تراجع المقاومة نحو الجنوب أمام كسيانوس إلا أنّ هذا التراجع الذي تعتبره هذه المصادر هزيمة هو في صميم الخطط الحربية النوميديّة القائمة على أسلوب الكرّ والفرّ، وسيعود تاكفاريناس إلى الظهور، وفوق ذلك أرسل وفدا إلى الإمبراطور تيبيريوس [22 م] لينقل إليه أسباب اندلاع الحرب وأنها أي الحرب لا تتوقّف إلا إذا

(1) - Dion Cassius, XLI, 35.

(2) - B. Jug. LXXV.

(3) جاء في حولياته بالحرف : ... postquam deflexit martinios locos ، أنظر : Tacite , annales, III, 21.

احترِم حقَّ الموسولام في أرضهم فالأرض هي قضية الموسولام الأولى⁽¹⁾
غير أنَّ الإمبراطور تيبريوس كان يعمل بالقاعدة الرومانية " لا تبرم
اتفاقاً مع العدو قبل الانتصار عليه " ⁽²⁾

4- حملة يونيوس بليسوس (Q Junius Blaesus) [20 م] :

عَيَّن يونيوس بليسوس بروقنصلا وكُلِّف بإنهاء الحرب بكلِّ صرامة، وقد
دلَّت سياسته التي بدأ بها عهده - وهي إصدار العفو على كلِّ من
يضع السلاح - على دهائه، ويبدو أنَّ هذه السياسة جاءت ببعض
النتائج، إذ يبدو أنَّ بعض الجند قد ألقوا سلاحهم وتخلَّوا عن
الحرب⁽³⁾.

استمرَّ تاكفاريناس في خطَّته وهي حرب الكمانن فعندما يهاجم
الرومان جهة ما يظهر هو في جهة أخرى ويقوم بتوجيه الضربة إلى
المستوطنين الرومان، ويبدو أنَّ الطرف الروماني الذي يمتلك الكفاءات

(1) - Cagnat R., Op. Cit. p. 18.

(2) يقول تاسيت أنَّ الإمبراطور تيبريوس فوجئ بوقاحة تاكفاريناس الفارَّ من الجيش الروماني
وقاطع الطريق الذي يريد أن يساوي نفسه بالإمبراطور !، أنظر :

(3) كما جاء في تاسيت ولا نحتاج إلى التذكير هنا بأنَّ هذا المؤرخ الروماني منحاز تماماً لروما
لأنَّ التاريخ عند المؤرخين الرومان هو ديوان أمجاد روما، أنظر : Tacite, annales, 35, 73-74.
غير أنَّ ولمانس المتخصص في علم النقوش يرى بأنَّ بليسوس لم يتمكن
من استمالة عدد هامٍّ من جند تاكفاريناس إلا بعد أن رفع قرار الحجز على أراضيهم التي
يطالبون بها أي الاستجابة لمطلبهم، أنظر Wilmanns, Eph. Epig. II, p. 276،
وهي البراري التي تمتد ما بين حيدرة وسببلة إلى نيسة وتوبورسيكو - CIL, VIII, 270
وهذا يعني أنَّ القيادة الرومانية استجابت للمطلب الاجتماعي الاقتصادي لنلأ يتحول إلى
مطلب سياسي .

العسكرية وما نسميه اليوم بغرفة العمليات قد درس هذا الوضع جيداً
ولذلك قرّر البروقنصل تقسيم الجيش الروماني إلى ثلاثة جيوش هي :

1 - الجيش الأول بقيادة كورنيليوس سيبليون (Cornelius Scipion)
على رأس الفيلق التاسع الإسباني لحماية المستوطنين في جهة لبتيس
الكبرى (Leptis Magna) [لبدة بالقرب من طرابلس] وقطع الطريق
بين تاكفاريناس والغرامنت .

ب- الجيش الثاني بقيادة كايصاريوس نجل البروقنصل بليسوس
لمواجهة المقاومة في جهات السيرت الصغير ضد قبائل السنيتين .

ج - الجيش الثالث ويتكوّن من فرق النخبة بقيادة البروقنصل ذاته
وكان مركز عملياته تيفاست (Theveste) حيث المقر العام (Quartier
général) للفيلق الثالث الأوغسطي، كما كان له في المناطق المجاورة
حصون وقلاع وخطوط دفاعية .

لقد كانت هذه الخطة غاية في التخطيط العسكري وأضرّت
بالمقاومة لأنّه حيثما توجه المقاومون وجدوا أمامهم مفرزة رومانية،
ونستخلص من المصادر أنّ بليسوس طبق نفس خطة تاكفاريناس فقسّم
كلّ جيش إلى فرق على رأس كلّ منها قائد مائة (Centurion) من
المشهود له بالكفاءة مع إقامة مراكز أمامية (Poste avancés) .

لقد امتدّت الثورة الشعبية إلى موريتانيا في الغرب وإذا كان
تاسيت لا يذكر شيئاً في هذا المجال فإنّه يبدو أنّ الرومان أوكلوا أمر

حصار المقاومة هناك إلى صنيعتهم يوبا الثاني⁽¹⁾ ومع أن هذه الخطة الرومانية تعبّر عن تخطيط محكم إلا أن النتائج المرجوة منها لن تتحقّق بين عشية وضحاها لأنّ الشعب لا يزال مصمّما على الدفاع عن كيانه الاجتماعي والاقتصادي على الأقلّ بعد أن فقد كيانه السياسي⁽²⁾.

5- حملة دولابيلة (P. Cornelius Delabella) 23-24 م :

كان الإمبراطور تيبيريوس قد طلب مغادرة الفيلق التاسع الإسباني أفريقيا والعودة إلى بانونيا وبقدر ما كانت هذه العودة فرصة لتاكفاريناس الذي دعا أنصاره إلى الاستفادة من هذا الوضع بقدر ما وجد البروقنصل الجديد دولابيلة نفسه أمام وضع حرج وصعب، ونجد في المصادر ثغرة يصعب ملؤها فمن جهة تتحدّث عن استرجاع تاكفاريناس لقوّته ووصول نجدات إليه من الغرامنت وامتداد المقاومة إلى عموم أفريقيا ومن جهة أخرى لا تتحدّث عن أن هذا الوضع قد يكون محصّلة لانتصار كبير حقّقه على الرومان ولا تريد المصادر أن تذكره وتركته صفحة من صفحات التاريخ الأفريقي البيضاء التي

تتمثّل في الحياة اليومية للشعب الأفريقي في تلك الفترة (Cagnat R., Op. Cit. p. 18).

في تلك الفترة كان الرومان لا يزالون يسيطرون على المنطقة الشمالية الغربية من إفريقيا الشمالية (Cagnat R., Op. Cit. p. 18).

(1) كانت روما قد نصّبت ملكا على موريتانيا الشرقية ما بين أميساغا شرقا إلى الملوية غربا فكان وفيا لها ولم تكن له صفات والده يوبا الأول.

(2) في نظر كاتنا لم يكن هدف الحرب من الطرف النوميدي هو الاستقلال عن روما بقدر ما هو دفاع عن ملكية الأرض الخصبة في المنطقة النائية في جهات حوض ملاق إلى المجردة شمالا التي باتت هزلاء البدو كلّ صيف لحصاد ما يبدرون ولرعي مواشيتهم، انظر :

-Cagnat R., Op. Cit. p. 18.

أغفلها الزمن، يستفاد ذلك من حصار المقاومين لبلدة توبورسيكو (Tubursicum).

ليس أمام دولابلة سوى نجدة الكولون الرومان المحاصرين ببلدة توبورسيكو، ولا تقول المصادر شيئا عن تفاصيل فك الحصار عليها بل تتحدث عن انسحاب تاكفاريناس غربا نحو جهات أوزيا (Auzia) [بالقرب من سور الغزلان الحالية]، وقد التجأ دولابلة إلى رسم خطة غاية في الدهاء، وهذه أهم عناصرها :

- تحصين القلاع والمراكز الامامية .
- الاتصال بالعناصر النافذة لدى قبائل الموسولام وعقد صلح معهم وترضيتهم .
- اعتماد نفس خطة سابقه في تقسيم الجيش إلى وحدات صغيرة لملاحقة فرق الكمائن النوميديّة .

أما الأداة الفعالة التي استفاد منها فهي تحالفه مع الملك الموريتاني بطليموس هذا الأخير أرسل إليه فرقا مساعدة (Auxiliaires) وأصبح تاكفاريناس محاصرا بين جيش البروقنصل شرقا وقوة الملك الموريتاني غربا، وفي سنة 24 م دارت المعركة النهائية بين تاكفاريناس والجيش الروماني بالقرب من أوزيا وفيها كانت نهاية تاكفاريناس في ظروف غامضة⁽¹⁾.

(1) - Tacite, Annales, IV, 24-26.

6- نتائج الحرب :

- دامت هذه الحرب سبع سنين وقد ذكرت الرومان بيوغرطة، وقد ترتب عنها تدهور الوضع الاجتماعي أكثر للسكان الأفريقيين الذين سيواجهون الإذلال والقهر مقبل استعمار شرس، ويمكن اختصار نتائج هذه الحرب في :
- التوسُّع الروماني جنوبا نحو مناطق كانت قبل هذه الحرب مستقلة في إطار أعرافها ونظمها القبلية.
 - القيام بأعمال الكنترة والمساحة للاستيلاء على الأرض .
 - عبّر مجلس الشيوخ الروماني عن ابتهاجه بالدور الذي قام به بطليموس في مساعدة الرومان للقضاء على تكفارين فخلع عليه التوجة الموشاة ومنحه العصا العاجية وخاطبه بعبارة صديق وحليف الشعب الروماني .
 - فتح هذا الانتصار الباب أمام الرومان للتوغُّل نحو السفوح الأوراسية وسيؤسسون هناك المعسكر الذي سيمركز فيه الفيلق الثالث الأوغسطي بعد نقل مقره من تيفاست إلى لامبار.
 - تطبيق شكلين من النظم الإدارية في نوميديا هما :حكم إداري مدني في الشمال وحكم إداري عسكري في الجنوب طيلة العهد الإمبراطوري الأول

- ثانيا : استمرار المقاومة الشعبية بعد مقتل تاكفاريناس :

اعتبر الرومان القضاء على القائد الأفريقي تاكفاريناس أعظم نصر حققوه في أفريقيا⁽¹⁾ أما الطرف الأفريقي فقد أحسّ بمرارة الخذلان أكثر من هول فقدان زعيمه، لأن الظروف التي تمّ فيها مقتل تاكفاريناس كانت ظروفًا غامضة، وتوحي بأنّ للخيانة يدا فيها، فمنطقة أوزيا الواقعة غير بعيد عن قيصرية العاصمة المورية لا ريب أنّها كانت تحت مراقبة الملك الموريتاني بطليموس حليف روما، ومنه فإنّه لا يُستبعد ضلوعه في مؤامرة الكمين الذي نُصب له هناك أين تمّ اغتياله⁽²⁾.

خلال الحرب الطويلة ضدّ التوسّع الروماني في المناطق الداخلية النوميدية كان الملك يوبا الثاني (على خلاف أبيه الذي أبى أن يصانع الرومان وأن يعيش حياة الذلّ والهوان تحت الخنوع والتبعية لهم) قد قدّم عونًا كبيرًا للرومان من فرق عسكرية وتموين، وظلّ على الولاء لهم إلى وفاته، فخلفه ابنه بطليموس (Ptolémée)⁽³⁾.

كان بطليموس خلال اعتلائه العرش الموريتاني شابًا لا قبل له بالسياسة فترك أمر تسيير شؤون المملكة إلى عناصر من حاشيته من

(1) أقام الرومان نصبين يخلدان انتصارهم على تاكفاريناس في كلّ من لبّيس ماغنا (Leptis Magna) (لبدة) وأويا (Oea) (طرابلس) أنظر ؛

- A.E., 1961, N° 107, 108.

(2) - Cagnat R., l'Armée romaine..., p. 21. ; Desange J. , Gétules , p. 37.

(3) - Rachet M., Rome et les Berbères, éditions LATOMUS, Bruxelles 1970, p. 115.

العتقاء وحتى من العبيد، وكان ذلك سببا في استنكار الرعية التي استنكفت أن يؤول مصيرها إلى خدم القصر وأن تُمحي شخصية الملك بتلك الصورة المهينة له ولشعبه، وكان ذلك سببا كافيا للثورة، فازداد عدد الذين انتقلوا إلى صفوف المقاومة التي يقودها تاكفاريناس - وقد امتدّ لهيب تلك المقاومة إلى الحدود النوميديّة الموريتانيّة - لنصرته ضدّ الرومان وحليفهم الملك بطليموس⁽¹⁾ ولعلّ الحرب التي كانت تدور في المقاطعة الأفريقية كانت تنذر بقرب نهاية المملكة الموريتانيّة التي كان في مقدور الرومان ضمّها بعد وفاة بوغود وخلوّ المملكة من وريث للعرش⁽²⁾.

1- اغتيال الملك بطليموس :

استمرّت الاضطرابات في المملكة المورية طيلة حكم بطليموس الموالي للرومان، والغريب أنّ ذلك الولاء لم يشفع له لدى الإمبراطور كاليغولا ولا حتى قرابته له، فقد قرّر هذا الأخير التخلّص من بطليموس

(1) - Tacite, *Annales*, IV, 23.

(2) لا نلق في الرواية التاريخية التي نقول بشغور العرش الموريتاني بعد وفاة بوغود الصغير آخر ملوك السلالة الموريتانيّة، فالمجتمع الأفريقي بشهادة المؤرخين الرومان كانت تسموده ظاهرة تعدّد الزوجات والمبالغة في الإنجاب، إلى درجة أنّ المصادر = ذكرت أنّ للملك ماسينيسا 44 ولدا، وحتى عندما لا يكون للملك ولدا من صلبه فإنّ العرش يؤول إلى الأسرة الملكية حسب درجة القرابة وفي العرف النوميدي مثلا أنّ الأكبر سنا هو الأحقّ بالعرش من غيره حتى إذا لم يكن من أبناء الملك، ولذلك نرى أنّ فكرة شغور العرش التي بدأت ببوغود الصغير الموريتاني وانتهت ببطليموس النوميدي هي حجّة رومانية مشبوهة، والحال أنّ روما كانت في كلّ مرة تجد مثل هذه الأعذار عندما تقرّر ضمّ بلد.

الذي اغتيل بأمر منه ⁽¹⁾ وكان كاليغولا في الواقع يريد وضع نهاية للمملكة الموريتانية التي كانت إلى ذلك الحين محمية مقنعة في شكل مملكة مستقلة ⁽²⁾ وتحويلها إلى مقاطعة رومانية ⁽³⁾، ولعلّ مجلس الشيوخ الروماني كان يرى أنّ الوقت قد حان لتعميم السيادة الرومانية المباشرة على المنطقة كلّها ونرى أنّ هذه الرؤية قد توفرت لها عوامل النجاح وهي :

- الوجود العسكري الروماني في نوميديا الداخلية الذي تعزّز بعد الانتصار على المقاومة التي قادها تاكفاريناس، وينبغي التذكير في هذا

(1) بطليموس هو حفيد مارك أنطون (Marcus Antonius) من جهة أمّه كليوباترا سيليني (Cléopâtre Séléne)، ومارك أنطون هو الجدّ المشترك لهما، فخلال سنة 40 م دعا الإمبراطور كاليغولا قريبه وحليفه الملك بطليموس إلى حفل، وكان يضمّر له الشرّ، وعلى حدّ تعبير سويتون :

... Ptolemaeum, de quo rettuli, et arcessitum a regno et exceptum honorifice, non alia de causa repente percussit, quem quod adente se munus ingressum spectacula convertisse hominum oculos filigine abollae animadvertit. - Suétone , 35.

أمّا فيما يتعلّق ببطليموس الذي أشرت إليه أعلاه فبعد قدومه من مملكته (مليّيا الدعوة) استقلّ بحفاوة، وفجأة أمر (كاليغولا) بقتله، لسبب بسيط، هو أنّه بدا وهو يدخل المدرج ملفّفاً للأنظار بحلّته الأرجوانية ومهما يكن فإنّ سبب القتل ليس بهذه البساطة وإنّما الاغتيال كان مؤامرة مدبّرة ذات أبعاد سياسية، ولم نجد في المصادر إشارة دقيقة إلى المكان الذي نُقِذ فيه الاغتيال، مع أنّ البعض يرجّح بأنّ الاغتيال تمّ في ليون في ربيع 40 م لأنّ كاليغولا كان يرأس المهرجان الذي أمر بإقامته هناك: Carcopino J., pp.194-199. أمّا جزيل فيرى أنّ بطليموس لم يعبر جبال الألب وأنّ اغتياله تمّ في روما ؛

- Gsell ST., H.A.A.N. VIII, p.285.

(2) على حدّ تعبير راشي، أنظر ؛
Cit. p. 126.

(3) يدلّ نصّ لثري مؤرّخ في 3 أوت 413 م على تاريخ تحويل موريتانيا إلى مقاطعة رومانية جاء فيه :

... die iii m(e)n(sis) Augusti , consulatu Herculani , die dom(i)n(ice), an(no) provinciae CCCXIII. -C.I.L., VIII, 8630.

السياق بالإجراءات التي اتخذها الإمبراطور كاليغولا عندما انتزع السلطة العسكرية من «روغنصل قرطاج ومنحا لليغاتوس نوميديا، وهو الأمر الذي يوحي بأن الإمبراطور يريد ترجيح كفة القوة العسكرية في منطقة آن وقت ضمها والقوة العسكرية هي الأداة التي تحقق ذلك الضم.

- الوجود العسكري الروماني الراسخ في شبه الجزيرة الإيبيرية وسنرى كيف أن الرومان أوعزوا إلى جيشهم المتمركز في المقاطعة الإيبيرية فقام بدور رئيسي في غزو موريتانيا واحتلالها خاصة موريتانيا الغربية.

- ضعف الملك بطليموس الذي نرى أن نشأته الإغريقية قد أثرت فيه فلم يبدُ عليه الميل إلى الجانب العسكري ولعلّ الوله بالفنون والآداب وطقوس السياسة الاحتفالية هو الذي جعله يترك إدارة شؤون الدولة لحاشيته هذه الأخيرة قابلها الشعب بالنفور وعدم الرضا.

كانت المملكة الموريتانية تمتد من وادي المسافة (Ampsaga Flumen) شرقا إلى المحيط غربا، فقد شاءت الصيرورة التاريخية أن تراث الأسرة الماسيلية العرش الموريتاني ولكن تحت المظلة الرومانية، ومثلما أن الرومان هم الذين نصبوا يوبا الثاني على عرش موريتانيا فإنهم هم الذين خلعوا نجله بطليموس، ولكن دموية الرومان حولت الخلع إلى اغتيال وغدر لأن كل الأمم المتحضرة تأبى أعرافها أن تغتال أو أن تغدر

بمن تتم استضافته، والحال أن السياسة في هرم الإمبراطورية الرومانية كانت خالية من الأخلاق وعلى العكس كانت مليئة بالاغتيالات والفضائح التي ميّزت نهايات أغلب الأباطرة الرومان أنفسهم .
أورد سيناك رواية أخرى عن اغتيال الملك بطليموس، وهي أنه شاهد بطليموس وهو سجين في روما ⁽¹⁾، وقد حاول البعض أن يجعل من بطليموس بناء على هذه الرواية منافسا لقريبه كاليغولا فيما يتعلق بأحقية كل واحد في حبرية الإلهة إيزيس وأن الملك بطليموس عند اغتياله كان يرتدي الزي الرسمي لكبير كهنة هذه الإلهة في العرض الذي أقيم لتكريس معبد إيزيس السماوية (Isis caelestis)، أما سويتون فإنه لم يورد شيئا عن مكان ومدة السجن التي يكون بطليموس قد قضاها قبل وفاته واكتفى بالإشارة إلى القرار المفاجئ الذي اتّخذه كاليغولا وكأنّ قرار القتل اتّخذ بسرعة ⁽²⁾، وهو قرار وصفه ديون كاسيوس بالفظيع. (أنظر الشكل رقم 50 ص. 385).

(1) - Sénèque , De tranq. Animi, XI, 1.

(2) جاء في سويتون بالحرف : أما فيما يتعلق ببطليموس، فبعد مقدمه من مملكته استقبل بحفاوة ولكن تمّ قتله فجأة، لسبب واحد هو أنه كان يرتدي الحلة الأرجوانية وهو يدخل إلى المدرج... إلخ. - Suétone , Caligula, 35, 2. ، لقد لفت بهندامه أنظار من في الحفل وخاصة الأميرات ممّا جعل كاليغولا وكان معروفا عنه حماقته وسرعة غضبه يضمّر الشرّ لقريبه الملك الموريتاني، ولعلّ هذا السبب - مع أنّ واحد على حدّ تعبير سويتون - كان من بين الأسباب التي جعلت الإمبراطور يعجل بتنفيذ قرار التخلص من الملك.



ب- الإمبراطور كاليغولا



أ- الملك بطليموس



ج- نص إهدائي إلى الملك بطليموس

محفوظ في متحف الجزائر العاصمة (I.L.S, 1841)

الشكل رقم 50

مهما يكن فإن اغتيال بطليموس يلفّه الغموض، ويخلص البعض إلى أن الإمبراطور كان في إمكانه أن يحكم على الملك الموريتاني بالنفي إلى بلد بعيد دون الحاجة إلى اغتياله وإذا كان ضمّ موريتانيا هو السبب فإن وضعها غير مقلق ولا يدعو إلى هذا مثل هذا الأسلوب الفظيع⁽¹⁾، لأنّ المملكة كانت في وضع تبعية، وليست لها قوّة عسكرية تجعلها تفكّر في الوقوف في وجه المصالح الرومانية في المنطقة وعلى العكس من ذلك كان ملكها على الدوام حليفاً مخلصاً، يثق في حفائه الرومان إلى الحدّ الذي جعله يقف إلى جانبهم في حربهم ضدّ تاكفاريناس، وبمجرّد وصول الدعوة إليه من الإمبراطور سارع إلى تليبيتها دون أن يتوجّس خيفة فيما ينتظره من مصير مفاجئ وقاتل .

2- الثورة بقيادة أيديمون :

ما كاد يصل خبر اغتيال الملك بطليموس حتّى عمّ الاضطراب المملكة الموريتانية وتجمّع الثائرون تحت قيادة أحد المقربين إلى الملك المقتال ويدعى أيديمون⁽²⁾ (Aedemon)، الذي قرّر الثار له على حدّ تعبير بلين⁽¹⁾.

(1) - Coltelloni- Trannoy M., le royaume de Maurétanie sous Juba II, et Ptolémée, C.N.R.S. éditions, paris 1997, p. 56 .

(2) هو أحد عتقاء الملك وكان ذا نفوذ في الدولة، أمّا كاركوبينو فأشار إلى أنّه كان أحد وزراءه؛ Carcopino J., Sur la mort de Ptolémée roi de Maurétanie, in Mélanges de philologie, de littérature et d'Histoire ancienne, offert à A. Ernout, Paris 1940, p. 36.

(1) الإشارة إلى أحداث المقاومة الموريتانية جاءت في كلّ من ديوس كاسيوس - Dion - Plin, Hist. Nat. V, I - بلين، - cassius, LX, 9, 165. كما قدّمت النصوص

لم تكن الحركة التي سيقودها أيديمون مجرد ثأر لملك مغتال، بل إن هذا الملك كما يشعر رعاياه هو الذي سار نحو حتفه لأنه لم يتوخّ الحذر وكانت سياسته محلّ سخط من قبل شعبه كما رأينا، والحقيقة أن أيديمون ومعه الثائرون كان هدفه هو الإعتراض على الاحتلال المباشر الذي هو أوّل تبعّة ستنتج عن اغتيال بطليموس، واعتمادا على نصّ بلين فإنّ ثورة أيديمون تكون مع بدايات حكم الإمبراطور كلود الذي اعتلى العرش في 24 جانفي 41 م ولكن لا يوجد ما يمنع افتراض أن الثورة بدأت قبل وفاة كاليغولا وأنّ الاشتباك مع الجيش الروماني يكون قد وقع فعلا في بداية حكم كلود⁽²⁾.

استعدّت المملكة كلّها للثورة على المؤامرة التي تتجاوز اغتيال الملك إلى احتلال البلاد وتقي أيديمون الدعم من الجميع : سكّان العاصمة : يول (Iol - Caesaria) ووليلي (Volubilis) وباقي مدن المملكة، وسكّان السهول والجبال على السواء وخاصة أنصاف البدو الذين يتنقلون موسميا من الجبال إلى السهول والعكس وهم على استعداد للحرب، أكثر من غيرهم لأنّ نمط حياتهم شبيه بحالة التعبّة

الأثرية حديثا - 634. *I.L.Af.* بعض الإشارات إلى الصراع الذي نشب بين أيديمون وفاليريوس وكان عاملا مساعدا للرومان في تحقيق أطماعهم في المغرب القديم .
(2) كاليغولا (تصغير كاليغا Caliga أي الحذاء العسكري) هو لقب تهكم أطلقه عليه جيش الراين، اسمه الكامل : غايوس كايوس أوغسطس جرمانيكوس (Caius Caesar Augustus Germanicus) (12 - 41 م) تولى العرش الإمبراطوري (37-41) وصفه المؤرخون بالحمالة والنموية، كانت فترة حكمه مليئة بالمؤامرات والاضطرابات وكانت نهايته أن اغتيل هو أيضا وخلفه كلوديوس، أنظر :

- Gagé J., op. cit. PP. 202-214.

العامّة فأمتعتهم فوق حيواناتهم وهم مستعدّون للظعن والترحال في أي لحظة، وفوق ذلك فإنّ حالة التذمّر كانت في عموم أفريقيا وفي نوميديا التي عرفت جشع الرومان ودمويتهم قبل موريتانيا ولذلك عمل أيديمون على الاتصال بالموسولان للحصول على دعمهم⁽¹⁾.

3- القوّة الرومانية وفرض الاحتلال :

كانت لروما قوّة عسكرية هامة متمركزة في المقاطعتين المجاورتين لموريتانيا وهما : نوميديا في الشرق حيث تعسكر الفرقة الأوغسطية الثالثة (III Augusta)، وإسبانيا في الشمال حيث تعسكر ثلاثة جيوش رومانية هي : الفرقة الرابعة المقدونية (IV Macedonica) والفرقة السادسة الفيكترية (VI Victrix) والفرقة العاشرة الجيمينية (X Gemina)⁽²⁾، وقد أعلن الرومان - مع وصول خبر الاستعداد للمقاومة في موريتانيا - عن إرسال الفرقتين الرابعة والعاشرة لفرض الاحتلال والقضاء على المقاومة⁽³⁾، ولعلّ استبعاد مسألة إشراك ليغاتوس الفرقة الثالثة الأوغسطية - المتمركز في نوميديا وهي

(1) - Aurelius Victor, De Caes. , IV, 2.

(2) - Cagnat R., l'Armée... p. 26.

(3) عثر على نصوص أثرية تسجّل اشتراك الفرقتين المذكورتين في الحرب على موريتانيا لفرض احتلالها، ومنها النصّ الذي عثر عليه في موقع أبو لاي قرب عين تموشنت في شاهد قبر لجندي من الفرقة العاشرة المقدونية - C.I.L. VIII, 21.669 - والنصّ الآخر عثر عليه في موقع مقبرة فوليبيليس وهو لجندي من فرقة جيمينا لمزيد من المعلومات انظر +

- Carcopino J., op.cit. p. 240

الأقرب ومجاورة برّا للمملكة الموريتانية - في الحرب كان بسبب
الخوف من أن ذلك قد يؤدي إلى اتساع الاضطرابات إلى نوميديا ممّا
سيحرم روما من القمح الأفريقي .

قامت الجيوش الرومانية بالإيحاء من الموانئ الإيبيرية نحو الموانئ
الموريتانية : طنجي (طنجة) (tingi) وليكسوس (Lixus) في موريتانيا
الغربية وإيول وكارتنا في موريتانيا الشرقية وبعد الإنزال تكون هذه
الجيوش قد اتجهت نحو الداخل (جهات فوليبليس في موريتانيا الغربية
وسهل الشلف في موريتانيا الشرقية)⁽¹⁾، ولم نجد في المصادر ما يشير
إلى وقائع المواجهة الأولى من قبل المقاومة الأفريقية وهل كان لأيديمون
أسطول يمكن أن يعترض به جيش الغزاة أم أنّ خطّته كانت استدراج
هؤلاء نحو الداخل لشنّ حرب الكمان ضدهم حسب تقاليد الأفريقيين
الحربية.

قدّر عدد أفراد الجيش الروماني الذي غزا موريتانيا بحوالي
العشرين ألف عسكري، أمر الإمبراطور بأن يتمّ تموينه من إيبيريا وأن
يتكفّل حاكم بتيكا أمبونيوس سيليو (Le Préfet de Bétique: Umbonius Silio)، والبحرية التجارية في بروطانيا بتوفير القمح
للحملة⁽²⁾ .

(1) - De la Chapelle F., l'Expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est
du Maroc, IN *Hespéris*, XIX, 1934, pp. 112-113.

(2) - Carcopino J., p. 37. ; Cagnat (R.), l'Armée ..., p. 27, Note .

لا نجد في المصادر تفاصيل الحرب بين أيديمون والغزاة الرومان، وقد حاول بعض الأثريين الاستنتاج بالبحث الأثري الذي يمكن أن يسدّ بعض الثغرات أو يقدم بعض المؤشرات، ومنه أمكن تحديد بعض الأماكن التي كانت ميدانا للمقاومة التي قادها أيديمون ومعه الكثير من المتطوعين من أبناء الشعب، وفي هذا السياق يمكن الرجوع إلى النص الأثري الذي عُثر عليه بموقع فوليبيليس (وليلي أو قصر فرعون وقد كانت العاصمة الثانية للملك يوبا وانه بطليموس من بعده) وهو نص إهدائي من فابيا بيرة (Fabia Bira) إلى زوجها المتوفى : فاليريوس سيويروس ابن بوسطار⁽¹⁾.

(1) M. Val. Bostaris fil. Gal. Severe aed. Sufeti ... , adversus aedmonem oppressum bello..., Fabia Bira Izeltae f. uxor indulgentissimo viro honore usa impensamremisit D.S.P.D.D. dic., I.L.Af, 634, p. 186.

والواقع أن الأعلام الواردة في النص تدعو إلى التوقف عندها لفحصها، فهل كانت الرومنة في عهد يوبا الثاني قد بلغت درجة التأثير في الأحوال الشخصية إلى الدرجة التي تجعل بوسطار هذا يسمي ابنه باسم روماني هو فاليريوس، وحتى زوجة هذا الأخير نراها تحمل اسما رومانيا شائعا هو فابيا مع أنها لم تفقد انتماءها الإثني : إيزلت، ولعلّه إيزلتن في أصله قبل أن يخضع لقواعد الإعراب اللاتيني ؟ وهل هذه الرومنة المبكرة هي إحدى أدوات الرومان لخلق موالين يجدونهم عند الحاجة إليهم، ومنه فإن فاليريوس بن بوسطار هذا كان من المنضمين الأوائل للغزو الروماني لموريتانيا الغربية، وأشار عاجي إلى أنه كان من أوائل المترومنين وكانت مدينته وليلي التي تسميها المصادر اللاتينية فوليبيليس من أولى المدن الموريتانية التي ارتقت إلى مصاف المونيكيب، كما أشار إلى أنه لولا مساعدة هذا القائد الموريتاني لما تمكن الرومان من تحقيق النصر، أنظر : - Gagé (J.), op. cit. p. 181، وقد وجد البعض من المؤرخين المحدثين مبررا لاتضمامه إلى صفوف الرومان بأنه يعود إلى الصراع الدائم بين المزارعين من جهة ومربي الحيوانات (أي بين المستقرين والبدو) حيث يرى المزارعين أن البدو أخطر على مزرعاتهم من الاحتلال الروماني، أنظر :

- Rachet M., op. cit. p. 132.

يمكن استخلاص بعض الأفكار من النصوص الأثرية وهي أن الغزاة الرومان يكونون قد نجحوا في إنزال جيوشهم والتوغل نحو الداخل وهم على بينة من الوضع الاجتماعي والسياسي للبلاد فقد كانت المملكة الموريتانية طيلة حكم يوبا الثاني وابنه شبه محمية رومانية ومفتوحة أمام العنصر الروماني، وإذا كانت المقاومة المحلية قد لجأت إلى استدراج الجيش الروماني نحو الداخل في جهات ويلي وزرهون وهي المنطقة التي تتوسط الريف شمالا والأطلس الأوسط جنوبا وهي الجبال التي تحتمي بها عند الضرورة فإن ذلك يعني أن هذه المقاومة لجأت إلى الطريقة التقليدية التي ظل الأفريقيون يستعملونها على الدوام، وهي لا تخفى على الضباط الرومان الذين استوعبوا التاكتيك الأفريقي منذ حملة يوليوس قيصر على أفريقيا .

لقد اعتمد الرومان على سياسة الردع، من ذلك ما تثبته المؤشرات الأثرية وهو أن مدينتين هما : ليكسوس وتامودة قد تعرضتا للحرق والدمار نهائيا خلال المقاومة التي قادها أيديمون ممّا يدلّ على شراسة الغزو الروماني الذي كان على عادة قادة العسكريين يعتمدون على ترسيخ صور الرعب في قلوب الشعوب المغلوبة حتّى لا تفكر في الانتفاض مرّة أخرى، وعموما فإنّ الرومان فرضوا الاحتلال بقوة السلاح أمّا زعيم المقاومة أيديمون فيكون قد قُتل مع مساعديه المقربين منه ولكن في ظروف لا نجد عنها شيئا في المصادر التاريخية التي فضلت الحديث عن احتفالات النصر التي أقيمت في روما أين ظهر قائد

الحملة الرومانية على موريتانيا كراسوس فروغي (Crassus frugi) وهو يعتلي صهوة جواده ويرتدي الحلة التي خُلعت عليه من قبل الإمبراطور كلاوديوس⁽¹⁾، أمّا أيديمون فقد سجّل اسمه في سجلّ الخالدين وقدم المثال لمن سيأتي بعده ليحمل راية المقاومة من جديد .

(1) - Suétone, Claude, 17.

الباب الخامس

استمرار المقاومة ضد الاحتلال الروماني ثم المقاومة ضد الوندال
والبيزنطيين

الفصل الأول

- المقاومة إلى نهاية الاحتلال الروماني

1. ثورة البوار والقبائل الخمس .
2. مقاومة حملة ماكسيميانوس (297 - 298) .
3. الدوناتية والثورة الريفية (القرن الرابع) .
4. بداية الانقسام .
5. ثورة الريفيين .
6. فيرموس يقود المقاومة (372 - 375) .
7. الحملة الرومانية على الجبال التلية (373 - 375) .
8. ولاية جيلدون 386 م واستمرار المقاومة إلى نهاية
الاحتلال الروماني .

الفصل الثاني

- التجهيز العسكري في المغرب القديم (الفترة الرومانية)

1. الدروع

أ- الدروع المستدير

ب- الدروع البيضوية

ج- مسك الدرع

2. الحراش

3. القوس

4. المقلاع

5. السيوف

6. الخناجر

7. الخيول

8. الإسراج

9. اللباس

أ- الخوذة

ب- السترة

ج- الأحذية

الفصل الثالث

الاحتلال الوندالي

1. الظروف العامة قبل الاحتلال الوندالي
2. الغزو الوندالي
3. خط سير الوندال
4. أشكال المقاومة

الفصل الرابع

الاحتلال البيزنطي

1. ذرائع البيزنطيين في غزوهم لشمال إفريقيا
2. الجيش البيزنطي
3. المقاومة البربرية للاحتلال البيزنطي
4. نهاية الحكم البيزنطي بإفريقيا

الفصل الأول

- المقاومة إلى نهاية الاحتلال الروماني

1. ثورة البوار والقبائل الخمس .
2. مقاومة حملة ماكسيميانوس (297- 298).
3. الدوناتية والثورة الريفية (القرن الرابع) .
4. بداية الانقسام .
5. ثورة الريفيين .
6. فيرموس يقود المقاومة (372- 375).
7. الحملة الرومانية على الجبال التلية (373- 375).
8. ولاية جيلدون 386 م واستمرار المقاومة إلى نهاية الاحتلال الروماني .

الاحتلال الروماني .

¹² Richard M. Kohn, *Oil in the Desert: my problems with the CIA, the Saudis, & the American Embassy in Riyadh* (London: Bloomsbury 1978), pp. 175-177.

- المقاومة إلى نهاية الاحتلال الروماني

أصبحت أفريقيا (المغرب القديم) بعد اغتيال بُطوليمُس ومقتل أيديمون ، تحت هيمنة الاستعمار الروماني ، الذي استولى على كلّ الخيرات، وانتزع الأملاك من أصحابها ، وعزّز ذلك بمنظومة قانونية تكرّس الفئوية والطبقية وحتى العبودية في حقّ الشعب الأهلي ، ولكن الوضع لم يهدأ في البلاد الأفريقية ، وظلّت جذوة المقاومة مشتعلة ، وهو ما عبّرت عنه مارغريت راشي بالحلّ المستحيل⁽¹⁾، هذه العبارة نستخلص منها أنّ الانتصارات التي تغنّى بها القادة الرومان ، ونالوا بها نياشين الأباطرة ، لم تصنع لروما الاستقرار المنشود في هذه البلاد الشاسعة الكبيرة بشعبها وجغرافيتها وكما يقول كانيا : ... لم تتمكن روما من وضع السلاح والاستكانة إلى الراحة في هذا الجزء من الإمبراطورية على امتداد قرون الاحتلال⁽²⁾، فبعد ثورة البوار أو البابار⁽³⁾ (Bavares ou Babares) في المنطقة الجبلية التي نسمّيها

(1) - Rachet M., Rome et les Berbères, un problème militaire d'Auguste à Hadrien, Ed. Latomus, Bruxelles 1970, pp.175-177.

(2) - Cagnat R., Armée romaine de l'Afrique..., p. 99.

(3) مجموعة قبلية كبيرة أشارت المصادر إلى تمركزها ما بين البابور والوادي الكبير ، ولعلّ اسم قرية بابار جنوبي خنشلة يحمل ذكراهم ، مع أنّنا لم نجد ما يشير إلى تمركزهم في تلك الجهات غير أنّ ذلك لا يمنع من أن تكون إحدى عشائرهم قد التجأت إلى هناك في ظروف غامضة ، خاصة وأنّ البابار هؤلاء موزّعين وينقسمون إلى شرقيين في جهة البابور وغربيين في جبال طرارة وتسالّة في جهات تلمسان (G.) - Camps ، وحتى اسم تسالّة الذي هو علم على جبال بناحية تلمسان هو علم على عشيرة وقرية في قبيلة فرجيوة على سفوح البابور ، وكان للبابار أربعة قادة أو ملوك حسب التعبير الوارد في النصوص النقوشية ، وقد انضمّوا إلى حلف القبائل الخمس ، انظر : Berbrugger, Epoques militaires de la Grande-Kabylie, Alger 1857, p. 217.

اليوم البابور ، جاءت ثورات أخرى ظلت متصلة ببعضها إلى انهيار الاحتلال الروماني .

1- ثورة الباور والقبائل الخمس :

القبائل الخمس (Quinquegentanei) كما ذكرتها المصادر اللاتينية هي كنفدرالية قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية ما بين دّلس وبجاية ، وتتكوّن من قبائل⁽¹⁾ :

- ماسينيسن (Masinissenses) وهم اليوم قبيلة مسينا أو إيمسييسن المتمركزين في الضفة اليمنى لوادي الساحل⁽²⁾ .
- تيندن (Tyndenses) الذين كانوا يتمركزون في إقليم قبيلة فناية الحالية (بني وجليس وآيت عامر) .
- إيسفلن (Isaflenses) (وهم فليسة اليوم) .
- يوبلّن (Jubaleni) (وهم زواوة الحالية حسب كانيا) .
- ييسالن (Iesalenses) وكانوا متمركزين غربي زواوة⁽³⁾ .

تحوّل حلف القبائل الخمس والباوار إلى قوّة ضاربة في المنطقة أسندت قيادتها إلى رئيس قبيلة اسمه فاراكسن الذي قام بالإعداد

(1) المصدر الأساسي للمقاومة التي شنتها هذا القبائل هو أميان مارسيلينوس في الفصول XXVIII, 6, 26. و XXIX, 5, 2. وما يليه ، ثم XXX, 7, 10. وقد ذكر أربعة عشر قبيلة أهلية .

(2) - Cagnat R., op. cit. , p. 62.

(3) هذا التطابق مستخلص من مقاربات المتخصصين ، أنظر -Tissot, Géog. Comparée..., I, p. 464.

الحربي ثمّ اكتسح المقاطعة النوميديّة⁽¹⁾ ، وكان الباووار لقربهم من مراكز الاستعمار في جهة ميلّة أوّل المهاجمين ، فقد نزلوا من جبالهم مكتسحين حوض واد النجا الذي كان الاستعمار الروماني قد أقام فيه عددا هاما من المزارع الكبرى (Latifundia) ، ممّا استدعى إدارة الاحتلال إلى القيام باستنفار كبير ، فجاءت القوّة الرومانية من لمبايسيس مركز الجيش الأغسطي الثالث يقودها الليغاتوس ماكروينيوس دكيانوس (Macrinus Decianus) ، وقد تمكّن الثوّار من الاستيلاء على غنائم كبيرة ثمّ انسحبوا إلى جبالهم⁽²⁾ ، وإذا كان القائد الروماني غارغيليوس مارتياليس قد لاحقهم منتشيا بانتصاره فإنّه وقع في كمين قضى عليه⁽³⁾ ، ويعترف كانيا في هذا السياق بأنّ الثورة هذه المرّة ليست على غرار الثورات السابقة التي يكتفي فيها المور بالنهب والعودة إلى الصحراء إنّ الثورة بعد الآن أصبحت تنطلق من الجبال التي وإن كانت غير خاضعة تماما للاحتلال الروماني إلّا أنّها تقع وسط بلاد خاضعة تماما⁽⁴⁾ .

خلال الفترة التي تلت (أي ما بعد 260م) لا نجد شيئا في المصادر عن الوضع في أفريقيا ، ووجدنا في المصادر الأثرية إشارة

(1) - Rachet M., op. cit. p. 249.

(2) - Berbruger, op. cit. p. 212.

(3) حسب النصّ الأثري (CIL, VIII, 9047) كانت وفاته في 26 مارس 260 م

(4) - Cagnat R., op. cit. pp. 64-65.

مقنّضة إلى حملة رومانية وجّهت لتهدئة المنطقة الأوراسية⁽¹⁾ ولا يمكن أن نعتبر هذا دليلا على هدوء عمّ البلاد .

كانت بداية عودة الثورة إلى الجبال التلية ما بين البابور إلى الظهرة في حوالي السنة 289م. حسب أوسيب (Eusebe)⁽²⁾، فقد عمّت المنطقة حركة ثورية عارمة استدعت استنفار الإدارة الرومانية بأفريقيا لكلّ قواها ، وتوجّهت حملة رومانية إلى جهة وادي الساحل ولكن الثوار سحقوها ، وكان ذلك تأكيدا على أنّ الاستعمار الروماني لن ينعم بالاستقرار الذي تمتّع به فترة معينة ما بعد الاحتلال مباشرة وتخبرنا وثائق تعود إلى ما بين 291 - 292م بأنّ الوضع في أفريقيا ظلّ على ما هو عليه بل كان يزداد خطورة خاصة وأنّ التدهور الذي سبّبه الفوضى العسكرية كان ينخر كيان الإمبراطورية، وبالمقابل ظلّ التضامن بين قبائل البابار والقبائل الخمس وأحلافها في الداخل إلى جهات السهول العليا السطايفية يمثل قوّة مقاومة لا تهدأ ، وفي غياب وثائق كافية لا نعرف حقيقة ما تحدّثت عنه المصادر الرومانية من أنّ

(1) جاء في النصّ الأثري أنّها كانت بقيادة ضابط اسمه فلاويوس ليونتئوس (Vir perfectissimus, dux per Africam Flavius Leontius) - CIL, VIII, : أنظر 18219، ويستخلص كائنا أنّ هذه الحملة تكون قد تمتّ ما بعد 283 م لأنّ ظهور أول برايسيس مدني عى نومديا كان قبل فترة حكم ديوكليتيان، أنظر:

- Cagnat R., op. cit. p. 65.

(2) - Eusebe, Chr. Can., éd. Schône, p. 87

حاكم موزيتانيا القيصرية حقّق انتصارين في حملتين متواليتين على الثوار في تلك الجهة وجمع غنائم كثيرة⁽¹⁾.

2- مقاومة حملة ماكسيميانوس (297-298) :

بعد حملته على بلاد الغال وجرمانيا ، عبر البحر إلى أفريقيا لإنهاء الاضطرابات بها وقد توغّل في المنطقة الجبلية ، وتقول المصادر الرومانية أنّه فرض الاستسلام على الجميع ، وقرّر تهجير القبائل الثائرة إلى جهات أخرى⁽²⁾، ولكن الدليل على أنّ حملة ماكسيميانوس لم تكن مهمتها سهلة بل تلقّت مقاومة عنيفة هو سقوط أحد أبرز قادته من الفرقة البريطورية⁽³⁾.

ظنّ ماكسيميانوس بأنّ ما قم به كافٍ وعاد إلى روما ليشارك ديوكليتيانوس احتفالات النصر وأعطى الأوامر باليقظة وتطبيق الأوامر ومن التدابير التي اتخذها إقامة مخزن كبير للمؤن في توبوسوكتو (Tubusuctu) [تيكلات]⁽⁴⁾، لضمان وفرتها للجيش الروماني في حال قيامه بحملة في المنطقة ويبدو أنّه تعرّض لخطر المجاعة ولذلك أمر بهذا الإجراء .

(1)- CIL, VIII, 9324, 8924.

(2)- Zonaras, XII, 13, ; Orose, VII, 25.

(3)- CIL, VIII, 21021.

(4)- CIL, VIII, 8836.

3- الدوناتية والثورة الريفية :

لقد ظهرت مؤشرات جديدة على الساحة الأفريقية لم تعهدها البلاد في السابق ، فقد كانت المقاومة في القرون الأولى تقوم على التضامن القبلي والإقليمي ، ولكن ظهر عامل جديد يدعم ذلك التضامن التقليدي وهو ظهور وانتشار العقيدة المسيحية في عموم أفريقيا، هذه العقيدة الجديدة أخذت تسري تدريجيا في ثنايا المجتمع الأفريقي وخاصة في أوساط الطبقة المسحوقة من الكادحين والمستضعفين وتحولت إلى عامل تضامن وأداة نضال ضد السلطة الرومانية وحلفائها من كبار الملاك والمرابين والموظفين المدنيين والدينيين.

كانت كنيسة أفريقيا منذ ظهورها قد احتضنت الشعب واقتربت من معاناته ، ولا ندري إن كانت الكنيسة الأفريقية بنتا لكنيسة روما أم أنها تأسست مباشرة على يد رسل المسيح فابن خلدون يذكر بأن التبشير بالنصرانية في بلاد البربر كان على يد بعض أولئك الرسل امتثالاً لطلب المسيح الذي قال فيه : اذهبوا وتلمذوا سائر الأمم ...⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ جاء في تاريخ ابن خلدون : "... وعند علماء النصارى أن الذي بُعث من الحواريين إلى روما بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حواريا، وإلى السودان والحبشة متى العشائر وأندراوس، وإلى أرض بابل والشرق توماس، وإلى أرض أفريقيا فليبس، وإلى أفسس قرية أصحاب الكهف يوحنا، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا وإلى أرض العرب والحجاز برثلوماوس، وإلى أرض برقة والبربر يشمعون القناني " (ابن خلدون، العبر، ج II، دار الكتاب اللبناني بيروت 1966 ، ص 294). أي أن أفريقيا حل بها إثنان من الحواريين، وأرى هنا أن كنيسة أفريقيا تكون قد انشقت ليس للعوامل الاجتماعية والاقتصادية فقط بل يمكن أن نضيف إلى ذلك ثنائية المنشأ فإلى جانب الجماعة المسيحية الأولى التي تكون قد نشأت بفعل النشاط التبشيري لكنيسة روما، هناك دون ريب الجماعة المسيحية الأولى التي نشأت بفعل البشارة التي حملها الحواريان فلپس ويشمعون، وهذه الأخيرة هي أم الكنيسة الدوناتية .

إذا تمكّنت المسيحية الأفريقية من الانتشار في عموم البلاد بانتشار الكنائس في مختلف المدن والقرى والتجمّعات السكانية فإنّ ذلك بقدر ما كان دليلا على قوّتها بقدر ما كان عاملا لظهور الانقسامات (Schismes) في صفوف أتباعها لأنّ الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي غير متساوٍ بين هؤلاء الأتباع ومنه فإنّ بلاد البربر تعرّضت لعدد من التيارات الدينية التي لم تكن مطابقة لنظرية الكنيسة الرسمية (الكاثوليكية).

لقد عصفت الاضطرابات بأفريقيا وكانت في هذه المرّة ذات صبغة دينية بقدر ما هي تعبير عن رفض القهر الاستعماري الذي سلّطته روما على الأفريقيين طيلة قرون فالى جانب تيار الكتلّة الذي نعتبره خلفا لديانة عبادة الإمبراطور ⁽¹⁾ ظهرت تيارات مجدّدة ولكن كان أهمّها الحركة الدوناتية ⁽²⁾ التي جنّدت الطبقة الكادحة ودفعته بها إلى

(1) كانت الديانة الرسمية في الإمبراطورية الرومانية قبل تنصّرها هي ديانة تقديس الإمبراطور وعبادته ، واعتبر المؤرّخون المعجبون بإنجازات روما ، أن تلك العبادة بجهازها الكهنوتي في عموم الإمبراطورية كانت أداة لدعم الرعية بالإمبراطور.

(2) استمدّت اسمها من اسم زعيمها الأسقف دوناتوس (Donatus) ولكن المصادر تتحدّث عن شخصين بهذا الاسم، الأول هو دوناتوس أسقف كازاي نيقراي (Casae Nigrae) وكانت بلدة صغيرة تقع شمالي لمبايسيس (Lambaesis)، والثاني هو دوناتوس المسمّى القرطاجي (حوالي 270-355) خلف الأول وأكمل عمله التنظيمي، وخاصة تحالفه مع الثائرين وفتح الكنيسة الدوناتية لهم واحتضانهم، ويبدو لنا أنّ عدم التفرقة بين "الإثنين" في نصوص المجادلين الكاثوليك يدعّم رأينا في أنّ دوناتوس هو شخص واحد وأنّ تسمية القرطاجي لا تعبّر عن شخص ثانٍ بقدر ما تعبّر عن مرحلة في حياة دوناتوس النضالية في قرطاج خاصة وأثمة مثل الحركة والكنيسة الدوناتية في مجامع عصره في روما وأرل وميلانو. للمزيد يُراجع مونسو :

- Monceaux P., Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne éd. Leroux, Paris 1901-1923 T.V, pp. 100-105.

الثورة ضد الغاصب الروماني وحلفائه الطبيعيين من الرومانيين والبربر المترومين كذلك .

4- بداية الانقسام :

كانت قضية المرتدين (Lapsi) ⁽¹⁾ هي نقطة البداية في الخلاف الذي سيُتسع في ما بعد ، فقد كان عهد ديوكليتيانوس (Diocletianus) عهد اضطهاد فظيع ، سلّطت فيه أقسى العقوبات على معتنقي المسيحية ⁽²⁾ وهو ما أدّى تحت طائلة التعذيب والتخويف إلى ارتداد عدد كبير من المؤمنين ، وكان أسقف قرطاج منصوريوس (Mensurius) مواليا للسياسة الإمبراطورية بقدر تنكّره لمطالب شركائه في العقيدة ولذلك هوجم من قبل حشد من سكّان قرطاج المسيحيين لمواقفه وخاصة بعد أن سلّم الكتب المقدّسة للسلطات الإمبراطورية وقد اعتبر أولئك المهاجمون أنّ تسليم الكتب المقدّسة للوثنيين (والسلطة

⁽¹⁾ خلال فترة الاضطهادات تعرّض الكثيرون من معتنقي الديانة الجديدة (المسيحية) للتعذيب والقتل ، وحققنا للدماء ارتداد البعض لضمان نجاتهم من تلك العقوبات الفظيعة ولعلّ ذلك الارتداد كان تقية وتظاهرا لا أكثر ، غير أنّ هذه المسألة كانت حسّاسة للغاية فقد اعتبرها الدوناتيون خيانة للشهداء وللمسيحية .

⁽²⁾ كانت فترة حكم ديوكليتيانوس (284-305) من أصعب المراحل التي مرّت بها المسيحية في عموم الإمبراطورية ، فقد وقع التتكيل بالمسيحيين وينقل إلينا ترتوليانوس صورة من ذلك التتكيل البشع فيقول بأنّ الوثنيين رفعوا شعار : "اللقوا" بالمسيحيين للأسود Christinos ad leonem ورفضوا دفنهم في مقابرهم قائلين : ليس هناك مقابر "لهؤلاء" areae son sint ، أنظر :

- Tertullianus, apologia, XVI, 40, 2 ; ad scup. 3.

الإمبراطورية كانت إلى ذلك الحين وثنية) تدنيسا لها واعتبروا ذلك خيانة⁽¹⁾.

كان نصيب الرافضين للارتداد القتل مثلما حدث في أبييتينا (Abitina) ، وتطوّرت الخلافات ، واعتبر الدوناتيون أيّ اتصال بالخونة دون المرور على كنيستهم خيانة ومن ثمّ قرّروا حرمان كلّ متصل بالكنيسة الرسمية ، وقد لقي هذا الموقف تجاوبا تامّا من قبل المجموعة المسيحية في نوميديا ومن كهنوتها وتوسّعت الحركة وأخذت طابعا اجتماعيا⁽²⁾.

لقد أصبحت الدوناتية إذن حزبا وحركة فعلية بعد وفاة الأسقف منصوريوس وتعيين كاييليتيانوس (Caecilianus) خلفا له، وحتى هذا الأخير لم يعترف بتعيينه فقد وُجّهت له تهمة الإسهام في القضاء على المؤمنين الذين تظاهروا أمام سجن الشهداء في أبييتينا، وفوق ذلك كان قد نظّم انتخابات كهنوتية بإشراف الموالين له، ووقع الطعن في تلك الانتخابات من قبل الكهنوت (Clergé) النوميدي، ووجّه إلى كايكيليانوس طلب التنحي من منصبه ، وعند رفض هذا الأخير ذلك

(1) انعقد مجمع سيرتا (Concilii Cirtensis) في مارس 305 م. وفيه تمّ رفض الإجراءات التي اتخذها مجمع قرطاج الموالي للقرارات الإمبراطورية ، ولعلّ هذا كان أول موقف كنسي دوناتي ولذلك اعتبره القديس أوغسطين بداية للحركة الدوناتية التي كسبت تأييدا قويا من المسيحيين خاصة في نوميديا الذين فقد اعتبروا ما أبدته الجماعة الدوناتية من مقاومة لإجراءات السلطة بمثابة ميثاق شهداء (act martyrum) ، أنظر ؛

- Monceaux p. , IV, p. 204 et 287.

(2) - Julien Ch. A., Histoire de l'Afrique du nord, T. I, éd. Payot, Paris 1966. p. 215.

نظم معارضوه أنفسهم واعتبروا دوناتوس زعيما وأسقفا عليهم وكانت تلك خطوة أولى نحو ظهور كنيسة موازية للكنيسة الرسمية .

إن تفسير الموقف المتصلب والراديكالي الذي وقفه الدوناتيون إزاء المرتدين ليس سهلا ، لأن هؤلاء فضلا عن كونهم أخوة في الدين فإنهم تعرضوا للاضطهاد (التعذيب والقتل...) ولعل ارتدادهم كان ظاهريا للنجاة بأرواحهم ، ولكن يبدو أن الحركة الدوناتية كانت مصرة على مقاومة السلطة الإمبراطورية مهما كان الثمن وفي نظرها أن الصفح عن هؤلاء المرتدين سيشجع السلطة الإمبراطورية على دفع المزيد من المؤمنين إلى الارتداد عن دينهم المسيحي ومن ثم تنجح السلطة الإمبراطورية في إضعاف المقاومة الدوناتية ، ولعل الدوناتيين اتخذوا مواقف راديكالية حتى لا تقع حركتهم فريسة تصدعات غير محمودة العواقب⁽¹⁾ .

إن هؤلاء الدوناتيين إضافة إلى استيائهم من السلطة الرومانية القمعية وطبعهم المتصلب والعنيف وهي خصائص الروح البربرية فإن مسيحيتهم وهي في شبابها الغض كانت مسيحية مبالغ فيها حسب كامبس⁽²⁾ ، لتعلقهم بكل ما هو مطلق، ولذلك يبدو لنا مشاكسين عنيفين متصلبين ليس إزاء الوثنيين بقدر ما هم إزاء إخوانهم في العقيدة ، وفي

(1) - Bel Ochi M. S., La Conversion des Berbères à l'Islam, Tunis 1981, p.48.

(2) - Camps G., Les Berbères, mémoires et identités, 2^{ème} éd. Paris 1987, p.179.

بيئة كهذه من السهل حصول الانشقاق، وهو ما وقع في أفريقيا حتى قبل الاضطهادات .

رغم الاختلاف في النظرة بين الكنيستين الدوناتية والكاثوليكية إلا أن ذلك الاختلاف لم يتجاوز حد الانشقاق (Schisme) لأن إيمان الدوناتيين يطابق الإيمان الكاثوليكي ومنه فإن الانقسام ليس مذهبيا بقدر ما هو اختلاف في الوقائع أي حول مسألة تسليم الكتب المقدسة ولذلك لا تُعدّ الدوناتية هرطقة (Hérésie) ولكنها مجرد انشقاق لا أكثر.

إن الروح الأفريقية بسيطة وعنيفة في الآن نفسه ولذلك لم تتجاوز الانشقاق إلى الهرطقة فلم تكن لهم كراهية عقائدية تجاه الأرثوذكس وكانوا يريدون إقامة كنيسة لا أكثر ولم يكن ذلك قائما على تناقضات لاهوتية لأن جدلهم كان يدور حول وقائع كما ذكرنا وليس حول آراء ففي الدوناتية ليس هناك أي خلاف في مسألة روحية كما هو الحال في الهرطقات ⁽¹⁾ ومنه نستخلص بأن الهدف كان استقلال كنيسة أفريقيا، واستمر الوضع كذلك إلى أن اعتنق قسطنطين المسيحية وإصداره قرار ميلانو 313 م ، الذي وضع حداً للاضطهاد ، وهو ما جعل الطرفين الكاثوليكي والدوناتى يرغبان في الاحتكام إلى الإمبراطور وطبيعي أن يتخذ هذا الأخير موقفا مؤيدا لكنيسة أفريقيا الرسمية

(1)- Masqueray E., Chronique d'Abou-Zakariya, traduite et annotée, Alger, 1887, XVIII.

بقيادة الأسقف كايكيليانوس (Caecilianus)، ومنذئذ سيظهر اضطهاد جديد ولكن هذه المرة من مسيحي لمسيحي آخر فتلاحمت الكنيسة الرسمية مع الإدارة إذ لا يمكن مقاومة واحدة دون مقاومة الأخرى في نفس الوقت وأصبح الدوناتيون في حكم الخارجين عن القانون ⁽¹⁾ .

اعتبر كامبس دعم قسطنطين للكنيسة الرسمية أول مظهر للبابوية القيصرية (Césaropapisme) أي وضع الكنيسة في خدمة الإرادة الإمبراطورية والمصلحة السياسية ⁽²⁾ ، فضلا عن قرار الإمبراطور أصدر المجمع الكنسي الذي انعقد في أرل (Arles) 313 م. قرارا يؤيد القرار الإمبراطوري وبذلك أصبح الدوناتيون تحت طائلة حكم مزدوج وذلك ما أعاد الاضطهاد من جديد ولكن هذه المرة أصبح المسيحيون هم الذين يضطهدون مسيحيين آخرين ، وهذا الوضع دفع بالدوناتية إلى التجذر أكثر ، وستؤدي الاضطهادات من قبل السلطة الرسمية إلى الاصطدام بين الكنيستين الدوناتية والرسمية ، وأصبحت المسيحية الدوناتية محظورة مثلها مثل مسيحية الشهداء الأولين في عهد الأباطرة الوثنيين ⁽³⁾ ولن يتوقف ذلك الاضطهاد حتى سنة 321 م. مع صدور قرار التسامح الذي منح حرية العبادة والاعتقاد للدوناتيين .

(1) - Julien Ch. A., op. cit. p. 215

(2) - Camps G., op. cit. p. 181.

(3) - Decret f. et Fantar M., l'Afrique du nord dans l'antiquité, éd. Payot, Paris 1981, p. 296.

كانت الدوناتية إضافة إلى طابعها الديني ، حركة سياسية فقد أظهرت الروح الاستقلالية للشعب الأهلي وأصبحت "الأخلاق" المسيحية حربا على الظلم الاجتماعي والاحتلال الأجنبي يتصدى بصلابة لكل تحوير في الموقف المسيحي التقليدي إزاء الدولة الرومانية ، فتلقت تلك المواقف صدى واسعا لدى ذوي النزعة الاستقلالية من أفراد وجماعات الشعب الأهلي⁽¹⁾ .

5- ثورة الريفين :

مع تردّي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد الأفريقية ستتدعم حركة الاحتجاج الديني (الدوناتية) بحركة احتجاج اجتماعية (ثورة الريفين) وستجد الحركة الأولى في الحركة الثانية نعم السند إذا لم نعتبر الثانية جناحا "مسلحا" للأولى ، فقد كانت الدوناتية حليفا طبيعيا لكل قوة تعمل على العدالة والمساواة المستمدة من التعاليم المسيحية، ومن ثم حليفا طبيعيا لكل من يعمل على زعزعة السلطة الإمبراطورية في نظامها الديني والسياسي⁽²⁾ ، وفي هذا السياق يُطرح تساؤل عن العلاقة بين الحركتين فهل كانت إحداها مستقلة عن الأخرى أم أنهما حركتان متكاملتان ؟ .

(1) - Legrand Hervé, "Donatisme", In Encycl. Univers. paris 1984 pp. 357-35.

(2) - Masqueray E., op. cit., LXX.

هناك فرضيتان في تفسير مصطلح السيركونسيليون (Circoncillions) وهو التسمية التي وصمهم بها - كما يبدو - معاصروهم من الموالين للسلطة الرسمية المدنية والدينية على السواء ، تعتبر الفرضية الأولى المصطلح مشتقاً من الأصل اللاتيني: Circum cellas أي الذين يطوفون حول الأهرام، أما الفرضية الثانية فتستبعد هذا التفسير وترى أنه مشتق من عبارة : Circum Cellae أي الطوافون حول المصلّيات الكنسية (Chapelles) والمقصود هم الكهنة الدوناتيون الذين كانوا يطوفون في صلواتهم حول شهداء المسيحية الدوناتية ، وإذا كان التفسير الأول هو الذي تبناه الكثير من المشتغلين في حقل المسيحية الأفريقية وكأنهم يتبنون الموقف الرسمي الذي يصم الدوّارين بالصوصية ، وطبيعي أن يكون ذلك مرفوض من قبل من سمّوا بالدوّارين ، ويستفاد من المصادر أن الدوناتيين كانوا يتغنّون بأنهم جاءوا لإقامة العدل على الأرض ، وأنهم يدعون إلى تحرير العبيد وكلّ ذلك كما يردّدون مستمدّ من تعاليم المسيحية ومبادئها⁽¹⁾.

كان هؤلاء الدوّارون من الفلاحين الذين انتزعت منهم أراضيهم ، ولم يبق لهم سوى قوّة سواعدهم التي وضعوها في خدمة كبار الملاك الرومان والمترومين على السواء ، وكانوا في واقع الأمر عبارة عن عمّال موسميّين يشتغلون في المزارع الكبرى (Domaines) خلال فصل الجني والحصاد ، وقد اتسعت الهوة تدريجياً بينهم وبين الطبقة الثرية

⁽¹⁾ - Ibid. LXVII.

المترومنة ، حيث ظَلَّت تلك الطبقة الكادحة من البروليتاريا الفلاحية
المسحوقة خارج الحضارة الرومانية ⁽¹⁾.

نظّمت الطبقة الكادحة نفسها خلال القرن الرابع الميلادي في
حركة اجتماعية مطلّبية مسلّحة حقيقية وكانت تمثّل في نوميديا على
الخصوص جمهورا واسعا من العمّال الريفيين الأحرار الذين تدهوّرت
أوضاعهم وازدادت سوءا منذ بداية القرن الرابع ، فاننظم هؤلاء في
حركة لإصلاح الوضع وتطبيق العدالة موجّهين الضربة إلى طبقة الملاك
وهي في نظرهم مسؤولة عن تردّي وضعهم وأخذت تناضل من أجل
الحدّ من هذا الوضع الشبيه بالعبودية لتحرير المدانين المسحوقين تحت
طائلة الشروط الربوية ⁽²⁾.

حاول مؤرّخو الاستعمار القدح في هذه الحركة وهو موقف أمّلته
عليهم نزعتهم الاستعمارية لأنهم اعتبروا ما "أنجزه" الاستعمار
الفرنسي بالجزائر ما هو إلّا تنمّة واستمرار للرومنة لأنّ منظّرو
الاستعمار في شمال أفريقيا كانوا يبرّرونه بالوجود الروماني القديم في
هذه المنطقة . وحاولوا تجريد الدوّارين من المسيحية وتبرئة المسيحية
منهم ومن أعمالهم التي فسّروها بـ"وحشية" البربر ، وفي رأيهم أنّ
مطالب الدوناتية كانت بسيطة لا تتجاوز حقّ الوجود ، أمّا أولئك
الدوّارون الذين كانوا على وشنيتهم يتعبّدون للجنّ ولإلههم إفرو (Ifro)

(1) - Julien Ch. A., op. cit. p. 216

(2) - Decret F. et Fantar M., op. cit., p. 298.

في المغاور والغابات فلا صلة لهم بالمسيحية السمحة بل استعملها كشعار لاكتساح المدن والقرى يقول ماسكوراوي⁽¹⁾ . وفي نفس السياق كتب بيروني أن البربر الممتنعين في جبالهم وجدوا - وهم يشاهدون انقسام المسيحيين في ما بينهم - الفرصة لإشباع غريزة النهب والسلب عندهم فكانوا مجموعات من المتذمرين نزلوا بها من جبالهم الفقيرة لنهب السهول الغنية ، إنهم كانوا على الوثنية وظلّوا عليها ولم ينضمّوا إلى الدوناتيين إلا عندما وجدوا فرصة النهب مواتية ، وليسوا سوى عصابات نهب وسلب وحرق بمعنى الكلمة⁽²⁾ .

لم يصف مؤرّخو الاستعمار شيئا أكثر من نقل الخطاب الروماني الرسمي وتوسيعه لوصم كلّ حركة مقاومة وطنية بما كان قد وُصم به الدوّارون، وفي هذا السياق ننقل ما كتبه القديس أوغسطين " ... من الذي لا يعرف في الواقع بأن هؤلاء الأشخاص لا يكلّون أبدا من ارتكاب أفظع الجرائم أمّا ما هو مجدي فيستنكفون من القيام به، يصفّون أعداءهم بفضاعة، ويقتل بعضهم بعضا بدناءة ، تراهم يتجولون في الأرياف ولكن دون أن يساهموا في عمل شيء مفيد بها، حتّى إذا احتاجوا إلى الطعام والمال طافوا حول الأهرام لنهبها، إنهم عار الإنسانية...⁽³⁾ . وفي نفس السياق، يقول زميله أوبطاطوس أسقف ميلة وهو كاثوليكي مثله " ... لا

(1) - Masqueray E. ,op. cit., p. LXV.

(2) - Peyronnet, le problème nord-africain, T.I, Paris 1924, p. 172

(3) - عن دوكري و قنطر ، أنظر + - Decret et Fantar, op. cit. p. 297.

أحد يمكن أن يهناً على أملاكه أو أن يسترد ديونه، والكل في رعب كبير من هؤلاء الذين يرفعون شعار أنهم القديسين، ومن تأخر في الاستجابة لهم ستفاجئه إحدى عصاباتهم ولذلك لا أحد من المقرضين تجرأ على طلب تسديد ديونه (1).

حقاً لا أحد يمكن أن ينكر الأعمال التي قام بها هؤلاء الثوار ولكن العبرة - كما في كل ثورة - في نبل الأهداف ، وقبل إصدار الأحكام ينبغي أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت بهؤلاء إلى هذا الحد من الثورة ، اليسوا نتاج الاحتلال وظلم الرومنة ، ولم يكن نصيبهم من السياسة الإمبراطورية غير الفقر والشقاء ، ولذلك حددوا الهدف الذي يوجهون إليه الضربة ، وهو كبار الملاك والمرايين ومن ثم إلى السلطة الإمبراطورية التي تحميهم (2). والحال أن الكنيسة الدوناتية لم تكن على وفاق دائماً مع الدوآرين ولم تبارك أعمالهم ولعل هذا الموقف هو موقف القيادة الكنسية العليا أمّا صغار رجال الدين من الكهنة والشمامسة وهم ملتصقون بالشعب وبمعاناة المستضعفين فكانوا إلى

(1) Ibid. p. 298. - يمكن للقارئ المتفحص أن يستخلص بأن الديون التي يتحدث عنها أوطاطوس هي خير دليل على استئراء الربا في إفريقيا بحيث أن عمال الأرض يشتغلون ويكدحون دون أن يحصلوا على ما يضمن عيشهم فيستدينون من مالك الأرض وهذا الأخير يعلي شروطه الربوية ، ولذلك كان موقف الدوآرين من هؤلاء المرابين صارماً .

(2) حاول البعض استخلاص أن ثورة الدوآرين هي تعبير شعبي عن التمرر والسخط وهذا لترجيح عامل الصراع الطبقي وفي هذا السياق كتب محمد فنطر ودوكري : ... من الواضح أن من بين الدوناتيين في البداية أساقفة من كبار الملاك العقاريين كما ينبغي البحث في ما إذا كان كل الكاثوليك من الطبقة الميسورة لكي يصح وضع الصراع في إطار ديني ، والحال أن وجود الكاثوليك في صفوف الدوآرين غير مستبعد بل هو شبه مؤكد . نفسه ص 299.

جانب الثّوار ولعلّ ذلك كان يمثّل انشقاقا في الكنيسة الدوناتيّة ذاتها
أمّا عامّة الشعب فكان الثّوار في نظرهم أبطالاً ومن سقط منهم عدّ
شهيدا .

6- فيرموس يقود المقاومة (372-375):

يبدو أنّ حركة الثورة التي عمّت أرياف نوميديا زحفت غربا
لتصل إلى مقاطعة موريتانيا القيصرية وكان الشعب الأهلي هناك قد
احتّمى بجباله منذ أن اكتسح الاحتلال الروماني بلاده واستولى على
الأراضي السهلية الخصبة، وقد كانت المناطق الجبلية الممتدّة من زكار،
الظهرة والونشريس غربا إلى البابور شرقا قواعد خلفية وملجأ الشعب
الذي قهره الاحتلال ردحا من الزمن منذ أن خبت نار الثورة التي ألهبها
الثائر تاكفاريناس⁽¹⁾.

في هذه المناطق الجبلية ظلّت القبائل الأهلية تعيش في إطار
أعرافها ونظمها بل إنّ المصادر الرومانية تتحدّث عن ملوك أهليين ممّا
يعني قدرا كبيرا من الاستقلال في مناطق لم تتغلغل فيها الرومنة، ومن
هناك كان الشعب الأهلي يتحصّن الفرص لاسترداد كرامته ووطنه.

توالى الأحداث وتوسّع نطاق حركة الدوّارين إلى خارج نوميديا
ممّا جعل الشعب الأهلي في الجبال التليّة المذكورة يعلن العصيان

(1) لا نوافق غوتيي الذي يجعل اختلال التوازن بين السهل والجبل في أفريقيا يعود إلى الفتح
الإسلامي والزحف الهلاليّ هذه الأخيرة حسب رأيه فرضت إتّواء على المزارعين في السهل
فضلا عن اندماجها في البداوة التي حولت السهول إلى مجالات انتجاع أفقرتها وحولتها إلى
مناطق رعوية ...

والتمرّد ثمّ الثورة على هذا الاستعمار الذي دبّ فيه اضعف ولكن كان في كلّ مرّة ينقذ نفسه بنهب ثروات البلاد لتعويض خسائره ولذلك كان القمع والنهب المسلّطان على الشعب الأهلي في كلّ مرّة هما السببان الرئيسيان في تلك الثورة العارمة التي سيقودها فيرموس حلفائه طيلة سنوات وهي المقاومة التي تذكّرنا ببسالة يوغرطة وعزّة يوبا الأول ، وهي الثورة التي لبّى ندائها الشعب الأهلي في كلّ أفريقيا من طنجة غربا إلى طرابلس والسيرت شرقا⁽¹⁾.

بعد وفاة نوبل (Nubel) اعتلى عرش القبيلة صمّم على تنظيم قوّته استعدادا للزحف على مراكز الإدارة والاستيطان الروماني وحلفائه في البلاد، وقد وجد الدوناتيون في فيرموس القوّة التي تربك الاحتلال وتوزّع قواه، والدليل على التلاحم بين الحركة الدوناتية وفيرموس هو أنّ الدوناتيين في موريتانيا أطلق عليهم لقب الفيرميانيين (Firmianiens)، وقد أعلن رجال الكنيسة الدوناتية في مدن وقرى القيصرية ولاءهم لفيرموس، فهذا أسقف روساقوس (Rusagus) الذي تحدّث عنه القديس أغسطين دون ذكر اسمه يفتح باب المدينة لفيرموس الذي دخلها وقضى على أنصار الاستعمار بها، ولم تتوقّف الثورة في المملكة القبلية التي تركها نوبل لأبنائه بل تعدّت الحدود إلى كلّ المنطقة الجبية التي ذكرناها.

⁽¹⁾ - Poulle, op. cit. p. 136.

7- الحملة الرومانية على الجبال التلية (373-375):

لقد كانت أخبار الثورة في أفريقيا تصل تباعا إلى القيادة الإمبراطورية ولذلك قرّر الإمبراطور فالنتينيانوس (Valentinianus) إرسال حملة لقضاء عليها، واختار لقيادتها أحسن ضباطه وهو الكونت تيودوز (Théodose)، ويذكر أميان "بأنّ تيودوز لم يصحب معه عددا كبيرا من الجند"⁽¹⁾، ويقول زوسيموس "بأنّ الجيش الأفريقي كان كافيا للتصدّي لكلّ المصاعب ولا يحتاج إلّا إلى الدعم وحسن قيادة"⁽²⁾، ولم يكن تيودوز مهتماً بالسلم الإداري للمرور بقرطاج أو إحدى العواصم الأفريقية، بل اختار النزول في أقرب الموانئ إلى المناطق الثائرة فكانت إيجيلجلي (Igilgili) هي مقصده، واتخذ أوامره بانتزاع القيادة العليا من رومانوس القائد السابق وأرسله لتنظيم الحراسة في المراكز المحنة في حدود القيصرية ثمّ التحق بسطيف التي اتخذها قاعدة لعملياته.

جمع تيودوز قوّة كبرى من الجيش النظامي ومن المرتزقة ومن الفرق المساعدة، هذه الأخيرة تتكوّن من عناصر أهلية على دراية بالبلاد جغرافياً واجتماعياً، ولربح الوقت كان فيرموس يعدّ العدة للمعركة ولكن لم يمنعه ذلك من الاعتماد على الجانب "الديبلوماسي"

(1) هي فرقة مساعدة (Auxilia Cometatensia) أنظر: Ammien, XXIX, 5,4.
(2) Zosime, IV, 16. - سيكون الاعتماد على الفرق المساعدة المورية ضمن تشريعات تيودوز الابن في وقت لاحق، أنظر: Code Theodos., VIII, 7,12 et 13.

وأرسل موفديه إلى ثيودوز يعرض الهدنة أو السلم مع القائد الروماني، وكان ردّ ثيودوز غاية في الدهاء، فقد اشترط تقديم رهائن على غرار شروط الصفقات الربوية ثم تحرّك بجيشه في حملة هجومية وعسكر في محطة بانكريانا (Statio Panchariana)⁽¹⁾، وجنّد فرقا من الأهالي⁽²⁾ أمّا المؤن فتمّ جمعها من حقول الأهالي ومن مخازنهم عن طريق السلب والنهب، وسار متقدّما نحو توبوسوكتو وهناك استقبل موفدين من فيرموس ولما لم يجد معهم رهائن رفض التفاوض وقام بالهجوم على قبيلتي التيند (Tyndenses) والماسينيسن اللتين تلقّتا الصدمة الأولى وتراجع جيش القبيتين وكان تحت القيادة المشتركة لماس إيزيل (Mas Izel) وديوس (Dius) وهما أخوا فيرموس، أمّا الأخ الثالث لفيرموس المسمّى سمّاك (Sammac) فواجه الهجمة الرومانية ولكن قتل في ظروف غامضة وتقول المصادر بأنه قُتل غيلة وتمّ احتجاز أملاكه العقارية⁽³⁾.

لقد تمكّن القائد الروماني من تجنيد كلّ الإمكانات المتوفرة في أفريقيا وخاصة الفرق المساعدة من القبائل الأهلية ولمواجهة هذا الوضع قام فيرموس بإجراءات تذكّرنا بسلفه يوغرطة وهو أنّه استعمل

(1) محطة يطابق موقعها موقع كنار بالقرب من مصبّ الوادي الكبير - Cagnat R., op. cit. p. 220.

(2) سيكون ذلك ضمن تشريعات ثيودوز - Cod. Theod. VII, 1, 6. - وهو النصّ الذي يمنح امتيازات كثيرة للذين يقضون في الخدمة العسكرية خمس سنوات على الأقلّ.

(3) تقع هذه الأملاك المسماة مزرعة بيترا (Fundus de petra) في المكان المسمّى اليوم ملاكو (Mellakou) على بعد 25 كلم من نيكلات.

سلاح المال لإغراء العناصر الرومانية وتحديد العناصر الأهلية من زعماء الفرق المساعدة على الأقلّ وتوزّع مبعوثوه في مختلف جهات البلاد واتصلوا بالقبائل القريبة والبعيدة داعين إلى وحدة الموقف وإلى الكفاح ضدّ المحتلّ ولا ريب أنّ ذكرى يوغرطة ويوبا الأول كانت حيّة في النفوس رغم تشويه المؤرّخين الرومان لها ، وفي قيصريّة (شرشال) استقبل فيرموس استقبال الأبطال من قبل جماهيرها ، وقام تربيون عسكري (Tribuni Militari) بوضع التاج الملكي على رأس فيرموس وكذلك فعلت تيبازة التي فتحت حاميتها الباب له ⁽¹⁾.

وصلت أخبار هذه الأحداث إلى تيودوز من خلال عيونه وعملائه فزحف نحو قيصريّة ومن خلف أسوارها وجّه نداءه إلى الجماهير داخل المدينة مركّزا على العنصر الروماني واعداء إياهم بالعفو وبالمكافأة إن هم تراجعوا عن تأييد فيرموس، وكان في صفوف القلّة الرومانية بالمدينة وخاصة الكاثوليك منهم من انجذب إلى وعود تيودوز ووقعت الخيانة وفتحت أبواب المدينة للحملة الرومانية التي استباحتها وارتكبت جرائم النهب والسلب والقتل الجماعي، وفوق ذلك أمر تيودوز فرق الفرسان بتتبّع الفارّين وبإحراق المشاتي والقرى، واعتصم فيرموس بجبل شنوة وهناك قرّر أن يغيّر تكتيكه بالعودة إلى أساليب الحرب الأفريقية

(1) اعتبر شارل أندريه جوليان فيرموس مسيحيا دوناتيا لأنّه ابتهل إلى القديسة سالسا قديسة مدينة تيبازة ، أنظر : جوليان (ش.أ.)، تاريخ أفريقيا الشمالية ج1 ، ، الترجمة العربية لمحمد مزالي وبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969 ، ص 303.

التقليدية وهي الكرّ والفرّ وحرب الكمائن وتحاشي المعركة الصريحة بسبب اختلال القوّة لصالح الطرف الروماني، أمّا تيودوز فقد انتقم من العزّل في الأرياف أبشع انتقام وأسر النساء والأطفال وسلّم الأسرى إلى المرتزقة لاسترقاقهم أو بيعهم كعبيد⁽¹⁾.

ما كاد تيودوز ينهي أعمال النهب والسلب بجهة شرشال وتيبازة حتّى جاءت الأخبار بأنّ الثورة قد نشبت في إقليم قبيلة المازيك (المازيغ) [Maziques] ما بين زكّار والأطس البليدي إلى الورشنييس وأنّ جموع الشعب الأهلي الغاضب هناك قد انتقم من العنصر الروماني والكاثوليك وعملائهم ، فتراجع باتجاه قبيلة المازيغ ولكن انتشار الثورة في كلّ مكان أربكه ، فقرّر اللجوء إلى سلاح آخر هو المال وتمكّن بهذه الوسيلة من تجنيد عدد هامّ من الأفراد وفكّ الحصار عن معسكره واتجه إلى مكان حصين ومن هناك كثّف اتصالاته بالقبائل واعداد الجميع بالأمان والمكافأة إن هم تخلّوا عن فيرموس⁽²⁾.

في تلك الأثناء التجأ فيرموس إلى أحد أهمّ حلفائه وهو إيغماسن (Igmassen) زعيم قبيلة (Isaflenses) بجبال تيطري واستجمع قواته من جديد بمساعدة أخيه ماسوكا (Mas Uca) وأرسل موفدين إلى

⁽¹⁾ - Cagnat R., op. cit. p. 85.

⁽²⁾ عن قبيلة المازيغ وإقليمها وأوضاعها خلال الحملة التي شنّها تيودوز ، انظر :
- Leveau P., l'Aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du nord, dans Antiquités Africaines, T. VII, 1973, pp. 171-172.

القبائل النوميديّة طالبا تكثيف الهجوم على مراكز المعمرين وأعوانهم لإرباك القوّة العسكرية الرومانيّة وتفريق جموعها على أكثر من جبهة، ثمّ قاد جيشه بمعيرة أخيه وإيغماسن لتوجيه ضربة من الخلف لتيودوز⁽¹⁾.

انتبه القائد الروماني تيودوز إلى خطّة فيرموس فعهد بمواصلة إخضاع المازيك لأحد قادته وأسرع هو باتجاه فيرموس وفي الحرب أصيب ماسوكا بجروح بليغة وانسحب إيغماسن إلى الهضاب المجاورة بانتظار التحاق فيرموس به⁽²⁾.

التحق فيرموس بإيغماس استعدادا لخوض المعركة ، واضطُرّ تيودوز إلى التراجع منتظرا وصول المدد إليه، وهي الفرصة التي كان على فيرموس ألا يضيّعها ، ولكن لا ندري ما هي الظروف التي جعلته لا يتعقب الجيش الروماني المنهك ، وظلّ ثابتا في معسكره.

ما إن وصل المدد إلى تيودوز من المراكز الاستعماريّة في قيصريّة وإيكوزيوم وتيبازة حتّى استرجع المبادرة وقرّر استئناف الحرب والضرب في أماكن متعدّدة معتمدا أسلوب الأرض المحروقة ممّا جعل السكّان العزل يطلبون من فيرموس ضرورة طلب هدنة ثمّ إبرام السلم، وخلال الاتصالات بين الطرفين طبّ تيودوز تسليم فيرموس (يذكرنا هذا بيوغرطة وصهره بوكوس) ، وعندما علم فيرموس بذلك

(1) - Berbrugger , op. cit., p. 219.

(2) - Pouille , op. cit. PP . 142-143

وَأَنَّ المؤامرة حيكت ضده قَرَّرَ الموت ببطولة (يذكّرنا هذا بيوبا الأول)
على الوقوع في يد العدو وكان ذلك سنة 375م⁽¹⁾.

8- ولاية جيلدون 386 م واستمرار المقاومة إلى نهاية الاحتلال
الروماني :

بعد وفاة الإمبراطور فالنتينيانوس اعتلى عرش الإمبراطورية
تيودوز الصغير (نجل السابق) فقرّر تعيين أحد أبناء نوبل وهو
جيلدون⁽²⁾ (Gildon) الأخ الأصغر لفيرموس حاكما على مقاطعة
أفريقيا⁽³⁾ باعتباره مخلصا للإمبراطورية، فجاء جيلدون إلى شعبه
حاكما بمباركة الإمبراطور وصمّم على تدعيم الاستقرار وإعادة كلّ
الحقوق المسلوقة لرعيته المنهكة، وكان الزمن كفيلا بلّم الجراح،
فاستعادت البلاد قوّتها وعافيتها ، وبعد وفاة الإمبراطور تيودوز وتفرّق

(1) لم يكن القائد تيودوز أحسن حالا من فيرموس ، وإذا كان فيرموس قد سجّل اسمه في سجل
الخالدون فإنّ تيودوز الذي خاض حربا إجرامية وُجّهت إليه تهمة الشهرة الزائفة بعد
صراعه مع رومانوس الذي كان قد خلعه في بداية عملياته الحربية وكانت نهايته الإعدام في
قرطاج .

(2) نعتقد بأن جيلدون اسم غير روماني ، وهو مشتقّ من أقليد بل هو تصغير له في صيغة
أقلدون ، وتحول في اللاتينية إلى جيلدون. لأنّ هذه الصيغة استمرت في ما بعد في عربية
الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس مثل خلدون وفضلون ... الخ .

(3) هذا يذكر بتعيين يوبا الثاني على رأس الموريثاني لكن كملك أمّا جيلدون فعين حاكما ، وهو
تعيين نال رضا الشعب الأهلي الذي أصبح يحكم من طرف أبنائه ، واتضح فيما بعد أنّ
جيلدون لم تنسه المواطنة الرومانية وامتيازاتها شعوره الوطني وسيعمل من أجل الاستقلال
بأفريقيا إحياء لمشروع أخيه فيرموس . Claudian, De Bell. Gild. 246. - ، فنّاور
لتحقيق ذلك بإعلان الولاء لبيزنطة بدل روما وخاصة بعد الصراع بين شرق الإمبراطورية
وغربها ، ورأى حكام الغرب الروماني خطرا كبيرا يهدّدهم فيما لو فقدوا إحدى مقاطعاتهم
التي زيادة على قربها من روما كانت تزوّدهم بالقموح خاصة بعد أن أصبحت مصر في
حوزة بيزنطة بعد التقسيم
- Cagnat R., op. cit., p. 93.

أبنائه وجد جيلدون الفرصة مناسبة لتقوية مركزه وجيشه رافضا إرسال المعونة لروما التي طلبت منه المدد بالرجال والأموال لأنها كانت تواجه ظروفًا صعبة⁽¹⁾، وكانت حركته استقلالية بآتم معنى الكلمة على حدّ تعبير كانيا فقد جمع حوالي سبعين ألف مقاتل وفيهم الجيتول والأفريقيين الذين تقاطروا عليه من كلّ مكان وإذا كان الرقم يبدو كبيرا ومبالغا فيه لأنّ الرومان اعتادوا على تضخيم أرقام جيوش المقاومة للرفع من شأن انتصاراتهم ، وكما تفعل السلطة الإمبراطورية الرومانية في كلّ مرّة عبر تاريخها الطويل، كانت تحتفظ في روما بأحد أفراد الأسرة الملكية وهو أخ لجيلدون اسمه ماسيزل ، وكان قد تخلى عن قضية أخيه فيرموس خلال 365-366 م ، وانضمّ إلى تيودوز الأب فأغدقت عليه روما عطفها واحتفظت به لوقت الحاجة ، وهاهو هذا الوقت قد حان لأنها استنفذت حاجتها من جيلدون الذي استرجع نخوته وهو مقبل على اتباع سياسة أخيه فيرموس، وكان ماسيزل منذ أن فضّل تيودوز الصغير جيلدون عليه رغم صغره يضمّر مشاعر الكراهية لأخيه، وهو ما ستستغلّه الإدارة الإمبراطورية كما كانت تفعل دائما .

(1) بسبب الخلاف بين تيودوز وأوجان دخلت روما في صراع داخلي مرير ورفض جيلدون الاستجابة لتيودوز الذي طلب منه المعونة بأوامر إمبراطورية ، أنظر :
- Cagnat R., op. cit., p. 92.

قام الوزيران ستيليكون وهونوريوس بخلع جيلدون وتعيين ماسيزل مكانه ، وزودوا هذا الأخير بالقوة وأشعلوا نار الحرب بين الأخوين، وفي وادي أداليو ما بين حيدرة⁽¹⁾ (Ammaedara) وتبسة فقد جيلدون كل قواته فصمم على الخروج من أفريقيا نهائيا واستقل قاربا من أحد الموانئ باتجاه بيزنطة ولكن الرياح حالت دون مبعثه وحولت مساره نحو طبرقة (Thabraca) وهناك قبض عليه وألقي في السجن بانتظار تسميمه للسلطة الإمبراطورية ومثل فيرموس فضل جيلدون الموت (398 م) وصودرت أمواله وأملاكه وعين موظف للقيام بتلك المهمة (Comes patrimonii Gildonaci) وبقدر ما كانت وفاة جيلدون بطولية وشريفة كانت نهاية ماسيزل أشنع وأحقق فقد أمر الوزير الروماني باغتياله وأشاع بأن جنيا قتله في أحد شوارع روما .

جاءت الفرصة بعدها مناسبة لستيليكون الذي قمع الشعب الأهلي بكل بشاعة وخاصة العناصر الموالية للحركة الدوناتية، مثل أوبطال التيمقادي وهو غير أوبطال الميلي فقد كان أوبطال التيمقادي دوناتيا وأحد المجادلين المدافعين عن الكنيسة الأفريقية المستقلة، لقد قبض على أوبطال التيمقادي وكان أسقف الكنيسة الدوناتية بتيمقاد، وألقي به في السجن حتى مات، وأصبح الملاكون لا يشغلون من ليس كاثوليكيا واشتد القمع وانتشر التذمر في كل مكان وتوالت الانتفاضات وهي كما

(1) - Orose, VII, 366.

نقول اليوم حرب استنزاف أضعفت كيان الاستعمار الروماني في أفريقيا ولذلك وجد الوندال الذين حلّوا بالبلاد مع أنهم غزاة جدد كلّ الدعم من عموم الشعب الذي اعتبر الغزو الوندالي عقاباً إلهياً لروما لجبروتها وجرمها الذي لا حدود له. (انظر الشكل رقم 51 ص. 427).

الفصل الثاني

- التجهيز العسكري في المغرب القديم (الفترة الرومانية)

1. الدروع

أ- الدروع المستديرة

ب- الدروع البيضوية

ج- مسك الدرع

2. الحراش

3. القوس

4. المقلع

5. السيوف

6. الخناجر

7. الخيول

8. الإسراج

9. اللباس

أ- الخوذة

ب- السترة

ج- الأحذية

- التجهيز العسكري في المغرب القديم (الفترة الرومانية):

إن شهرة وفعالية المحارب الأفريقي سواء في الجيوش الوطنية التي أسسها الملوك النوميدي (سيفاقس ، يوغرطة و يوبا الأول) أو الملوك المور مثل بوكوس الكبير وخلفاؤه غير كافية ، كما أن المحارب الأفريقي أثبت جدارته كمنخرط في الفرق المساعدة (Troupes auxiliaires) في جيوش الدول المجاورة وأولها جيش الفراعنة حيث أصبح الجيش المصري جيشا ليبيا وتسمى لأحد قادته أن يعتلي العرش الفرعوني وأن يؤسس الأسرة الثانية والعشرين ... وكذا في الجيش القرطاجي حيث كانت الفرق النوميديّة في جيش هانيبال من أبرز الفرق المحاربة ، وهذه الفعالية نجدها أيضا في الفرق النوميديّة التي جنّدتها الإمبراطورية الرومانية في وقت لاحق ... أورد المؤرخون القدامى إذن عديد الإشارات عن أولئك الجند الذين يحتلون مكانة هامّة خلال العهد النوميدي في جيوش وطنية أو في الجيش المصري أو القرطاجي أو الروماني كجنود في فرق مساعدة ، وإذا كان تتبّع مسار تطوّر استعمال السلاح واكتساب الخبرة الحربية لدى هؤلاء عبر القرون مسألة ليست سهلة فإننا نحاول من خلال الإشارات الواردة في المصادر الأدبية والتي تدعّمها الشواهد الأثرية أن نستخلص بعض الجوانب الهامّة عن التجهيز العسكري لدى المحارب في المغرب القديم .

1- الدروع : (1)

1- الدروع المستديرة :

كان الدرع عنصرا هاما في سلاح الجندي الأفريقي وقد أشار المؤرخون القدامى إلى هذا السلاح الدفاعي بأنه صغير ومستدير⁽¹⁾ وأن المحاربين من قبيلة الماكاي (Makae) التي كانت تسكن المنطقة الساحلية من قورين يغلفون دروعهم بجلد النعام أو جلد الفيل لأنه متين ومتمدد حسب أوروب⁽²⁾، وغير خاف أن الفيل كان لا يزال موجودا في أفريقيا إلى القرن الرابع في المقاطعات الموريتانية وكذا النعام في جبال الأطلس.

إن هذه الشواهد الأدبية تدعمها الاكتشافات الأثرية مثل نصب أبيزار الشهير الذي يعود إلى القرن الثاني ق.م. أو تمثال الطين المشوي (Terra-cuta) في كانوسا (Canosa) (يعود إلى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث) كما نجد هذا السلاح الدفاعي في النصب الليبية المكتشفة في برج القصر (سيفوس ولاية أم البواقي) وفي نصب ويلي (Volubilis) بالمغرب الأقصى وكذا في نصب هضبة الأير (Aïr) بالنيجر وفي أدرار الإيفوغاس (Adrar des Iforas) في مالي ، وكلها تُبرز محاربين يتقلدون دروعا صغيرة مستديرة ، ويبدو أن هذا النوع من الدروع كان منتشرا في عموم أفريقيا الشمالية القديمة إلى القرن

(1) - Strabon , XVII, 3, 7.

(2) - Orose, V, 15, 16-17.

الأول الميلادي كما يظهر في نصب جنائزي لجندي أفريقي في فرقة
مساعدة هو جيتول أوريليوس ماسفيلوس⁽¹⁾ (Gétule Aurelius
Masfelus) . (أنظر " أ، ب، ج " الشكل رقم 52 ص. 434).

لقد جلب الاحتلال الروماني معه نظاما عسكرية وتسليحا جديدا
إلى أفريقيا فقد جند الرومان منذ القرن الثاني الميلادي عددا هاما من
النوميد والمور ، وقد كانت فرق الفرسان النوميد جديرة بذلك التخليد
الذي احتفظ به عمود تراجان بروما حيث أن سلاح الخيالة النوميد في
تلك اللوحة شبيهه بسلاح فارس نصب أبيزار ما عدا الدرع فيبدو أكبر
بقليل .

تثبت عديد الشواهد الأثرية ومنها النصب الجنائزية على
الخصوص (مثل نصب لوريوس روغاتوس وروفينوس) (Lurius
Rogatus et Rufinus) وكذا نصب فارس توجه بأن هذا النوع من
السلاح الدفاعي استمر إلى القرن الثالث الميلادي .

يذكر المؤرخ أميان من القرن الرابع الميلادي بأن الفرسان المور
كانوا يدقون دروعهم على ركبهم قبل خوض المعركة لإثارة
خصومهم⁽²⁾ .

(1)- CIL, VIII, 21516 .

(2)- Ammien Marcellin, Livre XXIX, 5, 39.



أ- نصب أوريليوس ماسفيلوس Stèle d'Aurelius Masfelus



ب- نصب لوريوس روقاتوس Stèle de Lurius Rogatus



ج- فارس أبيزار Cavalier d'Abizar

الشكل رقم 52

تكمّن مهارة المحارب الأفريقي في سرعته وهو ما يفسّر استعماله
لأسلحة خفيفة عموماً وليس الدروع فقط ، وهو ما يمكنه من الاستدارة
بفرسه بخفة خلال المعركة ⁽¹⁾ ، وقد سجّل بروكوب في القرن السادس
الميلادي بأنّ المور كانت دروعهم صغيرة ⁽²⁾ فهل ينبغي بعد استعراض
كلّ هذه الشواهد الأدبية والأثرية الإقرار بأنّ دروع المحارب الأفريقي
كانت عبر القرون بهذا الشكل ولم يطرأ عليها تغيير أو تطوّر ، ولعلّ
تمسك الأفريقيين بالدروع الصغيرة كان حرصاً منهم على الاحتفاظ
بالخفة التي تتطلبها المعركة مع أنّ هذا لا ينفي استعمالهم لأسلحة
الشعوب المجاورة التي فرضت عليهم وقائع التاريخ الاحتكاك بها وعلى
الخصوص المصريين والرومان .

ب- الدروع البيضوية :

مع أنّ سترابون ذكر بأنّ جميع الليبيين كان لهم ذات السلاح ⁽³⁾
إلا أنّ اتساع البلاد وتنوّع البيئة لا بدّ وأن يواكبه تنوّع في السلاح
أيضاً وهذا ما تثبته الوثائق الأثرية التي تظهر فيها دروع بيضوية
(الدروع التي تظهر في نصب معبد الحفرة بقسنطينة وكذا نصب جرف
التربة بالقرب من بشار) .

(1) - Orose, V, 15-17 .

(2) - Procope, Guerre contre les Vandales, Livre II, 11-26.

(3) - Strabon, Livre XVII, 3, 7.

تظهر الدروع البيضوية في آثار الفترة الرومانية أيضا (فسيفساء الأسيرين التي تعود إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ، وكذا فسيفساء أسطورة أشيل التي تعود إلى القرن الرابع أو الخامس وقد عُثر عليها في تيبازة) تظهر في لوحة الأسيرين درع بيضوية عند قدمي الأسير ومنها نستخلص بأن اللوحة تمثل أسيرا أفريقيا ، ولعلها تريد أن تخلد قوة روما التي لا يمكن قهرها بذلك السلاح الأفريقي البسيط .

كان المحاربون الأفريقيون في الأساس فرسانا مهرة فكيف كانوا يستعملون دروعهم، أشار تيت ليف عرضا إلى أنهم يستعملون حمالات (Bandoulières) ويضيف بأن النوميد كانوا يحملون دروعهم على الظهر أما السيوف (Glaives) فيدسّونها تحت الفخذ وهذا الوصف يطابق نصب التيرا كوتا الذي أشرنا إليه حيث يظهر فارس جريح أصابه سهم في ملتصقا بحمالة سلاحه .

ج- مسك الدرع :

ليست كلّ الدروع مشبكة بسيور (Sangles) ولا تظهر في عمود تراجان أيّ منها والذي يظهر هو أنّ دروع النوميد لها مقبضان الأول في الوسط (احتمالاً من الجلد) والآخر في الطرف (من الجلد أو المعدن) وهذا للإمساك به جيّداً ، وفي هذه الحالة لا يحتاج الفارس إلى حمالة سلاح لأنّه يستطيع الإمساك بالدرع خلال الاشتباك أو جعله وراء ظهره خلال الانسحاب أو المسير من معسكر إلى آخر ، أي ليس

ملتصقا دائما بساعده ليثقلها إلا في اللحظة الحاسمة ، وأهم لوحة
فسيفسائية تظهر لنا درعا أفريقية هي لوحة مشهد صيد التي عُثِرَ
عليها في الموقع الأثري بالشلف (Castellum Tangitanum) وتعود
إلى القرن الرابع .

اعتبر جزيل الحربة سلاح البربر الوطني ⁽¹⁾ وتشير المصادر إلى
استعمال الليبيين : النوميد ، المور ، والجيتول ، الفرسان منهم والمشاة
لهذا السلاح في الصيد وفي الحرب ، وهو سلاح الهجوم الوحيد الذي
يمتلكونه ، وكانت مسافة الرمي بهذا السلاح تصل إلى الأربعين مترا
وكان الأفريقيون يرمونها بنفس البراعة التي اشتهر بها الفرس
والفرثيون (Parthes) ، وكان كل فارس يحمل معه ثلاثة حراب على
الأقل (صواري خشبية وأسنة معدنية حادة) كما ورد في هيرودوت ⁽²⁾ ،
أما سيليوس الإيطالي فذكر بأن الحربة الليبية تُصنع من القصب
(Roseau) ⁽³⁾ ، ولكن الرسوم الصخرية تدعم ما جاء في المصادر
الأدبية الأخرى بأن أسنة (Pointes) الرماح الليبية كانت معدنية وهي
مثلثة الشكل يتضح ذلك من النقوشات (Nervures) التي تظهر في
وسطها .

(1) - Gsell St., H.A. A. N., T. VI, pp. 49-50.

(2) - Hérodote, VIII, 71.

(3) - Silius Italicus, III, 304.

2- الحراب :

عُثِرَ على ثلاثة أسنة نحاسية في موقع إيوالن (Ewelen) في هضبة الأيبر النيجيرية في نصب يعود إلى العهد الإمبراطوري ويظهر في النصب محاربون يمسكون بحراب ذات أسنة عريضة ، وهو ما نجده أيضا في النصب الليبية في عموم أفريقيا الشمالية (في المجال الجغرافي الذي يمتدّ عليه المغرب القديم) مثل نصب السوامع (قبائل جرجرة) الذي يعود إلى الفترة ما بين القرن الثالث إلى القرن الرابع ق.م. فإلى هذا التاريخ كان الرمح أهمّ سلاح استعمله المور⁽¹⁾ . (أنظر الشكل رقم 53 ص. 439).

3- القوس :

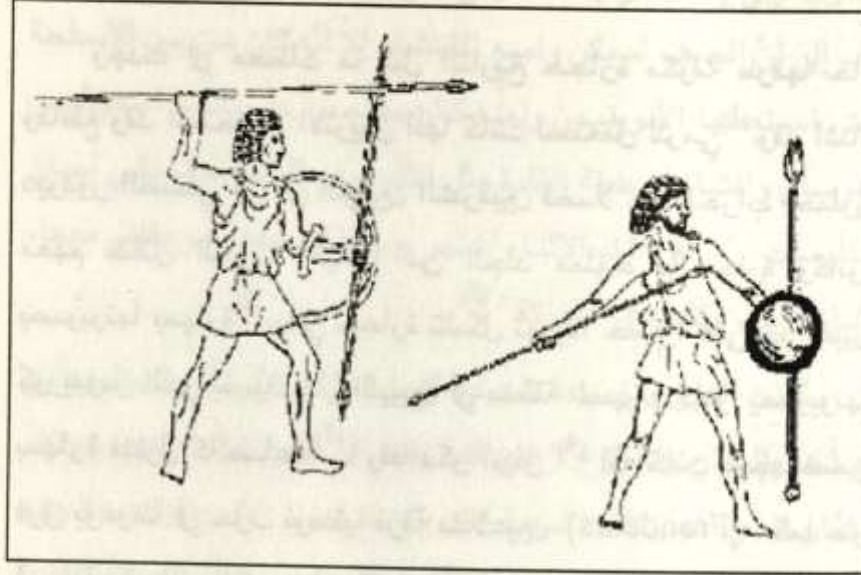
تتضمّن الرسوم الصخرية التي تعود إلى النيوليثي في الجنوب الوهراني صورا لسهام في موقع تيوت (Tyout)⁽²⁾ وإلى نهاية الألف الثانية كان الليبيون الشرقيون يستعملون القوس في حروبهم ضدّ المصريين⁽³⁾ كما ورد في المصادر الإغريقية استعمال الليبيين في المنطقة ما بين مصر والسيرت خلال القرن الخامس لهذا السلاح⁽⁴⁾.

(1) - Procope, Livre I, 8, 28. ; Livre II, 11-27.

(2) - Flamand, les pierres écrites, pp. 322-326, Pl. V et VII.

(3) - Bates, East. Liby. pp. 144-145.

(4) - Eschyle, fragm., 42.



محاربون مشاة أفريقيون (الرمحان والدرع مثبت في الساعد)

الشكل 53

وذكر أبيان في إشارتين إلى استعمال الليبيين الغربيين للقوس ،
 وذكر أنه كان في جيش هانيبال رماة من المور في معركة زاما وكذا
 وجود رماة في جيش يوغرطة خلال حرب نومنتيا ⁽¹⁾ ، وكان الفرسان
 النوميد عند الاشتباك مدعومين دائما من المشاة الذين يرشقون
 بحرابهم وسهامهم أفراس العدو ⁽²⁾ .

⁽¹⁾ Appian, livre 40.

⁽²⁾ عقون محمد العربي ، حملة يوليوس قيصر على أفريقيا ، رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة
 1996 ، ص ص. 185-186.

4- المقلع :

وجدت في محطات ما قبل التاريخ حجارة مكومة طرفها حاد وقاطع وقد استخلص الاثريون أنها كانت تستعمل للرمي⁽¹⁾، وقد أشار ديودور الصقلي إلى أن الليبيين الشرقيين فضلا عن الحراب يحملون معهم خلال الحرب أكياسا من الجلد مملوءة بالحجارة وكانوا يصوبونها بمهارة⁽²⁾، وهي حجارة تشكّل تهديدا خطيرا على حدّ تعبير كوريبوس الذي يضيف بأنّ الليبيين في منطقة السيرت كانوا يصوبونها بمهارة فتتزل كالصاعقة⁽³⁾، وقد ذكر أبيان⁽⁴⁾ أنّه كانت توجد ضمن فرق يوغرطة في حرب نومنتيا فرقة مقلعين (Frondeurs) ، كما عُثر في موقع قرطاج الأثري على أكوام من كريات التيرا كوتا التي كانت ولا ريب تستعمل لقذف العدو من أعلى أسوار المدينة⁽⁵⁾.

5- السيوف

تدلّ العديد من النصب على وجود السيوف ضمن أسلحة محاربي المغرب القديم ، ويثبت نصب عين خنقة (سيقوس) قدم هذا السلاح في المنطقة وفي هذا النصب المعروض في ساحة متحف سيرتا يظهر

(1)- Gsell S., H.A.A.N., T. I, pp. 180-187.

(2)- Diodore de Sicile, Livre III, 242-3.

(3)- Corripus, Johannides, VI, 665-6.

(4)- Appian , Iber, 89.

(5)- Gsell ST., H.A.A.N., T. II, p. 352

محارب ليبي يمسك في يمينه الرمح وفي يسراه السيف⁽¹⁾ وأشار تيت ليف إلى أن السيف لم يكن واسع الانتشار إلا أنه كان من بين الأسلحة التي استعملها الأفريقيون ولعلّه كان مقتصرًا على فرق النخبة من الفرسان والمشاة أو طبقة القادة مثل الملك يوغرطة كما جاء على لسان سالوست : "... في تلك الأثناء أشهر يوغرطة سيفه وهو يقطر بدماء مشاتنا الذين قتلهم في المعركة " (2).

كانت الفرق النوميدية المجنّدة كفرق مساعدة في الجيش الروماني مسلّحة بالرماح والدروع لا غير كما يظهر في عمود تراجان بروما ولعلّ الفنان الذي أنجز تلك اللوحة كان يقصد إبراز الأفريقيين بسلاحهم "الوطني" ، وقد أسار كلوديان من القرن السادس إلى أن المور إذا فقدوا رماحهم يصبحون كالمجرّد من سلاحه لأنّ الرمح هو سلاحهم الوحيد⁽³⁾ ، ويورد المؤرّخ أميان كذلك بأنّ المور إذا فقدوا الحراب والدروع (انظر الشكل رقم 54 ص. 443).

(1) هذا دليل لا يحتمل الشكّ على وجود السيف لدى قدماء أفريقيا الشمالية ، ويفقد طروحات اغزال الذي ملأ كتابه بمغالطات تصبّ كلها في سياق واحد هو نفي أيّ إبداع عن الشعب المغربي فكلّما تناول الحديث عن سلاح ما إلا وعمل المستحيل ليثبت بآله من صنع الرومان واليونان وحتى السلتيين الذين ينتمي إليهم الغاليون ...

(1) - Jug. Cl.

(2) - Bell. Gildon..., 435-6.

ليس لهم سلاح آخر يحتمون به من العدو ، والحال أن المصادر الإخبارية لا تتحدث عن وجود السيف ضمن سلاح القبائل البربرية إلا منذ القرن السادس⁽¹⁾ .

6- الخناجر :

إذا كانت المصادر الأثرية التي تعود إلى العهدة الإمبراطورية لا نجد فيها استعمال الأبيض ، فإن المصادر الإخبارية على العكس من ذلك جاءت محملة بمعلومات مكملة، فقد أشار سترابون إلى أن للمورسكّين⁽²⁾ ، كما أن تيت ليف ذكر بأن النوميدي في حربهم ضد الرومان كانوا يخفون تحت أسلحتهم سيوفا (Glaives) ولو أنه استعمل عبارة سيوف فإنه يقصد الخناجر لأن السيوف لا يمكن إخفاؤها .

(1)- Procope, Livre II, 10, 9.

(2)- Strabon, XIII, 3, 7.



محارب أفريقي (سترة قصيرة ، رمح وسيف مثبت في الحزام)

الشكل 54

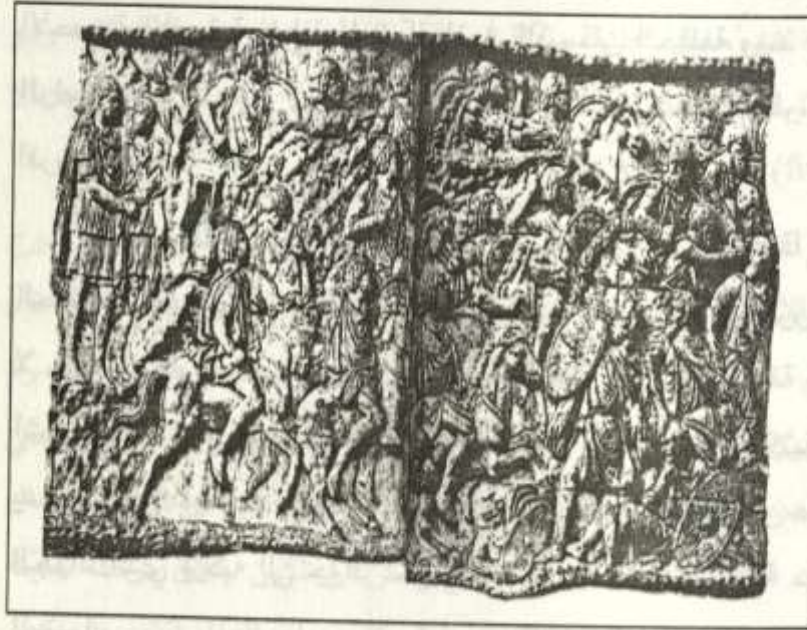
كان بعض المحاربين الغرامنت الذين يجعلهم المؤرخون ضمن الجيتول ، يحملون غمدين ولعلّ النقش الغائر (Bas-relief) المحفوظ في كنيسة الثالوث الأقدس في لاليبلا (Lalibela) وهو نقش يعود إلى العهد الفرعوني يوضّح ذلك ، إنّه شريط أحمر متقاطع على الصدر معلق في الرقبة وهو شبيه بالشريط الذي لا يزال التوارق يتزيّنون به ، وقد سجّل الشاعر كوريبوس من القرن السادس أنّ الليبيين كانوا يحملون خنجرا يعلقونه في سواعدهم .

7- الخيول :

كان الأفريقيون فرسانا مهرة ، ويحتلّ الحصان عندهم مكانة هامة ، ويستفاد من نصرّ الحرب اليوغرطية ⁽¹⁾ بأنّ الجواد الأفريقي عموما أصغر حجما ولكنه يمتاز بالخفة والاستجابة للترويض وخاصة تحمّله لظروف الحرب القاسية وحتى للظروف الطبيعية ⁽²⁾ والحال أنّ الحصان البربري ليس رشيقا ولكن تحمّله وتكيّفه مع الوضع الطبيعي وحتى البيئة الجبلية يجعله عمليا أكثر من غيره . (أنظر الشكل رقم 55 ص.445)

⁽¹⁾ - Jug. VI.

⁽²⁾ - Strabon, XII, 3, 7.



عمود تراجان بروما (لوحة تمثل الفرسان النوميدي)

الشكل 55

إنّ مزايا الفرس النوميدي هي التي جعلت الرومان يعتنون بتربيته للغرض العسكري على الخصوص ، وقد وجدت فسيفساء في سوسة موضوعها مربوط خيل مخصّص للخيل الأفريقية ، وقد ظلّ الأحصنة الأفريقية المطية المفضّلة لفرق الفرسان الخفيفة ومنذ القرن الرابع سيّدا الجمل في الظهور ليفرض نفسه إلى جانب الفرس في أفريقيا القديمة .

تنحدر سلالة الخيل المسماة حديثا بالبارب (Barbe) من الحصان الأفريقي القديم الذي ظلّ الأفريقيون يستعملونه في حروبهم و لا ريب أنّه كان عماد الجيش الذي فتح الأندلس في فترة لاحقة ، وقد أشارت النصوص القديمة إلى مهارة الفارس الأفريقي وأنّه كثيرا ما يستبدل جواده المنهك بجواد آخر خلال المعركة وذلك بالقفز من صهوة الجواد الذي يركبه إلى جواد آخر غير منهك ⁽¹⁾ على طريقة معلّمي السيرك .

8- الإسراج :

كان المحارب الأفريقي يركب فرسه دون سرج ودون لجام ⁽²⁾ ودون أعتة إذ يكفي توجيه الحصان وحثّه على السير والركض بعود أو قضيب صغير ويلعب ذلك العود دور الشكيمة أو اللجام ⁽³⁾ ولعلّ ذلك

(1)- Tite-Live, XXIII, 29, 5.

(2)- Bellum Africum, IIL.

(3)- Silius Italicus, I, 215-218.

كان في مراحل سابقة لأنَّ عمود تراجان يظهر لنا توجيه الفرسان
النوميد لأفراسهم بالأعنة (Rênes) ، كما نجد ذلك في لوحات الرسوم
الصخرية في تاسيلي (ناجير) (Tassili N'Ajjer) حيث تدو الأعنة
عبارة عن "حبال" جلدية مثبّطة في رأس الحصان دون لجام في فمه وهو
ما يشار إليه في النصوص اللاتينية بعبارة دون شكيمة (Sine
frenis).

كان الفرسان النوميد في البدايات إننّ يمتطون خيولهم دون سرج
أي بالاكْتفاء بفَرْش (Tapis) بسيط ، بحيث كانوا على استعداد تامّ
ودائم لدخول المعركة وكان أفراد قبيلة الماسيل يمتطون خيولهم حاسرة
ويكتفون في توجيهها أو كبجها بعود أو قضيب صغير ⁽¹⁾ إلاّ أنّه ينبغي
أخذ هذه الروايات بحذر لأنّ ركوب الخيل دون سرج أو دون استعمال
أدوات الحثّ على السير أو الكبج يمكن أن تكون خلال مرحلة معيّنة
وهي مرحلة مرّ بها تاريخ الفروسية في كلّ جهات العالم القديم ، ويكون
قدما المغرب في وقت لاحق قد استعملوا على غرار غيرهم من الشعوب
كلّ أدوات الإسراج من سروج ولجم وأعنة... الخ . (انظر الشكل رقم
56 ص. 448) .

⁽¹⁾ - Pharsale, IV, 677-60.



فارس نوميدي بتجهيزه العسكري الكامل حسب الآثار
المكتشفة في ضريح الصومعة (الخروب)

الشكل 56

9- اللباس:

أ- الخوذة:

نعتقد أنّ الخوذة (Casque) كانت ضمن التجهيز العسكري للفارس في الفرق النظامية، أمّا طبقة القادة والضباط فقد أثبتت الآثار على أنّ الخوذة كانت ضمن عدّتهم الحربية (خوذة ضريح الخروب)⁽¹⁾، وفي وصفه لطقس ديني يقام في جوار بحيرة تريتون (احتمالا شطّ الجريد) ذكر هيرودوت أنّ ذلك الطقس السنوي يتضمّن الطواف بفتاة في تمام عدّتها الحربية ومنها الخوذة⁽²⁾، واحتفظت العملة النوميديّة بدورها بصور الملكين سيفاكس وماسينيسا وهما يعتمران خوذة حديدية تحمي أعلى الرأس إلى الرقبة⁽³⁾، كما ذكر كوريوبوس بأنّ الخوذة كانت من ضمن التجهيز العسكري للمور⁽⁴⁾.

ب- السترة:

كان المحارب الأفريقي يرتدي سترة (Tunique) بسيطة تنزل على الجسم إلى الركبة وتلتصق بالجسم بواسطة حزام في الخصر وقد ذكر هيرودوت بأنّ الليبيين في عصره كانوا يرتدون جبّة (Robe) طويلة قد تكون أحياناً من الجلد وقد يضع الفارس على وجهه لثاماً للوقاية من

(1)- Gsell (S.), H.A.A.N., VI, p. 31.

(2)- Hérodote, IV, 180.

(3)- RSAC, XLIX, 1915, Pl. 4 et 6.

(4)- Corripus, Johannides, V, 112.

أشعة الشمس ومن الرياح الرملية ، أمّا الرسوم الصخرية المسماة كابلين (Caballine) فتُظهر لنا رجالا يرتدون تنانير (Jupes) والأصح "قنادر" أو سترات قصيرة لا تصل الركبة وهي شبيهة بالتبتيك (Tébetik) التي كان بعض سكّان الهقار يرتدونها إلى عهد قريب وهي من الجلد . (انظر الشكل رقم 57 ص. 451).

في وقت لاحق في الفترة الرومانية تظهر لنا لوحة الفرسان النوميد في عمود تراجان أنّ أولئك الفرسان يرتدون سترات قصيرة مشدودة على الجسم بواسطة حزام في الخصر ومشبك (إبزيم) على الكتف (كما نراه لدى بعض سكّان ليبيا الحالية) أمّا الزخارف والصور التي تزيّن لباس قدماء المغرب فمن الصعب معرفتها والاستنتاج الوحيد هو تعلق الأفريقيين في فنونهم بالأشكال الهندسية وكان اللونان الأحمر والأسود هما اللونان المفضلان لديهم (ولا يزال ذلك باديا في اللباس التقليدي للمرأة الشاوية ، والرجل التارقي في رقصة المبارزة) كما أنّ هيرودوت يذكر بأنّ الألبسة الجلدية التي يرتديها الليبيون كانت مصبوغة باللون الأحمر كما أنّ الفسيفساء المكتشفة حديثا (1970) في سطيف وهي تصوّر انتصار ديونيسوس ، تُظهر أسرى يرتدون معاطف حمراء وملاحهم شبيهة بملاح الأسيرين في لوحة بازيليك تيبازة .

(Cohors 1, Numidiarum) والفرقة الأولى (Numidiarum) (الفرقة الأولى)



أحد الغرامنت يرتدي سترة (رسم على الصخر من جهة الفران)

الشكل 57

ج- الأحذية :

تظهر بعض جداريات الفرسان النوميدي يمتطون خيولهم وهم حفاة ، وهي نفس الصورة التي رسم بها الفنّان الإغريقي الفرسان الإغريق ، ولعلّ النحّات في الحالتين يريد تضمين موضوعه دلالة فنيّة وهو بذلك يبتعد عن الواقع ، والحال أنّ مسألة اللباس تخضع للوضع الطبيعي والمناخي ولا ريب أنّ قسوة الحرب تتطلّب حماية القدم ، وهو ما تتضمنه لوحة فارس شمتو (Chimitu) الذي ينتعل جزمة على غرار الكاليفا الرومانية ، للاحتفاظ بصحة وحيوية الفارس المحارب .

لقد أثبت الأفريقيون جدارتهم وتميُّزهم في العمل العسكري من خلال الحيوية والصبر سواء في الجيوش الوطنية النظامية بقيادة الملوك المحاربين : ماسينيسا ، يوغرطة ويوبا الأول أو في الفرق المساعدة⁽¹⁾ التي عملوا بها في الجيوش كالجيش المصري والجيش الروماني ، وقد سجّل التاريخ استعانة الرومان عندما دان لهم حوض البحر المتوسط بفرق أفريقية وجعلوها في عداد جيوشهم فكان لها أداء مهني عال مثل الرقة الجيتولية (Cohors Gaetulorum) والفرقة الموسولامية (Cohors I, flavia musulamorum Equitata) والفرقة النوميديّة (

(1) لا تعتبر الفرق الأفريقية في الجيش القرطاجي أو الجيش المصري فرقا ماجورة أو مرتزقة ونرى بأنّ ذلك كان وصفا روجت له المصادر الإغريقية والرومانية لأغراض الدعاية العسكرية والأجدر أن يقال الفرق المساعدة بدا الجند الماجور أو المرتزقة لأنّ الجيوش النظامية في العالم القديم كان في عدادها فرق أجنبية مساعدة وهو اسمها الرسمي الذي يحدّد هويتها المهنية والعسكرية .

(Ala Afrorum) والفرقة الأفريقية Cohors I, Numidiarum) (Veterana وإذا كان الأجدد بالأفريقي هو أن يتخذ العمل العسكري أداة لتحريره من عبودية الاستعمار كما فعل يوغرطة ويوبا الأول فإنّ للتاريخ أحكامه على كلّ الشعوب ومع ذلك كان البعض من الأفريقيين يتخذ من العمل العسكري في الجيش النظامي الروماني فرصة للتدريب واكتساب الخبرة ثم يختار فيما بعد الانسحاب لمقاومة الاحتلال وفي هذا السياق يعتبر تاكفاريناس أفضل مثال .

الاحتلال الوندالي

1- الظروف العامة قبل الاحتلال الوندالي

كان يتوجب على إفريقيا الرومانية تحت الاحتلال الوندالي أي
رما من القرن الخامس **الفصل الثالث** حكومة مستقلة عن

الامبراطورية الرومانية هذا إذا قلنا أنه حتى مع سلطة الامبراطور
الاحتلال الوندالي **الاحتلال الوندالي** التي كانت السيطرة بين القرن ثم والتي لم يتمكن

1. الظروف العامة قبل الاحتلال الوندالي إعادة التمتع ضمن
2. الغزو الوندالي هل ورد هذا إلى قوة الوندال ؟ هل وجد
3. خطط سير الوندال تحت عبثه فكرة الاستقلال السياسي
4. أشكال المقاومة

لم يكن في نية الوندال وهذا من دون شك سوى استخلاص أكبر
قدو ممكن من الضرائب والرسوم من مكان النقطة غير أنه لم يكن
يتمكنهم فعل ذلك لأسباب عدة تكون في : إما عدم معرفتهم لنسب
تتبع هذه الغاية أو لتفهم رسائلهم على الأقل في بداية الاحتلال أو
لضعف التمييز الكسب والثروة والتي مريض ذلك لتفهم القدرة في
هذا الميدان أي جمع الضرائب والرسوم... إلخ. وعندها فهم على

- الاحتلال الوندالي:

1- الظروف العامة قبل الاحتلال الوندالي:

كان يتوجب على إفريقيا الرومانية تحت الاحتلال الوندالي أي بدءا من القرن الخامس ميلادي أن تكون حكومة مستقلة عن الإمبراطورية الرومانية هذا إذا علمنا أنه حتى مع عملية الاسترداد التي قامت بها الإمبراطورية البيزنطية إبان القرن 6م والتي لم يتمكن البيزنطيون خلالها أن يعطوا شمال إفريقيا مظهر إعادة الدمج ضمن الإمبراطورية، وهنا نسأل: هل مرد هذا إلى قوة الوندال ؟ هل وجد الوندال في هذا البلد مناخا نضجت ضمنه فكرة الاستقلال السياسي عن الإمبراطورية ؟⁽¹⁾

لم يكن في نية الوندال وهذا من دون شك سوى استخلاص أكبر قدر ممكن من الضرائب والرسوم من سكان المنطقة، غير أنه لم يكن بإمكانهم فعل ذلك لأسباب عدة، تكمن في : إما عدم معرفتهم لسبل تحقيق هذه الغاية، أو لنقص وسائلهم على الأقل في بداية الاحتلال أو لطبعهم المتميز بالكسل والتردد والذي مرده كذلك لنقص الخبرة في هذا الميدان أي جمع الضرائب والرسوم، إلخ. وعدم قدرتهم على

(1) - Rachet M., Rome et les Berbers, revue d'études latines, centre national de la recherche scientifique, Bruxelles 1970, P11.

استصاغة قوانين الإمبراطورية الرومانية.⁽¹⁾ ومن خلال هذا نفهم أن إفريقيا لم تكن تمثل بالنسبة للوندال أكثر مما كانت تعنيه بالنسبة للرومان فلقد كان دورها، ضمن العالم الروماني هو توفير كميات هائلة من القمح كانت روما والعالم الإيطالي ككل في حاجة إليه، ولم يكن تنظيم الأسطول البحري سوى لغرض توزيع هذا المنتج وبأسعار جد منخفضة على شعب روما.⁽²⁾

إن هذه السياسة الرومانية تجاه المنطقة ولدت حالة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية لا يمكن نعتها سوى بالمرزية، وخاصة بداية القرن الخامس ميلادي حيث عرفت المنطقة انحطاطا كليا خاصة الاقتصادي والاجتماعي.

وقد شملت هذه الوضعية كل المقاطعات الجانحة تحت السيطرة الرومانية حيث شُلَّتْ كل الحريات بفعل التنظيمات والطبقات والتي أصبح الانضمام إليها إجباريا ومفروضا، حيث يتوجب على كل فرد أن يكون منتما بالوراثة إلى إحدى الطبقات أو التنظيمات النقابية، ومن لم يكن كذلك يتم حرمانه من الحصول على حقوقه المدنية أو الانخراط في

⁽¹⁾ - Gauthier E.F., Genséric Roi des Vandales, Payot, Paris, France, P147.

⁽²⁾ - Rachet M., op .cit , P15.

الجيش الروماني، وكذا إمكانية التخلص من الأعباء الضريبية الثقيلة.⁽¹⁾

إن الاحتلال والتنظيم العسكري لإفريقيا كان مستندا أساسا على فكرة رفع مستوى مصادر القمح والزيت والذي كما ذكرنا سابقا موجه لإطعام إيطاليا، الأمر الذي أدى إلى استغلال الأراضي إلى أقصى حد ممكن، وبناءا عليه نستنتج أن إفريقيا في العهد الروماني كانت ضحية خصوبة أراضيها، مكرهة على نظام اقتصادي موجه أساسا لإشباع حاجة المحتل.⁽²⁾

ولم يسلم من هذه السياسة المطبقة السكان الأمازيغيين indigenes أو البربر أو كما كان يطلق عليهم الرومان والبيزنطيون من بعدهم الموريون Maurusiens هذه الفئة التي اختارت اللجوء إلى المغاور والجبال كانت في معظمها مقصاة من أي تنظيم مدني.⁽³⁾

أغلبية هذه الفئة واصلت حياة الرعي، عداؤها مطلق لكل مظاهر الحضارة، وإذا ما قارنا بين نوعية حياتها وحياة المواطنين الرومان فإننا ندرك أن حياتهم كانت أكثر قساوة، وغلظة من تلك التي يتمتع بها غيرهم من مواطني الإمبراطورية الرومانية، نقصد بهم هنا الذين

(1) - Schmidt C., Histoire Des Vandales, Traduit Par Hedel Medico Payot, Paris, 1953, P66.

(2) - Rachet M., op.cit , P16-20.

(3) - Schmidt C., Op.Cit, P66.

يعيشون في المدن، فقد كانت مساكنهم عبارة عن أكواخ مزرية ينامون مفترشين الأرض أما مآكلهم فقد تمثل إذا ما استثنى اللحم والحليب، في خبز الجريش - الخرطال - أو الشعير يطهى في الرماد الساخن، أما عن الخبز العادي والخمر فكانا بالنسبة لهم متاع غير معروف.⁽¹⁾

باعتراف الباحثين فإن التاريخ الوندالي كان مجهولا وذلك حتى بداية القرن التاسع عشر ولا يزال في معظمه كذلك حتى أيامنا الحالية خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الوندالي في شمال إفريقيا حيث نجد هذه الفترة ذات جاذبية خاصة وهذا ما يذهب إليه "ف. قوتيي" (E.F. Gauthier) في كتابه "genseric Roi des Vendrales" إلى كون سبب هذا الانجذاب في غموض الفترة لعدم الاهتمام بها ودراستها.

فبعد الغزو الفرنسي للجزائر وبطلب من وزير الحرب (الدفاع) قامت الجمعية الملكية " L'académie royale des inscriptions et belles lettres" سنة 1936 بإدراج دراسة الفترة الوندالية في شمال أفريقيا.

وكان هذا بمثابة نقطة انطلاق أعمال معمقة. نذكر منها أعمال بابان كورد Cordt Papen - إمانويل ميلور Miller Emmanuel.

⁽¹⁾ - Schmidt C., Op.Cit, P67.

لويس ماركوس Louis Marcus، وبالرغم من هذه الدراسات تبقى جملة من النقاط غامضة⁽¹⁾.

رغم أن تاريخ الاحتلال الوندالي لأفريقيا الشمالية بالنسبة إلينا واضح المعالم في خطوطه العريضة : فإن بقايا وأعمال هذا المحتل تكاد تنعدم، رغم غنى مخازن وواجهات المتاحف بالشواهد الدالة على التاريخ القديم للمنطقة حيث أن هذه الخزائن لا تقدم لنا الشيء الكثير عن هذه الفترة⁽²⁾.

2- الغزو الوندالي :

بعد الارتباك في مجلس روما والذي ولده وفاة الإمبراطور هونوريوس Honorius وكان ذلك بتاريخ 15 أوت 423م، وكانت هذه فرصة سمحت للوندال بتوسيع دائرة تواجدهم، إضافة إلى أنهم أسياة إسبانيا بدؤوا بارتياح سواحل موريطانيا ونزلوا بجزر الباليار كما اجتاحت جزيرة كورسيكا⁽³⁾. زيادة على هذا الخلاف القائم بين الحاكم

(1) - Troussel M., Grandeur et décadence d'un peuple (Les Vandales) dans un recueil de notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, Volume LXVI, 1949, Atlali imprimeurs, Alger, P.22.

(2) - Troussel M., Les monnaies vandales d'Afrique, découverte de Bou-lilate et du département de Constantine dans recueil des notices et mémoires de la société archéologique , volume LXVII, 1950-1961, Attali imprimeur, Hamma, Constantine, Alger, P.149.

(3) - Troussel M., Grandeur et décadence d'un peuple (Les Vandales P25.

العسكري لإفريقيا Boniface والسلطة المركزية بروما، وتورد بعض الروايات التاريخية أن بونيفاس Boniface كان خائناً، غير أن الروايات الأكثر تفصيلاً تقول عكس ذلك، فبعضها يروي أن قادة الجيش الأكثر أهمية في الإمبراطورية الرومانية هما أيتيوس Aetius وبونيفاس Boniface وكان كل منهما يكره الآخر، ومما زاد حقد أيتيوس على بونيفاس هو تعيين هذا الأخير من طرف الإمبراطورة بلاسيدا Placidia على رأس أفريقيا، وبعد رحيله سعى أيتيوس لدى الإمبراطورية ليثبت لها أن بونيفاس كان ينوي الإستقلال بأفريقيا والدليل على ذلك هو عدم تلبية لاستدعائها وفي نفس الوقت أرسل لبونيفاس رسالة يخبره فيها بعدم الحضور إلى روما، لأن الإمبراطورة تتهدده.

فبالإضافة إلى عدم تلبية الإستدعاء عقد بونيفاس وملكى الوندال قوندوريك Gonderic وجنسريق genseric تحالفا يتعهد لكل منهما بالسيطرة على جزء من أفريقيا وحسب الرواية فإن بونيفاس سلك هذا السلوك حفاظاً على حياته⁽¹⁾.

شيء واحد مؤكد هو نتائج كل هذا : ثوران Boniface، وعقلية البربر الإستقلالية عن الإمبراطورية الرومانية، واحتمال مقاومة ضعيفة من طرف الهيئات في البلد، كل هذا وذاك خلق جو المغامرة التي قام بها

⁽¹⁾ - Schmidt C., Histoire des vandales, pp 70-71.

جنسرين Genseric وهذا بعد أن خلف Gondric الذي توفي عام 428م⁽¹⁾، ففي ماي 429م حط الوندال رحالهم بصحبة نسايتهم وأطفالهم، وكل ما يملكون، وبقيادة ملكهم Genseric راحوا كما يصف بيار جالاباره " Pierre jalabert " يدمرون بعنف مثل أسراب الجراد التي تحملها رياح السيروكو من أعماق الصحراء، علموا مناطق مرورهم بصور مقيتة تمثلت في الدمار الذي أحدثوه في الواحات والحقول وكل المزروعات الأخرى، زيادة على السلب وحرق الكنائس والبيوت ومدن بحالها وتعذيب رجال الدين والذبح الجماعي للمسنيين والنساء والأطفال.⁽²⁾

كما أعطى جنسريق Genseric جنوده أحسن الملكيات الزراعية كمكافأة لهم مما أنتج عنه فرار مالكي هذه الأراضي وخيار العيش في فقر.⁽⁴⁾

نقل لنا بوسيديوس Possidius وهو شاهد عيان عن مدن محاصرة، وأخرى أخضعت وأجواء نتنة نتيجة انفجار الأوبئة القاتلة جراء العدد الكبير من الجثث والذي يستحيل دفنهم، ويقول

(1) - Troussel M., Grandeur et Décadence d'un peuple (Les Vandale), A travers l'Europe, PP 25-26.

(2) - Jalabert P., Histoire de l'Afrique du nord , société privée d'imprimerie et , d'édition , paris, 1945, p6.

(3) يوسف عيش : المور والبيزنطيون خلال القرن 6 ميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة، 1995، ص 25.

Possidius " أن أولئك الذين لجأوا إلى الحصون أجبروا على الإستسلام ثم القتل "، وآخرون حسب نفس الشاهد، "هربوا إلى الجبال والغابات والكهوف والمغارات"، وهناك حيث كانوا محرومون من كل وسيلة يحافضون بها على بقائهم، فكانت نهايتهم الموت جوعاً".⁽¹⁾

وهكذا نزل الوندال بشمال أفريقيا زارعين الخراب والموت عبر مسارهم، تاركين وراءهم حماما من الدماء، وجهتهم الأقاليم الرومانية خاصة الشرقية مستغلين بذلك خيانة الحاكم بونيفاس Boniface.⁽²⁾

وراحت المدن تسقط الواحدة تلو الأخرى تحت ثقل الهجمات الشيطانية ما عدا مدينتي قسنطينة الجد محصنة بصخرتها، وعنابة Hippone.⁽³⁾ وكانت عنابة مدينة غنية أسالت لعاب الوندال الذين شدوا رحالهم بأتجاهها، وكانت يقظة بونيفاس Boniface متأخرة حيث أدرك حجم الخطر فأسرع بتنظيم مقاومة بمساعدة Aspar، وظن الوندال أنهم سيدخلون المدينة دون معاناة، ولكن فجأتهم كانت عندما رأوا أن كل أسوار وحصون المدينة معززة بالمدافع.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ - Gauthier E.F., Genseric : Roi des vandales , Payot , Paris , 1935, pp.175-176.

⁽²⁾ Bouyoc R., Histoire de Bonne, Imprimerie du courrier de Bonne, 1891 , p18

⁽³⁾ - Jalabert P., Histoire de l'Afrique du nord, SPIE , p82

⁽⁴⁾ - Bouyoc R., op. cit , P. 18.

الأمر الذي أغضب الوندال فحاصروا المدينة لمدة تزيد عن 14 شهرا⁽¹⁾ وقاموا بقطع الطريق البحري لعزلها تماما ومنع المؤونة عنها، ووصلت وحشيتهم إلى غاية تكديس الجثث منها الحيوانية والإنسانية بالأودية التي تجري عبر أطراف المدينة لنقل الموت عن طريق الهواء الفاسد، وهكذا كانت نهاية مدينة عنابة التي تركها أهلها، تاركين من ورائهم الغزاة الذين انتقموا وبوحشية محولين كل شيء إلى رماد ما عدا الكنيسة.⁽²⁾

وهكذا نرى أن الوندال ومنذ أن نزلوا بأفريقيا وهم ينشرون الخراب أينما حلوا بالحديد والنار، المتمثلة في السرقة، والمجازر ومحو مدن بأكملها، مسممين الآبار ومحطمين كل المنتوجات والأشجار المثمرة وكانت مسيرتهم دون عوائق حتى عبروا وادي لمساقة l'amsaga (الريمال والوادي الكبير حاليا)، وبعد احتلال عنابة لم تبق لهم سوى مدينة قرطاجة والتي تم غزوها من طرف Genseric بتاريخ 19 أكتوبر 439 م.⁽³⁾ (أنظر الشكل رقم 58 ص. 467).

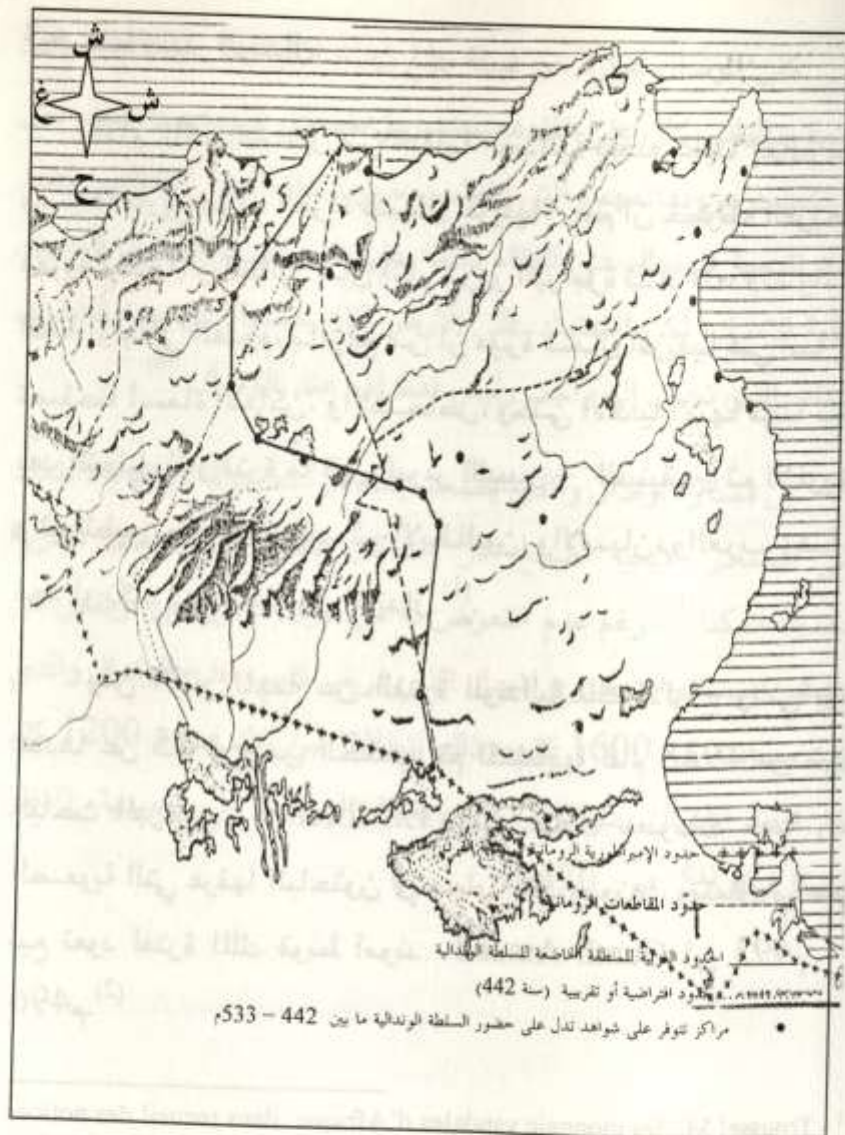
(1) - Jalabert P., op. cit , P. 82.

(2) - Bouyoc R., op. cit , P. 19.

(3) - Troussel M., Les vandales (le royaume d'Afrique), dans recueil des notice et mémoires de la société a rhéologique du département de Constantine, Volume LXVI , 1948, attali imprimeurs Constantine , PP. 26-27.

هنا نتوقف عند سؤال مهم تبدو الإجابة عنه صعبة ألا وهو، ماذا يريد الوندال من شمال إفريقيا؟، وهو نفس السؤال الذي طرحه E.F. GAUTHIER في كتابه *Genseric Roi Des Vandales* ويجب نفس المؤلف استنادا إلى ما قاله لدويك سميت ludwig schmidt كل الجهود الجرمانية، كانت موجهة تجاه هدف واحد، وهو الحصول على تواجد غير مقيد بأي عمل عدا مهنة الأسلحة وهي المهنة الوحيدة التي تهم الوندال.⁽¹⁾

⁽¹⁾ - Gauthier E.F., *genseric roi des vandales* , P.146.



خريطة توضح جغرافية الوندال

الشكل رقم 58

3- خط سير الوندال:

أمام الكم الضئيل من البقايا الوندالية يتعذر علينا إعادة بناء وصياغة تاريخ هؤلاء الغزاة بشمال أفريقيا، رغم أن خطوطه العريضة معروفة لدينا، وبالتالي فإن آثار مرور البرابرة تكاد تنعدم، سواء في اللغة أو باقي العلوم، بالرغم من أن ميزة شمال أفريقيا هي أننا إذا تصفحنا أسماء الأماكن، والأشخاص، وحتى الأشياء منها فإننا نجد بعد التحليل آثار فترة ما قبل البربر الليبيين - الفينيقيين ثم الإغريق، والبيزنطيون وكذا الأتراك، ثم الإيطاليون، والإسبان، والعرب، وهنا لا نجد أو نكاد نجد شيئا عن الوندال⁽¹⁾.

ومن الآثار المهمة عن الفترة الوندالية تلك الألواح والتي يزيد عددها عن 45 لوح من الخشب، تم اكتشافها عام 1928 من طرف الباحث ألبرتيني E. Albertini والتي قدمت معلومات مهمة رغم الصعوبة التي عرفها الباحثون في محاولة لفك رموزها، وتتمثل في عقود بيع تعود لفترة الملك قونط أموند Gunth Amund أي 493م - 496م.⁽²⁾

(1) - Troussel M., les monnaie vandales d'Afrique dans recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département se Constantine, volume LXVI 1950 - 1951 ? Attali imprimeurs Constantine, Alger, PP 149-150.

(2) - Troussel M., les vandales le royaume d'Afrique dans recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine, volume LXVI 1948, P 27.

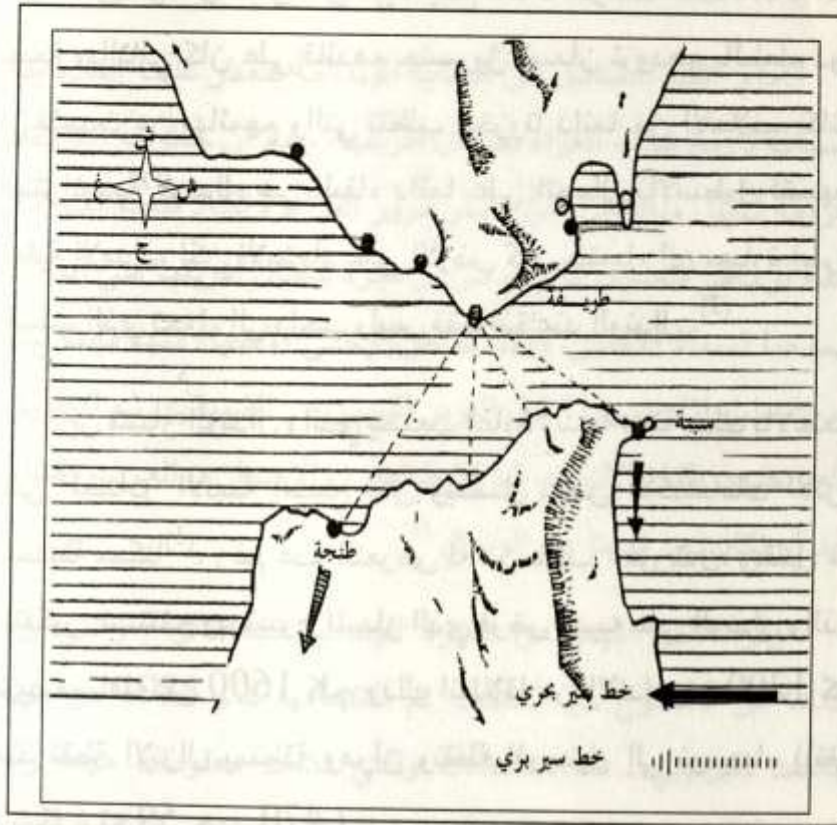
كان الوندال عبارة عن قبيلة يبلغ تعداد أفرادها 80.000 ألف نسمة وبالتالي كان على قائدهم جنسريق ضمان تزودهم بالطعام دون أن نتحدث عن بهائمهم والتي تتطلب مخزونا دائما من الأعلاف، كانت استراتيجية الوندال هي البقاء دائما على اتصال بالأسطول لتسهيل عملية الإمداد، لكن الاعتماد على الأرض كان حتميا، أي بعبارة أخرى السلب الذي تحول إلى واجب وليس فقط لذة عند الوندال.⁽³⁾

إن مسار الوندال والذي يصعب إعادة رسمه بدقة وذلك بالاعتماد على المصادر الأدبية أصبح الآن وبفضل بعض الاكتشافات الأثرية الحديثة ممكنا⁽¹⁾، رغم عدم التعرض له من طرف المؤرخين، ويقليل من التفكير نستنتج وبوضوح المسار الذي فرض نفسه على الوندال والذي تزيد مسافته عن 1600 كلم، وذلك انطلاقا من الأندلس و 1200 كلم منذ نقطة الإنزال بمنطقة وهران ونقطة الوصول إلى نوميديا، (أنظر الشكل رقم 59 ص. 470).

القبيلة (الوندال) في القرن الخامس
92 مقياس

(1) - Gauthier E.F., Genseric ..., P.174.

(2) - Shmidt, histoire des vandales, p76.

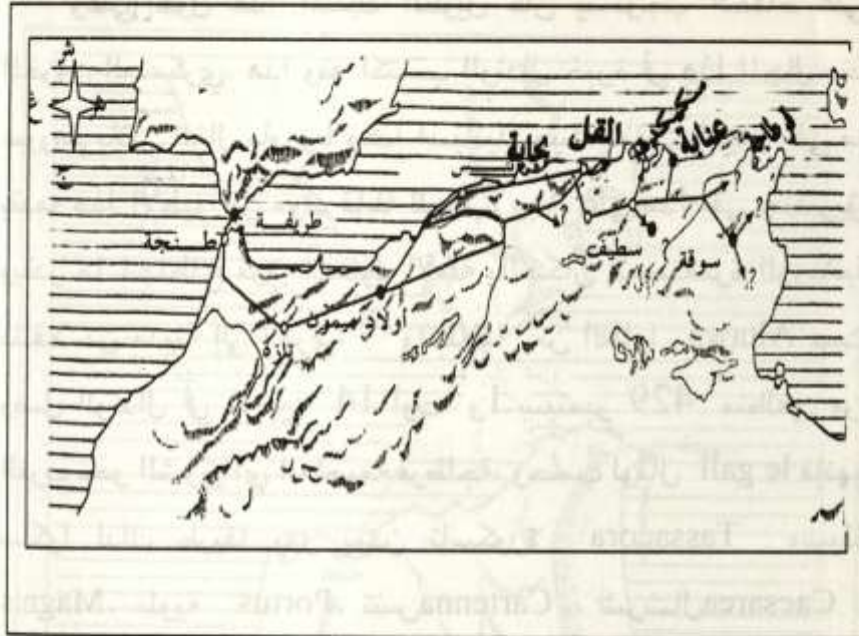


خريطة توضح خط سير الوندال باتجاه شمال إفريقيا
الشكل رقم 59

وعلى طول هذا المسلك الطويل كان يستوجب الحفاظ على
المخزون العسكري. هذا وقد اكتسب الوندال خبرة في هذا المجال منذ
عبورهم بلاد الغال بأوروبا وكذا اسبانيا، حيث يتوقف العيش على ما
يقدمه هذا الأخير من مواد قابلة للسلب، وبناء على هذا بقي جنسريق
ويقدر ما استطاع فوق الحدود الأهلة بالسكان للمستعمرة الرومانية
متنقلا من مدينة إلى أخرى،⁽²⁾ وانطلاقا من ألتاوا Altawa حيث
وصل الوندال في ما بين 14 أوت و1 سبتمبر 429 منطلقين من
الغرب نحو الشرق أي العاصمة قرطاجة، وحسب لوقال le gall فإنهم
سلكوا لذلك طريقا يمر بمدن تاسكورة Tassacora وسيقا
Magnis، ملوية Portus، تنس Cartenna، شرشال Caesarea،
الجزائر Icosium، سور الغزلان Auzia Veneria، سطيف stifis،
قسنطينة Cirta، قالمة Calama، سوق أهراس Thagaste، ثم الكاف
sicca و حمام الزواكرة Thuborbo Majus⁽³⁾ (أنظر الشكل رقم
60 ص. 472).

(1) - Gauthier E.F., Genesic, P 174.

(2) - Schmidt, op.cit, P 78.



خريطة توضح خط سير الوندال باتجاه شمال إفريقيا

الشكل رقم : 60

3- أشكال المقاومة:

كان سكان المغرب مسلحون دون استثناء وكان هذا بمثابة واجب عسكري يضمن لهم حياة يومية، لقد كانت مقاومة الأهالي للوندال ذات وجهين: الأول يتمثل في البقاء على ما كانوا عليه من عادات وتقاليده دون التأثير بالغزاة، وفي كل هذا يقول ألبير تيني "Albertini" " العلامة الوحيدة التي تدل على الوجود الوندالي في أفريقيا هو اسم الملك، حيث أن السكان المترومنون والذين كانوا يمثلون الأغلبية وصلوا حياتهم بنفس الأسلوب السابق، لما قبل الغزو⁽¹⁾.

أمام هذا لم يكن للوندال دوافع في بدايتهم الحربية. وفي هذا الشأن يقول بروكوب أنه " من الأمم التي أعرفها فإن أمة الوندال هي الأكثر تخنثا، فمن يوم أن احتلوا أفريقيا تعودوا على الكماليات اليومية وزودوا موائدهم من كل ما تعطي الأرض والبحر من الذ الأشياء وملأوا أنفسهم بمجوهرات الذهب وملابس الحرير، وجعلوا شهواتهم في المسرح... إلخ"⁽²⁾

⁽¹⁾Gauthier E.F., op.cit, P.286

⁽²⁾ محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص. 250.

لقد كانت مصلحة الوندال تقتضي الاعتراف بسيادة المور على بعض المناطق وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر المسيحية⁽¹⁾

كما وجد البربر في الوندال أنصارا لهم على الكاثوليكين، حتى وإن لم يكن الإثنان على وفاق تام، ولم يكن البربر راضخين تمام الرضوخ لسلطة الوندال واستمروا معتصمين بالجبال تأييدا لاستقلالهم وبالتالي لم تكن سلطة الوندال على البلاد سوى سطحية⁽²⁾

هذا ربما يؤيد بقوة عدم ذوبان السكان ضمن الغزاة حيث نلاحظ استمرار الحياة دون الخضوع للقوة من طرف الوندال. تلك القوة التي تفادى الوندال تطبيقها خاصة على الفلاحين أساس كل استقرار اقتصادي، هذا على الأقل في عهد الملك جنسريق⁽³⁾.

وما ميز كذلك هذه الفترة وفي هذا الظرف بالتحديد هو ظهور عدد من الإمارات لا يستهان بقوتها واستقرارها وهذا ما جعل قادتها لا يترددون في نعت أنفسهم بالملك (REX) وأحيانا أخرى (أنبراطور) هذه الممالك التي أصبح لها امتدادها وحدودها الإقليمية على طول خط

(1) يوسف عيش، المرجع نفسه، ص. 300.

(2) أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

ص. 127.

(3) Gauthier E. F., op. cit, P. 287

الليمس أولها هي المملكة الوهرانية⁽¹⁾، حيث عرفت بفضل نقش التافا (أولاد ميمون) وكانت تحت حكم شخص اسمه مارون وكذا مملكة الونشريس إلى غير ذلك من الممالك المورية⁽²⁾. وأشارت بعض المصادر المسيحية إلى وجود علاقة ما بين ملوك الوندال والأمراء المور وغالبا ما يستخلص من المصادر التي أشارت إلى الوندال وجود تحالفات بين المور والوندال⁽³⁾. هذا ما يدل على أن الطرفان عاشا منفصلين بعضهم عن بعض دون أن يفضي هذا إلى إنشاء ممالك تحت السلطة الوندالية والتي أصبحت فيما بعد تعبيرا عن التمرد على السلطة الوندالية وهي مملكة النهضة البربرية، ولم تكن الوحيدة بل لوحظ نفس الشيء في جبال تالا والظهرة، وإيدوغ إن لم نقل هناك مقاومة عامة ضد الوندال⁽⁴⁾. مما يؤكد بأن هؤلاء كانوا يتقاسمون النفوذ مع عدد من الأمراء الذين أصبحوا بدورهم يسعون لتوسيع سلطانهم على أقاليم أوسع.

⁽¹⁾ - Courtois C., les vandales et l'Afrique, arts et métiers graphiques, Paris, France, 1955, P.P.332-334.

⁽²⁾ Camps (G), berneres au maghreb de l'histoire, ed des Esperitdes, Toulouse, 1980, P.190.

⁽³⁾ Ibid, P.196

⁽⁴⁾ Camps (G), Les Berberes, mémoires et identité, ed des esperides, 1980, P.30.

ويبدو أن هذه الإمارات قد فرضت وجودها منذ بداية الاحتلال
الوندالي مما جعلها تشكل المواجهة والمقاومة الحقيقية لذلك الاحتلال.

وفي الواقع ساهمت مجموعة من العوامل في تبلور الظاهرة التي
يسمونها البعض بالنهضة⁽¹⁾ والبعض الآخر يسمونها باليقظة البربرية،
أهم هذه العوامل :

الفوضى وتدهور الأحوال بالمقاطعات الرومانية القديمة، وإجبارية
تخلي الوندال على جزء من الأقاليم، وقد توجت هذه الثورات المورية
المتتالية والتوسع الإقليمي لها أثناء الاحتلال الوندالي ثم البيزنطي
بتشكيل ممالك مورية مستقلة ظلت قائمة إلى غاية الفتح الإسلامي⁽²⁾.
أكثر هذه القبائل إزعاجا هي تلك المتواجدة على تخوم طرابلس كما
يقول بروكوب وهي تحت إمرة شخص اسمه كاباون "Cabaon" كما
وصف لنا أحداث المعركة وبدقة حيث يقول أن المور الخاضعين لكاباون
Cabaon كانوا ينتظرون العدو بتشكيل دائرة كان حصنها ليس أرضا
ولكن من الجمال في خط دائري مستمر يزيد عدده عن 12 جملا داخل
الدائرة توجد النساء والأطفال والشيوخ زيادة على كل ما يملكون، مع
تخفي الجنود بين أقدام الجمال، وبهذه الطريقة لم يترك قائدهم لهم
فرصة الهروب في وجه العدو فهو القتال حتى الموت دون السماح للعدو

(1) محفوظ قداش: المرجع السابق، ص. 250.

(2) يوسف عيش: المرجع السابق، ص. 39.

بلوغ كل ما هو عزيز عليهم⁽¹⁾ أي هو نوع من الحرب الانتحارية. وما إن يقبل الوندال بخيولهم حتى يتحول هجومهم إلى فوضى كبيرة نتيجة الهلع والاضطراب الذي تثار في وسط الخيول الوندالية، هذا فضلا تفوق رجال كاباون برماحهم فكانت هزيمة الوندال ساحقة⁽²⁾، وتنقل المصادر أن الوندال لا يجيدون القتال مشاة، فهم فرسان مسلحون بالرمح والسيوف، خطتهم في الحرب تقوم على أساس المداخلة غير أنها فشلت أمام سور من الجبال وبالتالي كان الرجال المختبئون ينتهزون فرصة فرار الوندال لإمطارهم بالسهام. وهكذا تمكن المور من هزيمة الوندال⁽³⁾. ولم يذكر بروكوب مكان وزمان هذه المعركة⁽⁴⁾، وبالتالي يرى Gauthier أن هذه الخطة أو التكتيك في القتال استمر إلى غاية التاريخ الحديث أي العهد الفرنسي (ثورة التوارق) مع تغيير في الأسلحة، وأن هذا التكتيك في القتال هو السبب الرئيسي في هزيمة الوندال عسكريا وإضعاف شوكتهم⁽⁵⁾.

ونستنتج أن التواجد الوندالي في شمال أفريقيا رغم أنه امتد قرنا من الزمن، إلا أنه لم يتمكن من إبادة سكان المنطقة ضمن ثقافته، إذ لم تكن للوندال ثقافة غير العنف فعدم تقبلهم من طرف السكان

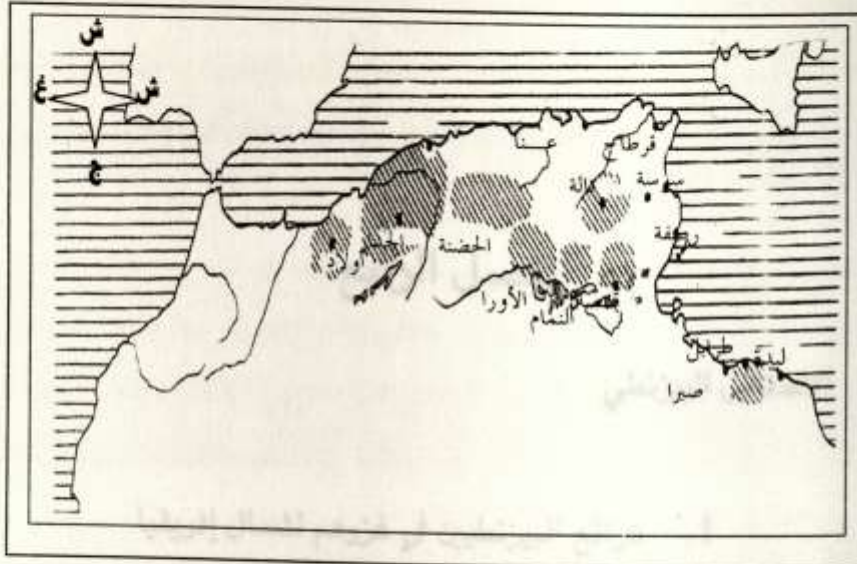
⁽¹⁾ - Gauthier E.F., op.cit, PP.292-293.

⁽²⁾ يوسف عيش: المرجع السابق، ص. 174.

⁽³⁾ - Gauthier E.F., op. cit., P293.

⁽⁴⁾ يوسف عيش: المرجع السابق، ص. 175.

⁽⁵⁾ - Gauthier E.F., op.cit, P.293.



خريطة توضح الممالك المورية خلا القرن الخامس ميلادي

الشكل رقم 61

الفصل الرابع

- الاحتلال البيزنطي

1. ذرائع البيزنطيين في غزوهم لشمال إفريقيا
2. الجيش البيزنطي
3. المقاومة البربرية للاحتلال البيزنطي
4. نهاية الحكم البيزنطي بإفريقيا

- الاحتلال البيزنطي:

بالرغم من التغيرات التي عرفتتها الإمبراطورية الرومانية منذ بداية القرن الخامس الميلادي فقد ظلت الوحدة الجغرافية للإمبراطورية قائمة حتى في الكتابات الدينية والأدبية علاوة على المراسيم السياسية، وأهم ما يجسد هذا هو الإصرار على استرجاع كل ما افتقدته روما ووقع تحت السيطرة الجرمانية والقوطية، لاسيما مقاطعة إفريقيا الشمالية التي أصبحت في يد الوندال منذ تاريخ 439م والتي فضلا عن موقعها الاستراتيجي بالنسبة لحماية روما فقد كانت أحد مناطق موارد الحبوب الرئيسية لها⁽¹⁾.

فقد حاولت كل من روما والقسطنطينية في جولات عديدة إسقاط نظام الوندال، وانتهت حملة 468م الكبرى بنكبة، ونظم كل من ماوجورين أحد أواخر أباطرة الغرب وليون الأول إمبراطور الشرق حملات ضد جنسريق بدون جدوى، لقد كان اتصال السلطة من طرف جليمار الذي كان يعيب على الملك الوندالي هلدريك هزائمه أمام البربر، وتسامحه إزاء الكاثوليك وتحالفه مع الامبراطور والذي توفرت له فرصة التدخل في إفريقيا⁽²⁾.

(1) - Saumagne Ch., Points de vue sur la reconquete byzantine de l'Afrique du Nord au VI^e siecle, cahiers de tunisie, 1959, Tunis, P.284.

(2) ووط قداش: المرجع السابق، ص. 249.

غير أنه ورغم تفوق الأسطول البيزنطي، فإن أي حملة ضد إفريقيا تعد مجازفة كبرى، إذ أن البيزنطيين بعيدون كل البعد عن منطقة شمال إفريقيا حيث لو سلك الجيش المسافة راجلا للزم ذلك 140 يوما سيرا على الأقدام ولو كان طريقه بحري فبعد العبور يستوجب الرسو بعيدا ويتطلب الأمر سنة من أجل الحصول على أي مستجد⁽¹⁾.

إن فشل المحاولات البيزنطية، وعجزها عن تشكيل أي خطر على التواجد الوندالي جعل هذا الامبراطور زينون Zenan (474م- 491م) يعقد معاهدة صلح وسلام مع الملك الوندالي جنزريق Geiseric، تم فيها الاعتراف بالمملكة الوندالية بكل من شمال إفريقيا وصقلية، سردينيا... مقابل إعلان جنزريق ولاءه للامبراطور وإعادة فتح الكنائس الكاثوليكية⁽²⁾.

(1) - Gauthier E.F., op.cit., P.308.

(2) يوسف عيش: المرجع السابق، ص. 45.

1- ذرائع البيزنطيين في غزوهم لشمال إفريقيا:

كان جستنيان إمبراطور القسطنطينية ينظر إلى شمال إفريقيا التي زال عنها حكم الرومان نظرة الوارث المستحق ويتحين الفرصة لاسترجاعها وضمها إلى إمبراطوريته⁽¹⁾.

ويعتبر عهد الإمبراطور جستنيان (527م - 565م) بمثابة مرحلة تحول جذرية جعلت القسطنطينية لا تكتفي بالطموحات والأحلام بل أصبحت ترى أن استرجاع المناطق الغربية واجب، وما زاد هذا التوجه شدة قناعة الإمبراطور جستنيان بأنه إمبراطور روماني⁽²⁾ بكل معاني هذه الكلمة حيث كان يرى أنه من واجبه إعادة استرجاع الوحدة الدينية هذا إذا ما علمنا أن المجتمع البيزنطي نشأ مجتمعا دينيا⁽³⁾.

ودليل ذلك أيضا هو ما قاله له أحد الأساقفة قبل قدومه إلى شمال إفريقيا غازيا، إذ قال له: "إليك كلمة الله: سأكون إلى جوارك في حرك" رغم أن بروكوب Procope يعلمنا أن جستنيان كانت له أطماع في طرابلس وصقلية وأن له أخبارا صحيحة عن مدى ضعف الوندال⁽⁴⁾.

(1) مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون تاريخ، ص. 362.

(2) مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون تاريخ، ص. 362.

(3) د. حسين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط 5، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1995، ص. 47.

(4) - Gauthier E.F., op.cit, P.108.

وبالتالي فقد كانت طموحاته تتجاوز بكثير مجرد ضمان التبعية الإسمية للمملكة الوندالية، ما جعله وبمجرد توفر أدنى الأسباب إلى شراء الهدنة مع الفرس بمبالغ مالية باهضة ليعلن الحرب على الوندال⁽¹⁾ حيث كان جستنيان في حرب مع الفرس دام أمدها خمس سنوات وكان سروره عظيما يوم أعلن (523م- 530م) هلدريك Helderich سيادته على شمال إفريقيا مما خلق الخلاف بين الوندال الذين استأوا من ذلك وعلى رأسهم جيليمير Gelimer (530م- 533م).

وإذا كانت المحاولات السياسية والضغطات العسكرية البيزنطية بغية إطلاق سراح الملك المخلوع هلدريك قد باءت بالفشل فإنها لم تكن السبب الوحيد لحمل البيزنطيين على التدخل ضد الوندال وتشير مصادر كثيرة إلى أصوات النجدة القادمة من مقاطعة إفريقيا خاصة من عند أنصار الملك ويورد لنا بروكوب في هذا الصدد قوله: "أبوليريانوس Apollirianos أصله من إيطاليا قدم في سن المراهقة إلى ليبيا فأغدق عليه الملك هلدريك عندما كان ملكا على الوندال ثروات هائلة وبعد الإطاحة بالملك وإدخاله السجن، توجه هذا الشخص رفقة مجموعة من الليبيين أنصار قضية هلدريك، لطلب الحماية من

(1) مبارك محمد المهلي: المرجع السابق، ج 1، ص. 362.

الإمبراطور جستنيان⁽¹⁾، زيادة على العامل الديني وهذا أكثر الذرائع استعمالا في الخطاب الرسمي للإمبراطور، فإنّ هناك طبقة من نبلاء إفريقيا كانوا يزينون لجوستنيان غزو البلاد مزودين إياه بمعلومات حول بلدهم، محرضين له على التحرك، مؤكدين له اتساع البلاد ومسألة أهلها، موضحين له أن البلاد تم اغتصابها من طرف الوندال منذ عهد جنزريق⁽²⁾.

ومع كل هذا فلا يمكن إغفال الوضع الذي آلت إليه المملكة الوندالية من الضعف والانحطاط وبخاصة بعد وفاة جنزريق ومرد ذلك تلك الثورات الانفصالية بقيادة قبائل وإمارات المور وعلى نطاق جغرافي واسع بإفريقيا الشمالية ويقول كورتوا Courtois في هذا الصدد: "الخطر الذي أصبح يحيط بالمملكة الوندالية مزدوجا، ففي الشمال كانت الممالك البربرية وفي الجنوب القبائل الصحراوية (الرحل)"⁽³⁾.

2- الجيش البيزنطي:

يرجع الفضل إلى الكاتب المعروف بروكوب في معرفة مجريات وتركيبه الجيش البيزنطي الذي شكله جستنيان. حيث كان كاتباً خصوصياً لقائد الحملة البيزنطية بليزارىوس Blisarius.

(1) يوسف عبيش: المرجع السابق، ص. 47.

(2) نفسه، ص. 48.

(3) Courtois C., Les Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, P50.

لقد أدى ظهور جستنيان Justinien والذي استمر حكمه من 527م إلى غاية 565م والذي أحيط بنجاحات عدة، إحداها هو شرف استرجاع إفريقيا والثار ممن اغتصبوا أراضي الرومان، فقد كان صراع جستنيان متواصلا ضد الفرس وهذا منذ اعتلائه العرش حيث سارع لتوقيفها عام 532م⁽¹⁾ على أن يؤدي لهم غرامة مبلغها أحد عشرة مليون من الفرنك حيث اشترى جستنيان الحرب بذلك الثمن، ولما لا إذا ما قارناه بخيرات إفريقيا⁽²⁾ هذا الحلم الذي راود جستنيان طويلا وكان بمثابة الوهم في نظر بعض جنرالاته ووزرائه. وهكذا ذهب وحده في مواجهة الجميع وإقناعهم بضرورة تحرير الكاثوليك من أيدي الآريين، وهذا بالرغم من التعب الذي نال من الجيش البيزنطي جراء حروبه ضد الفرس وكذا خوف أميرالاته على أسطولهم البحري⁽³⁾.

لقد كانت الظروف مناسبة لجستنيان فالجيش الوندالي لم يكن يتخطى عتبة 30 إلى 40 ألف محارب، كما لم يكن للوندال حماسات قتالية، وجاء توضيح هذا على لسان بروكوب⁽⁴⁾.

في الوقت الذي وصل فيه بليزار Belisaire إلى إفريقيا كانت القوات البحرية الوندالية في صقلية تحت قيادة أخ جليمار Gelimer -

⁽¹⁾ - Pierre Jalabert , Op cit, P P.84-85.

⁽²⁾ مبارك محمد المليي، المرجع السابق، ص 362.

⁽³⁾ - Pierre Jalabert : Op cit., P.85.

⁽⁴⁾ محفوظ بقداش: المرجع السابق، ص. 250.

تزازتزو Tzatzو وينقل لنا بروكوب أن جليمار كان هو الآخر جنوب
قرطاج بالمناطق الطرابلسية في اشتباكات ضد قبائل المور⁽¹⁾. فبعد أن
استولى بليزار على قرطاج وطرد منها حكومة الوندال تقدم
نحو(نوميديا) واستولى على مدن عنابة (بونة)، سيرتا Cirta قسنطينة
وقلمة وبلاد الحضنة والأوراس وشرشال وتونس وبجاية وغيرها من
المدن الساحلية، ثم بنى حصونا واستحكامات على أطراف البلاد
لحمايتها. ولم يمتد نفوذ البيزنطيين إلا على الشريط الساحلي في
الجهات الغربية، أما الناحية الشرقية فقد مدوا نفوذهم فيها إلى الجنوب
وسيطروا على مدن تبسة، خنشلة، تيمقاد ولامبيس والمسيلة وطبنة
(بريكة)⁽²⁾.

(1) - Gauthier E.F., Op.cit., P.308.

(2) يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزائر، 1965، ص 63.

3- المقاومة البربرية للاحتلال البيزنطي:

عين جستنيان ولاية وبني حصونا وجدران يتراوح ارتفاعها من 8 إلى 10 أمتار، وتوجد بعض أطلالها حتى أيامنا بمنطقة تبسة وتمقاد... إلخ، وحسب البيزنطيين فإن هذه الحصون ليست خشية الوندال ولكن هي حماية من النوميدي، والذي يرون فيه ذلك الشخص الغير مرئي، والحاضر، وهو على استعداد دائم للعب بالأسلحة، حيث لا يتوقف من إعطاء الفرص للإنقضا، فهو بالنسبة للبيزنطيين يشكل خطرا على حياتهم حتى وهو حليفا لهم⁽¹⁾.

كان المور منتظمين على شكل قبائل وإمارات متباينة فيما بينها من حيث القوة والنشاط، وهذه الإمارات هي:

I. القبائل الطرابلسية: أهمها قبيلة لوائثة Lewathes وهوارة Austuriani وهي متمركزة بالمناطق الغربية لهذه المقاطعة.

II. إمارتي إننالاس وكوتزيناس جنوب مقاطعة المزاك حيث تمتد الأولى إلى غاية قفصة Capsa وفريانة thelepte، أهم بطونها قبيلة الفراشيش Frexes، وتمتد الثانية في النطاق الجنوبي الغربي لمنطقة الشطوط.

- Pierre Jalabert , Op. cit., P86.

(1)

III. القبائل الجنوبية: وتشكل العديد من الإمارات (اتحاد كونفيدرالي) ملتفة حول إمارة تيداس.

IV. أما نطاق الإمارات المورية والذي كان يمتد من المناطق الغربية أي من سطيف إلى أقصى الحدود الغربية كذا بعض السواحل أهم أمرائها هو ماستيفاس.

يبدو أن هذه الإمارات قد فرضت وجودها منذ فترة الاحتلال الوندالي، حيث يصعب استسلامها بسهولة، أو إخضاعها للإدارة البيزنطية، مما جعلها تشكل المواجهة والمقاومة الحقيقية لهذا الاحتلال⁽¹⁾.

يقول ديل واصفا الأهالي ومدى خطورتهم على الاستعمار المتعاقب على المنطقة:

...dans ces indigenes si differents d'eux même, les grècs rencontrés jusqu'à la conquête arabe, les seules, mais constant adversaires de leurs administration. Ils ont pu réussir a les vaincre, ils ont pu parvenir a paralyser les attaques par une solide chaine de forteresse, ils ont pu même les reduire momentanément à un vassalté transitoire ; toujours ils ont du

(1) يوسف عيش: المرجع السابق، ص 63.

reprendre contre eux les armes, toujours il ont trouvé en eux l'obstacle irréductible à l'occupation totale de l'Afrique"

إن الأهالي ورغم اختلافهم فقد شكلوا منذ الوجود الإغريقي إلى غاية الفتوحات الإسلامية المقاومين الوحيدة والمستمرين لكل احتلال تعرضت له المنطقة... ورغم أن الإغريق سعوا دائما بفضل تحصيناتهم العسكرية إلى هزيمتهم أو شل هجماتهم فإنهم كانوا دوما يعودون إلى حمل السلاح... إذ بالفعل كانوا العائق الحقيقي للاحتلال البيزنطي... إلخ⁽¹⁾.

وما يؤكد ما جاء على لسان ديل هو قول الباحث Jalabert:

...Mais le numide, inadaptable, toujours invisible et present, toujours prêt à jouer des armes, ne cessait d'enguetter les portes et de saisir la moindre chance d'en decoudre avec la légion.

بمعنى أن هذا الإنسان النوميدي غير المرئي والحاضر دائما ودائما على أتم الاستعداد لحمل السلاح والذي لم يتوقف أبدا عن مضايقة الاستعمار البيزنطي وتحين الفرص لضربه⁽²⁾.

(1) - Diehl Ch., L'Afrique byzantine, Histoire de domination byzantine en Afrique.

(2) - Pierre Jalabert, Op. cit., P.86.

ومنه نستنتج أنه العبرة ليست في كثرة العدة والعتاد وإنما هي في طول النفس وعدم الملل والاستعداد المتواصل للدفاع عن الوطن أو الإمارة قديماً وكذا أفرادها زيادة على الدفاع عن الذات حيث تعتبر من المقدسات لدى النوميدي القديم أو حتى في العصور الحديثة وقد برهن لنا التاريخ مدى صحة هذا الوصف حيث رأينا في مشهد محاربة الوندال والدائرة المشكلة من الإبل وبداخلها نساء وأطفال وشيوخ حتى إذا ما التفت المحاربون ورأوا هذا المشهد قاتلوا بشراسة دفاعاً عن ذويهم.

ومن خلال ما تقدم من أوصاف للبربر يتبين لنا مدى مقت هؤلاء لكل أشكال الاستعمار الذي لم يفلح في إدخالهم لبيت الطاعة وذلك منذ أقدم العصور أي منذ الإغريق وحتى العصور التاريخية الحديثة والمقصود هو الاستعمار الفرنسي.

وظلت الموريطانيات: السطايفية والطنجية في حاجة إلى إخضاع ولم يحتل الأسطول البيزنطي سوى بعض الموانئ ايجيلجلي (جيجل) وصالداي (بجاية) وقيصرية، واستقبل الأكليروس والرومان البيزنطيين بحفاوة، فعاملهم جوستنيان برفق كما أعاد للكنيسة أملاكها التي سلبها منهم الوندال، أما البربر فكانوا مضطربين بفعل النجاحات السريعة للبيزنطيين والظاهر أن قادة نوميديا وموريطانيا كأنهم

موافقون على سيادة هؤلاء، لكن منذ 534م استعدوا لمحاربة الغزاة الجدد⁽¹⁾.

وبالتالي وجد البيزنطيون أنفسهم أمام وجوب محاربة عدوين إثنين، البربري المزارع والمتحضر، والثاني هو البربري القبلي والذي لا تفوته شاردة في الصحراء⁽²⁾.

زيادة على هذا فإن الإدارة البيزنطية لم تكن على دراية أو إطلاع تامين لمكانة الإمارات المورية ودورها، حيث لم يكن لها أي احتكاك بسكان بلاد المغرب إلا بعد الاحتلال الشيء الذي جعل العدو الوحيد الذي يراه البيزنطيون هم الوندال⁽³⁾.

هاجم البربر مواقع الحدود والفرق البيزنطية لبيزاسين منذ 534م ومن هناك انتقلت الانتفاضة إلى نوميديا فنزل 30.000 رجل من الأوراس مع أيوداس وكانت القيادة من الجانب البيزنطي بزعامة Saloman سولومون⁽⁴⁾ وكان رجلا سياسيا، لكنه لا يعرف السياسة العسكرية ولا يجيد التعامل مع الجنود⁽⁵⁾، استطاع هذا الأخير أن ينتصر على البربر في بيزاسين لكن النضال استمر في نوميديا، وتقدم

(1) محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 253.

(2) - Pierre jalabert , op cit, P.86.

(3) - Diehl Ch., op.cit., p.63.

(4) محفوظ بقداش: المرجع السابق، ص 254.

(5) أحمد توفيق المدي: المرجع السابق ص 136.

حتى التل في 535م وقرر اقتحام الأوراس في نهاية نفس العام لكن كلما تقدم البيزنطيون كان البربر يختفون مكتفين بنصب كمائنهم وتنمية الصعوبات فكان على الغزاة التقهقر.

وبقيت الحدود مفتوحة أمام البربر فكان على سولومون أن يبني الحصون (حصن تاغورة، وقصر مادور، وحصن تيبازة وموقع سانتيناريوم وذلك بغية إغلاق التل في وجه البربر⁽¹⁾). حاول سولومون التوغل ثانية إلى منطقة الأوراس وذلك في عام 539م من الجهة الشرقية دائما وكلف أحد قادته واسمه قونتاريت Guntharith، بالتمركز بالسهول المحيطة بمدينة بغاي Bagai، غير أن بيداس في هذه المعركة لم يكن متمركزا بالجبال كما أوضح بروكوب في المعارك السابقة، حيث أشار أنه في هذه المرة كان أسلوب البربر مخالفا، إذ لم يكتف جيشهم بالنزول إلى المناطق السهلية لمواجهة فونتاريت، بل استعمل بيداس أسلوبا يبين مدى التحكم في جغرافية الموقع وإمكانياته الطبيعية، وأخبرنا بروكوب أن هذه الطريقة والتمثلة في تحويل مياه نهر أبيقاس Abigas نحو سهول بغاي عن طريق قنوات محفورة بطريقة تسمح بتوزيع المياه حسب رغبتهم، وبالفعل استعملت هذه التقنية لإغراق الموقع الذي يتمركز فيه جيش قونتاريت ولولا تدخل سولومون في آخر لحظة لإنقاذ الموقف وتحويل مسار المعركة بالتسلل إلى مواقع الجيش

(1) محفوظ بقداش: المرجع السابق، ص 254.

الموري، ومواجهتهم بمرتفع بابوسيس Babosis مما جعل جيش بيداس يتراجع إلى المناطق المرتفعة والتحصن بإحدى قلاع بزربولي (1) Zerboule فلقق به سولومون حيث تحصن، وبعد سقوط هذه الأخيرة (زربولي) توجه سولومون إلى بلاد الزاب يخضع البربر لدولته وبلغ مشارف المسيلة وكانت تدعى زابي فجدها وسماها بستنيانة (2) ويكتفي بروكوب بذكر أن منطقة الزاب والحضنة إلى جانب موريطانيا السطايفية قد تم إخضاعها من طرف سولومون وذلك دون ذكر التفاصيل وهو ما تؤكد النقائش الأثرية من إقامة التحصينات بكل من طبنة tubunai بشليغة zabi - justiniana بالقرب من المسيلة وسطيف (3).

4. نهاية الحكم البيزنطي بإفريقيا :

كان البيزنطيون مثل أسلافهم الرومان يمارسون سياسة التعسف والظلم والاضطهاد ضد الأهالي الذين نفروا من سلطتهم وامتنعوا عن تأييدهم في كل الظروف ومع أن البيزنطيين في عهد جستنيان استطاعوا أن يسيطروا على البلاد نظرا إلى ما يتمتع به هذا الإمبراطور من سمعة شخصية وقوة وحكمة ولكن خلفاءه من بعده

(1) يوسف عيش، المرجع السابق، ص. 69.

(2) مبارك بن محمد الملي، المرجع السابق ص 368-369.

(3) عيش يوسف ، المرجع السابق ص 70.

كانوا ضعافا شغلتهم حروبهم ضد الفرس عن العناية بإفريقيا ومراقبة ولايتها.

وفي عام 602م ثار فوكاس قائد الجيوش البيزنطية بالدانوب على الإمبراطور موريس⁽¹⁾ . وأعلن نفسه إمبراطورا على الدولة البيزنطية فغضب هرقل الحاكم العام وقائد الجيوش بإفريقيا وثار على فوكاس عام 608م وقطع عنه شحنات القمح التي كانت ترسل إلى العاصمة البيزنطية. ثم استجاب لرغبات البيزنطيين الذين رجوه أن يخلصهم من دكتاتورية فوكاس وعندما مات هرقل الكبير بإفريقيا 610م عين الإمبراطور هرقل الصغير، البطريق جزلجوريوس حاكما عاما على إفريقيا ثم قيصريوس ثم نيكيتاس ابن جريجوريوس الأول وبعد تبكيناس تولى ابنه جريجوريوس الثاني "جرجيير" الذي زحف خلال ولايته العرب من الشرق عام 27هـ (647م) بقيادة حاكم مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وحاصروه في مدينة سببيلة التي تقع في الوسط التونسي جنوب مدينة القيروان الحالية وتمكنوا من قتله وتشيتت جموعه. وبذلك انطوت تقريبا صفحات تاريخ العهود المظلمة ليبدأ عهد الجزائر الأمازيغية العربية المسلمة التي قال في حقها العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في العصر الحديث أبناء يعرب وأبناء أمازيغ أهم الجزائر وأبوهم الإسلام.

(1) يحيى بوعزيز ، المرجع السابق، ص 63 - 65.

- الخاتمة:

يمكن لدارس التاريخ العسكري والمقاومة في بلاد المغرب القديم، لاسيما في فترة ما قبل التاريخ أن يلم أشتاته اعتمادا على عدة مصادر مادية يتمثل أغلبها في الرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى الجزائرية ومنطقة فزان بليبيا وكذا التبستي بالتشاد، وهي في معظمها تحاكي الحياة الاجتماعية اليومية التي كان يعيشها بشر استطاعوا أن يطمئنوا على اقتصادهم البدائي وتتفرغ مجموعة منهم لتسجيل بصمات تلك الفترة على صفحات الصخور، تلك المرحلة المتوغلة في القدم والتي تتجاوز الخمسة آلاف سنة عمقا في التاريخ.

ويبدو من رسوم العربات والحصان أنها استعملت في بداية الأمر للتنقل والصيد والحروب الداخلية ثم الخارجية فيما بعد . وهكذا نرى أن قبائل الجرامنت كانوا قد استعملوا تلك العربات في مطاردة الإثيوبيين الذين كانوا يسكنون في الجنوب منهم ، وذلك وفقا لما ذكره المؤرخ الإغريقي هيرودوت.

واعتمادا على دراسات المؤرخين المحدثين الذين درسوا الرسوم الصخرية الصحراوية من أمثال هنري لوت وج. كامبس وج. ش. بيكار فإنهم خرجوا بفرضيات ضمنوها في كتاباتهم، أن تلك الرسوم حتى وهي في الصحراء، فإن لمسة التأثر بالفن الإغريقي الإيجي متوفرة فيها، ثم الفن الأوربي بصفة عامة، وذلك انطلاقا من أن إنسان القارة الأوروبية هو صاحب الإبداع منذ القديم وهي في نظري فرضية

متحيزة إلى حد كبير تحتاج إلى مزيد من التروي والبحث . ويمكن أن يكون الرد عليها يكمن في الإشارة إلى التغيرات المناخية التي انتابت الكرة الأرضية منذ الأزمنة الجيولوجية الباكرة، لاسيما فترة البليستوسين التي غطى فيها الجليد القارة الأوربية وبالمقابل . كانت إفريقيا تجتاز مرحلة مطيرة، وفي ذلك ما فيه من اختلال التوازنات بين ما كان يعرف بالقارات القديمة من حيث التنقل والاستقرار البشري . وعليه، فإن القول بأن مواقع ما قبل التاريخ الأوروبية هي النموذج الذي يمكن أن تقاس عليه بقية المواقع العالمية والإفريقية بصفة خاصة كقول يحتاج إلى مزيد من تعميق الدراسة، كما أشرت إلى ذلك سابقا اعتمادا على المعطيات المكتشفة حديثا خارج أوروبا .

فالحصان الراكض مثلا الذي يجر العربة والذي أبرزته الرسوم الصخرية ناتجا عن نقلة حضارية أملت على الإنسان الصحراوي والشمال الإفريقي بصفة عامة الظروف المحلية المعاشة والوسط الاجتماعي المحلي قبل أن تفرضها بقايا غزوات شعوب البحر التي وصلت بعض جماعاتها إلى المنطقة متأخرة، وبالتالي فإن شعوب البحر لم يكونوا هم الذين ادخلوا العربات والحصان إلى شمال إفريقيا ،غير أنه يمكن أن يكون لتلك الجماعات الغازية إدخال بعض التحسينات على قطع غيار العربات، مثل العجلة المعدنية ومحاور الجر الحديدية، لاسيما تلك المتخذة من معدن الحديد الذي يصادف عصره وانطلاق تلك الشعوب من منطقة البلقان الحالية مجتاحة بلاد الإغريق وبقية

آسيا الصغرى ثم بلاد كنعان وشمال إفريقيا ولم تتوقف تلك الجماعات إلا عند حدود مصر، وقد كانت سببا في ركود الحضارة بالمناطق التي مرت بها أكثر مما أعطتها دفعا حضاريا جديدا . وقد وصل نزر من تلك الشعوب عن طريق صقلية إلى بلاد المغرب القديم . وبذلك تركت بعض بصماتها في الحضارات المحلية التي صادفتها أمامها .

أما المصدر الثاني الذي يمكن الاعتماد عليه في دراسة المعدات الحربية لفترة نهاية ما قبل التاريخ فتتمثل في صلايات الفراعنة المصريين ورسوم معابدهم ومقابرهم التي أشارت إلى رد الفعل المصري ضد الغزاة الأجانب ومن بينهم الليبيين الذين كانوا مسلحين بخناجر وأقواس، وقد هددوا حدود مصر الغربية . وفي تلك الرسوم المصرية أشير إلى الأسلحة التي كان يستعملها الليبيون وكذا العربات التي كانوا مزودين بها، إضافة إلى اللباس الذي كانوا يرتدونه، وكل ذلك أشير إليه مرسوما في ألواح الغنائم التي كان يحصل عليها الفرعون ابتداء من الألف الثانية قبل الميلاد .

ولم تفصل الكتابات المصرية الإشارة إلى الانحطاط الذي انتاب مصر الفرعونية خلال النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ووصول الأسرة الليبية إلى الحكم مثل شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين في مصر وأحفاده من بعده الذين اعتلوا عرش الفراعنة وذلك حتى الأسرة الرابعة والعشرين وخلال حكم تلك الأسر الليبية استعادت مصر قوتها وازدهارها بفضل القادة والجنود الليبيين مما

أدى بشيشنق الأول إلى مهاجمة بيت المقدس ببلاد كنعان والاستيلاء عليها خلال القرن العاشر قبل الميلاد (927 ق.م.) ومحاولة سيره نحو الشمال إلا أنه ولظروف تتعلق بالعلاقات السلمية التي كانت بين الفراعنة الأوائل والفينيقيين، ثم تطلعه إلى تركيز عاصمة الدولة في سايس بغربي الدلتا (النيل) عدل عن مهاجمة الساحل الفينيقي. لقد عرفت مصر فترة ازدهار كبير أثناء حكم الملوك الفراعنة الليبيين.

أما عن تطور المقاومة المغاربية والتاريخ العسكري أثناء الفترة التاريخية، فإن العلاقات السلمية بين الفينيقين والمغاربة القدماء قد أخرجت ذلك إلى ما بعد القرن السادس ق.م. وذلك عندما آلت قرطاجة إلى إمبراطورية تضاربت مصالحها الاقتصادية والسياسية مع الإغريق والرومان في الحوض الغربي للبحر المتوسط، الأمر الذي أدى بها إلى تجنيد المرتزقة من أبناء المغاربة القدماء وفرض الضرائب عليهم بغية الاحتفاظ بهيمنتها وسيطرتها في المنطقة ولو كان ذلك على حساب حلفائها المغاربة.

غير أن ذلك لم يرض هؤلاء الأخيرين، وعليه بدأوا يتحينون الفرص للنيل من قرطاجة ولو أدى بهم ذلك إلى التعاون مع منافسيها وأعدائها الذين بدأت كفتهم تزداد رجحانا، لاسيما في الحروب الرومانية القرطاجية بأدوارها الثلاثة وهو ما جعل ماسينيسا ينظم إلى الجانب الروماني ضد القرطاجيين لا حبا في الرومان وإنما كان هدفه

من وراء ذلك هو ضرب القرطاجيين بالرومان وبالتالي الاستقلال
بشمال إفريقيا. وذلك ما حصل فعلا، فقد آل إليه عرش نوميديا
الشرقية بعد نهاية معاهدة الحرب الرومانية - القرطاجية الثانية
201 ق.م.

وبالعكس من ذلك ، فإن الملك سيفاقس الذي انحاز للقرطاجيين
كان مآله إلقاء القبض عليه في معركة سيرتا سنة 203 ق.م. والقتل في
الساحة العامة بمدينة روما، ورغم أنه يعد المؤسس الأول لوحدة نوميديا
بشقيها الغربي والشرقي وعاصمتهما سيقا على نهر التافنة وسيرتا
على وادي الريمال. فقد استمر الوضع على ذلك في عهد مسيسا ابن
الملك ماسينيسا الذي واصل تعاونه السلمي مع الرومان ومساعدتهم
بالقمح والفرسان والفيلة في حروبهم ضد الإغريق وشبه جزيرة ايبيريا.
غير أن الأمر يختلف في المنطقة المغاربية عند تولي يوغرطة الحكم
في نوميديا وتوحيدها فقد واجه العاهل النوميدي يوغرطة القناصل
الرومان وضرب عرض الحائط بكل قرارات مجلس الشيوخ الروماني
إلى درجة أنه سجل عليهم عدة انتصارات حربية في كل من ستول
بالقرب من قلعة ووادي المنول وباجة بتونس . وقد أدى به إلى التحالف
مع الملك بوكوس الأول ملك موريطانيا وإدخاله معه إلى الحرب ضد
الرومان، لاسيما بعد أن تزوج من ابنته وقد خاضوا عدة معارك ناجحة
ضد الرومان مما أدى بيوغرطة إلى استرجاع عاصمته سيرتا ، غير أن
الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فقد تخلى الملك بوكوس الأول على

صهره يوغرطة ضاربا عرض الحائط بالقرابة والمصير المشترك ملبيا
إغراءات الرومان والخوف على مصير مملكته أمام زحفهم وابتلاعهم
 للمنطقة بغية فرض سياسة الرومنة التي كان شعارها "السلم
الروماني".

أما عن العتاد الحربي والأسلحة المستعملة حينذاك فإننا نلاحظ
أن المغاربة كانوا قد اشتهروا بالفروسية والمناورة التي تتمثل في الكر
والفر ومباغطة العدو وذلك ما كان له مكانته في ميل كفة الحرب
لصالحهم سواء عندما كانوا في جيش حنبعل أو بعد ذلك في الجيش
النوميدي أو الروماني فيما بعد.

ومثل يوغرطة عمل الملك يوبا الأول على الوقوف في وجه المد
الروماني وذلك بانضمامه إلى حزب الأشراف الرومان، غير أن خطته
تلك انهارت غداة انتصار يوليوس قيصر زعيم الحزب الشعبي
الروماني في إفريقيا.

والواقع أن سقوط المملكة النوميديّة الذي نتج عن تلك الأحداث
كان بفعل مؤامرة متعددة الأطراف.

لقد عرف الرومان كيف يستعملون الزمن لصالحهم فقد كانوا لا
يقدمون على التوسع إلا بعد استنزاف طاقة البلاد المغاربية، وهكذا
نراهم يجمدون التوسع بعد تأسيسهم البروقنصلية الإفريقية الأولى
على أنقاض أملاك الدولة القرطاجية ، ولا يستأنفون ذلك التوسع إلا سنة
146 ق.م. ونفس الشيء فعلوه بالنسبة لموريطانيا التي نصبوا عليها في

آخر المطاف ملكا تابعا لهم، وعندما رأوا أن الظروف ملائمة لضمها لم يترددوا في اغتيال الملك بطليموس بن يوبا الثاني، وذلك سنة 40 ميلادي.

وهكذا نلاحظ أنه بعد سقوط الممالك الإفريقية تباعا انكفأ الشعب المغربي على نفسه متخذا الجبال معاقل وقواعد خلفية يحتمي بها عند الضرورة، كما أن الإطار القبلي كان هو الآخر الشكل النظامي الذي ضمن له استمرار الكيان الإفريقي بأعرافه وتقاليده وكثيرا ما تحولت القبيلة إلى مؤسسة عسكرية تشن الحرب على الاحتلال الروماني، وذلك مثل ثورات قبائل الجرامنت والمزالمه بالأوراس والبابار القبائل الخمس بالوسط الجزائري... الخ.

إلا أنه عندما ظهرت الحركة الدوناتية أضيفت هناك ذهنية جديدة تمثلت في عقيدة التوحيد التي عبأت الشعب وجندته ضد الاحتلال الروماني، ولذلك تداعي ذلك الاحتلال ودب فيه الضعف وعندما حل الغزو الوندالي في إفريقيا وجده أيلا إلى السقوط ولذلك لم يكن في حاجة إلى بذل جهد كبير للقضاء عليه. وإذا كانت المقاومة الإفريقية لم تتمكن من تحرير البلاد من الاحتلال الروماني، فلعل أهم ما حققته بكفاحها ضد الرومان طيلة خمسة قرون هو زوال ذلك الاحتلال دون أن يترك جالية أو كيان في البلاد المغربية.

ومهما يكن فالنتيجة التي نستخلصها من هذا العمل العلمي هي أن المنطقة سفهت أحلام كل جحافل الغزاة الذين توالوا على المنطقة

بداية منذ أن آلت قرطاجة إلى إمبراطورية أوليجارشية تعمل لصالح
أرستقراطيتها على حساب المغاربة القدماء الذين وقفوا إلى جانبها في
السراء والضراء وحتى الفترة البيزنطية مروراً بالرومان والوندال .
ويمكن أن نسجل رد فعل المغاربة القدماء على تلك
الحلقات الاستعمارية التي توالى على المنطقة في نقطتين
أساسيتين :

أولهما أنه لا يوجد أي فرق بين الاستعمار الروماني والوندالي
والبيزنطي من حيث الأيديولوجية الاستعمارية والهدف الاقتصادي
الذي كان يستهدف امتصاص خيرات البلاد وتجويع وتهميش
من لا يندمج في أيديولوجيتهم ثم يقبل الأمر الواقع .

ثانيهما أن الاستعمار مهما تنوعت أشكاله فهو يمثل شكلاً من
أشكال العنف الذي يمارسه الغالب على المغلوب سواء أكان ذلك تحت
غطاء الرومنة بالأمس البعيد أو الفرنسية في الأزمنة الحديثة ثم العولة
(الأمركة) في عصرنا الحالي .

وكان رد المغاربة القدماء على الحلقات الأولى والثانية
(الرومنة والفرنسية) بعدم الاستكانة وطول النفس والحروب
التواصلية وعدم قبول أي إغراءات مهما كانت قيمتها مقابل
التنازل عن كيانه الحضاري والذوبان في الآخر وذلك هو سر
التواصل الحضاري الذي سجلته حلقات تاريخنا المقاوم عبر
العصور .

أما الأسلحة والعتاد الحربي الذي استعمل في المقاومة والحروب المتوالية، وكذا الخطط الحربية فقد تنوعت بتطور الفترة الزمنية. فالعتاد الذي استعمله مثلاً التاسيليون والهقاريون غير ذلك الذي استخدمه الليبييون والنوميديون، ثم الموريون واشاوس ثورة أول نوفمبر 1954.

1987

الأولاد ، ترجمة كمال مندرج ومحمدي ، جامعة ، البيئة المصرية

الكتاب والنشر الثاني ، 1971

المصادر بالغة الأهمية

- AMMIEN (M.)
 - Hippolyte, éditeur Garnier 1874.
- APPIAN,
 - Histoire romaine, éd. F. Viereck, Dans o/p., Teubner, 1908.
 - Ponsio, Bellum civile, ed. H. White, Loeb Classical 1912.
- AURELIUS (V.)
 - De Caza, éd. J. Houtart durable, Paris 2000
- AUGUSTIN (ST.)
 - De civitate, éd. St. Berdy Combe 1953.
- CORIPIUS (FL. C.)
 - Johannides, trad. par J. Allx, Tunis 1879-1902.
- DIODORE DE SICILE,
 - Bibliothèque, hist., trad. par A. F. Milla Paris 1954.
- DION CASSIUS,
 - Ed. Bouquelin 1895-1913, (10 vols)
 - Histoire romaine trad. par J. Houtart durable, Paris 2000.
- FLORIUS,

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- المصادر باللغة العربية :
- ❖ - هيرودوت يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجة ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987 .
- ❖ - فرجيل :
- الأونياد ، ترجمة كمال ممدوح وحلمي وجماعة ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر القاهرة ، 1971 .
- المصادر باللغة الأجنبية :
- AMMIEN (M.),
 - Histoire, édition Garthausen 1874.
- APPIAN,
 - Histoire romaine, éd. P. Viereck. Dans bib., Teulner, 1906.
 - Punica, Bellum civile, éd. H. White, Loeb Classical 1912.
- AURELIUS (V.),
 - De Caes, éd. l'instant durable, Paris 2000.
- AUGUSTIN (ST.)
 - De civitate, die éd. Bardy Combe 1959.
- CORRIPUS (Fl. C.),
 - Johannides , trad. par J. Alix , Tunis 1899-1902.
- DIODORE DE SICILE ,
 - Bibliothèque, hist , trad. par A. F. Milot. Paris 1934.
- DION CASSIUS,
 - Ed. Boissevain 1895-1913, (10vols).
 - Histoire romaine , trad. par N. A. Dubois, Paris 1845-1870.
- FLORUS ,

- Histoire romaine , collection des auteurs latins , Publiée sous la direction de M. Nisard, Firmin didot, Paris 1865.
- **HERODOTE,**
 - Histoire , trad. Par Pierre Henri Larchar, éd. François Maspéro , Paris 1980 II, 32, Livre 5, parag. 194.
 - Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord, éd. A. Jourdan et E. Beroux , Alger , Paris 1916
- **JULES (C.),**
 - Bellum Africum, bellum , Civile, trad. par A. Bouvet et P. Fabre, Paris 1949.
- **JUSTIN ,**
 - Histoire universelle, éd. trad. Par E. Boifard, Paris 1833.
 - Histoire , T.2 , Livre 19 , trad. Jules Pierrot , Paris 1833.
- **PATERCULUS (V.),**
 - Histoire romaine , 1, 2, 3 et suite d'après , P. Cintas manuel d'archéologie punique , T. 1 éd. A et J .Picar paris 1970.
- **PLINE L'ANCIEN,**
 - Histoire naturelle , trad. par Ajasson de Grandsagne , paris 1829-1833.
 - Livre XVIII, 35, éd. Rackham, loeb classical library 1938.
- **POLYBE ,**
 - The Histories , trad. W. R. Paton, London 1922.
- **PROCOPE,**
 - Guerre des Vandales, trad. Dureau de la Malle dans l'Algérie ou manuel Algérien , éd. Firmin Didot, Paris 1852.
- **PTOLEMEE,**
 - Géographie , éd. C. Müller, 1901.
- **SALLUSTE,**
 - La guerre de Jugurtha, trad. Par Richard F, éd. Garnier, Flammarion, Paris 1968.
 - Conjuration de Catilina, , Guerre Jugurtha histoire, Traduction par François Richard, LVIII, Gramier Flammarion, Paris 1968.
 - Œuvres complètes, texte établi et traduit par Alfred Ernout, Paris 1974.

- SENEQUE ,
 - De tranq , Animi, Paris S. D.
- SILIUS ITALICUS ,
 - Les puniques, trad. par E. F. Carper, Paris 1836- 1838, (3 Volumes).
- STRABON,
 - Géographie, éd. H. J. Jones, coo. Ioeb., 1917-1949.
- SUETONE,
 - Vie des 12 Césars, trad. par H. Ailloud, Paris 1961.
- TACITE,
 - Annales, éd. H. Goelzer, « belles lettres » , paris 1924.
- TITE- LIVE,
 - Histoire Romaine, éd. Weissenborn, et H. J. Muller, 1962.
- THUCYDIDES,
 - La guerre du Péloponnise, éd. Gallimard 1964
- ZONARAS ,
 - éd. L. Lindorf, dans bib., 1868-1875.

المقالات

- المقالات باللغة العربية :
- ❖ محمد الصغير غانم :
- المقبرة الميجاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة، ع.15 جوان 2001.
- علاقة نوميديا بالرومان مجلة التراث ، ع.2 ، مط.الشهاب باتنة 1987.
- علاقة نوميديا بالرومان "مرحلة الضعف"، في مجلة التراث ، العدد 3، دارالشهاب باتنة 1988 .
- شخصيات من بلادي مجلة التراث ، ع.7 ، مط. الشهاب ، باتنة.

- ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي "ثورة تالكفاريناس نموذجا"، حولية المؤرخ ، ع.1، مط. الجزائر 2002.

❖ - عثمان (أحمد) :

- قيصر والسعي وراء السلطة في سلسلة عالم الفكر ، ع. جويلية - أوت - سبتمبر ، الكويت 1985، ص. 120.

- المقالات باللغة الأجنبية :

- BAYET (J.),

- L'omne du cheval à Carthage rev. Des études latines , XIX 1941.

- BEL OCHI (M. S.),

- La Conversion des Berbères à l'Islam, Tunis 1981.

- BENYOUNES (A.),

Krandel, Reppal, I, 1985.

- BERBRUGER,

- Epoques militaires de la Grande-Kabylie, Alger 1857.

- BERTHIER (A.),

- Découvertes à Constantine de deux sépultures contenant des amphores grecques , dans R. Af., T. 91, 1943

- BOUNELLE (M.),

- Monument gréco- punique de la Soumaa dans R. S. A. C., T. XLIX, 1915.

- BURAIN (J.),

- Afrika Und Rome in der Zeit der peublik dans afrika und rome in der antike Halle- Wittenberg, 1968.

- CHAPPELLE (DE. LA . F.),

- L'expédition du Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc , in Hespérides , XIX, 1934.

- CAGNAT (R.),

- Les stèles de la ghorfa , C. R. A. I., 1910.

- Les stèles de lixus au Maroc, C. R. M. T., 1910.
- Notes sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146 av. J. Ch.", dans C.R.A.I., 1994
- **CAMPS (G.),**
 - Origines du royaume massyle, dans rev. d'hist. et de civil. Du Maghreb N° 3 1973.
- **CINTAS (P.),**
 - Le Signe de Tanit dans archéologie vivante , vol-1 N°2 , Décembre ,1968 , et Février 1969.
 - Fouilles puniques à Tipps , R. Af. XCII , 1948
- **COCQUERILLAT,**
 - Les masses d'armes d'après les textes dans revue d'assyriologie et Orientale , T. XLVII, 1952
- **DESANGE (J.),**
 - Utica, Tunesca et la cirta de Salluste , dans mélanges offerts a roger, Dion , Paris 1974.
- **FANTAR (M. H.),**
 - Les phéniciens en Algérie , en Tunisie et en Libye , Dossiers Histoire et archéologie , N°132 . Novembre 1988.
- **FAULKNER (R. O.),**
 - Egyptian military organisation in J. E. A. N° 39, London 1953.
- **FEVRIER (J. G.),**
 - Le char de guerre dans l'antiquité dans rev. De cavalerie, Paris 1938.
- **GSELL(ST.),**
 - Rec. de la mémoire publié au XIV congrès des orientalistes, 1905
- **HOURS MEDIAN (M.),**
 - Les représentations figurées sur les stèles de Carthage , imp. Cahiers de Byrsa 1951.
- **KITCHEN K. A.,**
 - Les guerres Libyennes de Ramsses III, revue Epyptologie , S. F. E., T. 36, Louvain , Belgique , éd. péeters, 1985.

- **MARCY (G.),**
 - L'épigraphie berbère numidique et saharien, Annales de l'institut d'études orientales, T.2 , 1936.
- **MOINIER (COL.),**
 - Une Expédition en Afrique , in R. Af. N° 40, 1900.
- **PICARD (G.),**
 - Le trophée augustéen de la turbie dans revue archéologique , T. XXXIV, 1945
 - Civita Mactarina" , Karthago, T. VIII, 1957.
- **PIGANIOL (A.),**
 - Hannibal chez les péligniens, rev. et arché.,1920.
- **POINSSOT(L.),**
 - Comptes rendus de l'académie des inscriptions , 1907.
- **POULLE (A.),**
 - A travers la Maurétanie Sétifienne, dans RSAC, 1863.
- **RACHET (M.),**
 - Rome et les Berbères, revue d'études latines, centre national de la recherche scientifique bruxelles 1970.
- **RINN (L.),**
 - Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha, rev. Afr., T. 29, 1885.
- **SAUMAGNE(CH.) ,**
 - Les prétextes juridiques de la troisième guerre punique, rev. Hist. 1931.
 - Le champ de bataille du Muthul", rev. Tunisienne , T.I, 1930.
 - Points de vue sur la reconquête byzantine de l'Afrique du nord au VI^{ème} Siècle, cahiers de Tunisie, Tunis 1959.
- **TROUSSEL (M.),**
 - Le cheval animal solaire, dans R. S. A. C., T. LXVIII, 1954.
 - Le trésor monétaire de Tiddis dans R. S. A. C. T. LXVI, 1948.
 - Les vandales le royaume d'Afrique dans recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine, volume LXVI,1948.

- Grandeur et décadence d'un peuple (Les Vandales) dans un recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, volume LXVI, 1949, Attali imprimeurs, Alger
- Les monnaies vandales d'Afrique, découverte de Bou-lilate et du hamma, dans recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, volume LXVII, 1950-1951, Attali imprimeur, Constantine, Alger.
- **WALSH (P. G.),**
 - Massinissa, Journ. Rom. Stud., 1965.
- **WARD PERKINS,**
 - The arch of septimius severus in leptis Magna , in archéologiam IV 1951

الكتب

- الكتب باللغة العربية :
- ❖ إبراهيم نصحي:
- تاريخ الرومان ، ج.2 ، بيروت 1978 .
- ❖ أحمد صفر :
- مدنية المغرب العربي في التاريخ ، دار النشر بوسلامة، تونس 1959 .
- ❖ أحمد توفيق المدني:
- قرطاجنة في أربعة عصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- ❖ آلان جاردنر :

- مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987.

❖ - أم الخير عقون:

- العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا ، منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب، قسم التاريخ جامعة الإسكندرية 1988.

❖ - جون هامرتون :

- تاريخ العالم المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف المصرية ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1965 .

❖ - جيمس هنري برشيد :

- تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ، الهيئة المصرية العاملة للكتاب 1997.

❖ - هشام الصفدي :

- تاريخ الرومان ، الجزء الأول ، مط. دار الفكر الحديث ، لبنان 1967.

- نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر ، مجلة الاصاله العدد 26، ماي، جوان الجزائر 1972.

- ❖ - حسنين محمد ربيع :
- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ط.5 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر 1995.
- ❖ - يوسف عيش :
- المور والبيزنطيون خلال القرن 6 ميلادي ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 1995.
- ❖ - يحي بوعزيز :
- الموجز في تاريخ الجزائر، ج.1 دار الطليعة للطباعة والنشر،الجزائر 1965
- ❖ - مبارك محمد الملي :
- الجزائر في ضوء التاريخ ، نشر دار البعث ، قسنطينة 1980 .
- تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج.1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، بدون تاريخ.
- ❖ - مها عيساوي:
- النقوش الليبية في شمال إفريقيا رسالة مذكرة ماجستير نوقشت بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية جامعة قسنطينة سنة 2002 .
- ❖ - محمد بيومي مهران :
- مصر والعالم الخارجي في عهد رمسيس الثالث، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الإسكندرية ، سنة 1969.
- ❖ - محمد البشير شنياتي :

- الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، ط.2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 .
- ❖ - محمد الطاهر عدواني :
- الحروب والأسلحة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر 1985 .
- ❖ - محمد حسين فنطر :
- يوغرطة، مط. الدار التونسية للنشر ، بوسلامة، تونس 1970
- ❖ - محمد العربي عقّون :
- حملة يوليوس قيصر على أفريقيا ، ماجستير بإشراف د. محمد الصغير غانم ، جامعة قسنطينة 1996 .
- ❖ - محمد الصغير غانم :
- التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، مط. دار الهدى 2004 .
- معالم التواجد الفينيقي- البوني في الجزائر ، مط. دار الهدى 2003 .
- المملكة النوميديّة والحضارة البونية ، مط. دار الأمة ، الجزائر 1998 .
- المساهمة الحضارية البونية في المملكة البونية ، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب القديم والآثار البونية، نوقشت بجامعة قسنطينة سنة 1996 .

- ❖ - محفوظ قداش:
- الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.
- ❖ - مصطفى عبد العليم:
- دراسات في تاريخ ليبيا القديم الطبعة الأهلية بلغازي 1966.
- ❖ - سوزان راتيمية:
- حتشبوت الملكة الفرعون، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998.
- ❖ - سليم حسن:
- مصر القديمة، الجزء السابع وملحة عن تاريخ لوبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1969.
- مصر القديمة، ج. 7، مط. دار الكتاب، القاهرة 1950.
- ❖ - عبد اللطيف أحمد علي:
- التاريخ الروماني [عصر الثورة] دار النهضة العربية، بيروت 1970
- ❖ - شارل أندريه جوليان:
- تاريخ إفريقيا الشمالية ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1969

- الكتب باللغة الأجنبية :

- **ALMAGRO (M.) ET GARCIA (A.),**
 - Bellido Y, La Espana de las invasiones célticas y el mundo de las colonizaciones, Madrid 1960, 2ème édition.
- **ALQUIER (P.),**
 - Les limites de Cirta au temps de Sittius (46- 40 AV. J. C.).
- **BERTHIER (A.)**
 - La Numidie, Rome et le Maghreb, éd. Picard 1981.
- **BERTHIER (A.)ET CHARLIER (L.R.),**
 - Le sanctuaire punique d'El-Hofra Constantine, Paris 1955.
- **BLOCH (F.) ET CARCOPINO (J.),**
 - Histoire de la république Romaine , P.U.F. Paris 1950 .
- **BOUNABOU (M.),**
 - La résistance africaine à la romanisation, éd. Maspero, Paris 1975.
- **BREUIL H., ET H. LHOTE ,**
 - L'âge de la pierre, l'art rupestre de l'Afrique mineur et du sahara, éd. Albin Michel Paris 1960.
- **BREASTED J. H.,**
 - Ancient records of Egypt historical documents , Part I,III, Chicago 1936.
- **BRISSON (J. P.),**
 - Carthage ou Rome.? Paris Fayard, coll. "les grandes études historiques" 1973.
- **BOUYOC (R.),**
 - de Bonne , Imprimerie Du Courrier de Bonne , 1891.
- **CAGNAT (R.),**
 - Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale , Paris 1913.
- **CAMPS (G.),**
 - Les monuments et rites funéraires, protohistoires, A.M. G, 1961.
 - Massinissa au les débuts de l'histoire , imprimerie officielle , Alger 1961.

- Arabion , IN Encyc. Berbère.
- Les Berbères, mémoires et identité, 2ème éd. Paris 1987.
- **CARCOPINO (J.),**
 - Grandeur et faiblesse d'Hannibal dans profils de conquérants, Paris 1961.
 - Sur la mort de Ptolémée roi de Maurétanie , in mélanges de philologie , de littérature et d'histoire ancienne, offert à A. Ernout, Paris 1940.
- **CARY (V. M.),**
 - The origin of the punique wars, in history, VII, 1922.
- **CHARLIER (L.),**
 - Descriptions des monnaies de la Numides et de la Mauritanieprotat frères1912.
- **CINTAS (P.),**
 - Manuel d'Archéologie punique , T.I , éd. A et J. Picard , 1970.
- **COLTELLONI TRANNOY (M.),**
 - Le Royaume de Maurétanie sous Juba II, et Ptolémée, C. N. R. S., éd. Paris 1997.
- **COURTOI (C.),**
 - Les vandales et l'Afrique, arts et métiers graphiques, Paris, France, 1955.
- **DECRET (F.),**
 - Carthage ou l'empire de la mer , éd. du Seuil 1977.
- **DECRET (F.) ET FANTAR (M. H.) ,**
 - L'Afrique du nord dans l'antiquité , Payot, Paris 1981.
- **DESANGE (J.)**
 - Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique , école française de Rome Palais Farnèse, Italie 1978.
- **DIEHL (CH.) ,**
 - L'Afrique Byzantine, histoire de dominations byzantine en Afrique (539-709), Paris ,1986.

- **DRIOTON E., ET VANDIER J.,**
 - Les peuples de l'orient méditerranéen, T.II, L'Egypte, 4 éditions augmentées, Paris, presse universitaire de France, 1962.
- **EDGARTON W. F. ET WILSON J. A.,**
 - Historical Ramasses III, Chicago, 1936.
- **FAKHRY A. H.,**
 - Bahria Oasis , Cairo 1942.
- **FANTAR (M. H.),**
 - Carthage approche d'une civilisation, T.2.,
- **FARNOUS (B. C.) ,**
 - Les guerres Puniques "que sais-je?", Paris 1973.
- **FEVRIER (J. G.),**
 - Histoire de l'écriture , éd. Payot, Paris 1948.
- **FERRAY (J. L.),**
 - Rome et les Balkans, la grèce et l'orient au II^{ème} siècle avant J. C.
- **FLORUS ,**
 - Histoire romaine (4livres), é. Rossbach, Paris 1896.
- **GAGE (J.),**
 - Les Classes sociales dans l'empire romaine, éd. Payot, Paris 1964.
- **GARDINER A. H. ,**
 - Ancient Egyptian anamastica V, I , Oxford, University , Press 1945.
- **GAUTHIER (E.F.),**
 - Genseric : roi des vandales , Payot , paris , 1935.
- **GAVIN (DE BEER),**
 - Hannibal's March, London 1967.
- **GHAKI (M.),**
 - Recherches sur les rapports entre les phénico-numides (thèse de III cycle , Paris 1979.
- **GRIMAL (P.),**
 - les Siècle des Scipions, Rome et l'hellénisme au temps des guerres Puniques, aubier, éd. Montaigne, Paris 1975.

- **GSELL (ST.),**
 - Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord , éd. Hachette , Paris 1911- 1928
- **HADI SLIM ET AUTRES,**
 - Histoire de la Tunisie l'antiquité 2d. Société Tunisienne de la diffusion.
- **HARDEN (D.),**
 - The phonicians , éd. Thames and Hudson , London 1963.
- **HEURGON (J.),**
 - Rome et la méditerranée occidentale jusqu'aux guerres puniques , Clio, Paris P. U. F., 1969.
- **HOLSCHER W.,**
 - Libyer und Egypter , Habmurg, New-York, 1937.
- **HOURS MEDIAN (M.),**
 - Carthage P. U. F., 1949.
- **HVIDBERG HANSEN (F. O.),**
 - La déesse T N T , une étude sur la religion canaanéo-punique T.2,1979,.
- **JALABERT (P.),**
 - Histoire de l'Afrique de nord , société privée d'imprimerie et d'édition , Paris, 1945.
- **JULIEN (CH. A.),**
 - Histoire de l'Afrique du nord, T. I, éd. Payot, Paris 1966.
- **LACROIX (L.):**
 - Histoire de la Numidie et de la Maurétanie, Firmin . didot frères éd., Paris 1844.
 - Histoire de la Numidie et de la Marétanie, Firmin didot frères éd. Paris 1844.
- **LIDDEL HART (B. H.),**
 - Scipion l'africain, Paris 1934.
- **MAZARD (J.),**
 - Corpus Nummorum Numidiaie Maurétanique, éd. arts et métier graphiques Paris 1955.

- **MEIRAT (J.),**
 - Marines antiques de la Méditerranée, éd. Librairie arthème, Fayard 1964.
- **MERCIER (E.),**
 - Histoire de l'Afrique du nord (BERBERIE) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Tome premier, Ernest le roux éditeur, paris 1888.
- **MONTER (P.),**
 - La vie quotidienne en Egypte de Ramsés , librairie hachette, Paris , France 1946.
- **MOSCATI (S.),**
 - L'épopée des phéniciens , éd. Fayard , Paris 1971.
 - the cambridge Ancient history vois 4, Cambridge , university press, 1964.
- **NICOLET (C.),**
 - dans Rome et conquête du monde méditerranéen. 2/Génese d'un empire presses universitaires Paris, 1978.
- **NEWMAN (W. L.),**
 - The politics of aristotele, Oxford ,1887.
- **PAVY ,**
 - Histoire de la Tunisie, ed. Bousalama, Tunis ,1977.
- **LA PEYRE (G.G.) ET PELLEGRIN (A.),**
 - Carthage punique , éd. Payot, Paris, 1942.
- **PEYRONNET,**
 - le problème nord-africain, T.I, paris, 1924.
- **PICARD (CH.),**
 - Les religions préhellénique (crête et Mycènes) coll. Mans.
- **PICARD (G.) ET (C.),**
 - Catalogue du musée Alaoui, nouvelle série collection puniques, I, Tunis , S. D.
 - Picard G. C., Images de chars romains sur les rochers du Sahara , C. R. acad. Inscr et Belles - lettres , séance du 21 fev. 1958.
 - La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, Paris Hachette 1958.
 - Le Monde de Carthage, Paris, 1956.

- vie et mort de Carthage , éd. Picard , Paris, 1970.
- **PIGANIOL (A.),**
 - La Conquête romaine, éd. P.U.F, paris ,1995.
- **POINSSOT (L.);**
 - Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions , 1907.
- **RINN (L.),**
 - Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha, rev. Afr., T. 29, 1885.
- **ROMANY (J. C.)**
 - corpus des inscriptions semiticarum I, 266.
- **ROSSETTI (S.),**
 - La Numidia carthagine fra la II et la III gurra punica parola passato, 1960.
- **ROUX (E. J.),**
 - Le cheval barbe , éd. Maisounew, Paris, 1987.
- **SAUMGNE (CH.) ,**
 - La Numidie et Rome, P. U. F., Paris 1966.
 - Numidie et Rome , Massinissa et Jugurtha, Paris, 1966.
- **SCHMIDT (C.),**
 - Histoire des vandales, traduit par Hedel Medico Payot, Paris , 1953,
- **SUETONE,**
 - Vie des XII César, éd.H. Ailoud, Paris Belles Lettres, 1931.
- **SZNYCER (M.),**
 - Les passages puniques en transcription latine dans le poemulus de Plaute, Paris, 1967.
- **TARRADELL (M.),**
 - Lixus Institut , Muley El-Hasan Tetuan ,1959 .
- **TISSOT ,**
 - Géographie comparée de la province romaine d'Afrique T. I , imprimerie nationale , Paris ,1884.
 - Fastes de la province romaine de l'Afrique, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1885
- **Tlatli (S. E.),**
 - La Carthage punique, éd. librairie d'Amérique et d'orient, Paris, 1978.

- **Viliard (R.)** ,
 - La vigne dans l'antiquité » Lyon, 1913.
- **VIVIEN (P.)**,
 - Aspects agricoles de l'occupation romaine en Afrique proconsulaire et en Numidie, Paris ,1976.
- **VUILLEMOT (G.)**,
 - Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autin 1966.
- **WALTER (G.)**,
 - La destruction de Carthage , éd. Albin Michel, Paris ,1947.
- **WARMINGTON (B. H.)**,
 - Carthage , Pélican books , London ,1964,
 - Histoire et civilisation de Carthage , éd. Payot , Paris ,1961
 - Carthage,éd. penguin books ,1960.

فهرس الأشكال و الصور

- الشكل: الصفحة
- 1- صلاية الحصون و الفنائم.....24
 - 2- خريطة توضح مواقع استقرار القبائل الليبية استنادا على معلومات هيرودوت أثناء القرن الخامس ق م.....26
 - 3- خريطة توضح مضارب القبائل الليبية المتوضعة غرب مصر.....27
 - 4- 1- رجل وامرأة لبيبان يهاجران إلى مصر (رسوم مقبرة بني حسن)33
 - ب- صورة توضيحية لرؤساء القبائل اللوبية عثر عليها في مقبرة الفرعون سيتي الأول بمصر33
 - 5- 1- صورة لجندي لبيبي تعلق رأسه الريشة وهو ضمن جيش "الملك أخناتون" (مقبرة تل العمارنة - مصر)35
 - ب- ممثلوا القبائل اللوبية ضمن الوفود التي تقف أمام فرعون مصر الملك أخناتون (مقبرة مري رع الأول- تل العمارنة).....35
 - 6- خريطة توضح مناطق امتداد امبراطورية شيشنق الأول37
 - 7- خريطة التسلسل اللوبي إلى مصر39
 - 8- صورة توضح عملية تدريب الليبيين الذين كانوا ضمن الجيش المصري42
 - 9- خريطة توضح توافد الشعوب الأجنبية إلى مصر45
 - 10- رسم تخيلي يصف بداية استعمال الهروات لدى الإنسان القديم في الصيد والدفاع عن النفس أو الهجوم50
 - 11- خريطة مناطق تواجد الرسوم الصخرية وطريق العربات إنطلاقا من أويا (طرابلس) حتى جاو بالنيجر.....52
 - 12- رسم صخري يظهر صورة لعربة يجرها حصانان منطقة الصحراء الوسطى الجزائرية.....54
 - 13- عربة يجرها حصانان ويركبها رجلان58

- 14- رسم يظهر رمسيس الثاني يطارد أعدائه وهو يمتطي عربة 60
- 15- عربة تعود إلى العهد الفينيقي 62
- 16- عربة يجرها حصانان في حالة ركض سريع 64
- 17- شكل يمثل أحصنة تجر عربات في حالة ركض سريع 66
- 18- منظر يصور مواجهة بين عدة أشخاص وعربات تجرها خيول في حالة ركض سريع 73
- 19- عربات يمتطيها أشخاص تجرها ثيران مسروجة 81
- 20- رسم صخري يوضح استعمال كلب السلوقي ، إما في الصيد أو الحرب 84
- 21- خريطة طبوغرافية لمدينة قرطاجة 97
- 22- نصب يوضح كتابة لوبية 104
- 23- ضريح دوجة الأثري 115
- 24- صورة القائد القرطاجي هاملكار بركة 152
- 25- صورة للقائد القرطاجي حنبعل 156
- 26- خريطة توضح مسيرة انتصارات حنبعل خلال الحرب البونيقية الثانية وانهزامه في معركة زاما سنة 202 ق.م 159
- 27- صورة القائد الروماني سيبليون الإفريقي الذي تتلمذ على يد حنبعل في الحنكة العسكرية ثم نقل الحرب إلى شمال إفريقيا 161
- 28- صورة تخيلية لمعركة زاما الشهيرة التي كانت خاتمة الحرب البونيقية الثانية 163
- 29- خنجران بونيان عثر عليهما في مدينة قرطاجة 175
- 30- 1- رسم لسفينة حربية عثر عليها بتونس الشمالية مرسومة على قبر حانونتي 178
- ب- رسم لسفينة حربية مزودة بمجاذيف وفي مقدمتها تظهر سكة المحراث (رأس الكبش) 178
- 31- رسم لسفينة حربية ذات خمسة صفوف من المجاذيف (خماسية) 180
- 32- الميناء المزدوج المرفأ لمدينة قرطاجة (تجاري - عسكري) 181

- 33- صورة فارس قرطاجي يمتطي حصان ويرتدي خوذة ويحمل في يديه درعا ورمحا وإلى جانبه كلب السلوقي جسدت على الطين 185
- 34- 1- شخص يمتطي فيلا ويبيده حرية (الحرب البونية الثانية) 193
- 35- رسم صغري يجسد حصانا 197
- 36- خريطة توضح مناطق انتشار الجيش المرتزق 237
- 37- عملة نوميدية تعود إلى فترة الملك سيفاقس يظهر في الوجه الثاني فارس يمتطي جوادا وتحت كتبه بحروف بونية (س ف ق ه م ل ك ت) 242
- 38- خريطة توضح أملاك الدولة النوميدية الموحدة 250
- 39- صورة العاهل النوميدي ماسينيسا 252
- 40- 1- نموذج لأسلحة بونية - مغاربية عثر عليها في جزيرة رشقون بالغرب الجزائري 260
- ب- نماذج لأسلحة نوميدية عثر عليها في صومعة الخروب، (خناجر وسيف ورمح) متأكلة 260
- 41- نصب يظهر على بدنه درع مستدير توجد بوسطه دائرة بارزة وفي الناحية اليمنى منه غرس سلاح 262
- 42- درع مستدير الشكل تتوسطه دائرة وفي الأسفل منه تظهر قبضة سيف وامتداده 265
- 43- درع بيضاوي الشكل مع الاستطالة إلى حد ما نفذ بواسطة النحت البارز يتوسطه خط 267
- مستطيل 267
- 44- رسم بارز يظهر لنا درع بيضاوي الشكل مع الاستطالة إلى حد ما تعلوه خوذة وتخرقه أسلحة متنوعة 269
- 45- عملة نوميدية حملت على وجهها الأول رأس متوج وعلى الوجه الثاني يظهر حصان يتجه نحو اليسار ، كتبت تحته حروف ه م ل ك ت أي الملكة 279

- 46- عملة نوميدية حملت على وجهها الأول رأس متوج وعلى الوجه الثاني تحمل فيلا متجه نحو اليسار وتحته كتابة بونوية "م س ن س ن" ترمز إلى اسم (ماسينيسا) 282
- 47- عملة نوميدية تعود لفترة العاهل يوغرطة تحمل صورة فيل يتجه نحو اليمين كتب تحته بالكتابة البونية "1" 283
- 48- صورة لعملة نوميدية تعود لفترة الملك يوغرطة تحمل على وجهها الأول رأس متوج بالغار وعلى الوجه الثاني رسم فيل يتجه نحو اليمين 297
- 49- خريطة توضح المنطقة التي جرت فيها أحداث واقعة تابسوس 341
- 50- 1 - صورة الملك بطليموس 385
- ب . صورة الإمبراطور كاليفولة 385
- ج - نص إهدائي للملك بطليموس 385
- 51- خريطة توضح المقاومة في الجبال الثلجية ثم القبائل البابار ، القبائل الخمس و قبائل الامازيغ (القرن الثالث والرابع ميلادي) 427
- 52- 1 - نصب أوريليوس ماسفيلوس 434
- ب- نصب لوريوس روقاتوس 434
- ج- فارس أبيزار 434
- 53- محاربون مشاة افريقيون (الرمحان والدرع مثبت في الساعد) 439
- 54- محارب افريقي (سترة قصيرة ، رمح وسيف مثبت في الحزام) 443
- 55- عمود تراجان بروما (لوحة تمثل الفرسان النوميد) 445
- 56- فارس نوميدي بتجهيزه العسكري الكامل حسب الآثار المكتشفة في ضريح الصومعة (الخروب) 448
- 57- أحد الغرامنت يرتدي سترة (رسم على الصخر من جهة الغرّان) 451
- 58- خريطة توضح جغرافية الوندال 467
- 59- خريطة توضح خط سير الوندال باتجاه شمال إفريقيا 470
- 60- خريطة توضح خط سير الوندال داخل شمال إفريقيا 472
- 61- خريطة توضح الممالك المورية خلال القرن الخامس ميلادي 479

فهرس مصادر الأشكال والصور

الأشكال	المصادر
الأشكال- 1	ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 150.
الشكل رقم 2	مصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية بنغازي 1966، ص. 123.
الشكل رقم 3	ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 96.
الشكل رقم 4	1 - ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 116. ب - ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 120.
الشكل رقم 5	1 - N. deg. Davies Rock Tombs of el- "Amarina", Vol I, PL. XXVI ب - ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 118.
الشكل رقم 6	ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 197.
الشكل رقم 7	ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 158.
الشكل رقم 8	ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 132.
الشكل رقم 9	ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الرابع قبل الميلاد، دار التراث 1988، ص. 173.

الشكل رقم 10	محمد الطاهر العدواني : الحروب والأسلحة في عصر ما قبل التاريخ وفجر التاريخ إلى 1000 ق.م. ط. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1958 ص. 31.
الشكل رقم 11	- Lhote H., A la découverte des fresques du Tassili , éd. B. Arthaud, Paris 1973, P. 30-31.
الشكل رقم 12	- Lhote H., Les chars rupestres sahariens, éd. Des hespérides 1982, P. 7.
الشكل رقم 13	- Lhote H., Les chars rupestres sahariens, éd. Des hespérides 1982, P. 29.
الشكل رقم 14	- Jean Claude golvin et Philippe Martinet , Aux sources de l'Egypte ancienne CD-ROM.
الشكل رقم 15	- Gran-Aymerich (J.), Les phéniciens, archéologia, 236, Juin 1988, P. 27.
الشكل رقم 16	- Lhote H., Les chars rupestres sahariens, éd. des hespérides 1982, P. 19.
الشكل رقم 17	- Lhote H., Les chars rupestres sahariens, éd. des hespérides 1982, P. 19
الشكل رقم 18	- Lhote H., Les chars rupestres sahariens, éd. Des hespérides 1982, P. 92
الشكل رقم 19	- Lhote H., Les chars rupestres sahariens, éd. Des hespérides 1982, P. 55
الشكل رقم 20	- Lhote H., A la découverte des fresques du Tassili , éd. B. Arthaud, Paris 1973, P. 13
الشكل رقم 21	محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، مط. دار الهدى 2003، ص. 83.
الشكل رقم 22	- Fantar M. H., Carthage , Achievé d'imprimer en Tunisie 1998, P.87.
الشكل رقم 23	- Tlatli S.E., La Carthage punique, éd. maisonneuve, Paris , P.160.
الشكل رقم 24	
الشكل رقم 25	- Fantar M. H., Carthage , Achievé d'imprimer en Tunisie 1998, P.55.
الشكل رقم 26	هشام الصفدي، تاريخ الرومان، ج. 1، مط. دار الفكر الحديث، لبنان 1967، ص. 194.

- Lancel S, Hannibal, librairie Arthème fayard, 1995, (hors texts)	الشكل رقم 27
- Fantar M. H., Carthage , Achevé d'imprimer en Tunisie 1998, P.57.	الشكل رقم 28
- Parrot A. et Chehab M. H. et Moscati S, Les Phéniciens , éd. Gallimard 1975, P. 184.	الشكل رقم 29
L'or - Barkaoui A. ,La Marine Carthaginoise , éd. -1- du temps, Tunisie 2003, P. 322.	الشكل رقم 30
- Warry J., histoire des guerres dans l'antiquité, Paris , Bruxelles 1981. PP.18-19.	
- Jean Meirat, Marines antiques de la Méditerranée, éd. Fayard, Paris 1964, P. 109.	الشكل رقم 31
محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، مط. دار الهدى 2003، ص. 88.	الشكل رقم 32
- Decret F et Fantar M. H., L'Afrique du nord dans l'antiquité, Payot Paris 1981. (hors texte).	الشكل رقم 33
- Claude Nicolet, Rome et la conquête du monde méditerranéen 2/genèse d'un empire , imprimerie de presses universitaires de France 1978. (page de garde).	الشكل رقم 34
محمد الصغير غانم، شمال إفريقيا قبل التاريخ (ترجمة)، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس 2001، ص. 134.	الشكل رقم 35
	الشكل رقم 36
Mazard J., Corpus Nummorum Numidie Mauritanique, éd. Arts et métiers graphiques, Paris 1955. P. 20.	الشكل رقم 37
محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، مط. دار الأمانة 1998، ص. 91.	الشكل رقم 38
صورة ماسينيسا	الشكل رقم 39
-1- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، مط. دار الهدى 2003، ص. 158.	الشكل رقم 40
- بنفسه.	
- Berthier A. Charlier A. R., Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine « planches », éd. arts et	الشكل رقم 41

métiers graphiques , Paris 1955, Pl. XVIII (C).	
- Berthier A. Charlier A. R., Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine « planches », éd. arts et métiers graphiques , Paris 1955, Pl. XVIII (D)	الشكل رقم 42
- Berthier A. Charlier A. R., Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine « planches », éd. arts et métiers graphiques , Paris 1955, Pl. XV (D)	الشكل رقم 43
- Berthier A. Charlier A. R., Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine « planches », éd. arts et métiers graphiques , Paris 1955, Pl. XVII (A)	الشكل رقم 44
- Mazard J., Corpus Nummorum Numidie Mauritanique, éd. Arts et métiers graphiques , Paris 1955. P. 30.	الشكل رقم 45
- Mazard J., Corpus Nummorum Numidie Mauritanique, éd. Arts et métiers graphiques, Paris 1955. P. 30.	الشكل رقم 46
- Mazard J., Corpus Nummorum Numidie Mauritanique, éd. - Arts et métiers graphiques , Paris 1955. P. 45.	الشكل رقم 47
- Mazard J., Corpus Nummorum Numidie Mauritanique, éd. Arts et métiers graphiques , Paris 1955.P.45.	الشكل رقم 48
	الشكل رقم 49
- Coltelloni Trannoy (M.), Le Royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée, éd. C. N. R. S, Paris 1997, P. 56.	الشكل رقم 50
- Devisse (J.) , Histoire de Rome , éd. Hatier , Paris 1964, P.59	
ج. - نصب إهدائي محفوظ في متحف الجزائر العاصمة 1841 (I.L.S.,)	
- Bouvet (A.), Guerre de l'Afrique , éd. Belles lettres , Paris (Hors texte).	الشكل رقم 51
أ - متحف تيبازة	الشكل رقم 52
ب - متحف تيبازة	

- Camps (G.), Berbères aux marges de l'histoire, éd., des Hespérides, Paris 1980. P. 229.	ج	
- Dessins Mac Cathy		الشكل رقم 53
- Dessins Mac Cathy		الشكل رقم 54
- Cagnat (R.) Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Paris 1913, (hors texte).		الشكل رقم 55
صورة من متحف سيرتا		الشكل رقم 56
صورة من متحف طرابلس الغرب		الشكل رقم 57
- Courtois (C.), les vandales et l'Afrique, arts et métiers graphique, Paris, France, 1955. P. 158.		الشكل رقم 58
- Courtois (C.), les vandales et l'Afrique, arts et métiers graphique, Paris, France, 1955. P. 161.		الشكل رقم 59
- Courtois (C.), les vandales et l'Afrique, arts et métiers graphique, Paris, France, 1955. P. 334.		الشكل رقم 60
- Courtois (C.), les vandales et l'Afrique, arts et métiers graphique, Paris, France, 1955. P. 182.		الشكل رقم 61

فهرس المحتوى

مقدمة 07

الباب الأول

- فترة ما قبل التاريخ

الفصل الأول

- العلاقات الليبية المصرية..... 22

1. التسمية والإطار المكاني 22

2. السلالة البشرية 25

3. الحروب والمقاومة 36

أ- التسلل اللوبي إلى مصر..... 36

ب- رد الفعل المصري 38

الفصل الثاني

- الأسلحة والعتاد الحربي في فترة ما قبل التاريخ 49

1- الأسلحة البسيطة 49

2- الأسلحة ذات الاستعمال الجماعي 51

- 1- العربات القتالية والحصان في فترة ما قبل التاريخ... 51
- ب- طبيعة العربات التي تجرها خيول صورها مستخلصة من
الرسوم الصخرية..... 55
- ج- الخيول الراكضة وسرعة العربات..... 63
- د- التدرج الكرونولوجي لظهور العربة والحصان..... 67
- 3- احتمال وصول غزاة أجنب لمنطقة الصحراء..... 80
- أ- الاعتماد على الفرضيات النظرية المبنية على التخمين..... 80
- ب- الاعتماد على الاكتشافات المادية المتمثلة في أعمال الباحثين
الأثريين..... 82
- ج- قراءة في الجانب الديمغرافي اعتمادا على الدراسات
السابقة للمنطقة..... 87

الباب الثاني

المقاومة والحرب في الفترة التاريخية

الفصل الأول

- العلاقات الليبية الفينيقية في بلاد المغرب القديم..... 95
- أولا : العلاقات التي تمتد منذ البدء وحتى القرن الخامس قبل الميلاد..... 111
- 1- علاقة المصالح المتبادلة..... 111
- 2- الديانة المشتركة..... 113
- 3- التبادل الاقتصادي..... 115

- 4- الشعور بالمصير المشترك.....119
- 5- التصدي لإغريق قرينة بليبيا.....123
- ثانيا : العلاقات اللاحقة لما بعد القرن الخامس ق.م.....124
- 1- أصول بداية تكوين الجيش القرطاجي.....124
- 2- جيش محترف من الليبيين - الفينيقيين.....128
- 3- دواعي تجنيد الفرق المرتزقة.....131
- 4- العلاقات بين القادة القرطاجيين والجيش المرتزق.....136
- 5- المرتزقة يمثلون عبء على خزينة الدولة القرطاجية.....137

الفصل الثاني

- النزاع على السلطة بين الأرستقراطية القرطاجية وضباط الجيش.....147
1. دور القادة الماغونيين في حماية الإرث الليبي - القرطاجي.....147
2. انعكاسات توسعات الأسيرة البرقية على الواقع الحربي في بلاد المغرب القديم.....151
- 1- انعكاسات حرب هاملكار برقة على بلاد المغرب القديم.....151
- ب- انعكاسات حرب حنبعل على المنطقة المغاربية.....155
- ج - سر انتصارات حنبعل وأسلافه.....164

الفصل الثالث

- المعدات الحربية القرطاجية أثناء الفترة التاريخية 173
1. المعدات الفردية البسيطة 173
2. البحرية القرطاجية 176
3. سلاح الرماح والخوذة 183
4. سلاح المقذوفات 189
5. الفيلة واستعمالاتها الحربية 191
6. الحصان واستعمالاته الحربية 195

الباب الثالث

- قرطاجة والكيان النوميدي

الفصل الأول

- قرطاجة تتحول إلى إمبراطورية وتغير سياستها الإفريقية 205
- 1- التذمرات الناتجة عن تضارب المصالح بين القرطاجيين وحلفائهم المغاربة 206
- أ- تذمرات الليبيين- النوميديين ضد قرطاجة 207
- ب- المنطلقات الأولى لظهور الكيان النوميدي 212
- 2- ثورة الجيش المرتزق نموذجا ضد الهيمنة القرطاجية 218
- أ- الحرب ومراحلها 218
1. جيش بلا أجور 219

- 223..... 2. جيش غير متجانس..... 445
 225..... 3. من التمرد إلى الثورة..... 475
 227..... 4. تنظيم المواجهة..... 477
 232..... ب - تداعيات الحرب..... 479
 232..... 1. مرحلة العقاب..... 481
 233..... 2. ثورة لها مطالب أم مجرد تمرد..... 483

الفصل الثاني

- الحروب والمقاومة في فترة الملوك النوميديين الأوائل..... 241
 1. الحرب والمقاومة في فترة الملك سيفاقس..... 241
 أ- مؤتمر سيقا ومحاولة التوسط بين القوتين اللتين كانتا
 تسيطران على الحوض الغربي للبحر المتوسط..... 244
 ب- سيفاقس يختار الجانب القرطاجي..... 245
 ج- معركة سيرتا وإلقاء القبض على سيفاقس..... 247
 2. المقاومة والحرب في فترة الملك ماسينيسا..... 251
 أ- ماسينيسا يواجه قرطاجة لأول مرة..... 255
 ب- توسعات ماسينيسا تثير مخاوف الرومان..... 256
 ج- ماسينيسا يبث العيون في مدينة قرطاجة... 257
 3. المعدات والتجهيزات الحربية النوميديية..... 259
 أ- السيوف والرماح..... 259

264.....	ب- الدروع بأنواعها.....	٢٦٤
272.....	ج- الخوذة والقوس.....	٢٧٢
277.....	د- المقلع.....	٢٧٧
277.....	هـ- الحصان النوميدي واستعمالاته الحربية.....	٢٧٧
281.....	و- الفيلة النوميدي واستعمالاتها الحربية.....	٢٨١
283.....	ز- البحرية النوميدي.....	٢٨٣

الباب الرابع

الحرب والمقاومة ضد الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا

الفصل الأول :

293.....	- الحرب والمقاومة في فترة الملك يوغرطة.....	٢٩٣
296.....	1. يوغرطة يوحد المملكة النوميدي.....	٢٩٦
298.....	2. الحرب والمقاومة اليوغرطية ضد الرومان.....	٢٩٨
300.....	3. يوغرطة يسترد سيرتا ويتخذها عاصمة له.....	٣٠٠
301.....	4. يوغرطة يواجه القناصل الرومان.....	٣٠١
303.....	5. يوغرطة يلحق الرومان أكبر هزيمة في معركة ستول.....	٣٠٣
306.....	6. مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطة.....	٣٠٦
307.....	7. تداعيات حرب يوغرطة على المنطقة بعد إلقاء القبض عليه.....	٣٠٧

الفصل الثاني

- الحرب والمقاومة في عهد الملك يوبا الأول..... 315

1. التحالف النوميدي الروماني..... 319
2. دور الملك يوبا الأول العسكري..... 320
3. حملة كريون 49 ق.م..... 323
4. نجدة الملك يوبا الأول لواروس..... 326
5. خطة يوبا الأول القتالية..... 327
6. المعركة على ضفة باغراداس والقضاء على كريون..... 328
7. الدور النوميدي في التصدي للحملة القيصرية..... 331
8. الجيش النوميدي في عهد الملك يوبا الأول..... 333
9. الخطط الحربية النوميديّة..... 334
10. نكبة تابسوس 146 ق.م..... 337
11. تداعيات تابسوس..... 342

الفصل الثالث

- المقاومة بقيادة أرابيون..... 347

1. عودة الأمير أرابيون من إيبيريا إلى نوميديا..... 351
2. الصراع بين حكام أفريقيا الرومان..... 355
3. التحالف بين أرابيون والوالي الروماني سكستوس..... 358
4. انتصارات الأمير أرابيون..... 359

5. اغتيال الامير اربيون 362

الفصل الرابع

- مقاومة التوسع الروماني في نوميديا وموريتانيا 367

اولا : المقاومة بقيادة تاكفاريناس ومواجهة الحملات الرومانية. 367

1. حملة البروقنصل فوريوس كاميلوس 17 م 372

2. حملة ديكريوس 373

3. حملة ابرونيوس 20 م 373

4. حملة يونيوس بليسوس 20 م 374

5. حملة دولابيل 23 - 24 م 377

6. نتائج الحرب 379

ثانيا : استمرار المقاومة بعد مقتل تاكفاريناس 380

1. اغتيال الملك بطليموس 381

2. الثورة بقيادة ايديمون 386

3. القوة الرومانية وفرض الاحتلال 388

الباب الخامس

استمرار المقاومة ضد الاحتلال الروماني ثم المقاومة ضد الوندال والبيزنطيين

الفصل الأول

- المقاومة إلى نهاية الاحتلال الروماني 399
1. ثورة البوار والقبائل الخمس 400
2. مقاومة حملة ماكسيميانوس (297 - 298) 403
3. الدوناتية والثورة الريفية (القرن الرابع) 404
4. بداية الانقسام 406
5. ثورة الريفين 411
6. فيرموس يقود المقاومة (372 - 375) 416
7. الحملة الرومانية على الجبال التلية (373 - 375) 418
8. ولاية جيلدون 386 م واستمرار المقاومة إلى نهاية الاحتلال
الروماني 423

الفصل الثاني

- التجهيز العسكري في المغرب القديم (الفترة الرومانية) 431
- 1- الدروع 432
- أ- الدروع المستديرة 432
- ب- الدروع البيضوية 435
- ج- مسك الدرع 436

437.....	2. الحراب	437
437.....	3. القوس	437
440.....	4. المقلع	440
441.....	5. السيوف	441
442.....	6. الخناجر	442
444.....	7. الخيول	444
446.....	8. الإسراج	446
449.....	9. اللباس	449
449.....	أ- الخوذة	449
449.....	ب- السترة	449
452.....	ج- الأحذية	452

الفصل الثالث

457.....	- الاحتلال الوندالي	457
457.....	1. الظروف العامة قبل الاحتلال الوندالي	457
461.....	2. الغزو الوندالي	461
468.....	3. خطط سير الوندال	468
473.....	4. أشكال المقاومة	473

الفصل الرابع

- الاحتلال البيزنطي 483
1. ذرائع البيزنطيين في غزوهم لشمال إفريقيا 485
2. الجيش البيزنطي 488
3. المقاومة البربرية للاحتلال البيزنطي 490
4. نهاية الحكم البيزنطي بإفريقيا 496
- خاتمة 499
- فهرس المصادر والمراجع 509
- فهرس الأشكال والصور 527
- فهرس مصادر الأشكال والصور 531
- فهرس المحتوى 537

